البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد السادس

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد السادس

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد السادس .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة
التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٥٧٦ ؛ ١٥,٥ X ٢٣,٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٩-٩٤-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٩-٩٤-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-٧٧٦٥٧٧٤ بتاريخ ٢٠٢٥/٠٢/١٨م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد السادس ٧

- أحداث عام ١٥٢٩م ٩
- أحداث عام ١٥٣٠م ٩٧
- أحداث عام ١٥٣١م ١٢٣
- أحداث عام ١٥٣٢م ١٣٧
- أحداث عام ١٥٣٣م ١٤٣
- أحداث عام ١٥٣٤م ١٥٥
- أحداث عام ١٥٣٥م ١٦٥
- أحداث عام ١٥٣٦م ١٨١
- أحداث عام ١٥٣٧م ١٨٥
- أحداث عام ١٥٣٨م ١٩٣
- أحداث عام ١٥٣٩م ٢٥٣
- أحداث عام ١٥٤٠م ٢٦٣
- أحداث عام ١٥٤١م ٢٩١

دليل الباحثين ٥٥٧

هوامش المجلد السادس ٥٧١

مقدمة المجلد السادس

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث ثلاثة عشر عاماً ، من العام ١٥٢٩م إلى العام ١٥٤١م ، جرت بها أحداث هرمز بين الثورة على البرتغاليين والتذلل والانقياد لهم ؛ تلا ذلك الهزائم التركية على يد الفرس تارة وأخرى على يد البرتغاليين .

في الأعوام اللاحقة ، تم أسر البرتغاليين في خورفكان ، وتبادل الأسرى الذين بخورفكان ، بآخرين أسروا في ريشهر ، بلد بني مالك .

ينتقل الصراع بين البرتغاليين والأتراك إلى البحر الأحمر ، ومن ثمّ إلى الهند ، لينتهي المجلد السادس بالصراع بين الأتراك والبرتغاليين على عدن والبحر الأحمر .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٥٢٩م

في شهر فبراير من عام ١٥٢٩م ، تم القبض على ريس شرف بأمر من ملك البرتغال ، جرت عملية إلقاء القبض عليه كما جاء في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، في الفصلين الثاني بعد المائة والثالث بعد المائة : [1]

الفصل الثاني بعد المائة :

كان "نونو دا كونها" "Nuno da Cunha" يقضي الفصل الماطر في "مومباسا" ، حيث التقى به كل من "سيماو دا كونها" "Simao da Cunha" و"الدون فرانشيسكو دي سا" "D . Francisco de Ca" و"فرانشيسكو دي مندونسا" "Francisco de Mindonca" في نهاية الفصل ، إذ كانوا هم أيضا هناك ، حيث مات أربعمائة من رجالنا كما أخبروا "نونو

(١) رقم الوثيقة والهامش.

دا كونـهـا" ، كـذلك أخـبروه بخسـارتهم "لأفــونسو فاز آزامبوجو" "Afonso Vaz Azambojo" و"بـــيرنـارديم دا سـيلفــيـيرا" "Bernardim da Silviera" ، مما جعله يشعر بالحزن الشديد ، وخشي أن يكون كل من "غارسيا دي سا" "Garcia de Ca" و"أنطونيو دي سالدانها" "Antonio de Saldanha" بدورهما قد قضيا .

كان الإبحار باتجاه الهند خطراً جداً بالنسبة للسفن الكبيرة ، بسبب قرب فصل الرياح الموسمية الماطرة هناك ، لذلك اتفق "نونو دا كونها" مع القادة الذين ذكرتهم على قضاء ذلك الفصل في هرمز ، لأجل سلامتهم ، وبينما هو يستعد للمغادرة ، التقى رجلاً من "غوا" "Goa" يدعى "باستياو فيريرا" "Bastiao de Ferreira" كان الحاكم قد أرسله ليبحث عن "نونو دا كونها" ، إذ كان يظنه سيقضي الفصل الماطر في "موزمبيق" ، فذهب يبحث عنه في "ماليندي" .

بما أن "نونو دا كونها" عزم على قضاء ذلك الفصل في الهند ، فقد كتب إلى الحاكم ، وأرسل الرجل إليه يخبره بأنه استولى على "مومباسا" ، وبالسبب الذي جعله يتوجه إلى هرمز ، طالباً منه أن يجمع أسطولنا في الهند لأننا سنكون بحاجة إليه عند وصوله ، لما غادر "باستياو دي فيريرا" اتجه إلى هرمز ، وبينما هو يتزود بالمياه في "تيرف" "Terf" ، التقى "الدون فرناندو دي سا" "Fernando de Ca " مع القائدين اللذين يرافقانه ، وكانوا في طريقهم إلى الهند ، كما ذكرت آنفا .

من الهند ذهب إلى مسقط ، حيث أنزل المرضى من أسطوله ، وكانوا كثيرين ، كما ترك في مسقط أيضا سفينتي كل من "الدون

فرانشيسكو دي سا" و"فرانشيسكو دي مندونسا" ، بعد أن وضعهما تحت إمرة "الدون فرناندو دي ليما" "Fernando de Lima" ، ومن ثم استأنف رحلته إلى هرمز بسفينته ، ومعه "سيماو دي كونها" و"الدون فرناندو دي سا" . استقبلهم ملك هرمز بحرارة ، ولكن جعل وصولهم الريس شرف متخوفاً من أن يعاقب بسبب تسلطه ، إذ كان "نونو دا كونها" جديداً على الساحة ، ولا أحد يدري ما قد يفعله .

بعد مرور بضعة أيام على وصول الأخير إلى هرمز ، وصل إلى المنطقة أيضاً "مانويل دي ماسيدو" "Manuel de Macedo" قادماً من البرتغال على رأس سفينته ، وهو يحمل أمراً من ملك البرتغال بالقبض على الريس شرف بسبب العديد من الأعمال التي قام بها ، وإرساله على ظهر نفس تلك السفينة إلى البرتغال ، تحت الحراسة ، وقد كلف الملك "مانويل دي ماسيدو" بتلك المهمة ، لثقته به ، ولإيمانه بأنه سيقوم بها بشكل أفضل من غيره ، ولن تغريه الرشاوى .

بعيد وصول الأخير إلى مكان التزود بالمياه في "تيرف" ، وهو على بعد ستين فرسخاً من هرمز ، علم بأن "نونو دا كونها" كان موجوداً فيها ، فخشي إن علم الأخير بمهمته فسيحرمه شرف القبض على الريس شرف ، فقرر أن يموه ذهابه إلى هرمز ، فذهب بدلاً من ذلك بسفينة أصغر من سفينته من نوع "تيرادا" (طراد) مع بعض الرجال الموثوق بهم ، وأخبر الضابط بعد بضعة أيام ، عندما شعر أن الوقت مناسب لتنفيذ مهمته ، بأنه قد غادر إلى هرمز .

وصل بالطراد في صباح أحد الأيام ، ونزل سراً إلى بر هرمز ، وتوجه

إلى محل إقامة الريس شرف في قصر ملك هرمز ؛ أخبر أولاً خادمه بأنه إن رآه يتحدث إلى الريس شرف ، فعليه أن يأخذ برسالة إلى "نونو دا كونها" يخبره فيها بما كلفه به ملك البرتغال ، وبأنه إن أرسل بالرجال إلى منزل الريس شرف ، فهو بذلك يؤدي واجبه في خدمة الملك .

لما وصل "مانويل دي ماسيدو" إلى مقر إقامة الريس شرف ، تم استقباله بحفاوة كبيرة ، إذ كانا يعرفان بعضهما ، وقد أصبحا أصدقاء بعد أن قام "مانويل دي ماسيدو" بإعادة الريس شرف من الهند إلى هرمز ، بعد أن تم تحريره من الأسر هناك ، لما رآهما الرجل يتحدثان ، أخذ الرسالة التي يحملها إلى "نونو دا كونها" ، الذي بينما كان يقرأها .

وصل "سيماو دا كونها" مسرعاً وأخبره بأن "مانويل دي ماسيدو" قد قبض على الريس شرف وأن الخبر صار حديث المدينة . كان "نونو دا كونها" الأكثر دهشة بذلك الخبر ، وأمر "سيماو دا كونها" بالإسراع بالقبض على الريس شرف ، فذهب الأخير وأخذ معه الكثير من الرجال ، وعند وصوله ، وجد كما كان يتوقع ، "مانويل دي ماسيدو" وقد قبض على الريس شرف ، فتسلم هو زمام الأمور على الفور ، وأمره بأن يضع قائمة بممتلكاته ،

بعد ذلك أخذ الريس شرف إلى منزل "نونو دا كونها" من دون أن يندلع أي شغب في المدينة ، برغم السلطة والنفوذ الذي يتمتع بهما الريس شرف ، وذلك لأن الناس كانوا يخافوننا كثيرا . كان "نونو دا كونها" غاضباً جداً لأن "مانويل دي ماسيدو" هو من قبض على الريس شرف ، متجاهلا وجوده في هرمز ، فأمر بأن يحتجز بالرغم من أنه يحمل

أوامر من الملك تكلفه بذلك ، لقد قام بذلك أيضا لتهدئة ملك هرمز ، الذي كان ساخطاً من القبض على الريس شرف وهو في قصره .

بعد احتجاز الريس شرف في أغسطس ، بدأ "نونو دا كونها" بالاستعداد للمغادرة متوجهاً إلى الهند ، وصل بعدها لملك هرمز خبر مفاده أن الريس بدرالدين حاكم البحرين قد تمرد ضده ، ورفض أن يرسل له المبلغ الذي يدفعه في العادة له سنوياً كإيجار وقدره أربعة آلاف أشرفي (ليرة برتغالية فضية) ، وذلك اعتراضاً على احتجاز الريس شرف الذي كان صهره ، إذ قال إن ملك هرمز هو السبب في احتجاز الأخير ، بعد أن سمح له بالإقامة في قصره ، وذلك لكي يؤذيه في أي وقت ، وكما يشاء .

لما سمع ملك هرمز بذلك ، أطلع "نونو دا كونها" على الأمر ، قائلا إنه أحد رعايا ملك البرتغال وإنه كان يدفع الجزية إليه وإنه بصفته الحاكم البرتغالي فعليه أن يعيد إليه البحرين وولاء حاكمها الريس بدرالدين ، بالإضافة إلى ذلك ، ولكون احتجاز الريس شرف هو السبب في تمرد حاكم البحرين ، فسيخصم الأربعة ألف ليرة فضية من مبلغ الجزية الذي يدفعه لملك البرتغال ، وهو مبلغ الايجار السنوي الذي يأتيه من البحرين ،

أجاب "نونو دا كونها" بأنه لا ينبغي له القيام بذلك ، لأن الريس شرف احتجز بسبب أفعاله السيئة التي قام بها ، لملك البرتغال الحق في معاقبته عليها بصفته الأعلى مقاماً ، لذلك ليس هنالك من عذر لعدم دفع الجزية بالكامل ، لقد ناقشوا الأمر مطولاً ، واتفق "نونو دا كونها" وملك البحرين على عدم خصم الأربعة آلاف ليرة فضية من

الجزية التي عليه دفعها ، وأنه سيعيد مملكة البحرين إلى طاعته ؛ ثم عقد "نونو دا كونها" اجتماعاً مع القادة والنبلاء في أسطوله .

صرح البعض منهم بأنه قد أرسل من البرتغال لأخذ "ديو" "Diu" ، وهي الأكثر أهمية من تأمين دفع هرمز لمبلغ الأربعة آلاف ليرة ، وأن في "ديو" موارد أكبر ، وأن الاستيلاء عليها لهو شرف كبير يحققونه لملك البرتغال ، وأن عليهم الهجوم الآن بعد الدمار الذي ألحقه "لوبو فاز دي ساوبايو" "Lopo Vaz de Sampaio" بمراكبها ، ولكونهم قدموا تواً من البرتغال ، فهم جاهزون وأن التوجه لإخضاع البحرين سيؤخرهم كثيرا ، لأنها خارج نطاق فصل الرياح الماطرة .

ذلك سيجعلهم يضيعون الوقت الذي يلزمهم للوصول إلى الهند في وقت مبكر ؛ لذا فعليهم ترك البحرين ، أما بقية القادة الآخرين فصرحوا بأن بإمكانهم إخضاع البحرين والاستيلاء على "ديو" في نفس الوقت ، وذلك كان رأي "نونو دا كونها" ؛ فتم الاتفاق على ذلك ، وعلى أن يتوجه "سيماو دا كونها" إلى البحرين ، بعد أن أمره "نونو دا كونها" بأن عليه أن يحاول الوصول إليها في ثلاثين يوماً .

نظراً لأن المنطقة خارج فصل الرياح الموسمية ، والرياح فيها ستكون عكسية ؛ فإن لم يصلها في ذلك الوقت فعليه العودة . أبحر "سيماو دا كونها" في مطلع شهر سبتمبر بسفينة مربعة السطح تعود لتاجر من الهند البرتغالية كان يعرفه يدعى "جورجي غوميز" "Jorje Gomez" ، وكان أحد القادة الذين يرافقونه هو "الدون فرانشيسكو دي سا" ،

مبحراً بالسفينة التي قدم بها "مانويل دي ماسيدو" من البرتغال ، لكنه لم يتمكن من الوصول إلى البحرين بسبب تحطم الأشرعة .

أما بقية القادة فكانوا : "مانويل دي البوكيرك" "Manuel de Albuquerque" و"الدون فرناندو دي سا" في سفينته الكبيرة و"أليكسو دي سوزا" "Alexo de Susa" في سفينة أخرى مماثلة ، و"لوبو ميزكيتا" "Lopo da Mesquita" في السفينة "سامورين بيكينو" "Samorin Piquino" ، و"تريستاو دا أتايد" "Tristao de Ataide" في سفينة صغيرة ، وبلغ عدد رجالنا على متن تلك السفن ثلاثمائة من النبلاء والقادة والضباط ، وكلهم من الرعايا الأوفياء للملك .

كانوا مسلحين بشكل جيد بالدروع وعدة الفرسان الحربية ، وبينما هم يواصلون إبحارهم ، واجهتهم الرياح المعاكسة ، فأتعبتهم كثيراً ، لكن جاء الرب لهم بالرياح التي أخذتهم إلى البحرين إلا "فرانشيسكو دي سا" الذي تخلف عنهم ، و"أليكسو دي سوزا" الذي أمسك ببعض طرادات المسلمين وهو في الطريق ، لكنه واصل بعد ذلك ليلتحق بالآخرين حتى رسا في البحرين .

الفصل الثالث بعد المائة :

عندما وصل "سيماو دا كونها" إلى ميناء البحرين ، وجد فيها "بلشيور دي سوزا تافاريس" "Belchior de Susa Tavares" القائد الأعلى للأسطول البحري في هرمز ، ومعه قوة من ست سفن من ذوات الصارين والمراكب التي كانت تحرس الميناء الذي يوجد بالقرب

منه حصن مزود بأبراج ويحيط به سور وخندق . كان الريس بدرالدين حاكم البحرين في ذلك الحصن مع زوجاته وأولاده والكثير من الجند .

لما رأى الأخير سفننا تدخل الميناء ، أدرك الغرض من ذلك ، فرفع راية بيضاء من على الحصن ؛ وبعدما رأى "سيماو دا كونها" الراية أرسل برسالة إلى اليابسة ليستفهم عن مطلب الريس بدرالدين من خلال مترجم .

طلب الأخير من المترجم أن ينقل إلى "سيماو دا كونها" قوله بأنه لم يعترض إلا بسبب احتجاز صهره الريس شرف ، وأن رجالنا قد تدخلوا فتسببوا في ذلك ، وأنه ليس على خلاف معهم بل هو من الرعايا المخلصين لملك البرتغال ، وأنه يقدم ذلك الحصن بدون قتال إن كان "سيماو دا كونها" ينوي الاستيلاء عليه ، بشرط أن يسمح له بالمغادرة مع زوجاته وأولاده والآخرين الذين معه .

لما وصل ذلك إلى "سيماو دا كونها" ، رغب في أن يأخذ الحصن وقبول الشرط ، لكن النبلاء والقادة لم يوافقوا قائلين إن أخذ الحصن بتلك الطريقة ينم عن خوف ، وإنه لا ينبغي له أن يفلت بدون عقاب لما فعله .

إن هم أخذوا الحصن من دون قتال فسيحتفظ هو بأملاكه ، وإن على الريس بدرالدين الفرار مع زوجاته وأولاده ومن معه ، ولكن من دون ممتلكاته ، وبذلك نكون قد عاقبناه ، ولن يتسبب بأية مشاكل أو متاعب لملك هرمز .

بالرغم من أن ذلك الرأي بدا لـ "سيماو دا كونها" خطأً جداً ، لكنه

رد على بدرالدين بناء عليه بعد أن اتفق الجميع عليه بعكس رغبته ، ولأن بدرالدين كان رجلاً شجاعاً فهو لم يرد ، بل أمر فقط برفع رايتين من على الأسوار ، إحداهما بيضاء والأخرى حمراء ، ويعني بذلك أنه يسأل رجالنا إذا كانوا يريدون الحرب أم السلم؟

لما رأى رجالنا الرايتين صرحوا لـ "سيماو دا كونها" أنهم يريدون الحرب ، فأمر بعدها رجالنا بالنزول إلى اليابسة ، وأخذوا معهم بعض قطع المدفعية لقصف الحصن ووضعها في موقعين .

أمرهم "سيماو دا كونها" بالتجمع في الموقعين ، وبإطلاق النار على الحصن منهما ، فلما حدث ذلك أنزل بدرالدين الراية البيضاء تاركاً الحمراء ليرينا أنه لا يخاف قتالنا ، وكان ذلك واضحاً ؛ فلما أحدثت مدفعيتنا فتحة في السور تم إصلاحها في وقت قصير جداً ، بل في لمح البصر ، فغضب "سيماو دا كونها" لما رأى أنه لا يحقق نصراً يذكر بسبب نقص البارود .

أدرك أيضاً عندها الخطأ الجسيم الذي ارتكبه عندما لم يقبل بأخذ الحصن وإطلاق سراح العدو بدون قتال ، لم يكن لديه حل سوى طلب البارود من هرمز ، فأرسل بسفينة إلى هناك لذلك الغرض ، وصلت بعد بضعة أيام بسبب الرياح ، لكن عودتها كانت بطيئة جداً . لما رأى المسلمون أن إطلاق نيراننا قد توقف ، سخروا ليلاً من رجالنا من فوق الأسوار .

أخذوا بالقول بأننا لم ندعهم يغادرون ولذلك فجميعهم الآن باقون ، ويبدو أنهم فهموا ما حدث ، وقيل إنهم رموا بالسم في الآبار التي كان

يحصل منها رجالنا على مياه الشرب ، أو أن تلك الآبار كانت أصلاً ملوثة في ذلك الوقت ، فتفشى المرض على اليابسة ، وأصيب رجالنا بعد الجهد الذي تكبدوه بالوباء ، فلم يقووا على الوقوف على أقدامهم .

أرسل الريس بدرالدين إلى "سيماو دا كونها" يقول إنه لأجل الصداقة التي تربطه بنا فأنه ينصحه بالابتعاد ، وإلا فلن يتمكن من ذلك إن رغب بالابتعاد فيما بعد ، فهزأ رجالنا من ذلك قائلين إن الحاكم المسلم إنما يقول ذلك من خوفه منا ، ومن جديد لم يأخذ "سيماو دا كونها" بنصيحة حاكم البحرين ، والتي لم تكن سيئة ، فلو أنه أخذ بها لما حدث ما حدث .

إذ أصيب الكثير من رجالنا بالمرض لدرجة أنهم كانوا جميعاً مرضى عند وصول البارود من هرمز ، وقد مات البعض منهم ؛ فلما رأى "سيماو دا كونها" ذلك نقل مواقع المدافع لتكون أقرب إلى البحر ، وذلك ليجمع رجاله بالقرب من بعضهم البعض في حال هجم عليهم المسلمون ، وذلك ما كان يخشاه إن علم بدرالدين بحالة جنودنا .

لقد كان بدر الدين يعلم بذلك جيداً من خبرته في الحرب ، وبالرغم من ذلك ، ولأنه لم يكن يرغب سوى بالسلم معنا ، ولأنه إن آذانا فسيدفع الريس شرف ، المحتجز عندنا ، الثمن فلم يشأ في أن يخرج إلينا ويهاجم جنودنا ؛ ولو أنه فعل ذلك لتمكن من قتلنا جميعاً بجهد لا يكاد يذكر . بعد أن جمع "سيماو دا كونها" الرجال بالقرب من البحر ، جعلهم كلهم في موقع واحد .

أخذ بإطلاق النيران منه على الحصن ، فنجح في إحداث فتحة في

السور ، وكان بإمكانه دخول الحصن من تلك الفتحة لو كان لديه ما يكفي من الرجال لمرافقته ، لكنه لم يكد يجد سوى خمسة وثلاثين رجلاً قادرين على القتال ، ليس أكثر ؛ أما البقية فكلهم مرضى ، وغير قادرين على الحراك ، رفع "سيماو دا كونها" بغضب شديد يديه إلى السماء يصلي للرب قائلا : "لن يكون من المستحيل عندك أيها الرب أن تمنحني مائة رجل سليم البدن أستطيع بهم أن أهاجم الحصن بشجاعة .

تعلم أنت يا رب أنني بدون الرجال الأصحاء لن أتمكن من هزيمة العدو وذلك يحزنني كثيراً ، وأنا أدرك كم كان مناسباً لو أنني أخذت الحصن لما عُرض عليَّ بدون قتال ، وكم كانت مشورة من معي سيئة بعدم القيام بذلك ، وعدم مغادرة المكان لما واتتني الفرصة" ، وقرر قبل أن يضيع ما لديه من وقت بحمل مدفعيته على متن السفن التي معه ، وكذلك الرجال المرضى لكي ينقذهم .

قام بذلك بنفسه بمشقة كبيرة وبمساعدة خمسة وثلاثين رجلا الأصحاء ، فقاموا بنقل المدفعية إلى السفن والدم ينبثق من أيديهم ، وكانوا مرهقين جداً ليقوموا بحمل المرضى إلى السفن ، فربطوا أرجلهم بالحبال وجروهم جراً إلى السفن ، وكانت عملية الصعود إلى السفن مؤلمة جدا وهم يرون ويسمعون تأوهات وصرخات الألم التي تخللتها تلك المحنة .

قام أحد مسلمي هرمز بمساعدة رجالنا ، إذ كان في ذلك الوقت برفقة "سيماو دا كونها" ، وكان شيخ جزيرة "أنغر" ("Angar"/ هنجام؟!) الذي كان مبحراً في طراد له مع مجموعة من المسلمين ، وكانوا أيضا

من هرمز ؛ ولقد ساند رجالنا كثيرا أثناء الحصار السابق وأثناء الصعود إلى السفن . بعد الانتهاء من تحميل السفن بالمرضى وبالمدفعية ، صعد "سيماو دا كونها" بدوره .

كان شبه ميت من الإرهاق ، ومن سوء الحظ ، الذي واجهه . إن أكثر ما أحزنه أنه كان بالإمكان أخذ الحصن ، لو أن القادة الذين معه سمحوا له بذلك ، وذلك ما صرح به لقائد السفينة التي صعد إليها ، فقال : "أيها القائد ، عندما تريد أن تفعل شيئا يشرفك ، لا تأخذ بنصيحة أحد ، بل فقط استشر نفسك" ، ومن ثم أمر بنشر الأشرعة مبحراً مع السفن الأخرى ،

مات الكثير من المرضى على متن السفن في الأيام الثلاث الأولى من رحلتهم ، مما زاد من حزنه ، حتى أصيب هو نفسه بالمرض ، وكان ناقماً ومتشائماً من الحياة ومن كل شيء ، حتى بقي في مقصورته ولم يرغب في رؤية أو التحدث إلى أحد ؛ ظل طوال تسعة أيام يئن ويتنهد حتى قضى أخيراً ومات من الحزن .

كما مات سبعون من الرجال في تلك السفينة وحدها ، من غير الذين ماتوا في السفن الأخرى ، وكان النقص في الرجال كبيراً حتى أوشكت السفينة أن تضيع ، لو لا أن الرب بعث إليها "فرناندو ألفاريز سارناتشيه" "Fernando Alvares Sernachi" في طراده ، إذ جاء ومعه بعض الرجال ليساعدوا في إبحارها إلى هرمز ، حيث تم دفن "سيماو دا كونها" ، وكذلك "فرانشيسكو غوميز" "Francisco Gomez" ، وهو ابن أسقف "فونشال" "Vonchal" .

وصلت جميع سفن الأسطول بدون قادتها ، وبعضها في البداية ، بينما وصل البعض الآخر منها فيما بعد ؛ وهكذا مات معظم أولئك الذين ذهبوا إلى البحرين ، ولم ينج منهم سوى القليل ، علاوة على ذلك ، لم يتمكن "نونو دا كونها" ، بسبب تلك الكارثة ، من المغادرة إلى الهند ليصلها في سبتمبر ، وهو الوقت المناسب لتجهيز الأسطول للتوجه إلى "ديو" في ذلك العام ؛ لذلك قرر البقاء .

لكنه لما أدرك أنه ليس لديه ما يفعله في هرمز ، قرر التوجه إلى الهند ، فجمع الجزية من ملك هرمز ، وأطلق سراح "مانويل دي ماسيدو" ، ووضع الريس شرف في عهدته لكي يأخذه إلى البرتغال ، حسب أوامر الملك ، ولما استعد سلك طريق الهند ومعه "الدون فرناندو دي ليما" و"الدون فرانشيسكو دي سا" و"فرانشيسكو دي ميندونسا" و"مانويل دي ماسيدو" وجميع بقية قادة السفن ، و"جورجي غوميز" في سفينته أيضا .

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

بعث ملك هرمز في عام ١٥٢٩م ، رسالة إلـى الملك "جواو الثالث" "D . Joao III" ، بتاريخ شهر مايو ، عام ١٥٢٩م ، بشأن هرمز ، جاء فيها : (٢)

أنت ، المقدر من كلّ الملوك العظماء لكلّ تلك الدرجات من الشّرف والمنعة التي تفوق كلّ الآخرين . يكتب ، "جواو" ، ملك البرتغال المطاع من الكلّ ... لعلّهم يواصلون طاعتهم له كلّ الأيّام وسنوات حياتهم .... لسلطتك العالية التي أنيط بها مير علي شاه والتي يتشرّف بمساواتك في بلوغها ...." .

التي لسموّك ومن نعمتهم ، التي عبر ..... الصّحّة والأمن لسموّك ، لله .... ولنا . أود أن تعلم أن "دييجو دي ميلو" "Diego de Milo" أخذ .... ريس شرف العام الماضي وكانت له ست .... في حراسة جيّدة ، يرغب ..... ألفين وسبعمائة وخمسين أشرفي وقد طلب منه المزيد ......

---

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

وصل "مانويل دي ماسيدو" من الهند و..... بواسطة القائد المسؤول ، و... رئيس الوزراء وكلّ من اجتمع مع القائد المسؤول والضّبّاط عن قادة المسيحيين . كما تباحثوا أيضاً عن شؤون رئيس الوزراء واتّفقوا على أن "دييجو دي ميلو" قد أخذ رئيس الوزراء كسجين ظلماً .

حتّى يتمّ تنفيذ رغبات سموّك طلبوا منه إحضاره إلى هرمز برفقة "كريستوفاو دي ميندوزا" قائد هرمز . عندما جاءت الأخبار "كريستوفاو دي ميندوزا" "Christofao de Mindonca" كان قادماً إلى هرمز كقائد جديد ، وأن ريس شرف كان قادماً معه ووصل ذلك إلى مسامع "دييجو دي ميلو" وريس أحمد ، جاءوا لي وأخبروني أنهم اتّفقوا وأقسموا على قتل ريس شرف .

أرادوا منّي أن أنضم إليهم في هذا الأمر و .... اعتبروني ضعيفاً ، وكنت أخشى أن يقتلوني من منطلق سوء النّيّة الذي يضمرونه لي . فقررت أن .... وكنت مجبراً على التّعاون معهم . أعطيتهم وعداً شفهياً بدعمهم في أيّ أمر يقررونه ، وعندما وصل القائد ، جاءوا لي وأخبروني أن ريس شرف قد وصل .

قالوا الآن إن الوقت قد حان لأنفذ ما وعدتهم القيام به وأن أنفذ القسم الذي أديته لهم ، لا تخف ولا تخشى أيّ شيء ..... حاولت بهذه الطّريقة أن أجد وسيلة سلمية لأخرج من هذا الوضع السيئ ...... أن أبعث "دييجو دي ميلو" بعيداً عنّي .

.... أخبرته أن يذهب لاستقبال القائد ....

أن يأتي ريس شرف إلى هنا .... قم بذلك ، وبتلك الكلّمات .... دي ميلو .

حالما .... لي .... الأذى الذي تمنّوه لي .... الأذى الذي أصابوني به دائماً و .... يأخذوا شقيقي ويضعوه .... صرخت طالباً السّبب في رغبتهم بقتلي .... شقيقي في مكاني وفي كلّ شيء مع .... وسيجعلون شقيقي .... في اللحظة التي بعثت فيها "دييجو دي ميلو" ليرحب .... السفينة الشراعية ، أو أن يتحول ضدي .

سألته لماذا أمر بكلّ هذا الضّرر ، ولماذا هو شخصياً سبّب لي كلّ هذا الضّرر الكبير ، وهاجمني "ريس أحمد" وقمت بقتله ، ونتيجة لموته انتهى الصراع وفرح كلّ سكّان البلاد .

ذلك كان عندما وصل "كريستوفاو دي ميندوزا" وجعل النّاس تبتهج . جاء في تلك الليلة إلى منزلي ولم أسمح له بقضاء الليل في القلعة ...... استسلمت القلعة بناءً على مرسوم ......

حالمـا استسلمـت القلعة بعث بشخص ينادي معلناً أن أيّ شخص .... لكلّ من سبب له "دييجو دي ميلو" أذى أو لأيّ أحد ينتمي له .... أن يأتي إليه طلباً للعدالة ، لأنّ تلك كانت أوامر ملك البرتغال .

عندما سمع النّاس هذا الإعلان والقائد يقول إن أيّ شخص سلبه "دييجو دي ميلو" ممتلكاته أو نقوداً ضد رغبة ذلك الشخص فإنّه عليه الحضور أمامه حتّى يتسنى له إحقاق العدالة إن أمكن ذلك ... وهذا

ما أصدرت به مرسوماً سموّك .... لإحقاق العدالة والحق لكلّ من يمكن له ذلك ....

إنّني أقبل هذا المرسوم بكلّ شكر ، وسأنفذه بأفضل ما يمكن .... لأرى ذلك الحبّ والصداقة العظيمة .

رغماً عن ذلك ، سيّدي ...... سنوات عندما كان "دييجو دي ميلو" قائداً ...... دمّر البلاد وغادرها التّجّار ..... في خلال خمس عشرة سنة إن لم يغير من أساليبه ومما هي عليه .... الآن أن "كريستوفاو" هذا موجود هنا .... العدالة لأنّه بعد هذا .... عدالته في كلّ مكان .... العديد من النّاس والتّجّار يصلون ويدعون من أجل هذا .... لم أشاهد حتّى الآن قائداً في مثل كفاءته أو يوازيه قدراً .... خدمة سموّك كما في كلّ شيء آخر .... لعل ذلك يدخل السعادة لسموّك حتّى تتكرّم وتمدَّ من فترة رئاسته في هرمز لفترة أربع سنوات ، حتّى يوفر لنا الأمن والسلام ، بالإضافة للفترة التي قضاها هنا بالفعل حتّى تجعل منها ثماني سنوات .

قد يُسرُّ سموّك عند معرفتك أنّ القائد قد طلب منّي أن أقدم له بعض المنازل التي أسكن أنا فيها ، والتي تقع بيني وبين القلعة حتّى تتمّ إزالتها وحفر خندق يحيط بالمنطقة .

بما أنّ هذا الطّلب تمّ من أجل خدمة ملك البرتغال فليس لي أيّ اعتراض حتّى وإن كان قد طلب أكثر من ذلك وعندها ...... وإنّني سأمنحه المزيد إن طلب منّي ....

كتبت لسموّك كيف أنّ رئيس الوزراء خادم عظيم مخلص في خدمة

سموّك ..... إلى أبي ويخدمني بكلّ قلبه ومشاعره وجيّد .... ألتمس من سموّك أن تأمره بخدمة .....

من ثمّ تكافئه .... هذا الفضل ، وترفع من شأنه حتّى يصبح أكثر مما كان ، أيّ أن يكون رئيس وزرائي ، حتّى يعلم الجميع أن ملك البرتغال قد جعله رجلاً عظيماً .

بما أن "كريستوفاو دي ميندوزا" قد جاء إلى هنا فقد دفعه إلى الأمام ورفع من شأنه في كلّ شيء ، لعلّ هذا يرضي الرّبّ في أن يقوم كلّ من في هذه البلاد دائماً برفع شأنهم وعلو كعبهم في سبيل خدمتك .

لعلّ سموّك يفرح عندما تعلم أن بكلّ أسف هرمز قد حرمت من التّجّار والبضائع .... يوجد القليل جداً عمّا كان يوجد بالفعل سابقاً ، وإنّني ألتمس من سموّك .... المنصرفات أكثر مما كانت عليه .... أقل مما كانت عليه .... السداد عن شيء ما ، واضعاً في الاعتبار النفقات .... لتكون أقل كثيراً ، وهذا ما نرجوه من سموّك . نسأل الله أن يزيد من سلطانك وملكك ......

سيّدي ، سوف يعلم سموّك بأنّه في العام الماضي قام "دييجو دي ميلو" والذي كان ضابط القلعة بسجن القاضي الخاص بي ريس شرف ووضعه كأسير لمدّة ستّة أشهر في حصنه لأنّه كان طامعاً في ملكه ، ويبدو أنه قد أخذ ألفين وسبعمائة وخمسين "بارداو" منه .

بينما كان لا زال يجمع الكثير من الأموال منه ، وصل "مانويل دي ماسيدو" بأمر من رئيس الضّبّاط كي يأخذه إلى الهند ، وقد رأوا أنه لا

يوجد أيّ سبب لسجنه وإعادته مع "كريستوفاو دي ميندوزا" ، والذي هو ضابط القلعة الآن .

عندما علم أن "كريستوفاو دي ميندوزا" كان قادماً مع ريس شرف ، جاء القاضي الخاص بي "دييجو دي ميلو" مع ريس أحمد وأقسم كلّ منهم بأنّهم سوف يجدون ريس شرف عندما يقبّل قدميَّ وسوف يقتلونه هناك ، وقد قالوا لي أيضا إنه يجب عليَّ أن أقسم بأن أفعل ذلك ، ويجب أن نتفق جميعا .

عندما رأيت نيتهم الشريرة وأدركت أنه إن لم أوافق على ما يريدونه سوف يجدون طريقة لقتلي وقتله ، وكان عليَّ أن أقول بأني سأنفذ كلّ ما يريدونه وقد أخذوا ما قلته على إنه صدق . عندما وصلت "الغليون" ، "ساو لياو" ، التي كانوا يسافرون بها جاء الريس أحمد ليخبرني أن ريس شرف قد جاء ويجب عليَّ أن أقرر بأن أقوم بما قد تمّ الاتّفاق عليه ، وإذا لم أقرر فإنّهم يعلمون جيّدا بما عليهم القيام به .

الغاية في ذلك أن يبعدوا "دييجو دي ميلو" عن الطريق ، قلت له أن يذهب ويرى الضابط الذي وصل وأن يجعل ريس شرف يهبط ، وإنّني سأقوم بكلّ ما يريد . ذهب "دييجو دي ميلو" وقد أدركت ما حدث ، وهو أنهم أرادوا قتل ريس شرف وزيري ، وأيضا إجبار أخي على الهرب وأنهم سوف يأخذونه إلى القلعة بنية قتلي وجعله ملكاً بدلاً منّي ، وكان من الضّروريّ الاتّفاق معهم إذا أردت الاحتفاظ بذلك .

بينما تركني "دييجو دي ميلو" كي أرحل لأرى الضابط في سفينة "القادس" ، ظل ريس أحمد بمفرده معي ، وبينما كنت أفكر بالخيانة

العظمي التي كان يرتكبها في حقي قمت باستغلال الفرصة وقتلته ، ومع موته تمّ تسوية كلّ النزاعات وأصبحت المملكة في سلام تام ، في اليوم الذي وصل فيه "كريستوفاو دي ميندوزا" اتفقت على أن يمضي الليلة معي في قصري ، وفي اليوم التالي تمّ تسليم القلعة إليه كما أمرت سموّك .

عندما تمّ ذلك ، أمر على الفور بالتصريح بذلك باسم سموّك بأنّه إذا كان هناك أيّ شخص أهانه "دييجو دي ميلو" أو تمّت إهانته من قبل أيّ شخص آخر ، سوف يرى أن العدالة سيتمّ تطبيقها . عندما سمع النّاس بهذا التصريح ذهب كلّ من كانوا هنا إليه ، وحتّى الآن لا زال يطبق العدالة .

كان سبباً في إرجاع العديد من الممتلكات التي أخذها "دييجو دي ميلو" بالقوّة ، وقد تمّ إثبات كلّ ذلك من خلال الشهود الذين كانوا أمامه وأمام القاضي ، ولقد تمّ أخذ الكثير منّي أيضا بالقوّة وأرجو أن يتمكّن من إرجاعها إليّ ، كما فعل مع الجميع ، لم أكتب لسموّك هنا كلّ ما يجب عليَّ أن أقوله ، لأنّي أود كتابة بشكل أوسع من خلال "فيرناو مارتينز" "Fernao Martins" .

من المؤكد ، سيّدي ، أنه خلال الأربع سنوات التي كان فيها "دييجو دي ميلو" ضابطاً هنا أنه قد تسبّب بهذا الأذى الشّديد للملكة ، لدرجة أن معظم التّجّار غادروا المملكة ، إنّني أقول بأن الأمر سيأخذ خمسة عشر عاماً لإصلاح الأمور ، وقد وضعت كلّ شيء في الحسبان ، إلا أنه وفقا لطريقة إدارة وحكم "كريستوفاو دي ميندوزا" الضابط الحالي للملكة أرجو من الله أن تعود إلى حالتها النبيلة التي كانت عليها في السابق .

إن هذا مؤكد ، لأنّه منذ اليوم الذي وصل فيه "كريستوفاو دي ميندوزا" ، يتضح أنه عندما سمع الكثير من التّجّار عن تعامله العادل ، كانوا يعودون إلى المدينة في كلّ يوم ، لم يكن هناك أيّ ضابط جاء إلى الدولة لخدمة هرمز قد خدمني بنفس الطّريقة التي خدمني بها هو .

أعلم أن سموّك قد أعطيته تلك القلعة لمدّة أربع سنوات ، وسأكون ممتنا إذا منحته أربعاً أخرى وأن ترسل له السبل التي يمكن من خلالها إتمام إصلاح المملكة ، لأنّها في حاجة كبيرة إلى ذلك ، لأنّ الأذى الذي قد حل بها كان كبيراً جداً .

سيّدي ، سوف تعلم أن "كريستوفاو دي ميندوزا" قد طلب منّي بعض منازلي التي تقع بين قصري والقلعة ، وقال لي إنه من الضّروريّ هدمها لعمل خندق حول قلعتك وكذلك مساحة مفتوحة ، كي تبين أنّها في خدمة سموّك ، وقد أمرت بأن يحصل على كلّ ما كان يطلبه لأنّ ذلك كان لسموّك ، من دون وضع أيّ عقبات في الطريق .

سيّدي ، لن أقوم بكتابة أكثر من ذلك لسموّك ، لأنّ الرّحلة تستدعي منّي التوقف ، ولكنني أذكر سموّك فقط بريس شرف ، وزيري الذي أعتبره أبي ، لأنّه خادم مخلص لسموّك ولي ، والحمد لله أنه مع وصول هذا الضابط الرائع ، أصبحت التّجارة جيّدة جداً حيث إنّ هناك الكثير منها يأتي عن طريق القوافل عبر البحر ، وهو ما يجلب على مصلحة الجمارك أكثر مما كان لديها .

عندما جاء "مير علي شاه" قال لنا أن ذلك حقيقي ، وأنّك قد قدّمت لنا هذا المعروف ، إلا أنه وفقاً لخطاب تمّ إرساله من هنا فإنّ هناك

دخلاً كافياً لذلك ، سوف أعتبر ذلك جميلا إذا لم يستمع سموّك إلى الأشياء الكاذبة التي يقولها النّاس ، وآمل من سموّك أن توافق على خفض الجزية قليلاً لأنّ نفقات الدولة ثقيلة بينما الدّخل قليل .

ملك هرمز التابع لسموّك - محمد شاه من ملك هرمز ، أحضره "أنطونيو تينريرو" "Antonio Tenerero" ، حامل الخطاب .

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

بعث ملك هرمز خطاباً إلـى الملك "جواو الثالث" "D João III" ، هرمز ، شهر مايو ١٥٢٩م ، بشأن المؤامرة على قتل الريس شرف ويبرئ نفسه منها : [٣]

لقد وهبت بالعديد من الملوك العظام لأنّهم جميعا مكرمون ، وأقوياء بدرجة أكبر من هؤلاء .... يكتب ، "جواو" ملك البرتغال ، الذي يطيعونه جميعاً .... عسى أن يستمروا جميعاً في طاعته كلّ أيّام وسنين حياتهم .... إلى سلطتك العليا التي كان لمير علي شاه الشّرف ليتساوى بها .... من سموّك ومن نعمتهم ، من خلال .... الصّحّة والسّلام لسموّك ، من الله .... لنا .

أتمنّى أن تعلم أن "دييجو دي ميلو" قد أخذ .... ريس شرف العام الماضي وستّة .... تمّ حراستهم جيّدا ، مع رغبة .... ألفين وسبعمائة وخمسين "أشرفي" وقد طلبت منه المزيد أيضاً ....

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

وصل "مانويل دي ماسيدو" من الهند و .... من قبل القائد الأعلى ، و .... القاضي ، ووافق على أن "دييجو دي ميلو" قد أخذ القاضي كسجين بدون عدل .

كي يحققوا أماني سموّك ، فقد أمروه بأن يحضره إلى هرمز بصحبة "كريستوفاو دي ميندوزا" ، ضابط هرمز .

عندما وصلت الأخبار عن قدوم "كريستوفاو دي ميندوزا" إلى هرمز على أنه الضابط الجديد وأن الريس شرف قادم معه ، وأن ذلك قد وصل إلى مسامع "دييجو دي ميلو" وريس أحمد ، جاؤوا لي وأخبروني أنهم اتّفقوا وأقسموا على قتل ريس شرف .

قد تمنوا أن أشاركهم في ذلك و.... وقد استغلوا ضعفي ، وقد خشيت أنهم سيقتلونني بسبب النّيّة الشريرة التي حملوني إياها ، وقد قررت أن .... كنت ملزما بالتعاون معهم ، وقد أعطيتهم وعداً شفهياً بدعمهم في أيّ وقت قرّروا ذلك .

عندما وصل الضابط ، جاؤوا إليَّ وأخبروني أن ريس شرف قد وصل ، وقد قالوا ، الآن هو الوقت كي تنفذ ما وعدت به وأن تلبي القسم الذي قمت به ، لا تخشى ، أو تخف .... وبذلك حاولت أن أجد طريقة سلمية لأخرج من ذلك الموقف السيئ .... أن أبعد "دييجو دي ميلو" بعيداً عن .... قلت له بأن يذهب ليستقبل القطبان .... سيأتي ريس شرف إلى هنا .... قم بذلك ، وبتلك الكلّمات .... دي ميلو .

بمجرد أن .... أنا .... الأذى الذي تمنوه لي ....

الأذى طالما عذبوني به .... وقد أخذوا أخي ووضعوه ...... وقد صرخت قائلاً لماذا تمنّوا قتلي ...... أخي في مكاني وفي كلّ شيء مع ....

سوف يجعلون أخي ...... في اللحظة التي أرسلت فيها "دييجو دي ميلو" لتحية ...... الغليون ، جاء ريس أحمد إليَّ ، قائلاً فقط .... أنه يجب على أن أفعل كما وعدت ، وإلا فإنّه سوف ينقلب ضدي .

سألته لماذا أمر بكلّ ذلك الأذى ، ولماذا قام هو أيضاً بإيذائي بنفسه هكذا؟ وقد هاجمني ريس أحمد ، وقد قتلته . ونتيجة لموته انتهي الصراع ، وقد فرح كثيراً أهالي الأرض .

كان ذلك عندما وصل "كريستوفاو دي ميندوزا" وهو ما أسعد النّاس ، وقد جاء إلى منزلي في تلك الليلة ، ولم أسمح له بإمضاء الليلة في القلعة ......وقد استسلمت القلعة بسبب المرسوم ..... .

بمجــرد استســلام القلعــة ، أرســل مــناديا للتصريح بأن أيّ شخص .... قد ألحق به "دييجو دي ميلو" أيّ أذى ، أو لأيّ شخص آخر يتبع أو لا يتبع لـ .... أن يأتي له كي يتمّ تحقيق العدالة ، لأنّ تلك هي أوامر ملك "البرتغال" .

عندما سمع النّاس ذلك التصريح ، وبأن الضابط يقول بأن أيّ شخص قد أخذ منه "دييجو دي ميلو" ممتلكات أو أموالاً بدون رغبة الشخص يجب عليه أن يأتي إليه لتحقيق العدالة قدر الإمكان ، وأن سموّك قد أرسلت مرسوماً ، .... للحفاظ على العدالة والحقيقة لكلّ شخص ممكن ....

أنا أقبل القرار بكلّ امتنان ، وسوف أنفذه بأقصى طاقتي ...كي أرى هذا الحبّ والصداقة الشّديدة .

على الرغم من ، سيّدي .... سنوات منذ أن كان "دييجو دي ميلو" ضابطاً .... دمّر الأرض ، وغادر التّجّار .... وإن لم يغير طرقه في خمسة عشر عاماً عمّا كانت عليه .... أن "كريستوفاو" هذا موجود هنا الآن .... العدالة لأن بعد ذلك .... عدالته في كلّ مكان ...... يدعو الكثير من النّاس والتّجّار من أجل ذلك ......

حتّى الآن لم أر ضابطاً مثله ...... في خدمة سموّك كما في أيّ شيء آخر .... عسى أن يرضي سموّك ككرم منك أن تمدّ مدة وجوده كضابط في هرمز إلى أربع سنوات ، كي تعطينا السّلام ، وذلك بالإضافة إلى الوقت الذي أمضاه معنا بالفعل حتّى يصبح الإجمالي ثماني سنوات .

عسى أن يرضي سموّك معرفة أن الضابط قد طلب منّي أن أسلمه بعض المنازل التي أعيش بها ، والتي تقع بيني وبين القلعة ، حتّى يتمّ هدمها لعمل خندق محيط .

ولأنّ هذا الطّلب كان في خدمة ملك البرتغال لم يكن لدي اعتراض إذا طلب المزيد ، ثمّ .... وكنت سأعطيه أكثر بكثير إذا طلب ذلك .....

لقد كتبت لسموّك كم أنّ نائب الحاكم خادم عظيم لسموّك ...... لأبي ويخدمنّي من كلّ قلبه وبأفضل ما عنده ....

أتوسّل من سموّك بأن تأمره بالخدمة .... ثمّ خدمته ، ومن ثمّ كافئه ومع ...... معروف ، وأن ترقية ليصبح أكثر مما كان عليه ، وهو القاضي الخاص بي ، كي يعلم الجميع أن ملك "البرتغال" قد جعله عظيماً .

بما أن "كريستوفاو دي ميندوزا" أتى إلى هنا ، فقد دفعه للأمام في كلّ شيء ، عسى أن يرضى الله حتّى تنمو هذه الأرض وأهلها في خدمتك .

عسى أن يرضي سموّك معرفة أن هرمز محرومة بشكل سيئ من التّجّار والتّجارة ..... هناك أكثر بكثير عمّا كان موجودا ، أتوسّل من سموّك ...... النفقات أصبحت أكثر بكثير من السابق ..... أقل بكثير عمّا كانت عليه في السابق .... أدفع لشيء ما ، مع وضع التكاليف في الحسبان ...... أصبحت أقل بكثير ، ونتمنى ذلك من سموّك .

عسى الله أن يزيد من قوتك وملكك (...)

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

تمّ القبض على ريس شرف في هرمز ، عام ١٥٢٩م ، ووصف أحداث هرمز ، كما جاءت في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" : [٤]

في العام ١٥٢٩م ، الحاكم "نونو دا كونها" "Nuno da Cunha" يذهب إلى هرمز .

"مانويل دي ماسيدو" "Manuel de Macedo" يصل إلى القلعة التي في هرمز ويلقى القبض على ريس شرف .

تمرد وثورة وزير البحرين . "نونو دا كونها" ، يبعث شقيقه ، "سيماو دا كونها" "Simão da Cunha" ضد الوزير .

حالما بدأت الرّياح الغربية تهب والتي تبدأ عادة في حوالي الخامس عشر من مارس ، قام "دوم فرانسيسكو دي سا" و"فرانسيسكو دي

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

ميندوزا" قباطنة السّفن بالإبحار من البرتغال ، ثمّ توقفا في "موزمبيق" ودعيا لاجتماع اتفقا فيه ، بما أن "نونو دا كونها" لم يصل بعد ، لكي يبحرا على ساحل ماليندي وحتّى "ممباسا" ليستطلعا إن كانت هناك أنباء عنه ، وإن لم يجدا أخباراً عنه فسيواصلان الإبحار إلى الهند .

غادرا "موزمبيق" بدون أربعمائة من رجالهم الذين توفوا جميعهم بسبب المرض . أبحروا في نهاية مارس ... كانا بعيدين في خارج من "ممباسا" حيث وجدا الحاكم ، عم الفرح الجميع وألقوا مراسيهم خارج حاجز الميناء ، كان معهم "اليكسو دي سوزا" الذي صعد معهم في "زنزبار" مع الآخرين الذين هربوا .

ثمّن "نونو دا كونها" وصولهم كثيراً وطلب منهم دخول الميناء ، استقبل شقيقه وكلّ النبلاء الآخرين بكثير من الغبطة لأنّه كان يعتقد أنهم فقدوا ، كما خشي أيضاً على "أنطونيو دي سالدانها" و"جارسيا دي سا" ، الذي لم يتلق عنه أيّ تقارير ، وكان منزعجاً بدرجة كبيرة لفقد سفينة "أفونسو فاز زامبوجو" و"بيرنارديم دا سيلفيرا" الذي سمعوا عنه عندما عادوا إلى "موزمبيق" .

تباحث القباطنة مع المرشدين إن كان هناك من زمن كاف للإبحار إلى الهند لقضاء فصل الشّتاء هناك ، واتفق الجميع أن الوقت متأخر جداً للتحرك إلى الهند ، وقرّروا أنّه من الأفضل الذّهاب إلى هرمز والانتظار هناك حتّى يستغلوا رياح المونسون التي تهب في سبتمبر ، حتّى لا ينتهي بهم الأمر جميعاً ويفقدوا أرواحهم بسبب الحمى في هذا الطقس غير الصحي حيث هم الآن .

كانوا يستعدون للمغادرة لـ هرمز عندما وصل "باستياو فرير" ، كما وصفنا سابقاً .

بعث "لوبو فاز دي سامبايو" الحاكم في "كوتشين" "Cochin" بـ "فرير" من "كوتشين" للإبحار على طول السّاحل الشّرقي من أفريقيا ليستعلم عن أحوال "نونو دا كونها" .

رحب "نونو دا ونها" بـ "فرير" الذي قرأ فيما بعد الرسائل التي بعث بها "لوبو فاز دي سامبايو" ، والتي وصفت الخطوط العريضة عن الأحوال الحالية وشؤون دولة الهند ، ولأنّ سفينة "فرير" كانت مركباً خفيفاً بعث به "نونو دا كونها" في الحال مرّة أخرى إلى "لوبو فاز" برسائل منه قدم فيها تقريراً عن رحلته وطلب من "لوبو فاز" إعداد كلّ الأسطول مما قد يكون ضرورياً له ليبحر عند أقرب طلب بذلك .

وصلت هذه السفينة إلى "غوا" في أوّل مايو وسلم "باستياو فرير" الرسائل إلى "لوبو فاز" الذي ابتهج كثيراً بالأخبار التي جاءت من "نونو دا كونها" ، وذلك لوجود مشاكل بدأت بين المسلمين ، الذين اعتقدوا أن "دا كونها" قد فقدت سفينته وطلب في الحال الإعداد الكامل للأسطول .

بعد أن بعث "باستياو فرير" ، أبحر "نونو دا كونها" إلى هرمز مع رياح مواتية أوصلته حتّى مسقط ، حيث وضع على الشّاطئ مرضاه الذين كانوا كثيري العدد .

كان على ظهر سفينة "سيماو دا كونها" ، وبرفقة السفينة التّجارية لـ "دوم فيرناندو دي ساو" أبحر قدماً إلى هرمز حيث استقبل بحرارة بواسطة "كريستوفاو دي ميندوزا" ، ملك هرمز والوزير .

أقام في القلعة حيث بدأ التّحقيق بين الملك وريس شرف ... وقام بتهدئتها ، وأجرى تحقيقات سريه لأنّه كان مصمماً على معاقبة من كان مخطئاً .

سنترك "نونو دا كونها" هناك في الوقت الحالي ، ونعود إلى "مانويل دي ماسيدو" ، الذي رأيناه مؤخراً يعد العدة للانطلاق من البرتغال .

مرت رحلته دون أيّ معوقات ودخل إلى مدخل الخليج الفارسي وتزود بالماء في "طيوي" (التي يسمّيها الجميع عادة "Teive" وتبعد اثنين وعشرين فرسخاً خلف "رأس الحد" ، حيث تلقى هناك خبراً أن "نونو دا كونها" قد ذهب إلى هرمز .

فتح الرسائل التي فيها الأوامر التي صدرت إليه ووجد أن الملك يطلب منه إلقاء القبض على ريس شرف وإعادته إلى البرتغال دون أيّ نقاش يتعلّق بهذا الأمر .

كان "مانويل دي ماسيدو" يخشى إن هو أبحر إلى هرمز في سفينته سيراه الجميع وعندها سيتلقى "نونو دا كونها" شرف إلقائه القبض على الوزير ، كون هذا الأمر هو ما يحرص الملك على أن يتمّ لذلك قرر مواصلة التحرك في سرية تامة قبل أن يقدم تقريره للحاكم فاستقل مركباً خفيفاً وانطلق مع بعض الرّجال الذين يثق فيهم ، وأمر الرّبّان الذي تركه على ظهر السفينة أن يتبعه .

أبحر بأسرع ما يمكن حتّى وصل إلى هرمز في الصباح الباكر ، وانتقل إلى الشّاطئ دون أن يراه أحد . بعث برجل من الشّاطئ مع رسالة إلى "نونو دا كونها" ملتمساً منه نيابة عن ملك البرتغال أنه بعد رؤية الحاكم

للرسالة عليه أن يبعث ببعض الرّجال لمسكن الوزير على أساس تقديم خدمة للملك .

ذهب "ماسيدو" بنفسه بحثاً عن ريس شرف ، الذي كان يعلم أنه مع ملك هرمز ، ذهب إلى قصر الملك ودخل على ريس شرف ، وعندما رأى الوزير "ماسيدو" تعرف عليه ، ورحب به أيّما ترحيب ، واحتضنه لأنّهما كانا صديقين عظيمين .

أخبر "مانويل دي ماسيدو" ريس شرف إن ملك البرتغال أمره بأن يأخذه كسجين إلى البرتغال ، وأنه تطوع للقيام بهذا العمل لأنّه لا يثق في أيّ شخص آخر سوى نفسه في معاملة شخص الوزير بالاحترام الذي يستحق ، لكن بما أن الملك هو من أمر بالقبض إلا أنه سعيد أن يتمّ ذلك الأمر من طرفه عن أن يتمّ بواسطة شخص آخر .

استعاد ريس شرف في ذاكرته الأحداث بكلّ مفاجآتها وغير المتوقع منها ، سلم الرّجل الذي بعث به "ماسيدو" الرّسالة إلى "نونو دا كونها" ، وأثناء قراءة الحاكم لها وصل "سيماو دا كونها" ، وأخبره أن "مانويل دي ماسيدو" أخذ ريس شرف أسيراً ... وبدأت في الحين مظاهر الاحتجاج والشغب في المدينة .

أذهل الخبر "نونو دا كونها" ، وأمر "سيماو" بالذّهاب سريعاً وإلقاء القبض على ريس شرف وإعادته للقلعة .

ذهب "سيماو دا كونها" على رأس فرقة كبيرة من الرّجال ، ودخل إلى قصر الملك ، وأخذ الوزير بعيداً من "مانويل دي ماسيدو" ، تمّ تبادل بعض الكلمات في هذا الخصوص ، وجاء بالوزير إلى القلعة حيث تمّ التّحفّظ عليه .

قاموا في الحال بجرد ممتلكات الوزير ، مما اعتبره ملك هرمز إساءة بالغة في حقه ، وأن هذا الأمر تمّ في منزله وفي حضوره .

غضب "نونو دا كونها" كثيراً لأنّ "مانويل دي ماسيدو" قد ارتكب مثل هذا العمل الهام والخطير دون استشارته ، وأمر باعتقال "ماسيدو" شارحاً الأمر بالقول إنه إنّما يقوم بذلك لتهدئة ملك هرمز ما يجري في المدينة ، التي كانت في حالة احتقان وهياج شديد ، كون ريس شرف كان القائد الثاني للملك ورجلاً قوياً ذا سلطة وصلات ممتازة .

وصلت تقارير عن القبض إلى البحرين ، حيث كان وزيرها ريس بدر الدين صهر ريس شرف ، سمع كيف تمّ القبض على ريس شرف ، وأخذ أسيراً في قصر الملك ، واعتبر أن ذلك تمّ بموافقة الملك بحسب النزاع الذي كان بينهما ، وكانت نتيجة كلّ ذلك أن الوزير ومملكة البحرين التي تدفع أربعين ألف "بارداو" لملك هرمز في كلّ سنة إن ثارت ضده .

علم ملك هرمز في الحال بكلّ ذلك ، وتحدث كأحد رعايا ملك البرتغال ، الذي كان يؤدي له ستين ألف "بارداو" كجزية ، طالباً من "نونو دا كونها" أن يؤمن الهدوء في البحرين ويعيدها إلى سيطرته وإلا فإنّه سيكون مضطراً لوقف الجزية بخصم مبلغ الأربعين ألفاً التي كان يتلقاها من البحرين ، وذلك لعدم توفر أيّ مصادر أخرى يجمع بها مبلغ الجزية السابق .

ناقش "نونو دا كونها" هذا الأمر مع "كريستوفاو دي ميندوزا" القائد البرتغالي في هرمز وبقية النبلاء الذين كانوا في الأسطول ، ودارت العديد من الآراء المختلفة : قال البعض أن يذهبوا لبناء قلعة في "ديو"

كما أمر الملك ، وهي مسألة يرونها أكثر أهمّية عن أيّ موضوع آخر في الشّرق .

هذه مسألة يمكن تنفيذها بسهولة الآن ، بما أن مملكة "كامباي" "Campay" ("كامباي" ميناء في غجرات على الساحل الغربي للهند) كانت في حالة فوضى بعد هزيمتها وخسارة أسطولها (وهي أنباء وصلت حديثاً إلى هرمز) ، وإذا ذهب "نونو دا كونها" بنفسه إلى البحرين أو بعث بشخص آخر في مكانه .

بفرصة أن تسير الأمور طبقاً للخطة ، فسيكونون مجبرين على البقاء في هرمز ولن يتمكنوا من الانطلاق في وقت مبكر إلى الهند ، حيث كانت الحاجة ملحة للمساعدة وإمكانية تسوية موضوع البحرين في وقت لاحق .

البعض الآخر كان من رأيهم عدم تجاهل مسألة البحرين انطلاقاً من التزام ملك البرتغال بدعم رعاياه مثل ملك هرمز ومملكته ، يمكن حل الأمر بمنتهى السهولة أن تواجد "نونو دا كونها" في قلعة البحرين التي يضع المسلمون عيونهم عليها وسيخشون من التسبّب في أيّ قلاقل خوفاً من العقاب .

من المعلوم أن الوزير إذا شاهد الأسطول البرتغالي في البحرين فسيقوم في الحال بتسليم القلعة للمملكة ، الأمر الذي قد لا يفعله فيما بعد عندما يظل "نونو دا كونها" في هرمز متجاهلاً الأمر ، وسيكون هناك الوقت الكافي للتعامل مع مسألة "ديو" .

الأمر السليم كان هو تأمين مبلغ الأربعين ألف "بارداو" التي تخص

ملك "البرتغال" لأنّهم لن يسمحوا بخصم أربعين ألف "بارداو من جزية ملك هرمز بينما البحرين عليها أداء أربعين ألفاً له في المقابل وهي حالياً في حالة تمرد وثورة .

وافق "نونو دا كونها" على الرأي الثاني ، وأصدر أوامره في الحال لشقيقه "سيماو" بالذّهاب إلى البحرين على ظهر سفينة تعود لأحد التّجّار يدعى "جورجي جوميز" ، ترافقه السّفن الشراعية العائدة لـ "دوم فيرناندو دي سا" و"مانويل دي البوكيرك" و"دوم فرانسيسكو دي سا" على السفينة التي استخدمها "مانويل دي ماسيدو" ، و"لوبو دي ميسكويتا" على مركب صغير ، "أليكسو دي سوزا" على قارب و"تريستاو دي أتيدا" الذي جاء مع "سيماو" من البرتغال على ظهر مركب شراعي .

كان هناك تقريباً خمسمائة رجل على ظهر تلك السّفن داخل المضيق يقوم بحراسة ممر المراكب الشراعية الذي يمتد بين "البصرة"وهرمز ، هذا هو "بلشيور دي سوزا تافاريز" حاكم "بورلتلجير" و"أسومار" "Aso-mar" ، والذي سلبت منه تلك المناصب بواسطة الملك بناء على بعض الشكاوى التي صدرت ضده ، وقدم له عوضاً عن ذلك مكاسب من الصيد في "أفيرو" "Aviro" ، والذي كان يجني منه القليل ، إلا أنه في هذه الأيّام يدر الكثير وقد توارثه كلّ أحفاده .

انطلق هذا الأسطول في بداية سبتمبر ، وقضى أيّاماً عديدة تحت رحمة الرّياح المعاكسة ، يدور هنا وهناك ماراً بأوضاع غاية في الصعوبة ، حتّى تعدل الطقس وتمكنوا من الوصول إلى البحرين ، ما عدا سفينة

"دوم فرانسيسكو دي سا" التي تمزقت أشرعتها ولم تتمكن من التحرك ، ورست خارج البحرين .

وجدوا أن "بلشيور دي سوزا تافاريز" قد وصل إلى هناك مع سفينته . كان في المكان الذي ينضم فيه نهر الفرات إلى نهر دجلة (كانت تلك أوّل سفن برتغالية تذهب إلى هناك) منتظراً وصول مجموعة السّفن قادمة من الفرات من بغداد (التي نسميها بابل) .

عندما سمع بتمرد الوزير ترك كلّ الأعمال الأخرى وذهب منتظراً خارج البحرين في حراسة مؤونته ومشتبكاً في معارك بقدر ما يستطيع .

قدم تقريراً عن الوضع في تلك البلاد إلى "سيماو دا كونها" (الذي تقلد منصب الحاكم) ، كان من رأيه أن يذهبوا إلى الشّاطئ بأسرع ما يمكن ويهاجموا القلعة لأنّ الطقس كان رديئاً وغير صحي وسيسقط الجميع خلال أيّام قليلة صرعى المرض .

صمم "سيماو دا كونها" على القيام بذلك بسرعة ، وبدأ في تنظيم كلّ الأشياء الضروريّة من أجل الهجوم .

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

تمت الهدنة في قلعة هرمز ، وندم ريس بدر الدين على ما قام به بالرّغم من تواجده داخل قلعة هرمز ، وتفاصيل الهدنة كما جاء وصفها في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" عام ١٥٢٩م : (٥)

نزول رجالنا في البحرين ، ندم ريس بدر الدين على ما قام به بالرّغم من تواجده داخل القلعة مع حامية ضخمة ومدفعية وذخيرة وكمية من المؤن ، لأنّ صهره ريس شرف عليه أن يدفع مقابل كلّ ضرر يلحق بالبرتغاليين فأسرع بطلب علم أبيض كبير يرفع على الحصن علامة على الهدنة .

عندما رأى "سيماو دا كونها" العلم بعث بمترجم ليرى ما يريده ريس بدر الدين ، أطلع ريس بدر الدين المترجم أنه لم يكن ليتمرّد لولا أسر صهره الذي وافق عليه ملك هرمز والذي سمح بأخذ ريس شرف كسجين في داخل قصره .

---

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

لكن الآن بما أن حاكم الهند قد تدخل في المسألة وأن ملك البرتغال قد أمر بذلك ، فإنّه كخادم وتابع مخلص للملك يريد أن يضع نفسه في خدمة الحاكم الذي في مقام الملك ، وأن يتقيد بكلّ ما يقرره قائده . إن أرادوا القلعة فسيفتحها بكلّ حرية ، ويغادر هو وزوجته وعائلته والذّهاب إلى أيّ مكان آخر تاركاً البحرين بكاملها حقاً لملك هرمز .

حينما رأى "سيماو دا كونها" تبريرات ريس بدر الدين عن أفعاله تلك ، عزم على إنهاء الأمر بسرعة وقبول القلعة طالما أنهم سيسلمونها له دون أيّ مشاكل أو التسبّب بأيّ أضرار وخسائر ، ولكن تجادل الضّبّاط والنبلاء بالأسطول ضد رغبته تلك ، وقالوا إن ذلك لن يكون أمراً سديداً لترك أولئك المسلمين دون عقاب عن أعماله الشريرة ، وأن أقل ما عليهم عمله هو قبول القلعة منه وأن يغادر فقط مع أهله تاركاً كلّ ثروته خلفه .

لم تكن شروطه مقبولة لديهم لأنّهم كانوا يطمعون في سلب ونهب البحرين التي كانوا يعتقدون أنّها ستكون غنية بالغنائم ولن يسمحوا لهم بما عرضه ريس بدر الدين ، استسلام القلعة دون ضربة سيف واحدة والمرور بتجربة الإصابة بالحمى القاتلة التي أهلكت في أيّام قليلة العديد منهم ، حيث قلّة نجت من الإصابة بها وتلك كانت حصيلة طمعهم .

على أيّة حال لم يكن على "سيماو دا كونها" أن يرفض الشروط بما أنّها لم تعلق علناً ، لكن من باب الخشية قام برفضها وتتطلب ذلك منه الثقة (شيء ما غير معروف في داخل قائد شجاع وحكيم ، لأنّهم من

أقوى الأعداء الذين كان عليه قتالهم ، وهو رجل بين يديه كان رجل محطمين ويفقدهم الواحد تلو الآخر كلّ يوم) .

كان يعلم أنه يواجه الفشل في أداء واجبه بأن يسمح لعدم الثقة تلك أن تتفشى ، كان رد فعله تجاه عرض ريس بدر الدين إن اختار ما عرضه الضّبّاط .

عندما نقل المترجم الرّسالة وبما أن ريس بدر الدين كان رجلاً شجاعاً ولم يقدم شروطه نتيجة الخوف لكن فقط ليحمي حياة صهره ، طلب في الحال أن يرفع علماً أحمر بجانب العلم الأبيض كإشارة على الحرب ، وأخبر المترجم أن هذا الرّدّ الذي جاء به عليه أن يخبر القائد البرتغالي به ليختار أحد العلمين .

حين تسلم "سيماو دا كونها" الإجابة مدركاً لخيارات ريس بدر الدين وحوله ضباطه يحثونه بقبول الحرب وأن يتوقف عن أيّ مباحثات أخرى ، بدأ في إرسال رجاله إلى الشّاطئ ، حيث لم يواجهوا أيّ مقاومة واتخذوا مواقعهم للهجوم .

أمر بحفر خنادق وقنوات حول كلّ المنطقة ووضع بعض قطع المدفعية في أماكن يضرب منها القلعة بالقذائف ، شيدوا بعض الملاجئ للضباط والجنود ، وبدأ في دك القلعة بالمدافع يومياً .

لم يتحرك ريس بدر الدين حتّى انطلقت القذائف أوّلاً ، وعندما رأى أنّنا نهاجم أمر بإنزال العلم الأبيض وترك العلم الأحمر ، ليظهر لرجالنا كيف أنه لم يكن يخشى أو كان قلقاً من أمر الحرب ، بالرّغم من عدم تخطيطه لفعل أيّ شيء سوى الدفاع عن نفسه والاحتفاظ بما

معه ، لأنّ أيّ ضرر أو أذى قد يحدث للأسوار يمكن إصلاحه في الحال دون حتّى ملاحظة ذلك .

استمرّ رجالنا في إطلاق قذائفهم ، لكن لوجود القليل من البارود فقد بدأ في النفاد ، مما زاد من قلق "سيماو دا كونها" الذي انتابه الغضب بسبب القليل الذي حققه من الهجوم ، وبسبب عدم قبوله بأخذ القلعة عندما قدّمت له ، لذلك قام بإرسال سفينة مع رسائل إلى "نونو دا كونها" شارحاً فيها تفاصيل كلّ ما حدث ، وطالباً منه إرسال بارود وذخيرة .

غادرت السفينة في ظل طقس ملائم وسلمت الرسائل إلى "نونو دا كونها" في أيّام قليلة ، عندما رأى كيف تسير الأمور غضب "نونو دا كونها" جداً من الضّبّاط الذين جروا الأمور لهذا الاضطراب ، وبعث بسفينة في الحال مع كلّ ما طلب منه ، مشيراً إلى "سيماو دا كونها" بالخطأ الذي ارتكبه .

كانت الرّياح غير مواتية وتقدّمت السفينة ببطء شديد بينما كان رجالنا في انتظار عودتها دون أن يقوموا بأيّ شيء لعدم وجود أيّ ذخيرة معهم .

استطاع المسلمون في القلعة رؤية كلّ ذلك ، وبدأوا في كلّ ليلة من أعلى الأسوار يهزأون برجالنا ومطلقين النعوت نحوهم وصيحات السخرية قائلين طالما أنهم لا يريدون القدوم إلى القلعة فعليهم البقاء حيث هم ، وهذا هو ما حدث بسبب الحمى التي تفشت بينهم (حدث هذا مع بداية "المونسون") وبدأ الكثير منهم يلقون حتفهم .

بعث "ريس بدر الدين" برسالة إلى "سيماو دا كونها" أنه وعلى

أساس التعهد والالتزام الذي شعر به تجاه البرتغاليين ، يتوجب عليه نصحهم بمغادرة البحرين في أقرب وقت ، لأنّ حمى "المونسون" قد انتشرت وسيسقط الجميع مرضى ويلاقون حتفهم ، وإن تأخر ذهابهم الآن فقد يصبح ذلك فيما بعد صعباً ولن يتمكنوا من المغادرة .

لم يكن "سيماو دا كونها" ليقبل بذلك في ذلك الوقت ويحمل تلك النصيحة محمل الجد ، والتي كانت تأتي من صديق أكثر منه كعدو ، وبالرّغم من رؤيته للعديد من الرّجال وهم يسقطون مرضى ، إلا أن الضّبّاط (الذين جعلوا "سيماو دا كونها" يبدأ بهذا العمل الأحمق) قالوا إن رسالة كهذه كانت من رجل خائف ، ويريد أن يرى البرتغاليين بعيدين عن البحرين .

لكن ذلك الرّجل المسلم قال الحقيقة ونصحهم بأفضل ما يجب ... ورأوا بعد فترة وجيزة أنه لم يقل ذلك من باب الخوف ، لأنّ الحمى انتشرت بينهم بشكل رهيب ، وعندما عادت السفينة من هرمز كان الكثير منهم قد توفوا ، والبقية الباقية في غاية المرض حتّى انعدمت قدرتهم على النهوض .

انزعج "سيماو دا كونها" بشدة ، وخشي أن يخرج ريس بدر الدين من القلعة بعد أن علم بالوضع الذي هم فيه ويهاجمهم ، ولكن "ريس بدر الدين" أدرك أن المرض سيدمّر البرتغاليين ، فتركهم هناك حيث هم دون أن يصيبهم بدمار أكثر مما هم فيه .

أمر "سيماو دا كونها" ببناء مأوى آخر بالقرب من البحر ، وطلب إحضار المرضى فيه لأنّ الهواء كان أفضل وصحياً ، واصل إطلاقه

للقذائف بكثافة وتمكّن من هدم سور كامل ، أراد احتياج القلعة عبر فتحة في الجدار ، إلا أنه لم يجد سوى خمسة وثلاثين رجلاً في صحة جيّدة .

أحبطه ذلك كثيراً وغمره الحزن ورفع عينيه ويديه نحو السماء وقال : "ربي كم كان سيكلّفك لو تركت لي فقط مائة رجل في صحة وعافية!" (ولا شك أنه كان سيتمكّن من دخول القلعة لو كان معه ذلك العدد من الرّجال) .

عندما فكر "سيماو دا كونها" كيف صارت الأمور بهذا السوء بالنسبة له لم يشأ أن ينتهي به الأمر كلياً ، لذلك وضع كلّ المسألة جانباً ، وأمر بأن يؤخذ المرضى والمدفعية إلى ظهر السفينة .

تمّ كلّ ذلك بمشقة كبيرة ، بسبب كما ذكرنا في السابق ، لم يكن هناك أكثر من خمسة وثلاثين رجلاً في صحة جيّدة ليقوموا بكلّ ذلك العمل ، مستنفذين قواهم والدماء تسيل في أيديهم ... حملوا المدافع أوّلاً على ظهر السفينة ثمّ نقلوا المرضى بعد ذلك .

كان هناك العديد من الرّجال المرضى ولم يكن بمقدور الرّجال سوى ربط أقدامهم بالحبال وجرهم حتّى أطراف المياه عند الشّاطئ ليأخذهم البحارة من هناك في قوارب طويلة إلى السفينة .

كان ذلك أحد أكثر المشاهد إدراراً للشفقة وبؤس المعاناة ، وأنت ترى وتسمع أنات وتأوهات المرضى وصرخات الألم التي تأتي من أولئك المرضى المحطمين ، وهم يجرون عبر الشّاطئ مما أسال الدموع من عيون كلّ من شاهد ذلك المنظر المحزن الذي يقطع نياط القلوب .

قدم قلّة من المسلمين المساعدة لرجالنا ، وكانوا من رجال شيخ "هنجام" الذين رافقوا "سيماو دا كونها" عبر تلك الرّحلة ، وعندما اكتمل صعود الجميع ، كان "سيماو دا كونها" آخر الصاعدين يعصره الأسى والألم من هول كلّ هذه الكارثة التي تمنّى الموت حزناً على أحداثها .

عندما وصل بجانب السفينة ، جاء رئيس البحارة لمساعدته على الصعود فقال له : "أيّها الرّبّان ، هناك أمر واحد أشير لك به ، عندما تكون سمعتك على المحك لا تتسرع في قبول رأي أيّ شخص سوى رأيك ووجهة نظرك الشخصية" .

ثمّ نشر كلّ الأسطول أشرعته وانطلقوا في رحلتهم ... وكانوا يقذفون في البحر كلّ يوم خمسة عشر أو ثمانية عشر رجلاً من الذين فتك بهم المرض وقتلهم .

حبس "سيماو دا كونها" نفسه تملؤه الحسرة والحزن داخل غرفته دون أن ينبس ببنت شفة مع أيّ أحد ، كارهاً لحياته مطلقاً آهات الحزن والدموع آسفاً على ما جرى ... وقضى نحبه بعد تسعة أيّام دون أن تصيبه الحمى أو أيّ مرض ... وشق موته على الكثيرين حزناً وأسفاً عليه .

توفي سبعون رجلاً على ظهر سفينة "سيماو دا كونها" وبقي اثنان أو ثلاثة رجال أصحاء فقط ... ووصلت الأوضاع إلى مرحلة لم يكونوا قادرين حتّى على رفع أو إنزال الأشرعة وهامت السفينة تحت رحمة وهوى الرّياح .

كان يمكن أن يضيعوا في ذلك البحر الشاسع لولا رحمة الرّبّ التي جاءت بـ "فيرناو الفاريز سارناش" الذي كان مبحراً بالقرب من

هناك على ظهر مركب شراعي ، عندما وقع بصره على السفينة فذهب ليستطلع أمرها وهو يراها في حالة مزرية ، فصعد هو وبحارته على ظهرها ، وأبحر بها إلى هرمز حيث ألقى مراسيها هناك .

علم "نونو دا كونها" عندها بالكارثة التي حلت بالبعثة ووفاة شقيقه الذي آلمه وشق عليه ، رجع من بعد ذلك المشهد الحزين وأمر بأن يؤتى بجثمان شقيقه إلى الشّاطئ لدفنه في قبر ، كان يرافقه ملك هرمز يلفه الحزن ... يولولون كما هي العادة عندهم وأيضاً بقية النّاس الذين بالقلعة ، ودفن بالقرب منه في قبر آخر "فرانسيسكو جوميز" ابن أسقف "فونشال" الذي توفي في اليوم السابق .

وصلت السّفن الأخرى التي في الأسطول فيما بعد ، الواحدة تلو الأخرى وهي في حالة مزرية حتّى يكاد ينعدم فيها أيّ رجل يقوم بقيادتها ، والذين نجوا من الحمى صمدوا لفترة ليست بالطويلة ، لأنّ حمى البحرين عندما تصيب المرء تقتله إن آجلاً أو في الحال وقلّة قليلة هي التي نجت ، ويشتبه أيضاً أنه بجانب الحمى ، قدّمت لرجالنا كنوع من المساعدة مياهاً مسمومة جاء بها المسلمون لهم .

من كلّ ذلك يمكن للمرء أن يدرك أن العديد من الأخطاء يمكن أن تأتي من خطأ واحد ، وفوق كلّ ذلك فإنّ الأخطاء في الحروب لا يمكن إصلاحها وتصحيحها أبداً ، لأنّ ذلك لم يترتب عليه فقط تلك الأعداد المهولة من الأموات وسوء الطالع ، بل تسبّب في أن يفوت "نونو دا كونها" فرصة رياح "المونسون" في أغسطس التي كان يعتمد عليها للإبحار إلى الهند .

بما أن الوقت حالياً هو بداية أكتوبر ، فقد منح "نونو دا كونها" الأسبقية للوضع في هرمز ، أمر بأن يسلم ريس شرف إلى "مانويل دي ماسيدو" ليرافقه إلى البرتغال .

أخذ الوزير معه العديد من الخدم والكثير من الثروة ، وعدداً ضخماً من المقتنيات الثمينة من منزله . بعث الحاكم برسائل للملك مع "مانويل دي ماسيدو" يصف فيها حصيلة حملته حتّى ذلك الوقت مع المعلومات التي حصل عليها من ريس شرف .

منح "نونو دا كونها" منصب الوزير في هرمز إلى شيخ راشد ، الذي كان وزيراً لـ "قلهات" ومسقط ، على أساس صفاته الشخصية والخدمة الجليلة التي قدّمها لملك البرتغال في الوقت الذي اندلعت فيه الثورة في هرمز ضد البرتغاليين خلال فترة حكم "دييجو لوبيز دي سيجويرا" "Diogo Lopez de Segueira" .

قام راشد بحماية كلّ البرتغاليين في مسقط الذين أمر ملك هرمز بقتلهم كما انضم للبرتغاليين في المعركة ضد "ريس دالهميشا" (شقيق ريس شرف) الذين كان متورطاً في التمرد ، حيث قام بقتله وهزم المسلمين من هرمز الذين كانوا من دينه وجنسه حتّى يحفظ الولاء والإخلاص للبرتغاليين ، الذين كانوا تحت حمايته ، وكانت فعلاً عملاً يستحق الإشادة ، وكان هو شخصاً جديراً بالتمجيد والثناء من قبل الكتاب في كلّ مكان ، لكنه انتقد فيما بعد من أبنائه كما سنذكر ذلك في مكانه .

سلم "نونو دا كونها" رسائل التعيين إلى شيخ راشد لمنصب الوزير في هرمز باسم ملك البرتغال ، ولأنّ تحقيقاً جرى بخصوص وفاة ريس

أحمد (الذي سنقدم بياناً عنه فيما بعد) وجد أن ملك هرمز كان متورطاً فيه ، فأمر الملك بأن يؤدي أربعين ألف "بارداو" أخرى كجزية ، والتي مع الستين ألف التي سبق وأن ألزم بسدادها تصبح في جملتها مائة ألف .

أصدر "نونو دا كونها" توجيهاً إلى "كريستوفاو دي ميندوزا" ، قائد القلعة ، بتاريخ التاسع والعشرين من شهر أغسطس ، عام **١٥٢٩**م ، حيث طلب فيه سداد كامل الجزية من عائدات مكتب جمارك الملك المالية التي تجمع في هرمز .

هذا هو سبب هذه الجزية ، وليس تلك التي سلمها "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" في كتابه السابع حيث يفيد بأن "نونو دا كونها" أضاف أربعين ألف "بارداو" لجزية ملك هرمز حتّى يخضع البحرين لطاعته ، الأمر الذي لم يستطع الإيفاء به ، ونحن بحوزتنا في الأرشيف الملكي نسخة من هذا التوجيه والعقود .

لأنّ "بلشيور دي سوزا" ، القائد البرتغالي في الخليج قام بأداء رائع لواجباته ، وكان الحاكم مغرماً به جداً جراء إنجازاته العظيمة ، فقد ترك له توجيهاً سرياً ، أنه في حال وفاة قائد قلعة هرمز فيجب أن يخلفه "بلشيور" في منصبه .

طلب "نونو دا كونها" بعد ذلك الإذن بالمغادرة من "كريستوفاو دي ميندوزا" وملك هرمز ، وانطلق ناشراً أشرعته ، ترافقه سفن "دوم فيرناندو دي ليما" و"دوم فرانسيسكو دي سا" ، و"فرانسيسكو دي ميندوزا" وسفينة "جورجي جوميز" .

وصلوا إلى مسقط حيث تزودوا بالمؤن وجاءوا معهم بالسّفن الأخرى التي كانت تقضي فصل الشّتاء هناك ، وتوفي الكثير من المرضى الذين تركوا هناك ، وتمّ تجميع كلّ السّفن ، وتوجه "نونو دا كونها" في طريقه لرحلة العودة إلى الهند .

أحضر معه جثمان شقيقه ، "سيماو دا كونها" ، ليواريه الثرى في "غوا" ، حيث شيد كنيسة صغيرة له داخل "الكاتدرائية" ، كان هذا النبيل وكيلاً لقصر الملك "دوم جواو" والقائد التشريفي لـ "سامبايو" و"توريس فيدراس" "Toris Fidras" ، كان متزوجاً من "دونا إيزابيل دي مينسيس" "dona Esabel de Meneses" ابنة "روي جوميز دي جرا" "Rui Gomez de Gra" ، سيدة جار جلالة الملكة "دونا جوانا" "Dona Joana" . أطفال "دونا إيــزابيل" هم "تريستاو دا كونها دي جرا" "Tristao da Cunha de Gra" ، "روي جــومـــيز دا كــونــهـــا" "Rui Gomez da Cunha" و"دونـــــا أنطونيـــا دي مـــــينســـيس" "Dona Antonia de Meneses" التي تزوجت "دييجو لوبيز دي سوزا" "Diogo Lopez de Susa" حاكم "لشبونه" .

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

أرسل "كريستوفاو دي ميندوزا" "Cristovao de Mendonca" رسالة من هرمز إلى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، في الثالث عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٢٩م ، تتعلق بقلعة هرمز ، وسجن "دييجو دي ميلو" "Diogo de Mello" لرفضه دفع الغرامة التي فرضت عليه بحكم صادر من ملك هرمز : (٦)

سيّدي ...

كتبت لسموّك في العام ١٥٢٨م ، عن مسائلٍ تتعلق بهذه القلعة ، وبخصوص "دييجو دي ميلو" ، الذي في طريقه حالياً إلى البرتغال ، سأكتب لسموّك عن كلّ ما حدث في هذه البلاد وهذه القلعة بعد تلك الرسائل :

كتبت لسموّك أن "دييجو دي ميلو" قد تمّ حبسه هنا بسبب عدم سداده

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

للغرامة التي فرضت عليه نتيجة لحكم صدر ضده في حضوري ، من قبل ملك هرمز ، والمبلغ يتعلّق بمستحقات مكتب الجمارك التي لم يؤديها للملك عندما كان هناك ، وأيضاً مبالغ أخرى أخذها منه بطريقة خاطئة .

بعد صدور الحكم أمرت بأن تبعد من الوثائق المتعلّقة بإجراءات المحكمة وبعثت بها إلى "لوبو فاز دي سامبايو" الذي كان الحاكم في ذلك الوقت .

أرسل بسفينة إلى هنا لتأخذ "دييجو دي ميلو" ، وأيضاً بعث توجيهاً إدارياً موقعاً من القاضي "جواو دي سوزا" "Joao de Susa" والمحكمة التي في "غوا" ، بناء على هذه الوثيقة إذا قام "دييجو دي ميلو" بأداء الغرامة التي عليه أو قدم ضمانات في هذه المدينة بأنّه سيسددها خلال ثلاثة شهور فإنّ الحاكم سيسمح له بالذّهاب إلى الهند .

تحرك "دييجو دي ميلو" هنا وهناك يجمع في المبالغ الضروريّة حتّى يتمكّن من إيفاء الغرامة ، جمع حالياً الجزء الأكبر من المبلغ عندما تلقيت أخباراً من الهند تقول إن "أنطونيو دي سالدانها" و"جارسيا دي سا" قد ذهبا ، وأن "نونو دا كونها" في طريقه ليصبح حاكماً ولم يصل بعد ، بما أن الوقت كان قد تأخر فقد بدا لي أنه لن يتمكّن من القيام بذلك ،

وضح لي أنه مادام عليَّ خدمة سموّك حيث هناك حاجة ملحة لي هنا فاخترت أحد المراكب التي أملكها هنا وحملتها بكميات ضخمة من المؤن والأطعمة والأدوية من أجل المرضى ، مثل الزّبيب ، اللوز ، الخوخ ، الدقيق ، عشب الراوند ، قصب السّكر ، وأشياء أخرى من الصيدلية ، وأيضاً حبلين طويلين من ألياف جوز الهند للسفن .

عند عودة المركب الشراعي من "موزمبيق" أرسلته على عجل إلى "ممباسا" للحاكم "نونو دا كونها" . كان في حاجة لأكثر من هذا بسبب مرض رجاله ويموتون يومياً لنقص الغذاء والضروريّات .

قرر عندها "نونو دا كونها" أن يأتي إلى هنا ، عند وصوله دارت بيننا مداولات لعدة أيّام قدّمت له من خلالها إفادة كاملة عن سجن "دييجو دي ميلو" ، عرضت عليه تعليمات "لوبو فاز" التي أمره فيها بأداء ما عليه للشخص الذي يدين له بالمال ويتراضى من كلّ المدعين عليه .

اطلع "نونو دا كونها" على تلك الوثائق الرسمية ، بالإضافة لالتماس سيقدم "مانويل دي ماسيدو" نسخة منه لسموّك ، أيضاً ملك هرمز قام بتقديم مطالب لـ "نونو دا كونها" ، طلب منه أن يصدر أمراً لـ "دييجو دي ميلو" ليؤدي لذلك الملك الدين المستحق له .

لم يكن "نونو دا كونها" يريد التعامل في هذا الأمر بالرّغم من أن "دييجو دي ميلو" كانت معه حالياً مبالغ كافية يستطيع أن يوفي بها الدين ، ولم يكن يريد له أن يبقى في السّجن ، كلّ الذي يود القيام به هو أن يبعث بنسخة من الإجراءات القضائية لسموّك .

أثق في أن سموّك لن يرغب في اتخاذ أيّ قرار أبعد من ذلك في هذا الأمر ، كما ليس عليك أن تفعل ، لوجود برهان دامغ واضح لتبرير الحكم الذي صدر ، وعن مبالغ أخرى أجبرت "دييجو دي ميلو" ليسددها لأولئك الأشخاص الذين أخذ منهم أموالهم .

أتمنّى أن تمنحني سموّك شرفاً عظيماً لتهدئة وبسط الاستقرار والعدالة في هذه المدينة ، لأنّك بالرّغم من مرور الحاكم من هنا إلا

أنني رأيت الكثير من الأشياء التي لا تنسجم وتوازي هذا السلوك والتصرف ، سيطلعك "مانويل دي ماسيدو" عنها .

دمّر "دييجو دي ميلو" "باما جوزارات" "Pama Josarat" الذي كتب له سموّك عبر "مانويل دي ماسيدو" . طلب "دييجو دي ميلو" مبلغاً محدداً من المال منه ، قال إن "باما" يدين له به ، وقدم "باما" فواتير وأدله أنه سدد بموجبها ذلك الدين ، إلا أنّها لم تكن لها أيّ فائدة ورفض "دييجو دي ميلو" إرجاعها له عندما قام "باما" بأداء كلّ ما عليه .

لا زال "باما جوزارات" يقبع في السّجن ، "خواجا ناماتا" الذي كتبت له سموّك وآخرون عديدون يشتكون من أمور مماثلة ، أنا على ثقة أنهم كتبوا لسموّك عن القدر القليل من العقوبات التي نفذت في هذا الخصوص .

لا دري عن أيّ شيء آخر اكتب لسموّك سوى أنه بعد وصول الحاكم إلى هنا قام "دييجو دي ميلو" بعمل كلّ ما أراد القيام به . شعر الملك والمسلمون بالعار لعدم معاقبته على سرقاته وكلّ الأشياء الأخرى التي قام بها ، وعند رؤيته حراً طليقاً بينما هم سجناء وسلبت أشياؤهم منهم .

إن عرض "دييجو دي ميلو" على سموّك أيّ وثائق قانونية ، يجب عليك أن تدرك أنّها مثل الأخرى التي عرضها هنا ، أيّ ، أنه أجبر الكاتب العدل بأن يسلمها له ، كما طلب من الحاكم أن يطلب من الشهود أن يقدموا بمواجهة الكثير من الأدلة التي قدّمها .

تحقيقات الحاكم في قضاياه والتّحقيق عن الشبهات التي تتعلق بي ،

التي أشير إليها ، وأيضاً الوثائق الرسمية التي قدّمت كدليل كلها في طريقها إليك ، وعليه سيطالع سموّك كلّ شيء وسيعرف كلّ الحقيقة .

نتائج التّحقيقات التي بعثت بها لسموّك في السنة الماضية حملت الدّليل ، وكانت كلها مؤكّدة بواسطة التّحقيق الذي أجراه الحاكم بنفسه ، وظل التقرير الذي يفندها هنا في حوزة الكاتب العدل .

أنا أعلم أن السكرتير لا يغادر منزل "دييجو دي ميلو" إطلاقاً ، ويقضي وقته في تدبير المؤامرات والمكائد معه ومارس كلّ أعماله مع الحاكم الذي جعلها نافذة ، يعلم "مانويل دي ماسيدو" جيّداً عن هذا الموضوع .

لن أستطرد كثيراً في الحديث عن "دييجو دي ميلو" وأوضاعه لأنّ "مانويل دي ماسيدو" وآخرين ، أمرتهم سموّك بمرافقته ، سيقدمون لك إفادة كاملة عنه .

عطفاً على الأوامر التي أصدرتها سموّك لـ "مانويل دي ماسيدو" ليقوم باعتقالات معينة هنا ، حزنت جداً على إرسالك له لهذه القلعة مكلفاً إياه القيام بالتّحقيقات وبإلزامي أن أنفذ ما طلبه منّي وما أمرني القيام به .

تألمت أيضاً لعدم تذكيره أنك منحتني شرف هذه الرئاسة حيث خدمتك بطريقة أكثر من جيّدة ، بل وأكثر من مناسبة خلال الخمس أو الست سنوات التي قضيتها هنا .

أعتقد أن سموّك قد عرف الآن كيف قمت بخدمتك عبر أشخاص آخرين غادروا هذه السنة ، كان من الأفضل ، سيّدي ، أن تعطي هذه

القلعة لي عندما طلبتها من سموّك لأنّها سلمت لآخرين بناءً على شرفهم ، وأعتقد أن سموّك أعطاني لها حتّى تهينني طالما أن "مانويل دي ماسيدو" كان عليه القدوم إلى هنا وإصدار الأوامر .

كنت محظوظاً عند وجود الحاكم هنا لأنّ سلطانه عليّ لم يكن معروفاً علناً بين النّاس ، لعلّ سموّك يدرك بما أنني خدمتك دائماً ولم أقصر في ذلك ، كما أنني خدمتك أيضاً هنا عندما كان الأمر أقل أهمّية ، أود الافتخار لسموّك عن أمر واحد ، سأقوم بذلك قطعاً في كلّ وقت تصدر لي فيه أوامرك .

إن كان ريس شرف يأخذ الآن عشرة أو خمسة عشر "أشرفياً" ، فإنّني سأجعله يقبل ثمانمائة ، إن طلبت منّي سموّك ذلك ، وبذلك أكون قد خدمت سموّك كما تطلب ، "مانويل دي ماسيدو" الذي تضع فيه سموّك ثقة كبيرة كما يفعل الحاكم سيقدم لسموّك إفادة جيّدة عن أسر ريس شرف وعن كلّ ما حدث .

احتجز الحاكم أمين خزينة الملك خواجا إبراهيم كسجين ، الأمر الذي وحد المدينة ضده ، بالرّغم من اكتشاف انه كان مذنباً في بعض الجرائم فإنّ نصيحتي كانت بعدم سجنه في الوقت الحاضر .

يقول الحاكم إن ملك هرمز طلب القبض عليه ، لكن الملك يقول إن ذلك كان بأمر الحاكم الذي أجبره للقيام بذلك ، ولا أدري أين تكمن الحقيقة ، سمعت فقط من الملك أنه كان سجيناً في القلعة ، وأنهم يحققون معه عن مبالغ كبيرة وأخذوه إلى الهند .

لا يريد خواجا إبراهيم دفع أيّ شيء ، ويرى المسلمون أن ذلك نوعٌ

من الطغيان أكثر مما هو بسط للعدالة ، ويعتقدون أنه إن ارتكب ذلك القدر من السرقة والعديد من الأمور السيّئة لكان أفضل وأكثر عدلاً أن يقطع رأسه في الساحة بدلاً من الاحتفاظ به كسجين .

طلبوا منه المال وعذبوا أفراداً من عائلته حتّى يعترفوا بالمكان الذي يخبئونها فيه ، يبدو أنه تحفظ عليه كسجين في القلعة بواسطتنا بدلاً عن الملك ، ستقرر سموّك أفضل السبل لهذه القضية .

كما على سموّك معرفة أن الملك كان يحتفظ بشقيقه شخصياً كسجين هنا ، اعتبر الحاكم وبعض النبلاء أن من المناسب بقاءه في هذه القلعة ، وحقيقة ، هو أمر مفيد ، يمكنه إطلاع الحاكم عندما يقوم شقيقه بعمل أيّ شيء ليس عليه القيام به ، وعليه كان أمراً جيّداً إحضاره إلى هنا ... سلمه الحاكم لي وأحتفظ به هنا ، حتّى يصدر سموّك ما تقتضيه مصلحتك من أوامر .

مسلمون آخرون سجنوا هنا ، لكن ليس من قبلي كما ذكرت سابقاً لسموّك ، سيطلع كلّ شخص منهم سموّك عن قضيته ، أقول هذا لأنّني أعتزم بسط الهدوء والسلم لهذه المدينة حتّى يأتي إليها الكثير من التّجّار وأضمن بذلك أداء الجزية لسموّك ، كما كان شأني في هذا الأمر حتّى الآن ، إذ كتب لك ، سيّدي ، الحاكم أنه أمن مبلغاً من مهامي الجيّدة ، عندما آتى كان القليل جداً مستحقاً علينا هنا .

إضافة لذلك ، سيّدي ، ثارت البحرين ضد سجن ريس شرف ، ورفضت تسليم القلعة للشخص الذي أمر الملك بتسليمها له . كان على الحاكم إرسال "سيماو دي كونها" إلى هناك ، غادر من هنا قبل

عدة أيّام ولابد أنه لا زال في طريقه إلى هناك . عندما يعود سأكتب لسموّك عن كلّ ما حدث .

فيما يتعلّق بهذه القلعة ، فقد رسمت تخطيطاً أيضاً للمكان الذي تبنى فيه ، وآمل أن ينتهي ذلك خلال هذه السنة ، لكن بوصول الحاكم لا أعتقد بأنني سأتمكّن من ذلك ، لكن بمشيئة الرّبّ وعونه فإنّ ذلك سيقع على عاتق القائد التالي ليكمل كلّ شيء .

أعتقد أن الحاكم قد كتب لك مطولاً بخصوص شؤونه ، بما أن "مانويل دي ماسيدو" في عجلة في أمره ، فلن أكتب لسموّك مطولاً عن المبالغ المالية هنا ، لكن مع السّفن التّجارية التي لا تزال هنا سأكتب لسموّك بتفاصيل أكثر عن كلّ ما حدث هنا .

سيكون الحاكم قد غادر ، ولن أكون مشغولاً كما هو حالي الآن أثناء مغادرته ، عليَّ أن أطلع سموّك على أمر واحد لأنّ ذلك يصب في مصلحتك ، لا تعتبرني زلف اللسان إن قلت لك إنه من مصلحة خدمتك في الهند ألا تترك "سيماو فيريرا" "Simao Ferreira" هنا كسكرتير لك .

عطفاً على سجن خواجا إبراهيم كما ذكرت لسموّك بأعلاه ، فإنّه سيغادر إلى الهند كسجين . عندما غادر الحاكم السفينة هنا عقد معه اتّفاقاً على أن يسدد مبلغ ثمانمائة "ليكو" ، لذلك فهو طليق هنا ، لكن ما عاد له وظيفة في مكتب الجمارك .

من فضل الرّبّ أنه لن يأتي إلى هذه المدينة وهذه القلعة ، لكن لعلّه يأخذه بعيداً لأنّه رجل عظيم وحكيم ، كما أخبرت سموّك ،

فإنّني سأكتب لك مطولاً عبر سفن الشحن ، وعليه فلن أطيل في هذه الرّسالة .

من قلعة هرمز بتاريخ الثالث عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٢٩م .

أقبل يدي سموّك الكريمتين .

"كريستوفاو دي ميندوزا"

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

جاء خطاب مرسل من "أنطونيو جالفاو" "Antonio Galvao" إلـى الملكة "كاتارينا" "Queen Catarina" في العام ١٥٢٩م ، بشأن البحر الأحمر : (٧)

سيدتي ،

فكرت كثيرا في ألا أكتب لك هذا الخطاب لأنّ كلّ أعمالي التي أنجزتها ستبدأ وأن أفقد احترامي إلى الحد الذي لا يجعلني أجرؤ على التّحدّث ، ولكني تذكّرت أن عليَّ التزام أن أخدم جلالتك فقررت أن أكتب هذا الخطاب ،

تعلمين جلالتك أن البحر الأحمر يحد الجناح الأيمن من الهند ، وإن لم يتمّ المحافظة عليه وتعقيمه فسيصبح متعفناً .

هناك خطر عظيم هناك ، ولا حتّى هرمز آمنة تماما منه ، وخاصة إن

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

استولى الأتراك على البصرة ، حيث حاولوا فعل ذلك بعد الحصول على بغداد التي تسير على نهر الفرات ، وإن الذين يقولون إن بها نقصاً من الأخشاب لم يخطئوا ، ولا يوجد أيّ عجز آخر ذي قيمة .

تقع جزر الملوك "ملقة" في الجنوب ، وهم يهزمون لأنّهم لا يستطيعون دعم أنفسهم إلا بالبهارات والعقاقير ، وفي الشّمال توجد الهند التي لا تنتج سوى الفلفل والزنجبيل والقرفة والأحجار الكريمة والكبريت ، وكلّ شيء آخر ليس ذا قيمة كبيرة .

لا تعاني جزر "ملقا" من هذا النقص ، لأنّه يوجد بها الكثير من الفلفل وجوزة الطيب وشجر الصندل والكافور والصمغ والصبار والزيت المحلي وزيوت أخرى يصنعونها من شجرة ، والكثير من الحرير والألمنيوم والفضة والحديد المنصهر والكثير من الكبريت والذهب عالي الجودة .

كل تلك الأشياء موجودة على أرض "ملقة" ، وخاصة على ساحل "باهنج" و"باتاني" ، كما يوجد الكثير من الكافور وأشجار الصبار الجيّدة على جزيرة "بورنيو" ، وإذا اتجهنا إلى الجنوب ، الذي يطلق عليه "تانجنجبورا" "Tanjanbora" ، سنجد الماس من الصّخور القديمة ، وفي الشّمال توجد "بنجالا" حيث الذهب وصيد اللؤلؤ .

كما يوجد جزيرة يطلقون عليها اسم "سولور" وأخرى يطلق عليها اسم "بيسأيا" "Bisaaya" حيث تشتهر بالكثير من القرفة ، وكذلك في "مينداناو" ، ويوجد لحاء لشجرة أخرى شبيهة بها ولها قيمة أعظم ، يوجد في تلك الجزيرة كمية معقولة من الذهب .

في الجانب الشّرقي ، هناك عدد من الجزر مليئة بجوزة الطّيب .

يوجد على جزر "ملقة" القرنفل والفلفل الطويل وكثير من جوزة الطّيب ذات النوع الجيّد في باندا ، يقال إنه يوجد الماس وحديد وذهب وشجر الصندل في جزر يطلق عليها أسماء "بوتون" "Buton" و"بانجاي" "Banjay" و"ماكاسار" "Makasar" ، وتشتهر "تيمور" بالبضائع القيمة .

في جزيرة في مكان أبعد ونحن في طريقنا إلى "جاوة" تسمى "سوندا" "Sunda" ، يقال إن بها قرفة جيّدة ، وكذلك يوجد البعض منها في "جاوة" ولكنها قويّة والكثير من الفلفل الذي يقومون بمقايضته بالقرنفل الذي يستخدم كثيرا في تلك الجزيرة ، كما هو الحال في مقاطعة ألمانيا .

أنا لا أقول شيئا عن الزّنجبيل لأنّه موجود بوفرة في جميع أنحاء "الأرخبيل" ، قالوا لي إنّهم إذا قاموا باصطياد لؤلؤ فإنّهم لا يرون له اهتماما ، لا يوجد أيّ جزيرة تخلو من ذهب تنبته أرضها والكثير من البضائع والعبيد والأخشاب والقار لصنع السّفن كما في "فال دي جراسا" "Val de Graca" ...

هناك احتياطي من النّشاء المستخرج من لبّ النّخيل يكفي لمدّة عشرين عاماً ، يفصل "سومطرة" عن "ملقة" أكثر من أربعمائة ألف ومائتي ميل ، والبحر هادئ مثل البركة .

في الصّين توجد جزر "ريوكيو" ، حيث يقال إن بها "بهار" "Bahar" من القرنفل والفلفل تتخطى في قيمتها أكثر من مائة "كروزادو" ، يمكن لأيّ شخص أن يبحر إليها في خمسة عشر يوماً ويعود في نفس المدّة ، ومن يتمكّن من السيطرة على جزر "ملقة" يمكن أن يسيطر على ذلك ويقف أمام العالم بأسره .

إذا شاء الرّبّ ، سيولي أحدهم اهتماما إلى ذلك الأمر تحقيقا لمصالح جلالتك ، فإنّي أطمئنك أن جزر "ملقة" وأراضيها فقط قادرة ، إن تمّ استيطانها على دعم مملكة عظيمة ، ولكن إن ظل الوضع على ما هو عليه الآن فستضيع تماما .

لا يوجد لدى الملك إيرادات أفضل أو حتّى مؤكّدة وآمنة في الهند كلها ، وسامح الرّبّ كلّ من فرط فيها ، فإنّني أطمئنك أنّها أفضل من "ساو جورج دا مينا" "Sao Georgee da Mina" إن تمّ حكمها بشكل جيّد ، وأن الطريق الدائري هو مفتاح الوصول إليها رغم أنه بعيد جدا عن البرتغال .

لن يكون هناك داع لإرسال الأموال لتحميل شحنات الفلفل ، ليس ذلك فحسب ولكن سنُبقي تموين خمسة أو ستّة آلاف جنديّ في الهند ، علاوة على ذلك ، ستقوم بتغطية نفقاتها ، يعرف الإسبان ذلك جيّدا ، ولذلك فهم لم ينسوها كما هو واضح ، حيث إنّ كلّ ما يتمنّوه هو الوصول إلى طريق للعودة إلى إسبانيا الجديدة .

إن قاموا بتحقيق ذلك ، فسيقومون بكلّ تأكيد باستغلال البلاد ، يجب أن نمنع هذا الأمر من التّحقّق ، وأنا أعرف شخصاً يمكنه فعل ذلك إن قام بخدمة ملك البرتغال كما يفعل ملك إسبانيا ، لذلك يجب أن تتذكّري جلالتك هذا الكلّام ، وسأكتب لك ما يحدث هنا في الوقت الحالي :

بعد مرور ثمانية أو تسعة أشهر على دخول قدومي إلى هذا الحصن ، أخبرني أهالي البلاد بوصول سفينتين من "قشتالة" ، ولم يدَعُوهما دخول الميناء حتّى يعلموا أوامري في هذا الشّأن ، لأنّهم منحوني الحبّ والهيبة وشكرا للرب على ذلك .

قمت بإعداد أسطول وأرسلت "جواو فوجاسا" "Joao Vogasa" قائداً عليه ، وأخبرته أنّ الأمر الرّئيس الذي يتلقاه منّي هو ألا يقاتل تلك السّفن ، حتّى وإن بدا أنّهم يريدون ذلك ، وإن قاموا بالمهاجمة يجب عليه تجنّبهم ، وقلت إنّني سأستقبلهم بترحاب إن جاءوا إلى الحصن وأعطيهم ما يحتاجون ، حيث إنّ مولانا الملك قد أمرني أن أرعى شئون الإمبراطور .

طلبت منهم ألا يدخلوا أيّ ميناء في البلاد قبل أن أكون في ذلك المكان ، وكي لا أسبّب مشاكل للسكّان بأيّ شكل كان حتّى لا يضطرّونني إلى فعل مالا أريد ، كما أمرت السّكّان ألا يدعوهم يأخذون شيئا وأن يخبروهم بأنّ تلك الأوامر صادرة عنّي حتّى يتوجّهوا إلى الحصن .

أمرت أن يطلب من الملوك واللوردات أن ينشروا هذا في جميع أنحاء بلادهم ، وأيّ شخص يقوم فيأتيني بأخبار مؤكّدة عن مكان السّفن سيحصل على مكافأة قيمتها مائة "كروزادو" .

انطلق "جواو فوجاسا" وأبحر لمدّة شهرين أو ثلاثة أشهر بحثا عنها ، ولكن لم يكن لديه من أخبار مؤكّدة ، فقد كانت سفنهم تطوف من جزيرة إلى أخرى ، ولكن لم يسمح لها بدخول الميناء ، وأصابهم اليأس الشّديد حتّى شوهدوا عند أطراف جزيرة "مورو" من ناحية الشّرق ويطلق عليها "سوماس" "Somas" و"فيداس" "Vidas" ، ولجعل الأمور أكثر سوءاً ، أمر الحكام الغطاسين بقطع حبال الإرساء بالليل .

قال البعض إنّها لم تكن مرساة جيّدة فقطعتها الصّخور ، وأيّا ما يكن السّبب فقد حدث ذلك ، وأبحروا بعيدا فاقدين الأمل في القدرة على الإرساء وعادوا متوجّهين ناحية بابوا وهو المكان الذي

جاءوا منه ، وقيل إن "ألفارادو" قد وصل إلى إسبانيا ولم يسمع عنه أيّ أخبار أخرى .

فقدت بارجة الأميرال تحت الخط الذي يطلق عليه البرتغاليون خط "اجوادو" [خط التزود بالمياه] ، ولكن يسمّيه سكّان المكان "مهنسم" وهو اسمه الحقيقي ، وهو الميناء الذي فقد فيه "سافاهيم" "Safahim" ، وركبوا مركباً من هنا وقرّروا العودة والاستسلام لي في "ملقة" .

لكن قام سكّان الجزيرة بمهاجمتهم وقتلوهم جميعا فيما عدا خمسة أو ستّة أشخاص فروا وظلوا مرضى على الشّاطئ ، وركبوا المركب ، والتقطهم أناس من جزيرة أخرى من ناحية الشّرق ، تسمى "دوم جورج" ، لأنّ "دوم جورج دي منزيس" الذي كان نقيب الحصن قد قضى الشّتاء هناك ، ولكن اسمها الحقيقي هو "فرساي" .

أخذوهم إلى بلادهم وعالجوهم وعاملوهم بطريقة حسنة ، ولكن اثنان منهم فقط فروا ، أحدهما يدعى "جوان كاماتشو" ، وهو ابن "لورينز كاماتشو" أمير "بالوس" ، والآخر هو "ميجول نوبري" "Miguel Nouberi" ، تمّ فدية الثاني من قبل سكّان "كامافو" "Kamafo" ، وهي مدينة بربرية مسلمة تدين بالطاعة لملك "تيدور" ، الذي أرسل إليَّ يخبرني أن الإسباني هناك ، وإن أرسلت له فسيرسله لي ، وهو ما حدث .

كلّفني هذا الأمر مائتي "كروزادو" ، وقد أنفقتهما بشكل صحيح ، لأنّ ما سمعناه منه قد جنبنا الكثير من المصائب ، وعلمنا منه كلّ ما كان مخطط له ، وهو أن "مركيز ألفال" "Marques Alval" أمر ببناء

سفينتين ، يبلغ وزن إحداهما مائة وعشرين طناً وتسمى "سانتياجو" "Santiago" ، ويبلغ وزن الأخرى ثمانين أو تسعين طناً .

عندما تمّ الانتهاء من بناء السفينتين وتجهيزهما ، وحملتا بالمؤن والصابورة المصنوعة من الرصاص ، وغادروا ميناء "اكابولكو" متوجّهين إلى "بيرو" في الأسبوع الأوّل من عيد الفصح بأمر من "الماركيز" ، وصلوا إلى مدينة تسمى "مانتا" "Manta" ومنها توجهوا إلى "تومبس" و"بايتا" "Bayta" وهو ميناء مدينة "سان ميجيل" "San Miguel" ، حيث يستوطن فيها "القشتاليون" .

أفرغوا حمولتهم هناك وأرسلوا خطاباً إلى حاكم "بيرو" "هيرناندو بيزارو" "Hernando Bisaro" الذي كان في مدينة "جاوجا" "Jaoja" ، وانتظروا هناك حتّى وصلهم الرّدّ ، أرسل رجلاً من ذهب وامرأة من فضة ، وأبحروا بعد ذلك متوجّهين إلى "ملقة" على نفس الخط ، فكان أوّل إرساء لهم طبقا لمعلوماته في جزيرة "فرساي" التي تبعد أكثر من ألف مائتي ميل عن "تيرنات" من ناحية الشّرق ، ووصلوا إليها من هناك .

علاوة على ذلك ، أمر حاكم "جواتيمالا" "دون جورج دي ألفارادو" بأن يتمّ تجهز سفينتين وأن يقلعوا مباشرة بعد السّفن الأخرى ، كما أمر المركيز "هيرنان كورتس" "Hernan Curtes" ونائب الملك "دون أنطونيو دي ميندوزا" "Antonio de Mendonca" الذي وصل مؤخرا بتجهيز سفن "غليون" أخرى وسفناً كثيرة من مناطق الجنوب لإرسالها إلى الصّين وجزر "ريو كيو" "Rio Kio" و"ملقة" لاستكشاف عالم جديد .

علمت أشياء أخرى عن تلك المناطق التي تخضع تحت سيطرة الرّبّ

ومولانا الملك ، ولكن لم يمر عليَّ أكثر من أربع سنوات وأنا في منصب المراقبة هذا ، حيث إنّني لم أر إلا اهتماما ضئيلا يولى لكلّ ذلك .

على الرغم من أنني كنت مريضا عندما قدّمت إلى هنا ، فقد كتبت عن ذلك الأمر إلى جلالته ، وكذلك أرسلت إليه الخطابات التي كتبها إليه حكام "ملقة" ، وأقوم بإرسال نسخة منها إلى جلالتك ، اعتقادا منّي أنّها ستكون ذات أهمّية بالنسبة إليك بسبب الشكاوى وما هو ضروريّ لتحقيقه هناك .

أدعو الرّبّ أن يبارك في عمر جلالتك ، وأن يوسع رقعة ملكك ، "أنطونيو جالفاو" .

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

بعث حاكم هرمز رسالة إلى الملك البرتغالي ، عام ١٥٢٩م ، يستنجد به من موظفي الملك ، قائلاً "إننا سندمّر بالكامل" : (٨)

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الذي بيديه تصريف أمورنا ، إلى الملك المعظم واللورد "دوم جواو" ملك البرتغال والهند وحاكم العالم ، وأسأل الربّ أن يزيد من قوته ويوسع رقعة ملكه ، حيث إنّه مشهور بلقب الغازي ومخضع جميع الملوك بقوته وعدله .

انتشرت رحماته في كافة الأرجاء مثل أشعة الشمس وتشع بالفخر والفضل على سائر الملوك والرعايا الخاضعين لحكمه ، فهو يحمي أملاك أولئك الذين يطيعوه بكلماته العطرة ، وتعد مناقبه زيادة في العمر للجميع ، وتمنّى أن أظل تحت خدمته حتّى آخر أيّام حياتي حتّى أستزيد من الشّرف .

أريد أن أذكر لجلالتك يا ملك العالم أن مدينة هرمز وملوكها هم

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

دائما من أكثر النّاس شرفا ويسراً وغنًى في تلك المناطق ، كما يعرف الجميع ، والآن لأنّهم تابعون لجلالتك سيتمتعون بأكثر من ذلك .

لكن الآن نتيجة للبرتغاليين التّابعين لك ، [....] قد فقدت ويبدو أنّنا سندمّر بالكامل [إن] لم تقم جلالتك بعدلك بمعالجة عمليات السّجن والممارسات الظالمة التي ترتكب ضدّنا من قبل المسحيين التابعين لك ، فهم لا يقومون بخدمة جلالتك فقط ، بل حرموا بلادك من السّكّان والتّجّار الذين يجلبون كلّ الخير والربح لها ، فهم يأخذون بضائعهم بأسعار أقل من تلك التي يطلبوها .

هم يفعلون الشّيء ذاته مع الرّجال الذين يبيعون الفاكهة واللحم والدجاج والماء ، ولم يعودوا يتاجرون في تلك الأشياء كما كان يفعل الرّجال أو حتّى يجلبوا إمدادات وأرباحاً ولا يعبّئون بلادك بالسّكّان ، لأنّهم غادروا البلاد بسبب الإساءات التي تحدث لهم ولا يعودوا إليها مرّة أخرى ، كما تعلم جلالتك من بعض النّاس .

إنّهم يغادرون تلك البلاد ، وذلك بسبب الأفعال التي يقترفها رجالك المنوطون بسلطات العدل والسّيطرة على المدينة ، فهم يحرمون أكثر رجال المدينة ، أهمّية من ممتلكاتهم ومالا يمتلكوه هم من خلال قول الأكاذيب .

حيث إنّ جلالتك رجل عادل وتحمي كلّ من في أرضك ، فلابد لك أن تأمرهم بحماية شعبك في هرمز والتّجّار الذين يأتون إليها ويقدموا لنا ما نحتاجه من مقومات الحياة قبل أن ننتهي تماما وتخسر جلالتك البلاد وسكّان هرمز .

أتوسّل إلى جلالتك أن تقوم بما هو ضروريّ لخدماتك وأرباحك وسكّان مدينتك هرمز ولكلّ التّجّار، وكذلك كلّ من يأتي إلى المدينة من جميع الأصقاع ؛ حتّى تعود إلى سابق عهدها مرّة أخرى وتكون بلادك آهلة بالسّكّان كما كانت في الماضي .

يكتب الملك لجلالتك والشّعب وأنا شخصيا ، كما سترى من خطاباتهم ومن سفيره "مير ليشار" الذي سيقدم لجلالتك تقريرا عن كلّ شيء ، فالملك والجميع يتوسّلون إلى جلالتك حيث إنّك ترسل إلى تلك المدينة نقيبا كلّ ثلاث سنوات ليقوم بتحقيق ربح شخصي ولا يرعى مصالح جلالتك .

افعل لنا معروفا بأن ترسل إلينا نقيبا لمدّة عشر سنوات وهو "جواو رودريجيس دي نورونها" "Joao Roderigues de Noronha" ، فخلال المدّة التي قضاها هنا كان يعمل دائما على خدمة جلالتك ويعظّم من شأن المدينة ويعمرها بالسّكّان، وكان يعامل الجميع باحترام وود، سواء كانوا سكّانا أو تجارا .

قد كنا في سلام، وكان يدافع عن قوانيننا وجميع النّاس، يجب أن تصدق جلالتك إنك إن أرسلت إلينا أيّ شخص آخر كنقيب، ستدمّر هرمز ، ولكن إن عينت لنا "جواو رودريجيس" ستكون قد أسديت معروفا للملك والشّعب، وسيصب ذلك في مصلحتك .

إنّني أكتب إلى جلالتك باعتباري الخادم لك ، وأرجو أن تنتهي الأمور في مصالحك على ما يرام، ستعلم، سيّدي، أن "روك استيفس" "Rui Esteves" قادم مع "مير اليشار" ، حيث يثق فيه الملك والجميع

بسبب الخدمات الجيّدة التي قدّمها لجلالتك ، أتوسّل إلى جلالتك أن تقابله وتكافئه ، حيث إنّه يستحق ذلك لطول المدّة التي قضاها في الخدمة .

سيساعد ذلك في تأهيل المدينة بالسّكّان ، ستعلم جلالتك أنّه خلال حكم الملك السّابق والدك ، كان والدي وزيراً للملك بمدينة هرمز ، وفي مقابل الخدمات الجليلة التي قدّمها ، كان مسرورا بأن يُمنح أن يكون قاضي الملك في هرمز مادام على قيد الحياة ، ويخلفه بعد مماته أبناؤه ، وإذا لم يكن لديه أبناء فعشيرته الأقربون .

منذ وفاة أبي وأنا أتقلّد منصب وزير الملك في خدمة جلالتك [.....] عندما يحين أجلي ، ولأنّ تلك هي [....] أمنياتي ، إنّني أكتب لجلالتك حتّى تستخدمني حيث إنّني أتعهّد بتنفيذ أوامرك ، أتوسّل لجلالتك من أجل المحبّة والود اللذين أكنهما للخدمة في كنف جلالتك أن تأخذ بعين الاعتبار شؤون ملك هرمز وهو من رعاياك وأن تنجزها بكلّ الحقوق والمراسيم التي طلبها منك [.....] .

كل ما أرسل في طلبه يصبّ في مصلحة جلالتك ، ستكون جلالتك قد قدّمت لي خدمة جليلة في حال قبولك لي كوزير للملك وأن ترسل لي لتؤكد لي على هذا الأمر ، حيث إنّ والدي قد شغل هذا المنصب طوال حياته ، وكذلك أبناؤه ومَنْ مِن نسلهم .

أسأل الله إن شاء أن ينشر السّلام والصّحّة الجيّدة في رقعة ملكك .

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

بعث "جاسبار دو كاسال" "Gaspar do Casal" رسالة إلى الملك، بتاريخ عام ١٥٢٩م، بشأن شؤون هرمز بالكامل: [٩]

ملخص الخطاب الذي أرسله "جاسبار دو كاسال" إلى الملك، حيث سرد فيه بالتفصيل شؤون هرمز في أقسام، أحضره "أليكسو دي سوسا" على نفقة "أنطونيو دا سيلفيرا" "Antonio da Silviera".

يذكر القسم الأوّل رحيل سبع سفن وأمور تتعلق بمستودع الملك، ويشير القسم الثاني إلى المكان الذي تمّ إرسالها إليه، بينما يتناول القسم الثالث إمدادات الأرض والتلف الذي لحق بها ويسرد الفصل الرابع الخسائر المتكبدة من جراء عدم قدوم الخيول من البصرة، وأقسام أخرى كثيرة تعالج أموراً عديدة وهامة، لم يتمّ تدوين أيّ تاريخ أو عام.

سيّدي،

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

إنّني أكتب هذا الخطاب لجلالتك لأُطلِعك على شؤون هرمز بالكامل ، الخطاب مُقسَّم إلى فقرات ، وأحضره لجلالتك "اليكسو دي سوسا" ، وهو منّي أنا "أنطونيو دا سيلفيرا" :

– **بند** ، توضح الفقرة الأولى فكرة عن سبع سفن وأمور خاصة بمستودع جلالتك :

– **بند** ، تتحدث تلك الفقرة التي تليها عن جهة المتوجهة إليها وعن البصرة .

– **بند** ، تشرح الفقرة التّالية الإمدادات والأضرار التي لحقت بالبلاد .

– **بند** ، توضح الفقرة التّالية الخسائر المتكبدة من جراء عدم قدوم الخيول من البصرة .

– **بند** ، تشير الفقرة التّالية إلى أمور خاصة بـ [....] .

– **بند** ، تتناول الفقرة التّالية مصلحة الضرائب .

– **بند** ، تعالج الفقرة التّالية السرقات في المدينة .

– **بند** ، تتحدث الفقرة التّالية عن الرّوم والأتراك .

– **بند** ، تشرح الفقرة التّالية القوافل والبضائع قبل وضعها في مصلحة الضرائب .

– **بند** ، تحكي الفقرة التّالية عن خادم تابع لجلالتك يدعى "أنطونيو ميندیس" وما يفعله في تلك البلاد .

– **بند** ، تروي الفقرة التّالية عن خادم آخر وهو المحصل التّابع لك ويدعى "دييجو بيلجا" .

– **بند** ، تعالج الفقرة التّالية سفينة "غليون" من البنغال وما حدث على متنها .

– تتناول الفقرة التّالية سفينة "غليون" أخرى من "ملقة" وعن السّرقات التي كانت محملة على سطحها .

– **بند** ، تشير الفقرة التّالية إلى مترجم هرمز وعن سلوكه السّيّئ .

– **بند** ، تتحدّث الفقرة التّالية عن محصلك وعن الخزانة .

– **بند** ، تدور الفقرة التّالية حول "garda mor" السّابق "لويس فالكاو" "Luis Falcao"

– **بند** ، تتكلّم الفقرة التّالية عن ملك هرمز وما يحدث في تلك البلاد بينه وبين النّقيب .

– **بند** ، تدور الفقرة التّالية حول البحرين والمراكب الشّراعية التي ذهبت إلى هناك للمتاجرة في اللؤلؤ .

– **بند** ، تتمحور الفقرة التّالية حول الجائزة التي تمّ سرقتها .

– **بند** ، تذكر الفقرة التّالية أن تكلفة الحصن تُقدّر بثلاثين ألف "كروزادو" .

– **بند** ، تتناول الفقرة التّالية بيت "Oraquas" الذي أهداه إليه ملك هرمز .

– **بند** ، تتمحور الفقرة التّالية حول الإمدادات التي يرى ألا أحد يعبأ بها .

– **بند** ، توضح الفقرة التّالية الضّرر البالغ النّاجم عن تعيين مترجم في هرمز .

هذا كلّ ما سيتمّ ذكره بتوسّع في الخطاب المرسل إلى جلالتك ، وهو مجرد تذكير لتحديد الأمور التي تهمّك في الخطاب ، فكما قلت ، فقد كتبت هذا الخطاب كتذكير لجلالتك بالأمور ذات الأهمّية ضمن خدماتك .

أسأل الرّبّ أن يطيل عمر جلالتك ويوسع رقعة ملكك .

"جاسبار دو كاسال"

"أرماريو" "Armario "

(٢٥) داخل القصر الملكي

رزمة واحدة ، رقم ١٢٧

مرسل من "جاسبار دو كاسال" في هرمز

تذكيراً لما كتبه في رسائله

على الغلاف :

إلى مولانا الملك من "جاسبار دو كاسال" .

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

أرسل "كريستوفاو دي ميندوزا" "Cristovao de Mendonca" ، رسالة من هرمز في الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٢٩م ، إلـى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، يطلعه فيها على أحداث جرت في هرمز ، وخلافات معينة وحالة القلعة : (١٠)

مولاي ...

كتبت لسموّك عبر "مانويل دي ماسيدو" عن أمور عديدة تتعلق بمملكة هرمز هذه ، بعد مغادرة الحاكم ذهب "سيماو دا كونها" إلى البحرين ، لذلك سأقوم بإطلاع سموّك عن كلّ ما حدث هناك ...

عين ملك هرمز ريس بدر الدين ككبير للوزراء في البحرين ، وله صلة قرابة مع ريس شرف الموجود أيضاً هناك ، عندما أمرت سموّك بأخذ ريس شرف كسجين أراد الحاكم إبعاد ريس بدر الدين من البحرين على أساس جرائم كان يقترفها في البلاد .

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

بعث "بلشيور دي سوزا" قائد البحار على طول هذا السّاحل وكبير وزراء مسلم كان يفضله ويقدّره كثيراً ، على ظهر ثلاثة أو أربعة مراكب شراعية إلى البحرين . كان "بيلشيور" يحمل منه رسائل وأوامر كتابية من الملك إلى ريس بدر الدين ، يأمره فيها بتسليم القلعة إلى كبير الوزراء الذي يبعث به .

كما كان "بيلشيور دي سوزا" يحمل أيضاً أمراً من الحاكم بإلقاء القبض على ريس بدر الدين من قبل المجلس ليأخذ حذره ، سلمه "بيلشيور دي سوزا" الرسائل مباشرة بعد وصوله ، لم يكن ريس بدر الدين يريد تسليم القلعة إليه ، ولم يكن يثق به ...

جاءوا بتلك الرّسالة مرّة أخرى للحاكم ، قبل أسبوعين من مغادرته قرّر أن يبعث "سيماو دا كونها" إلى هناك للاستيلاء على القلعة من ريس بدر الدين إن كان ذلك في مقدوره ، أخذ "سيماو دا كونها" أربعمائة وخمسين رجلاً بمن فيهم كلّ النبلاء الذين فرّوا من "ممباسا" وآخرين كانوا هنا في هرمز .

غادر "سيماو دا كونها" هرمز ووصل إلى البحرين . عند وصوله بعث له ريس بدر الدين برسالة يقول فيها أنه من رعايا ملك هرمز ، وإنه لا يريد سوى السّلام ، لكن هناك العديد من الأشخاص الذين نصحوه بعدم قبول السّلام .

ذهب "سيماو دا كونها" إلى الشّاطئ ورأى أن القلعة محصنة جيّداً وليس كما أفيد ، هنا ، قاموا بإطلاع الحاكم بأنّها ليست سوى سياج وبالكاد قلعة . تمركز "سيماو دا كونها" وبدأ بإطلاق مدافعه ، لكن في

خضم المعركة نفذ منه الكثير من البارود ، وكان عليه إلى يبعث إلى هنا طلباً للمزيد .

في الوقت الذي بعثت له بالمساعدة كان معظم رجاله قد سقطوا مرضى ، حتّى إنّه في اليوم التالي كان بالكاد هناك من يستطيع أخذ المدافع إلى السّفن ... وأصبح من الضّروريّ إرسال مراكب شراعية من هنا ومعها رجال لإبحار السّفن .

من أربعمائة وخمسين أو أربعمائة وستين من الأشخاص الذين ذهبوا لم يبق منهم أحد قد نجا من المرض ، توفي أكثر من مائتين من الرّجال في هذه الحملة والعديد منهم على شفا الموت ، توفي "سيماو دا كونها" ، وأيضاً "فرانسيسكو دي ميندوزا" ، والكثير من النبلاء قضوا نحبهم بالحمى .

من الرّجال الذين بقوا على قيد الحياة لا يتعدى العدد مائة رجل ، ولولا ذلك لكانت كارثة ، لكنها معجزة شاءها الرّبّ ، أثق أن مع سموّك معلومات عن المدينة والقلعة عبر "مانويل دي ماسيدو" ، كما كتبت لك سابقاً بعد مغادرة "مانويل دي ماسيدو" ، أخذ خواجا إبراهيم كسجين وأيضاً العديد من رجال آخرين في هذه المدينة .

يقول الحاكم إنّ ملك هرمز طلب منه إلقاء القبض عليهم ، لكن كما كتبت سابقاً لسموّك فإنّ الملك يقول إنّ الحاكم هو الذي جعله يصدر تلك المطالب ، قطعاً ، سيّدي ، إنّ الأمر سيكون أفضل إن كان أولئك الرّجال قد سُجنوا وقُطعت رؤوسهم فضلاً عن أمور تتعلّق بالمال ، لا يصدّق أحد أنّهم سجنوا كعقاب لهم ، لكن من أجل أن تتمّ سرقتهم كما يحدث دائماً هنا .

غادر "دييجو دي ميلو" من هنا مع الحاكم دون أن يؤدي أيّاً من الديون التي يدين بها للملك أو أيّ شخص آخر ، كما ذكرت لسموّك في رسائلي ، ألزمت نفسي في هذا الشّأن بما هو مناسب أمام الرّبّ وسموّك باسم العدالة ولأجل تهدئة الأمور في البلاد .

الرّجال الذين غادروا هذا المكان سيقومون بإطلاع سموّك عن الكثير من المخالفات التي قام بها "دييجو دي ميلو" تجاهك هنا ، وهم يحملون أيضا نسخة من الحكم الذي أصدرته ضده نيابة عن ملك هرمز ، لا أدري أن كانت هي نسخة أصلية من التي توجد هنا ، آمل أن آتي بها لسموّك عندما أتمكّن من ذلك وأيضاً نتائج التّحقيقات التي أجراها القاضي الذي بعث به "لوبو فاز دي سامبايو" .

حالياً هي بحوزة الكاتب العدل الذي مازال يعمل هناك ، بالنّسبة للتّحقيق الذي أجراه الحاكم وسكرتيره ، إن كان سموّك قد وجده ليس كما ينبغي فعليك تكليفهم بما تراه مناسباً ، بخصوص الجزيات في هذه المملكة فإنّني أبذل قصارى جهدي لخدمة سموّك ولضمان سدادها جميعها .

من رأيي وعلى ضوء ما يؤديه الملك الآن وهو أكثر من ثمانمائة أشرفي وهو المبلغ الذي وافق عليه الحاكم ، إلا أنني أرى أن مبلغاً أكثر يجب أن يدفع إلا وبناء على أوامر سموّك لرجلك إذا شئت عدم الضغط على الملك أكثر من ذلك .

بالضّغط عليه أتمنّى أن نضع أيدينا على عائداته المالية والإشراف على نفقاته ، لكنّني لا أستطيع القيام بذلك دون إصدار الأمر من

سموّك . إن رأيت أن عليَّ البقاء هنا لعدة سنوات أكثر من هذه البلاد ، الأمر الذي التمسته عبر الدوق ، فإنّني سأقحم نفسي في هذا الموضوع .

إن منحتني سموّك وضعاً مناسباً حتّى يتمّ أداء ما هو مطلوب لسموّك بالرّغم من أنّ السّنة لم تنته بعد . في الحقيقة سيكون الأمر صعباً جداً وحتّى مستحيلاً القيام بذلك بأيّ وسيلة أخرى لأنّ البحرين قد ثارت ضدّنا ، وهي البلاد الأساسية التي تحت سيطرة مملكتنا ، بما أنّه لم يسدد أيّ شيء لك حتّى الآن ، فإنّنا إن ألقينا عليه القبض وأجبرناه على الدفع ، الأمر الذي علينا القيام به ، فإنّنا نكون قد عذرناه وسمحنا له بأداء ضرائب قليلة .

من المؤكد ، سيّدي ، حتّى لو لم يكن ريس شرف مخلصاً في خدمتك مثل شيخ راشد ، فإنّ رجلاً مثل شيخ راشد لم يولد في مناطق المسلمين تلك ليحكم هذه المملكة ، لكن ريس شرف كان رجلاً يخشى جانبه .

أخشى بوجود شخص بضعف شيخ راشد فإنّ الجزيات لن تجبى بالحزم المطلوب . بعد مغادرة الحاكم لهذا المكان ، جاءوني بأخبار عن الأتراك : أحد المسلمين الذين كانوا هناك عندما قتلوا ريس سليمان قال إنهم في خلاف شديد ، ويقتلون بعضهم بعضاً ... وعندما أعادوا تنظيم أنفسهم انضموا إلى مير حسين .

كان قائداً في "كمران" لكنهم نصبوه كقائد أوّل لهم ، ثمّ قام العديد من الرّجال بالإحاطة بـ عدن واحتلوا خزان المياه ، يقولون إن أربعمائة رجل جاءوا عبر البر والبحر ، على ظهر سفن تصل إلى ثلاث عشرة سفينة بين الصغيرة والكبيرة ، ونشب قتال عنيف في عدن .

تبعثر معظم الرّجال الآن في البلاد ، بعد أن استولوا على مكان المياه والبحر . حارب الأتراك كلّ يوم ضد الرّجال في عدن ، وقتل العرب العديد من رجالهم ، تكبد الأتراك خسائر فادحة في كلّ يوم ، السّبب الذي جعلهم يفضلون مغادرة المدينة ، فذهبوا إلى مكان بالقرب من عدن يُسمّى الجوفَ ، حيث وجدوا موقعاً جيّداً للمياه ، ظلوا هناك ولم يحاولوا إعادة تجميع من تبعثروا في المنطقة .

قبل اطّلاعي على هذه المعلومات ، أخبروني بأخرى : قالوا إنّ مير حسين ، الضّابط التّركي قد احتلّ عدنا ، واستولى على كلّ سفن النّواخذة البعيدة عن السّفن الضّخمة ، وقالوا إنّه لم يسمح لها بمغادرة الميناء لمنعهم من نقل هذه الأخبار للبرتغاليين .

جاءت أربع سفن إلى ظفار لحراستها ، الكثير من النّاس في هذه البلاد يخشون أن تكون عدن قد احتلت ، على أيّة حال اكتب لك ما علمت به لأنّ الرّجل المسلم أكد لي أن تلك هي الحقيقة ، وأنّ المعلومات الأخرى غير صحيحة . كان يعلم أن كلّ تلك الأشياء قد حدثت في عدن ، وقد رآها تحدث أمام عينيه .

أنا أصدر الأوامر كلّ سنة لجمع المعلومات عن الأتراك ، يعلم الله أنّني دائماً أفعل ذلك وهذه هي حصيلة ذلك : أرسلت مركباً شراعيّاً في وسط تجمّعاتهم حيث يستطيعون معرفة كلّ شيء . عندما تصلني المعلومات أقوم بإرسالها للحاكم في الهند .

فيما يتعلّق بالبصرة ، لازلت في حالة حرب هناك ، لأنّ القائد لا يريد إعطائي بعض المراكب التي له هناك . إن كان قادة هذه القلعة فعلوا

الكثير لكان أعطاهم ، وكنّا الآن في حالة سلم ، كلّما طال بقائي في هذه البلاد فإنّني لن أُبرم سلاماً معه ما لم يسلّمني المراكب الشّراعية لأنّها ضارّة جدّاً لخدمة سموّك .

لا توجد أيّ معلومات عن شيخ إسماعيل باستثناء أنّه في حالة سلم ، وليس في حالة حرب ، بخصوص هذه القلعة ، كما كتبت لسموّك سابقاً ، تركها الحكام في حالة سيّئة ، ليس معي سوى أربعة أو خمسة براميل من البارود ، لكن لا شيء معي لإصلاح المدافع التي هي قليلة العدد أصلاً .

من الضّروريّ أن تتمّ حمايتها بطريقة أفضل عن "رودس" "Rhodes" ، كما سيدرك سموّك ذلك فإنّ النّاس يأتون إلى هنا من كلّ بقاع الأرض ، من جنوا والبندقية ، سواء أكانوا أتراكاً ، يهوداً ، أرمن أو رجالاً من كلّ الأمم الأخرى .

أوّل شيء يودون القيام به عند وصولهم هو رؤية القلعة ، لكن رجلك الذي هنا لا يتركهم يشاهدونها لأنّها مثل الحظيرة من الداخل ، كما أقول لسموّك فإنّها في حاجة ملحة لكلّ شيء .

أما في الخارج فمعروف جيّداً أن أيّ شيء يحدث في الهند تصاب به من الأتراك نسأل الله أن يمنعه فإنّهم سيهاجمونها أوّلاً ، لأنّها قريبة للمضيق ، وهو أفضل موقع يملكه سموّك في هذه الأنحاء بما له من فوائد ، عليك بإصدار الأوامر للاهتمام بها ، ليس فقط في شكل توصيات للحكام ، لكن بإخبارهم ما يجب أن يقوموا به بالتحديد .

أنجزت تسوية نصف الأرض ، لكن وصول الحاكم إلى هنا قاطع عملي ، حتّى أنني لم أتمكّن من إنجازه بأكمله . أصدر أوامره بتوسعة القلعة ، لكنه لم يرصد لذلك أكثر من أربعمائة رجل ، يبدو لي عدم

الحاجة لهذه التوسعة طالما لا يمكن تعيين عدد أكبر من الرّجال ، قلعة ضخمة مع عدد قليل من الرّجال يبدو عملاً أقل من المطلوب .

كتبت سابقاً لسموّك عن عدم الموافقة لقدوم حكام إلى هنا ، وسموّك يدافع عن موقفه ، وتقول إن كان عليهم الذّهاب إلى هرمز فعليهم القدوم إلى هنا ، وعلى هذا الأساس فإنّهم جميعاً يأتون .

أفيدك مرّة أخرى بألا شيء يضرّ بمصالح خدمتك أكثر من هذا ، لأنّهم عند وصولهم ، يغدر النّاس هرمز ، طالما أنّنا نأخذ منهم منازلهم فيقومون بتدميرها وعدم صيانتها ، مما يؤدّي إلى انهيارها ، ويحرقون الأبواب عند الدّخول إليها .

بالإضافة لذلك يرتكبون جرائم ضدّ المسلمين ، ويجلدونهم ، مما يبدو أمراً غاية في الخطأ للأجانب ، يعاقب أحد الرّجال بينما يُترَك آخرون ، وذلك لكثرة عددهم ، بالرّغم من عدم حضور الحاكم إلا أنّ كلّ المجرمين معروفون ويخشون العقاب .

أطلب من سموّك أن تركز على حقيقة طالما أنّني القائد لهذه القلعة يهمنّي ويشغلني حضور الحاكم إلى هنا ، تقترب نهاية فترة رئاستي التي شرّفتني بها سموّك ، لكنك لم تمنحني أيّ شيء للمستقبل ، أعتقد أن "نونو دا كونها" القادم إلى هنا كحاكم يعلم جيّداً كيف خدمتك أنا بطريقة ممتازة بالرّغم من أن هذه المعلومة أحبطته كثيراً .

ذلك لأنّه تأثر كثيراً بأعمال البناء التي قام بها "دييجو دي ميلو" هنا عن تلك التي أنجزتها أنا ، سيعلم سموّك عن كلّ هذا مطولاً ، لكنّني أطلعك هنا لأنّ ذلك يبدو لي يصب كثيراً في خدمتك .

إنّه من الأمور الحيويّة للمترجمين في هذه القلعة أن يتميّزوا لأنّها مهنة هامـة . عندما وصــل "نونو دا كونـــها" كان "أنطونيو دي نورونها" "Antonio de Noronha" موجوداً هنا وهو في طريقه الآن لمقابلة سموّك ، ترك معي كمترجم شاباً لا يعرف حتّى الفارسية أو أيّ لغة أخرى ، كما يفتقد الأمانة ، ويقدّم الحلوى لرجال السكرتارية الذين يغفلون عن سوء خدمات عظيمة لسموّك ، وقد طلب منه ملك هرمز عدم القيام بذلك ، ألفت انتباه سموّك لهذا حتّى تتخذ الإجراءات المناسبة .

اشتكى "دييجو دي ميلو" للحاكم هنا بإنّني أصدرت حكماً ضده قاصداً سوء النّيّة به ، لذلك أشاع الشكوك حولي ، واجهت كلّ ذلك بدفاع نزيه ، أصدر الحاكم الأوامر لتتمّ مساءلة الشّهود ، وأن يتمّ التّحقيق خلف الأبواب ، ثمّ يبعث بتقرير عنه لسموّك .

كنت كثير الشك بالحاكم في هذه القضية لأنّ سكرتيره يقضي في منزل "دييجو دي ميلو" كلّ الليل وأيضاً لأنّ الحاكم قال إن "لوبو فاز" تصرف بطريقة غير سليمة في تكليفي بإنزال العقوبات نيابة عنه ، بعثت سموّك برسالة للحاكم مقدماً لهم توصيات محددة عن الجرائم والمظالم في هرمز التي مازالت بحوزتي والتي عملت طبقاً لها دائماً في كلّ المسائل .

ألتمس من سموّك أن تطّلع على هذا ، راجياً أن تتأكّد من عدم وجود أيّ سبب يدفعني لإلحاق الأذى بـ "دييجو دي ميلو" ، لأنّه كما هو معروف فإنّه قريب جدّاً منّي ، قمت بكلّ ذلك فقط من أجل خدمة الرّبّ وخدمة سموّك ولمعاقبته لسلوكه غير السّويّ وعدم أمانته هنا .

نسيت كلّ شيء جرياً وراء خدمة سموّك ، وكلّ الأسباب التي وراء عدم التسبّب له في الأذى ، لهذا السّبب فإنّني ألتمس من سموّك أن تتعامل مع هذه المسألة بما تستحقّ من حرص واهتمام .

كتب في هرمز بتاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام **١٥٢٩**م .

أقبل يدي سموّك الكريمتين .

"كريستوفاو دي ميندوزا"

وفي العام نفسه (١٥٢٩م)

جاء خطاب أرسله قس هرمز "أنطونيو لوبيز" "Antonio Lopes" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٢٩م ، جاء فيه : [١١]

خطاب أرسله قس هرمز إليَّ فور ذهابي إلى (البحرين) ، أرسلت النسخة الأصلية منه من خلال طريق آخر .

أرسلت خطاباً إلى عظمتك عن طريق "رافائيل نونيس" "Rafael Nunes" ، أوضحت فيه فكرة عن الأمور التي أرغب في معرفة معلومات عنها لا أستطيع أن أجدها كما يقول البعض في المحيط الخارجي لأنّها تعد أسراراً ، ولن أتحدّث عمّا حدث هنا إلا بعد رحيل الحاكم من هنا ، الذي أرسل أخاه "سيماو دي كونها" إلى "باريم" (البحرين) قبل أن يرحل من هنا .

حيث إنّه رأى أن الأمر غير مهم بالنسبة له ، أرسله بتجهيزات سيّئة للطريق ومعه حوالي أربعمائة رجل غريب الأطوار ، وكان العدد الأكبر

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

غير المسلح من أولئك هم الذين جاءوا هذا العام على الرغم من أن أغلبهم كانوا من النبلاء ، وكان الأسطول الذي أخده يتكون من خمس سفن ، بجانب المراكب الشراعية ذات الصاريين ، ولم يحمل سوى برميل ونصف من البارود .

قاموا بتحيّته فور وصوله إلى الميناء ، واستخدموا نصف كمّية البارود ، ونزلوا جميعا من السّفن ونصبوا المعسكر وأقاموا محطّة للأسلحة التي كانت معهم ، وبدأوا بإطلاق النّيران نحو الجدران ، وأرسل الشّيخ الذي كان بالداخل رسالة مفادها أنّه لا يمكنه أن يشعل ثورة ضد الحصن لأنّها ليست ملكا له .

يعدّ هو فقط من رعايا ملك هرمز ، وأن يسمحوا له بالمغادرة هو وزوجته وأولاده ، وسيترك الحصن ، وسأخبر عظمتك لماذا لم يغادر الحصن قبل وصول الأسطول ، حيث إنّ "باريم" (البحرين) يا سيّدي تعد جزيرة كبيرة ويحيط بها البحر ، وقد تمّ نصح البرابرة (المسلمين) من قبل لرغبتهم في الاستيلاء على كلّ ثروته .

قال إنّه لن يكون بذلك طائعا لملك هرمز ، وحيث إنّه قريب (ريس شرف) ، أرسل الحاكم في الحال فور وصوله ثلاث مراكب بصاريين متجهة نحو "باريم" (البحرين) لتقوم بحماية ممرات الجزيرة ، وتمكّن بذلك من اعتقال ريس شرف ، لأنّه على الرغم من أن تلك الجزيرة تابعة بأكملها للملك ، فقد كانت تحت سيطرة ريس شرف ، ونصب فيها حاكماً كما لو أنّها ملك له واستولى على كافة إيراداتها .

قد ملأ الجشع قلوب الرّجال حتّى باتوا لا يهمهم سوى الحصول

على ثروة أكبر نتيجة لذلك أن قاموا بالاستيلاء على الحصن حيث إنّهم لم يبالوا برسالة البربري ولا بأعلام السّلام التي أمر برفعها على الجدار ، فقد اقتحموه ودمّروا جانباً من الجدار بالبارود الذي تبقى معهم بعد تحية الميناء .

قد تركزت النّيران على جانب بعينه من الجدار حتّى أصبحت الثغرة كافية لمرور مائة رجل ، وعندما حدث ذلك ، عقدت مجالس تدور حول ما إذا كان ينبغي لهم أن يدخلوا ، فأيّد البعض الدخول ورأى الكثيرون أهمّية إرسال طلب المزيد من البارود إلى هرمز ، ثمّ يقومون بتسوية الحصن بالأرض حتّى لا تشكل خطرا على أحد ، وأرسلوا إلى هرمز لطلب البارود وأشياء أخرى مهمة للحرب .

قضوا ثلاثين أو أربعين يوما بعد أن أرسلوا في طلب البارود ، عاشوا خلال تلك الفترة منعمين بكافة أشكال الترف والكثير من الفاكهة وخاصة الرمان الذي كان هناك الكثير منه في الجزيرة ، ووقف السّكّان الأصليون إلى جانبنا وساعدونا في كلّ شيء .

بسبب كلّ هذا التأخير في انتظار البارود ، بدأ المرض يصيب الرّجال ، وحينما وصل كان المرض قد تمكّن منهم ، وأنهك بالفعل مائة رجل عجزت السّفن عن حملهم ، وأمر "سيماو دا كونها" أن يتمّ ذلك في الصباح ، وعندما بدأ في حشد رجاله وجد مائة مصاب آخر في قائمة المرضى بجانب أولئك المصابين في السّفن .

بسبب تلك الأوضاع تمّ عقد مجلس ، رأى فيه البعض أن يقوموا بالمهاجمة بمساعدة السّكّان الأصليين الذين هم في صفنا ، وظلّ هذا

المجلس منعقدا حتّى اتّضح لهم أن لديهم خمسين أو ستين رجلاً أصّحاء ، وعليه قرر "سيماو دا كونها" أن يستقلوا السّفن .

عندما قاموا بذلك ، وُجد أنّه لا يوجد أيّ رجل برتغالي يجرّ المدافع للسّفن ، فقام السّكّان الأصليون برفع المدفعية على متن السّفن ، وركب المرضى وكذلك كلّ من كان يساعدنا في سفنهم وغادروا الجزيرة .

عندما ركب "سيماو دا كونها" في سفنه ، وصلت رسالة من البربري (الحاكم المسلم) أنّه قد حزن كثيرا لمصابهم ، وأنّهم إن كانوا في حاجة إلى ماء أو أيّ أشياء أخرى للمرضى لأرسلها لهم ، وقد أرسل ماء كثيرا والكثير من الزّبيب والرّمان ، وقال البعض أنّه فعل ذلك ليتّضح إن كان خائنا للبرتغاليين أو لملك هرمز .

حيث إنّه تمنّى قتل جميع رجالنا لأنّ كلّ شيء حدث أمام عينيه ولم يدافع عن نفسه فيما عدا ألا يأخذوا ثروته ، وإنّه من رعايا الملك ، ولم يكن بداخل الحصن أكثر من خمسمائة من رماة السهام ، وبعد أن رحل "سيماو دا كونها" ، لم يجد أيّ شخص يقود السّفن وبدأوا في الانجراف في ذلك البحر دون أمل في النجاة .

بدأ الموت يقتنص العديد منهم ، ومرض من كان صحيحا ، ولم يكن هناك سوى بعض الزنوج كانوا قادرين على تحمل أمور السّفن ، ووصلت تلك الأنباء السيّئة إلى هرمز ، وأخذ النقيب على الفور بعض المراكب (التيرادا) وأرسل عددا كبيرا من الرّجال على متنها للبحث عن السّفن ، ووجدوها في تلك البحار في حالة يرثى لها دون ماء أو أشخاص يقودون السّفن ، ليس لهم سوى رحمة الرّبّ .

مات "سيماو دا كونها" والكثير من النبلاء في البحر ، وكان الباقون جميعا مرضى ، وتمكنوا من إنقاذ السّفن بمساعدة الرّجال الذين تمّ إرسالهم من هنا ، ووصلوا جميعا إلى هرمز ، وكان جميع الرّجال مرضى ولا يوجد بينهم رجل واحد معافى ، وحتّى يومنا هذا وصل عدد الموتى إلى حوالي مائة وعشرين ، وكان البعض راقدا من المرض وقد يئس من شفائهم .

أرجع البعض كلّ ما حدث إلى وضعهم في البحر ، ولكن قال الذين يعرفون الأرض أنّ الأمر لم يكن كذلك وأن الملاريا كانت منتشرة في تلك الأرض في هذا الفصل .

أكتب هذا بالتفصيل لعظمتك حتّى تكون على وعي تامّ بما يحدث في مراكزنا ، حيث لدينا حوالي خمسة عشر رجلاً مصاباً ، منهم خمسة أو أربعة مصابين بالبنادق ، ومن بينهم "بلشيور بالهارتيس" "Belchior Belhartes" ، وأذكر اسمه لأنّه خادم حقيقي لعظمتك ، فقد توفي متأثرا بإصابته التي تلقاها من سهم أصيب به وهو على أبواب الحصن ، حيث ذهب للتّجسّس على الباب .

تمّ إرسال ذلك مع زورق كرافيل على عجل شديد ، حيث لم يكن هناك من وقت غير أن أكتب لك هذا ، كتبت لعظمتك في هذا الخطاب كلّ ما لدي ، ولا يسعني إلا أن أدعو دوما لمولانا بحياة عظمتك وغفرانك ، وأقبل يديك سيّدي .

حرر في الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٢٩م ، ممن يدعى "أنطونيو لوبيز" .

أحداث عام ١٥٣٠م

علـم بتاريـــخ شهر يناير من العام ١٥٣٠م أن القائد التركي ريس سليمان قد تمّ قتله ، وأن مصطفى وخواجا صفر من القادة الأتـراك ، لم يجـرُؤا على العودة إلـى "جدة" أو السويس ، بسبب تورطهما في خيانات مع الأتراك وبالتالـي قررا أن يقوما باحتلال عدن وتنصيب مصطفى ملكاً عليها ، ويكون منصبه ومقره هناك ، جاءت تلك الأحداث في كتاب تاريـخ اكتشـاف وفـتح الهـند بواسطـة البرتغاليـين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، من الفصل الرابع عشر إلـى الفصل السادس عشر : [١٢]

الفصل (الرابع عشر)

لقد سبق أن قيل إن "هيتور دا سيلفيرا" "Heitor da Silviera"

---

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

قد أبحر من "غوا" في يوم الحادي والعشرين من شهر يناير ١٥٣٠م متجهاً إلى "رأس قواردفوي" بالأسطول الذي وصفناه ، والذي حمل فيه ستمائة من البرتغاليين ؛ وعندما بلغ موقع التوقف الذي كان عليه أن ينتظر فيه ، إلى حين وصول سفن المسلمين ، قام بنشر سفن أسطوله لكي يغطي أكبر مساحة ممكنة ، بحيث لا يسمح بمرور أية سفينة قادمة دون ملاحظتها وفحصها .

أثناء انتظاره كان قد اشتبك ضد سفينة ضخمة من سفن المسلمين "المالاباريين" الذين دافعوا عن أنفسهم بشجاعة ، لكن لم تستمر مقاومتهم طويلاً ، إذ تمكن رجالنا من الاستيلاء عليها ، وقتل الكثيرين من رجال العدو ، باستثناء مجموعة صغيرة علم منها "هيتور دا سيلفيرا" أن هذه السفينة تؤول إلى حاكم "مانقالور" ، وأنها تحمل شحنة من البهار والسلع التجارية .

كانت فرصة عظيمة حين استولى رجالنا على هذه السفينة ، إذ تبين "لهيتور دا سيلفيرا" أن المراقبة الحذرة التي قام بها رجاله في ساحل "مالابار" قد مكنته من الاستيلاء على هذه السفينة التي تبين أن شحنة البهار تلك كانت عليها هي الوحيدة التي تم نقلها في ذلك العام . بعد الاستيلاء على هذه السفينة التي اعتبرت شحنتها غنيمة غالية ، التقى "مارتن دي كاسترو" "Martin de Castro" سفينة أخرى كانت مبحرة في طريقها من "ديو" محملة بالأقمشة من "كامباي" .

كانت تحمل على متنها مئتين من المحاربين من بينهم الكثيرين من الأتراك ، بينما كان لدى "مارتن دي كاسترو" أربعين رجلاً فقط ، ونشب

الصراع بين الطرفين حيث استمر لفترة وجيزة ، تمكن رجالنا خلالها من الاستيلاء على سفينة المسلمين ، وكان "مارتن دي كاسترو" محارباً جرئياً شجاعاً ، لذا فقد كان أول من قفز إلى سطح سفينة العدو ، حيث لحق به جنوده ، وظل العدو يرشقهم بالسهام والحجارة دون جدوى .

بعدما تم تفريغ السفينة من حمولتها ، استؤنف القتال بشكل أكثر ضراوة وعنفاً ، لأن المسلمين فعلاً كانوا محاربين أشداء ، وقد قاتلوا ضد رجاله بشجاعة نادرة ، لكن لم يحالفهم الحظ ، إذ إنهم قُتلوا جميعاً دفاعاً عن سفينتهم ، وفي هذه المعركة تلقى "مارتن دي كاسترو" وحوالي عشرة أو اثني عشر رجلاً جراحاً عميقة بسبب شدة ذلك القتال الشرس .

عندما تم الاستحواذ على تلك السفينة ، تبين أنها تحمل بضائع ثمينة تستحق الجهد الذي بذل في سبيل الاستيلاء عليها ، وبخلاف هاتين السفينتين ، أيضاً تم القبض على سفن أخرى بواسطة قباطنة آخرين دون حدوث أي اشتباك ، وكانت فوائد السفينتين فوائد عظيمة ، ومن خلال استجواب الأسرى الذين تم اعتقالهم .

علم "هيتور دا سيلفيرا" أن الغالبية العظمى من السفن القادمة من "ديو" ومملكة "كامباي" قد عبرت بالفعل إلى "هونور" ، لأنها كانت قد توقعت ذهاب الحاكم إلى "ديو" في ذلك العام ، لذا فقد غادرت بشكل مبكر حتى لا يتم القبض عليها . عندما علم "هيتور دا سيلفيرا" بهذا ، أدرك أن في بقائه في المنطقة مضيعة للوقت ، وعليه أبحر فوراً إلى مدينة "مايت" ، بينما أمر بقية القباطنة أن يلتقوا ثانية بعد إكمال مهامهم في القبض على السفن .

الفصل الخامس عشر :

لقد وردت الإشارة في الكتاب السابع إلى أن القائد التركي ريس سليمان قد تم قتله ، وأن مصطفى وخواجا صفر لم يجرءا على العودة إلى "جدة" ، أو السويس ، بسبب تورطهما في خيانات مع الأتراك ؛ وبالتالي قررا أن يقوما باحتلال عدن ، وتنصيب مصطفى ملكاً عليها ، وسوف يكون له منصبه ومقره هناك .

تمكن مصطفى من جمع حوالي عشر سفن شراعية تعمل بالمجاديف بمختلف أحجامها الصغيرة والكبيرة ، وذلك من أسطول (سليمان ريس) ، وجلب أيضاً أربعين سمبوكا وجلفا ، ثم أبحر إلى عدن ، حيث وصلا إليها سريعاً ومعهما ستمائة محارب من الأتراك ، ومجموعة من المواطنين الذين انضموا إليهما ، للحصول على شيء من المال .

سرعان ما تمكن من تطويق عدن ، وضرب حصار عليها من جانب البحر والبر ، وبعدها أمر ببناء ملجأ ، عمل على وضع أربعة "باسيليسك" في المكان ، وعمل على استخدامها في هدم الحيطان الموجودة هناك عدة مرات ، حيث كان المسلمون يعودون لبنائها ، لقد كان المسلمون رجالاً شجعاناً جداً في دفاعهم بشكل مستميت ، الأمر الذي كشف عن عدم مقدرة مصطفى على احتلال المدينة ، إذ إنه ظل يحاصر المدينة قرابة الخمسة أشهر .

خلال هذه المدة الطويلة هلك الكثيرون من فقراء السكان من جراء الجوع والعطش . عندما علم مصطفى أن أسطولنا قد أبحر في المضيق ، خشي أن يتجه هذا الأسطول إلى عدن ، كما سبق أن حدث في الماضي ، إذ

ربما يقومون باحتلالها ، لأن سكانها قد ضاقوا بتلك الحرب ؛ لذا فقد عمل على رفع الحصار ، ومن ثم ذهب إلى "كمران" تاركاً عدن وشأنها .

الفصل السادس عشر :

بعدما تجمعت سفن أسطولنا في "مايت" ، قام "هيتور دا سيلفيرا" بإرسال السفن والمراكب التي تم القبض عليها في مسقط لبيعها ، ومن ثم أبحر متجهاً إلى عدن ، لأنه تلقى أوامراً من الحاكم بضرورة الذهاب إلى هناك لكي يلقي نظرة ، بعدما يفرغ من مسألة القبض على سفن العدو ؛ وعليه أن يقبض على كل سفينة موجودة في الميناء ، يرى إنها ذات فائدة .

بخلاف ذلك ، فعليه أن يغض النظر عنها ، كما يجب عليه أن يرسل رسالة إلى الملك كي يخبره فيها بأنه إذا ما كان يرغب في أن يصبح تابعاً لملك البرتغال ، فعليه أن يدفع جزية سنوية ، وإنه سوف يساعده في ذلك بكل السبل الممكنة ، وبالنسبة للحرب ، فقد عرف ما حدث بين عدن والأتراك ، لذا فهو يرسل ذلك الأسطول لمساعدته .

في الرابع من شهر إبريل ، وصل "هيتور دا سيلفيرا" إلى ميناء عدن ، وبعدما أُلقيت مراسي السفن ، قدم لزيارته بعض القادة المسلمين ، حيث جاءوا بالإنابة عن الملك ، وكانوا قد حملوا له هدايا كثيرة من المؤن الغذائية مثل الأبقار والدجاج والخراف ، وجاءوا برسائل تحتوي على معاني الصداقة العميقة ، حيث خافوا من بطش أسطولنا

في إطار ما يعلمه الملك ، صمم رجالنا على قبول الصداقة ، خاصة

وإنه لديهم خبرة كبيرة في التعامل مع الأتراك في الحرب ؛ وعليه فقد اجتمع بهم من خلال إبداء مظاهر هذه الصداقة ، وفي هذا الجو المفعم بالبلبلة والارتباك ، أرسل رسالة إلى "هيتور دا سيلفيرا" يستفسر عن سبب قدومه ، فأجاب "هيتور دا سيلفيرا" مبيناً إنه جاء تنفيذاً لتوجيهات وأوامر الحاكم ، وقد تلقى أخباراً في "سوقطرة" تفيد بهروب الأتراك بعيداً وان الملك لم يعد في حاجة للمساعدة .

كان عليه أن يقوم بنشر وتوزيع سفن أسطوله حتى تقوم بأداء واجبها المناط بها ، وهو القبض على السفن والاستيلاء عليها . بعد ذلك ، كان قد سعى لإقناع الملك لكي يقبل بتعيينه والتزامه بدفع الجزية لملك البرتغال ، وعرض عليه أن يساعده ويدعمه ضد الأتراك ، إذا ما عادوا ثانية ، وكان قد أرسل إليه شيئاً حسب أنه سوف ينال رضاءه وإعجابه ، ومن ثم سيجعله يفعل كل ما يطلبه منه .

قد رد الملك بقوله : إنه ظن أن الحاكم سيشكره على بقائه في الحرب ضد الأتراك ، وهم أكثر الناس لؤماً وخطورة وأكثر الناس عداوة لمجتمعنا ، ولعل رغبة البرتغاليين الوحيدة هي أن تستخدم . عدن كموقع جيد للتقدم نحو الهند ، وبالتالي كان سيسعد ملك البرتغال بصداقته دون دفع جزية أو أي شيء آخر من هذا القبيل .

بعدما أيقن "هيتور دا سيلفيرا" بأن الملك يرفض فكرة التبعية هذه ، قام بإرسال رسالة يقول فيها إن أفضل مكان على الإطلاق يمكن للبرتغاليين مواجهة الأتراك فيه هو مدينة عدن ، ولو أنهم ظلوا حتى الآن صامدين دون أن تطالهم الهزيمة ، فذلك بسبب اضطرار السفن

للمرور عبر أماكن ضيقة غير معروفة لديهم ، ولذلك فإن حدسه يشير له بأن الملك سوف يقبل .

بعدما جرت المراسلات بينهما ، رأى الملك في نهاية الأمر أنه يجب أن يصبح تابعاً لملك البرتغال ، حيث ظل منذ ذلك الوقت يدفع جزية لملك البرتغال تقدر مبلغ ألف "أشرفي" في العام ؛ ومن ثم تم تحرير اتفاقية اشترط فيها أن الحاكم يتعهد بتقديم المساعدة لملك عدن ضد أعدائه ، وإن سفن عدن يجب أن تبحر في أمن وسلام إلى أية جهة ترغب في الوصول إليها باستثناء مكة .

بعدها تم التوقيع على هذه الاتفاقية ، بواسطة الملك و"هيتور دا سيلفيرا" ، وبعدها أعطى الملك "هيتور دا سيلفيرا" مبلغ ألف وخمسمائة "أشرفي" ، وكان قد أصدر أمراً بأن يصار إلى عمل تاج لملك البرتغال يتم تصنيعه في هرمز ، بحيث يكون دليلاً على تبعيته ، بينما كان إيتور داسيلفيرا ينظر على تلك الاتفاقية ، كان ملك "الشحر" قد أرسل له رسالة أعرب فيها عن رغبته بأن يصير تابعاً لملك البرتغال ،

أشار بأنه سوف يقوم بتسليم أسلحته المدفعية التي يملكها في الشحر وفي ظفار ؛ وناشد "إيتور" بقوة بالتفضل بالذهاب إلى هناك لتحرير الاتفاقية ، ورد عليه "إيتور" قائلاً إنه قد قبل بالملك كتابع لملك البرتغال ، لكنه لم يستطيع الذهاب إلى هناك نسبة لضيق الوقت ، ولكنه وعده بأنه يرسل أحد ثقاته لكي يقوم بعمل الاتفاقية التي تحدث عنها .

أراد "إيتور داسيلفيرا" أن يرحل ويطلب من ملك عدن ترك سفينة حربية وثلاثين من رجال البرتغاليين تحت قيادة "أنطونيو بوتلهو"

"Antonio Boutelho" وهو خادم ملك البرتغال وأحد ثقاته ، وقد وجهه كي يذهب إلى الهند بعد أن ينتهي موسم "المونسون" ، وأن يمر في طريقه على مدينة الشحر لزيارة الملك بالإنابة عنه ، وإبلاغه بأنه قد خوّله لعمل الاتفاقية المعنية ، والتي قد حررها إلى عدن ، وأن يزوّده بالتوجيهات الخاصة بهذا الأمر .

بعد عمل هذا ، غادر "إيتور داسيلفيرا" متجهاً إلى هرمز ؛ وعند مروره بـ مسقط وجد أن السفن التي استولوا عليها مسبقاً قد بيعت ، وكان المبلغ الذي استلمه ملك البرتغال لقاء مبيعات هذه السفن قد بلغ اثنين وثلاثين ألف "بارادوا" ، وفي مسقط بلغته أخبار "فرانسيسكو دي فريتاس" "Francisco de Feritas" ، قبطان السفينة الحربية التي تركها في "مايت" مع سفينة أخرى استولى عليها لكي تؤخذ إلى مسقط .

بعد رحيل "هيتور دا سيلفيرا" وصلت مركب شراعية تحمل ثلاثين رجلاً من الأتراك وعشرة من العرب ، وعندما رأوا "فرانسيسكو دي فريتاس" أدركوا فوراً أنه مبحر في سفينة برتغالية ، ولذلك اتجهوا لكي يستولوا عليها ، وبالرغم من أنه لم يكن معه أكثر من عشرة رجال ، إلا أن الأتراك عجزوا عن التغلب عليهم .

على الرغم من استمرار الاشتباك لوقت طويل نوعاً ما ؛ فقد اضطروا لأخذ فترة من الراحة ؛ وعند عودتهم لمواصلة القتال شاءت إرادة الرب أن تكون الغلبة لرجالنا الذين قاتلوا الأتراك والعرب بشجاعة رغم قلة عددهم ، وتمكنوا من قتل الجميع باستثناء مرتد برتغالي واحد

كان معهم حيث تمكن من الهروب بإلقاء نفسه في البحر ، ومن ثم بدأ ينادى بأنه مسيحي ، وهذا سبب إنقاذه .

كان اسم هذا الرجل "أنطونيو بوكارو" "Antonio Bocaro" ، وكان يقيم مع والده الذي يعمل قائداً في قلعة هرمز ؛ ولعل لؤمه قد جعله يهرب إلى البر الرئيس ، حيث أسلم هناك ، لكن لم يعره المسلمون هناك أي اهتمام ، وكانوا يحتقرونه ، ومؤخراً أصبح معسراً فقيراً ، فاتجه للعمل حائكاً للثياب لكي يوفر قوت يومه ، وبعد ذلك انضم للأتراك ، وقد قدم لهم مساعدات في المعركة التي انتهت مؤخراً ، إذ بعد القبض عليه أشار البعض بأنهم قد رأؤه وهو يطلق النار .

في تلك المعركة قُتل اثنان من البرتغاليين ، وأصيب البعض بجراح ، ومن مسقط أبحر "إيتور داسيلفيرا" إلى هرمز ، لكي يقضي فترة "المونسون" هناك ، وبنية الإبحار من هناك إلى "ديو" في أواخر شهر أغسطس ، وبالفعل قضى كل شهر سبتمبر هناك دون أن يفعل شيئاً ، وبعد ذلك أبحر إلى "غوا" في شهر أكتوبر .

وفي العام نفسه (١٥٣٠م)

بعث ملك هرمز رسالة إلـى "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" مـلك البرتغـال للإفادة أنّه بواسطـة "مانويل دي ماسيدو" "Manuel de Macedo" ، فإنّ ملك هرمز قد أرسل بعض الأغراض ، وهي مائة حبة لؤلؤ للملكة ، وسيف للملك ، ويطلب منه أن يرعاه دائماً ويشفق عليه ويتعطف بخصوص الأمور التي وقعت في هرمز : (١٣)

ترجمة رسالة من ملك هرمز إلى سيدنا الملك عام ١٥٣٠م :

أيّها الغني العظيم المعظم ، المشرف والممتدح من طرف القديسين ذوي المكانة والشّرف ، المتحقق ومستجاب الرغبات ، الكامل في الحق وبالحقيقة لك الخطوة ، القوي المنّيع عن كلّ المسيحيين ، الممجد بكلّ مشاعر المسيحية ، الشفوق الرؤوف بالضعفاء ، الذي يكتب عنك العلماء وسيكتبون .

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

إن الرّبّ قد أرسل نبيّه جون حتّى يمكن للمسيح التّحقّق بكلمة الرّبّ ، سيّد كلّ الأزمنة وصاحب المعجزات الحقّة ، الشّافي للأبرص والمعيد السمع للأصم ، هو الذي أعاد الميت إلى الحياة ، فليكن هو كلّ صلاتنا للأبد ، حتّى يوم الحشر والقيامة والحساب .

أيّها الملك العادل العظيم "جواو" ، الذي زاد الرّبّ في أيّامه ومنعته وملكه ، شرفه وعدالته ، ومنحه كلّ أمانيه وبالمثل رغبات شعبه في هذه البلاد وما سيكون له في القادم من الأيّام .

أيّها السّيّد النّبيل ، لطالما طلبت لك الصّحّة والسّلام والشّرف الرفيع ، فإنّت يا صاحب الجلالة وليعلي الرّبّ من مقامك ، وليعظّمك إلى الأبد بالسّلام والصّحّة لتحقق ما تطلب دائماً .

بعد اعترافي لجلالتكم بنواياي الحسنة ، فإنّني لآمل أن أبلغ جلالتكم أنني أكتب لكم بواسطة "مانويل دي ماسيدو" ، فلقد أعطيته سيفاً منقوشاً بجمال وبراعة للحاكم "نونو دا كونها" ، وذلك لأجل أن يرسله إلى جلالتكم ؛ بيد أنّه لم يرغب في ذلك وأمر "مانويل دي ماسيدو" بألاّ يأخذه منّي .

لقد عملت بإخلاص مع "نونو دا كونها" ، ولكنه لم يرغب البتة في أخذه ، قلت له إنّها أمنيتي ورغبتي أن أرسل السيف إلى ملك البرتغال ، فوافق على المبدأ ، ولكنه فيما بعد عزف عن أخذ الهدية ، وطلب من "مانويل دي ماسيدو" أن يأخذها هو ، أردت من "مانويل دي ماسيدو" أن يأخذ الهدية لأنّه خادم مطيع مخلص لجلالة ملك البرتغال .

لم يرغب الحاكم أبداً في أخذ الهدية لا في بداية الأمر ولا في منتهاه ،

بل وفضّل أن أقوم بدفع ثمانمائة ليكوس عوضاً عن السيف ، وعندما وصل "نونو دا كونها" إلى مسقط ، قالوا لي إنه قال إن جلالتكم لن ترغبوا في السيف ، وإنه سيكون من الأفضل لي ذلك ، لهذا السّبب لم يرغب في أخذ هديتي لجلالتكم ، أملي في الله ، وفي جلالتكم أن ترسلوا لي في طلب السيف ، إنه شديد الجمال ، ولسوف أقدمه خدمة لكم .

لذلك أريد جلالتكم أن تعلموا أنني بوساطة "مانويل ماسيدو" قد بعثت بعدد مائة حبة لؤلؤ وبعض العنبر (الكهرمان) وبعض المسك إلى جلالة الملكة ، لم يسعفني الوقت لإرسال المزيد ، فإنّ "مانويل دي ماسيدو" .... و ... إنه سوف يحدث جلالتكم عنّي وعن كلّ الأمور الأخرى التي وقعت ورآها وفيما يتعلّق بهذه المناطق ، أسأل الله أن تراعينا دائماً وتشفق علينا وتعطف .

إنّني رجل مخلص ووفيّ ، ولسوف أخدم دائماً وأقوم بما تأمرون به ، وكلّ ما يمكن أن تتطلبه جلالتكم ، ولسوف تعرف أن القائد "كريستفاو دي ميندوزا" ، والذي هو السّيّد الحاكم هنا دوماً هو مشغول بخدمة جلالتكم وتنفيذ قوانينكم .

إنّني أطلب من جلالتكم لما قام به أن تذكروه وأن تتمّ مكافأته دائماً .

إن كلّ أهالي هرمز يلهجون للمولى عزّ وجل بالشكر والعرفانّ لأجل طول العمر والحياة الرغدة لجلالتكم .

وإنّني أكتفي بهذا ، والسّلام .

وفي العام نفسه (١٥٣٠م)

بعث "كريستوفاو دي ميندونزا" "Cristovao de Mendonca" رسالة إلى دوق "براجانزا" "Braganca" ، من هرمز في الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٣٠م ، وفيها يصف أن البحرين غير صحية ، وأن شاه إسماعيل الصفوي في قرب مع الخراسانيين : [١٤]

سيّدي ، تسلّمت رسالة من سيادتك تخطرني فيها بأنّك لم تجرؤ على طلب الإذن من الملك نيابة عنّي وتبعثه لي .

الحمد لله أنّ ريس شرف موجود هناك ، سيقول الحقيقة وليس فقط ما يقولون من أنّني قد طلبته منه في الهند ، كما لا يمكن لأحد أن يدعي أنّني طلبت مساعدته هنا في هرمز ولو بـ "سيتال" (عملة صغيرة) واحد ، لا هدية ولا كقرض .

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

ذهب المترجم إلى هناك وهو أيضا سيقول الحقيقة ، بما أنّني بالكاد طلبت منه أيّ نقود لأنّني وجدته مفلساً تماما ، لذلك كان أكثر معقولية منّي أن أقرضه بعض المال ، فالحمد لله ، عندما جئت إلى الهند ، لم يكن ينقصني المال لأفعل ما أريد وما أرغب فيه ، لن أضيف الكثير عن هذا لسيادتك لأنّني أؤمن تماما بأنك ستعلم كلّ الحقيقة الآن .

فقرة : أمّا بالنّسبة لمبلغ "نونو دا كونها" المالي الذي يدعي أنّه ائتمنني عليه ، فعلى العكس فإنّه عاملني ومازال يعاملني بهذه الطّريقة ويعارضني بكلّ السبل التي يستطيعها ، فقد تعامل معي بطريقة تنقصها الكياسة في هذا الشّأن وبكثير من الجدية ، عن هذا ، سيّدي ، فإنّني أستدعي "مانويل ماسيدو" الموجود هناك كشاهد .

سيكون شرفاً لي إن استجوبته ، وستعلم ما فعله أولئك الحكام منذ وصولهم إلى هنا ، إنّني أؤدي خدمة عظيمة لك هنا لأنّ ذلك ما أرسلتني لإنجازه هنا ، لكنّني حالما علمت أنّ تلك لم تكن القضية ، بعثت له بمركب شراعي من هنا . لم يبعث بأيّ من الأدوية بسبب أن الهند قريبة له فإنّهم سيتمكّنون بسهولة بإرسالها من هناك .

جاء على هنا وكنت على يقين بأنّه سيقوم بكلّ ما يمكن أن يتسبّب فيه بالضّرر تجاهي ، شهد "مانويل ماسيدو" بكلّ شيء وهو وكلّ العاملين عندك سيطلعونك بالحقيقة ، أخذ "قلهات" من "جوميز فيريرا" التي كنت قد سلمتها له ، كما استولى على مركب من "اندرية فيريرا" "Andre Ferreira" التي كان "لوبو فاز" قد أعطاها له ، بذلك ضايق وأزعج كلّ من كان عليه مضايقته .

فقرة : أمّا بخصوص ما تفيد به سيادتك بأنّني إن كنت معتدلاً في نفقاتي وأتلقى أربعين ألف "كروزادو" وليس أكثر لأنّني لا أطعم أيّ أحد ، لم أقم بذلك قبل أن أكون قائداً للقلعة وأقوم بذلك الآن فقط لأرى إن كنت أستطيع أخذ ما يكفي لإطعام النّاس .

أمّا بالنسبة لمبلغ الأربعين ألف "كروزادو" فإنّني أقسم على الإنجيل بألا أحد عمل بقدر ما عملت أنا لزيادتها ، على أيّة حال ، أخبرك بأنّ أولئك القادة الذين يؤدون واجباتهم ولا يكسبون أموالاً باستثناء التّجارة وهذه مخاطرة لأنّ كلّ التّجارة تتمّ عبر البحر .

إن أردت أن تكسب ثلاثين ألف أو أربعين ألف "كروزادو" على الشّاطئ فإنّك تتحدث عن السرقة مثلما فعل "دييجو دي ميلو" الذي ذهب إلى هناك واختلس أكثر من سبعين ألف من الملك ، من شرف ومن كلّ البلاد .

لذلك ، سيّدي ، أود أن أغادر بالطّريقة التي تطلبها ، لذلك يجب أن أتلقى التشريف والمكرمات وليس الفصل ، إذاً ، سيّدي ، سيكون معروفاً عظيماً بالنسبة لي أن أعرف الحقيقة من ريس شرف ، المترجم و"مانويل دي ماسيدو" .

اطَّلع الملك على ذلك بما أنني لا أثق بـ "نونو دا كونها" ، بالتأكيد كان شعوري عنه بسبب ما رأيته يقوم به لشعبك وأحسست أنّه لم يكن سيكتب أشياء جيّدة إلا كلّ ما هو عكس لذلك .

أكثر من ذلك قام بتحقيقات عديدة عنّي عندما وصل لهذه البلاد ولم يجد أيّ شيء ضدي سوى أنّني قدّمت خدمة عظيمة للملك ،

وسبب له ذلك غضباً شديداً ، تأكّد ، سيّدي ، أنّه وسكرتيره "سيماو فيريرا" سيدمّرون الهند ، وسيتلقى سيادتك أخبارا جديدة عن ذلك هذه السنة .

فقرة : عند وفاة "سيماو دا كونها" كنت أكتب لسيادتك ، يوجد هنا رجل مسلم يدعي ريس بدر الدين زوج أخت ريس شرف ، حاكم البحرين ، قام بثورة ، طلب منه "نونو دا كونها" أن يسلم القلعة أو سيستولى عليها عبر الحيلة والمكر .

نصحت كلّ المدينة المسلم بعدم الاستسلام وألا نية له للقيام بذلك . قرر عندها "نونو دا كونها" أن يبعث بشقيقه إلى هناك ليستولي عليها ، أخذ معه أربعمائة أو خمسمائة رجل واتجه نحو الهند ، شاهد "سيماو دا كونها" اليابسة ورسا على الشّاطئ وبنى قاعدته ونصب مدفعيته ، ودون أن يهاجم الرّجل المسلم بقوات أو يسمح بإرسال كلمة لهم فتح نيرانه عليهم .

الرّجل المسلم الذي كان معه جمع كبير من النّاس داخل القلعة والكثير من المؤن بدأ بالدفاع عن نفسه ، جزيرة البحرين تلك لم تكن صحية خاصة عندما ذهب "سيماو دا كونها" إلى هناك في شهري أكتوبر ونوفمبر ، لذلك بدأ رجاله بالسقوط مرضى ، وعليه صعد على سفنه وغادر دون أن يتخذ أيّ تحرك .

في المسافة من هناك وحتّى ميناء هرمز هذه توفي أكثر من مائة رجل ، وبعد إبحارهم من هنا حتّى وصولهم للهند توفي مئتان آخرون من الرّجال ، بذلك من الأربعمائة رجل كان قد أخذهم معه توفي منهم أكثر من ثلاثمائة .

توفي هو أيضا واثنان من النبلاء الذين جاءوا مع "نونو دا كونها" ، اعتقد يا سيّدي ، أن الله قدم معروفاً للهند عندما توفي "نونو دا كونها" ، بسبب .... وأؤكد لك ذلك يا سيّدي ، أنّه كان رجلاً عديم الفائدة وكان من الممكن أن يقوم بعمل ما آخر بحيث يدمّر الهند .

إن كان شخصاً آخر قد وصل إلى البحرين لكان دخلها في الحال لأنّ القلعة كانت مصنوعة من الطين ، وإن كانت ضُربت بالقنابل حتّى بقطع مدفعية صغيرة لكانت تهدمت وانهارت تماما . كان هو ، ليغفر له الرّبّ ، صديقاً حميماً لي ، وأظهر نفسه كخادم عظيم لسيادتك ، فهو إذاً تصرف بما تقتضيه مصالحك .

فقرة : آخر أخبار من هذه البلاد تقول إن الشّيخ إسماعيل يشنّ حرباً ضد الخراسانيين الذين هم من التّتار ، كان قد هزمهم مرّة في السّابق ، وفي قتاله بهذه الحرب فإنّه سيهاجم بكلّ دولته ، يعلم الله من سيخرج فائزاً من هذه الحرب ، لكن من المؤكد أن الشّيخ إسماعيل سيخرج فائزاً لأنّ له جيشاً ضخماً .

فقرة : رجل برتغالي غادر من هنا ليشتري خيولاً من المناطق الداخلية في مدينة تسمى "قشن" التي تقع على مسافة يوم من بلاط شيخ إسماعيل ، أفادوني بأن مبعوثين من ملك المجر .... وواحد يسمى "سيماو دي لوز" "Simao de Louz" .... رسالة ثقة كتبت باللاتينية موقعة منه ، لأنّه تسلّمها عبر مبعوثه وكلّ شيء أفادوه به نيابة عنه كان باعثاً للثقة .

كانت الرّسالة المقترحة كالتالي : "سيّدي ، ملك فارس ، إن ملك

المجر يبعث لك بهذه الرّسالة المختصرة . كان الطريق كثير المخاطر ولأنّ الطريق يمر عبر الحدود التركية فإنّه لن يستطيع إرسال أيّ رسائل جيّدة أخرى ، لذلك بعث لنا ليخبرك كيف أن الملك ، والدك ، بعث له بمبعوثيه ليطلب منه المساعدة ضد عظيم التُّرك وليشن حرباً شعواء عبر كلّ بلاده .

سيّدي ، يضع ملك المجر ذلك موضع التّنفيذ ، وقدّم له كلّ العون الذي يستطيعه ، يمكنك معرفة ذلك من المحاربين في بلاطك الذين شكّلوا ستّة آلاف من الفرسان وعدداً كبيراً من المشاة ، أرسلنا الآن إلى هنا ليطلب منك تسليح ستّمائة ألف من رجالك أي أربعمائة ألف يسافرون عبر البلاد ومائتي ألف عبر البحر .

إنّه يريد منك فقط مهاجمة المنطقة الداخلية ، عن هذا ، أجاب السّلطان وهو الحاكم الذي يحكم كلّ هذه البلاد بأنّ تلك لم تكن الفرصة السّانحة للملك لمساعدته ، بينما كان في قتال مع الخرسانيين والأوزبك .

يقال إن الشّيخ إسماعيل لم يكن راضياً أبداً ، بل كان يستعديهم كثيراً وبطرق عدّة ، أرادوا المجيء إلى هنا لكن رسالة ملك المجر يقال إنّها كتبت في الثالث عشر من شهر سبتمبر من العام ١٥٢٨م ، ولم تسمح لهم بذلك .

فقرة : أخبار المماليك تقول إنهم هزموا وقتل سليمان مع كلّ الآخرين ، أحد عبيد سليمان السابقين ثار واستولى على كلّ الأموال وسلاح المدفعية التي كان ينقلها سليمان من الأتراك ، بعث بالمدفعية إلى "جدة" ، وكتاجر أعد بسرعة سفينتين أو ثلاثة لتبحر إلى "كامباي" .

كان عليه قضاء فترة رياح "المونسون" للعام ١٥٣٠م هناك ، وأفيد أنّه كان يحمل مبلغاً كبيراً من المال ، لا توجد أخبار أخرى لنقلها إلى سيادتك ، قدّمت لي رسالة أخرى من رسائله عن اللؤلؤ التي تزن ستّ قيراط ، معي بعضٌ منها ، من ناحية ثانية ليست كلّ اللآلئ تكون من فئة السّتّة قراريط لأنّها تحتاج لعشرين سنة حتّى تكتمّل بغض النظر إن كانت أكثر من ستّة قراريط أو أقل .

الكمية بأيّ حال ستكون صغيرة عندما تجمع مع بعضها ، وأؤكد لسيادتك أن الحصول عليها كان أمراً في غاية الصعوبة ، تلك التي بوزن أربعة قيراط معي حاليا لعدم صعوبة الحصول عليها ، كما أن ليس هناك قائداً كان هنا اخذ الكثير من اللآلئ ذات السّتّة قيراط ، معي حاليا خيط به ثلاثين أو أربعين لؤلؤة من عيار ستّة قيراط .

بعثت هذه السّنة بمسلمين لمنطقة مصائد اللؤلؤ ، وبعون الله أعتقد أنّني سأتمكّن من إكمال عقد اللؤلؤ وستساوي قيمته ثلاثة آلاف "بارداو" ، أو قريباً من ذلك ، انطلاقاً مما كلفتني المجموعات الأخرى .

طلبت من سيادتك أن تتركني أبقى لسنة أو سنتين أخريين ، إن لم تكن ترى أن ذلك كان مناسباً فستشرفني بإرسال سفينة شراعية جديدة لي ، ويجب أن يذكر ذلك في المرسوم بأن أكون أوّل من يحمِّل وأوّل من يغادر ، يجب أن يفيد ويبين بصورة مؤكّدة في المرسوم لأنّ الحكام هنا مثل الملوك ، فلا يغيب عن بالك أن تمنحني هذا الشّرف ، لأنّني إن لم أتسلّم السفينة سأنهار وأتحطم .

(بيد المؤلف) ، أقبل يدي سيادتك .

التوقيع : "كريستوفاو دي ميندوزا"

(في أعلى الركن على اليسار من ملف (١) توجد كتابة بنفس خط اليد) : من "كريستوفاو دي ميندوزا" إلى "دون براجانزا " .

(في ظهر الورقة بخط يد مختلف من القرن السادس عشر والسابع عشر)

من "كريستفاو دي ميندوزا"

على ظهر الورقة بخط الكاتب العمومي :

إلى سيّدي الدوق

إلى "دوق براجانزا" من "كريستوفاو دي ميندوزا" ، يفيد فيها أن اللآلئ تساوي ثلاثة آلاف "بارداو" .

(على الظهر بخط من القرن الثامن عشر) من "كريستوفاو دي ميندوزا" إلى "دوق براجانزا" يفيد فيها بأن اللآلئ تساوي ثلاثة آلاف "بارداو" .

وفي العام نفسه (١٥٣٠م)

جاءت شروط الاستسلام التي تمّت بين "هيتور دا سيلفيرا" " Heitor de Silveira " وملك عدن عام ١٥٣٠م ، وجاء فيها أن ملك عدن قد سلم نفسه للبرتغاليين : [١٥]

إنّ ملك عدن قد سلّم نفسه وخضع كتابع لـ "دوم جواو" ملك البرتغال وكلّ من يخلفه مع مبلغ قدره عشرة آلاف "بارداو" من الذهب كجزية تدفع كلّ سنة والتي عليه التّسليم في الحال لمبلغ ألف وخمسمائة يتمّ بواسطتها صنع تاج من الذهب في هرمز للملك ويرسل في أوّل سفن كمنحة أولى من الجزية .

إنّ سفن ملك عدن وتجاره ستبحر بحرية تامة في كلّ تلك الأنحاء التي يرغبون في الإبحار إليها عند عودتها من مكة ، ودون أن تتعرض لها أساطيلنا ...

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

عن هذا يقول "كاستنهيدا" : أن المراسيم قد صيغت ، وقد بحثنا عنها بكلّ دقة في ملفات وأرشيف الهند دون أن نجد لها أيّ أثر ، ولا حتّى في دفتر الوكيل التّجّاري لذلك الأسطول الذي كان موجوداً هناك ، ولا حتّى عند الوكيل التّجّاري الذي كان في هرمز ، ولا حتّى مبلغ الألف وخمسمائة "كروزادو" التي كان يفترض استخراج إيصال بخصوصها .

كيف لنا أن نعرف حقيقة تلك الأكاذيب مما وجدناه في بعض المذكرات المكتوبة ، وأشرت إليها في "كاستنهيدا" ، الذي كان هناك في ذلك الوقت ، وكان بلا شك لن يكتب عن ذلك دون أساس .

وفي العام نفسه (١٥٣٠م)

قيام ملك "ريشاهر" ضد ملك هرمز ، بتاريخ عام ١٥٣٠م ، وتبادل أسرى "خورفكان" : [١٦]

في الوقت الذي قام فيه ملك "ريشاهر" (كان من أتباع ملك هرمز) وهي مدينة على الساحل الفارسي بالثورة ، طلب ملك هرمز المساعدة من قائد القلعة في هرمز "أنطونيو دا سيلفيرا" ، الذي بعث "دوم جورجي دي كاسترو" "Jorje de Castro" مع سفينة "غاليوت" ومركبين عليها مائة رجل جميعهم في غاية التنظيم والبراعة كما بعث أيضاً برسالة إلى ملك "ريشاهر" يخبره بتسليم السفن التابعة له والتي تشارك في أعمال القرصنة وأن يعود إلى طاعة ملك هرمز .

كان يبدو لرئيس الخزينة في هرمز أن الأسطول الذي يبعثون به غاية في الضعف لذلك قام بإرسال خمسة قوارب أخرى عليها مائة رجل ، بينما كانت تلك السفن تبحر بطول ساحل "خورفكان" اعترضتهم

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

رياح عاتية ومعاكسة لعشرين يوماً مما أدى لنقص مياه الشرب ، ألقوا بمراسيهم عند الشاطئ ووجدوا المياه في بعض الآبار في مكان هرب منه السكان إلى التلال المجاورة .

كان ذلك المكان شاطئاً طويلاً حيث بدأ رجالنا بجمع المياه . كان هناك المجدفون والعبيد وعشرون برتغالياً معهم ، قال "فرانسيسكو دي جوفيا" " "Francisco de Govia" وهو جندي جيد "لدوم جورجي" أنه يود لو يأخذ مائة رجل عند الشاطئ للحراسة حتى ينتهي الجميع من أخذ المياه ، لأنه يتوفر بالمكان فقط عشرة أو اثنا عشر من ألواح القش والسكان الذين به وقد فروا ولن يجرؤوا بالنزول من التلال .

على أن "دوم جورجي" لم يوافق على طلب "فرانسيسكو دي جوفيا" ، لم يدم ذلك طويلاً حتى اندفع فجأة أكثر من ثلاثمائة مسلم من التلال وهاجموا رجالنا ، وقتلوا العديد من البحارة وأسروا أكثر من خمسين منهم معظمهم من سفينة العلم طاردهم المسلمون حتى أصبحوا على مرأى من السفن ، وعندما رآهم الآخرون بدأوا بإطلاق النيران من السفن وتراجع المسلمون" .

مواصلة الملخص :

انزعج كثيراً "دوم جورجي" ورفض الذهاب إلى "ريشاهر" واستقال من منصبه كقائد للأسطول ، وعليه تم ترتيب أسطول آخر في هرمز تحت قيادة "فرانسيسكو دي جوفيا" الذي أبحر رأساً إلى "ريشاهر" دون أي مصاعب ، وهناك أخبر "دي جوفيا" الملك أنه جاء في ناحية ما نيابة عن ملك هرمز وأن عليه طاعة الملك وأن يقوم بتسليم القوارب ولن يؤمن

غيرها مستقبلاً ، بهذه الطريقة يمكن منحه السلام ، لكن أكمل "دي جوفيا" حديثه بأنه أيضاً جاء نيابة عن قائد قلعة هرمز .

بالنسبة لهذا الأمر فعلى ملك "ريشاهر" تسليم البحارة الذين أسروا في "خورفكان" ، تم الحديث في هذه المسائل مباشرة وتسلم أربعين من الأسرى في الحال . بعد محادثات والكثير من المكر والخداع والمناورات تمكن "دي جوفيا" من أسر ابن أخ ملك "ريشاهر" وأصبح في إمكانه افتداء ثمانية برتغاليين كانوا أسروا في نفس العملية وأعاد الفتى .

أحداث عام ١٥٣١م

بدأت أحداث تلك السنة ، برسائل مرسلة من "بيدرو كارولدو" "Pedro Caroldo" للملك "دوم جواو الثاني" "Dom João II" ، كتبت في "فنيزيا" "Venezia" بتاريخ الرابع والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٣١م ، جاء فيها استعداد الأتراك في بناء السفن في السويس و"الإسكندرية" : (١٧)

الرّسالة الأولـى لقنصل البرتغال في "فنيزيا" :

"السنيور" السامي وصاحب السلطة ، إن لم أكن أكتب لسموّك كثيراً عن أخبار اليوم باليوم التي تحدث في هذه المدينة ، فلا تتعجب ، لأنّني في الحقيقة أكف عن ذلك ليس من عمل كلّ ما أنا مناط به وإن كان ذلك الآن عمل عشر سنوات عملت فيها بإخلاص هنا وأكثر .

حالياً بينما أنا القنصل الذي لا يستحق ذلك في مدينة "فينيزا" هذه

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

بالنسبة لأمّتك ، أعلن لسيادتك أنني دائماً وبصورة دائمة عندما تجيء أيّ أحداث جديدة هنا فإنّني أكتبها في الحال للوكيل التّجّاري ، وهو انطلاقاً من أدبه وكياسته دائماً يرد أنّه تسلّمها ، ويخبرني هو من جانبه إن كلّ الأخبار التي يتلقاها عبر ذلك يبعث بها في الحال لسيادتك .

الآن تلك التي أقدّمها لها مصداقية عظيمة ويمكنك الإيمان بها وتصديقها ، وبما أنّها عظيمة الأهمّية أود أن أبعث بها بطريقين متكررين ، تحديداً عبر روما وعبر "الفلاندرز" ، وسأقوم بنفس الشّيء في المستقبل ، بما أنّني ملزم بذلك ، وأكثر من ذلك لأنّني برتغالي وسأظل دائماً رهن أوامر سيادتك الذي أقبل يديه .

خادم سموّك المتواضع وتابعك "بيدرو كارولدو" " "Pedro Caroldo" .

من "فينسيا" في الرابع والعشرين من نوفمبر لعام **١٥٣١م**

الأخبار التي لدينا هنا حالياً بهذه المدينة هي كما يلي :

فقرة : الرّجل الذي جاء من "الإسكندرية" وكان قد زار أيضا السويس أحد الأماكن في البحر الأحمر أفاد بأنّهم يبنون هناك في السويس وفي أماكن أخرى من "الإسكندرية" وفي "رشيد" ثمانية وأربعين مركباً شراعياً وعشرة زوارق وعشرين سفينة وعشرة أطواف ، مجموعها جميعاً ثمانون من الأشرعة .

هناك ثلاثة آلاف عامل يعملون بصورة مستمرّة ، وأنّ عظيم التُّرك بعث من "القسطنطينية" أشرعة وحبالاً وقطع مدفعية وذخيرة وكلّ الأشياء الضروريّة للأسطول المذكور ، وأنّ أربعة آلاف جمل لنقل كلّ

الأخشاب من رشيد ومن "الإسكندرية" إلى السويس فتذهب ألف إن منها وتأتي ألف إن حتّى يتمّ استخدام كلّ الأربعة آلاف جمل في النقل لإحضار الأخشاب والأشياء الضروريّة للأسطول المذكور .

يعلن هو أنّ عظيم التُّرك بعث في هذا الأسطول ثلاثة آلاف من المحاربين بجانب أولئك المجدفين ، بجانب ما يبعث به إلى هناك ، يقول إنّه أعد المؤن لإعاشة أولئك المذكورين دون أن يهاجم أو يغزو أيّ من الأماكن على البحر الأحمر ، وكقائد للأسطول يذهب حاكم "القاهرة" وهو مخصي ويقال إنه رجل شرير وفي موقعه بـ"القاهرة" هناك حاكم "دفتردار" وللهند وفي صحبته الصايم المذكور وعليه أن يتركه في "القاهرة" ويعود إلى "القسطنطينية" مع أسطوله المذكور .

يقول ذلك الرّجل باختصار أنّه سيقدم مباشرة وفي الحال بحثاً عن أسطول ملك البرتغال أينما يمكن أن يكون ، يقول إن هذا الأسطول لن يكتمل خلال كلّ شهر إبريل التالي للعام ١٥٣٢م ، ويقول نفس الشخص إنّه لا توجد في "الإسكندرية" ولا في أجزاء من سوريا أيّ توابل وهذا أمر مؤكد وقد اعتبر هنا أن ذلك حقيقة .

يقال إن عظيم التُّرك فصل "بيجالار بيك" "Beglerbeg" حاكم دمشق لأنّه أفيد خلال تقدم القافلة نحو مكة عبر تلك الأماكن كالعادة هوجمت أثناء الطريق من قبل العرب ، ويقولون إنّه وبسبب خطأ "بيجالار بيك" المذكور لأنّه لم يوفر لهم قائداً قديراً للدفاع عن القافلة وكانوا قد طلبوا واحداً قبل مغادرتهم الأمر الذي نتج عنه فقدان القافلة لأكثر من ستين ألفا من "الدوكات" .

أهالي دمشق من جانبهم بعثوا بمبعوثيهم إلى عظيم التُّرك يشكون له "بيجالار بيك" مما جعله يبعث برسالة إلى "بيجالار بيك" المذكور أنّه حالما يتسلم الرّسالة الحالية ، يقوم بتهدئة الأمور مع مسؤولي القافلة وأن يسدد كلّ الأضرار التي حدثت بسبب هجوم العرب ، أعتقد أن المعنى كان كذلك ، عادوا لعظيم التُّرك وقالوا إنه ليس سيداً مسؤولاً له مثل تلك السلطة كما أفيد لأنّه لا يطاع .

أخذ عظيم التُّرك الأمر بصورة سيّئة واستدعاه في الحال ليأتي إلى "القسطنطينية" ، وعليه جيء به أمام عظيم التُّرك الذي أقاله في الحال واحتجزه ومنع من مغادرته السّجن حتّى يؤدي مبلغ الستين ألف "دوكات" والنفقات والتكاليف التي تكبدت في هذا الموضوع ، كما فصله من السّيادة التي كان يتبوأها والتي كانت تمتد على مساحة واسعة ، وكان يعتبر علامة بارزة تدين له سوريا بالطاعة .

في الثاني والعشرين من نفس شهر نوفمبر وصلت رسائل من "القسطنطينية" لمندوب "بايلو" (Baylo) صاحب السّيادة الذي هناك ورسائل أخرى لأشخاص ذوي خصوصية جاء فيها أنّه في الأوّل من شهر أكتوبر الماضي وصل مبعوث يدعى "بيدرو جيم" "Pedro Jim" كان لسنوات عديدة في تركيا بصفة "بايلو" هناكز

يقال إنّه محترم جداً ورحّب به عظيم التُّرك بالعديد من الولائم والهدايا وإشارات كبيرة عن المحبّة والاحتفالية ، بعد هذا الاستقبال ذهب "بيدوجيم" المذكور مع مبعوثه إلى عظيم التُّرك وقدم له باسم سيد إقطاع "فنيزيا" هدية جميلة ذات قيمة عالية تصل حتّى عشرة آلاف

"دوكات" وملابس من الحرير وملابس مذهبة ، وقرمزية وأكواب من "الكريستال" ونظارات ذات صناعة جميلة ورائعة لها قيمة عالية ومرايا من الصلب بإطار خارجي من الفضة والذهب وحجارة كريمة ثمّينة ذات قيمة كبيرة ، وساعة حائط قيمتها خمسمائة "دوكات" وأشياء أخرى عديدة بأثمان عالية كما قلت ، بجانب كلّ تلك الأشياء بوق لحيوان خرافي وحيد القرن أحد الأشياء التي يملكها هذا الإقطاعي ، قدم له بعد ذلك خمسة عشر ألف "دوكة" من الذهب كجزية يدينون بها له .

بهذه الطّريقة ظل عظيم التُّرك في سعادة ورضى عن مبعوثه وأعلن للسفير أنّه لم يكن يرغب في أخذ "مودون" "Modon" لأنّه بالمثل فتلك السّفن الشراعية والزوارق التي أخذت من قبل "مودون" كانت في مواجهة معه وكان يمكنها اعتقاله في الحال ، وأخذ كلّ ما جاء به وكان سيكون مصيراً رائعاً له أن يستولي على "مودون" .

رد ذلك السّفير بالشّكر الجزيل لعظيم التّرك ، وودعه وقبل المغادرة من مجلسه جعل "بطريريك كيليا" يقبل يدي(؟) عظيم التّرك ، "البطريرك" شقيق "الكاردينال" الحالي "جريمانو" "Gremano" من البندقية الذي ذهب إلى القدس ومن هنا إلى "القسطنطينية" وهو أمر لم يسمع به من قبل أن "أسقفاً" أو "بطريركاً" يتقدم ليقبل يدي عظيم الترك .

قدّم هذا المبعوث أيضا لإبراهيم باشا وأبناء عظيم التُّرك العديد من الجواهر وحلي أخرى ذات قيمة عالية ومن نوعية حتّى الآن جيّدة ، وقد أسعدت عظيم التُّرك كثيرا ، وكذلك كلّ الأتراك ، بالرّغم من أنّ ما

سبق ذكره لا يمنع من شحن الذرة من بلاده إلى "فينسيا" التي هم في حاجة ماسة لها وهؤلاء الأتراك يأخذون الكثير ولا يقدمون أيّ شيء .

فقرة : جاءت أيضا أخبار أخرى عبر تلك الرسائل من اثنين من "فينيسيا" أوغاد كبار يسمون "بن هوميسيس" ، اللذين تخليا عن الدين المسيحي في "القسطنطينية" ، أحدهما يسمى "جوام كومتارينو كاسا ديافولو" "Joam Comtarino Casa Diafolo" والآخر "جوام فرانسيسكو جستنهام" "Joam Francisco Justanham" نذرا نفسيهما بصورة كبيرة لعظيم التُّرك وأصغى التركي لما يقولاه .

على أيّة حال هي أخبار موثوقة بأن أحدهما توفي وهو "جوام كونتا كاسا ديافولو" بينما كان مرتداً وهارباً من الخدمة ، ما زال الآخر "جستنهام" حياً ، ويقال إنه كان فاراً بكلّ الأشياء الضروريّة لعظيم التُّرك لأسطوله الذي عليه التقدم إلى البحر الأحمر ضد البرتغاليين ، وأنّه يعرف تماما أساليب مملكة البرتغال تلك وما يمكن أن يفعله الملك وكلّ ذلك بالتفصيل .

إنّ التّركي يبذل جهوداً عظيمة أكثر مما يريد فعله بأهل البندقية ، ويقال إنه حزن كثيراً على أولئك الرّجال و .... عن المهام الموكلّة إليهم ، لكن إن فشل أحدهم ومات الوغد الذي كان أكثر تفاهة من هذا الذي لن يعيش طويلاً لأنّ الله لن يسمح بذلك وسينفذ معجزته .

فقرة : يقال إنّ المراكب الكبيرة لأهل البندقية المتوقعة الآن من "بيروت" ومن "الإسكندرية" لا تأتي بأيّ توابل من أيّ نوع بل تأتي محملة بالحبوب ، تزرع التوابل هنا ويوجد القليل في المدينة ، لا تمارس

أيّ تجارة هنا في هذه البلاد ولا تتداول فيها الأموال ولا البضائع ، ويقال هنا أنّ ملك البرتغال أشعل حرباً عليها أكثر من أيّ أمير آخر في العالم ، وكلّ ما يتعلّق بتجارة التوابل ، كما يقولون أيضاً إنّ السّفن الشراعية لـ "بيروت" تأتي ببعضها لكنها تشترى بأسعار مرتفعة .

فقرة : يقال هنا في أيّام ماضية إنّ عظيم التُّرك يسلح عشرين مركباً شراعياً خفيفاً حتّى يبعث بها إلى الأرخبيل ، ويقال إنّها ستأتي في مايو وفيما بعد بما أن الوقت الآن هو فصل الشّتاء ، وهو أمر لا يصدّق بصورة كبيرة .

من "فينيسيا" في الرابع والعشرين من نوفمبر للعام **١٥٣٢**م

"بيدرو كارولدو"

العنوان : لسيدنا الملك .

الرّسالة الثانية لقنصل البرتغال في فينيسيا

"السينيور" السامي وصاحب النفوذ .

هذه الرّسالة مشابهة لتلك التي جاءت بأعلى في البداية وفي نفس التّاريخ .... أيضاً تروي ما يلي :

بالرّغم من أنّني كتبت عبر "الفلاندوز" بالتفصيل لسموّك ، فإنّني لن أكرر جزءاً من الأخبار التي ذكرتها أوّلاً ، بل أفيد أن السيد "بيرو زينبالو" "Pero Zanbalo" مبعوث السيد الإقطاعي في "فينسيا" الذي وصل مؤخراً إلى "القسطنطينية" في اليوم الأوّل من شهر أكتوبر للسنة الحالية كتب للسيد الإقطاعي أن البرتغاليين لهم الآن قبل أقل من ستّة شهور أخذوا سفينتين من المسلمين بالقرب من "أوتور" "الطور"؟

هو مكان وميناء على البحر الأحمر وعلى مقربة من ميناء "جدة" ، وتسبّبوا في دمار عظيم فيما يتعلّق بمكة ، كثيراً جداً ، حتّى إنّ عظيم التُّرك انزعج كثيراً من ذلك ولم يتحمل الأمر ، ويعمل الأسطول حاليا بناء على ما قيل في أمر مكة هذا دون سواه من الأمور الأخرى .

هذا ما كتبه المبعوث المذكور ، نقول ذلك هنا بأسلوب خفيف لعلّ البرتغاليين قد استولوا فعلاً على مدينة "ديو" ، بما أنّهم ذهبوا بعيداً داخل البحر الأحمر ، وقنصل البندقية الموجود بـ "الإسكندرية" يكتب لهذا السيد الإقطاعي نفس الشّيء وهو أن البرتغاليين وصلوا حتّى "أوتور" "الطور" مكان عند البحر الأحمر حيث يعد زعيم التُّرك أسطوله ، وهناك نفس البرتغاليين استولوا على سفينتين من المسلمين وبسطوا وجودهم بطول البحر الأحمر .

بعض البحارة الجنود ورجال من الاستخبارات يقولون نفس الشّيء وأنّهم سمعوا في "الإسكندرية" بأن البرتغاليين يقومون بأشياء كثيرة في البحر الأحمر فيما يتعلّق بمكة وأنّهم استولوا على سفن ومراكب شراعية للمسلمين عند ذلك البحر ، لكنهم لم يتمكنوا من إطلاعي إن كانت مدينة "ديو"؟ قد تمّ الاستيلاء عليها .

فقرة : خلال شهر أكتوبر الأخير جاء هنا إلى فينسيا رجل مسلم من مكة وقال بفمه إن ملك عدن يقدم عوناً كثيراً وتأييداً للبرتغاليين في كلّ المسائل الضروريّة في مواجهة الأتراك .

العنوان : لسيدنا الملك .

وفي العام نفسه (١٥٣١م)

بعث راشد بن أحمد المسقطي حاكم هرمز رسالة إلى "دوم جواو الثالث" "Dom João III" ، يطلب إعمار "قلهات" : [١٨]

"إلى السّلطان الأعظم "دن جوان" سلطان "برتكال" يقبل التراب تحت موطئ أقدام حضرتك أقل خدامك ويعرض إلى حضرت العالية والسادة السامية السّلطانبن السلاطين فخر الملوك ومولى إمارة العرب والعجم مؤيد قواعد الحكم قامع بليات الجور والظلم والقهر محل المجد والتعظيم ومركز الفخر وعظم مراتب السلطنة أعظم سلاطين الفرنج في الزمان الذي شرف الله بلادنا بحكمة .

إذ سواه الله سلطاننا مالك "البرتكال" وما يحواه بجم الأدب والفصاحة وشفاة الأجل والتكريم وألفاظ العبودية ، ينهي إلى حضرتك بأن أمور حكم هرمز باهتمامك جارية على نهم الاستقامة المراد ، وأن

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

هذا المملوك وأقل الخدام قائم على ساق الطاعة والعبودية ، ومتشمر الساعد في الخلاص وقد اشتهر بين الأنام وظهر اسمه عند الخاص والعوام بأنّه من جملة خدامك الخلص ويفوق على الجميع بالمحبّة والخلاص إلى تلك الحضرة العلية عمرها الله بدوام دولتك .

إنّ بعد ما تفوض له حكم هرمز زاده بفتح "قلهات" وكلّ نواحيها كما يرى في تاريخ القديم وجباية المال ودفعه ، وهذا المحصول الآن قد قل من البلاد وخاب ظني ومأمولي ولم يكن للمملوك أمل ولا رجاء إلا بعناية الشاملة والمراحمة الكاملة من عليها الحضرة العالية ومن ملوكيتك التي شملت ، ووصلت لكلّ النّاس لكي تخفف عنّي بجزء من المحصول .

نطلب أيضاً العفو من إساءة وقلت طاعة أيّ وما فعله ضدّ حضرتك العالية وباقي الأعلام عن أحوالنا ، فهم يأتوك على لسان فيطور هرمز وعلى لباقي السارين معه ومنهم يتحقق لحضرتك خدمة هذا المملوك وإخلاصه الطالب منكم ألا تغفل عن مطلوبة ولا ترفع عنه نظر الرّحمة .

لأنّ أغصان شجرة السلطنة ما زالت مخضرة بماء الخلود إلى يوم الموعود ولا يخفى عليكم بأن حكم هرمز خصوصاً ولاية "قلهات" قد وقع عليها الخراب ولهذا السّبب قل منها المحصول وكيف البلاد هي بلادكم أفتمكرون بها كما يوجب عمارتها وحفظها والسّلام معكم .

من أقل المماليك وخديمك راشد أحمد مسقطي"

(ترجمة بالبرتغالية لرسالة راشد بن أحمد المسقطي حاكم هرمز إلى "دوم جواو الثالث") .

ملحوظات :

راشد بن أحمد المسقطي كان نائباً لحاكم هرمز وهو ابن ريس شرف ، ولقد عُرف بشكل واسع نسبة إلى العفو الذي طلبه في هذه الرّسالة إلى الملك عن عدم طاعته وعصيانه وسوء أفعاله التي ارتكبها والده .

الوكيل الذي تمّ الحديث عنه في هذه الرّسالة هو "أنطونيو كوريا" "Antonio Correia" .

انظر يوميات الملك "دوم جواو الثالث" ، الجزء الرابع ، ص ٧٩ .

وفي العام نفسه (١٥٣١م)

بعث "مير شرف" نائب حاكم هرمز رسالة إلـى "دوم جواو الثالث" "Dom João III" ، وجاء فيها أن والده أخذ سجيناً إلـى البرتغال : (١٩)

"إلى العظيم بين الملوك الكبار وأزيد قدرة بين الإمارات الافتخار متوع أهل المسيح وقاعدت أهل الكتاب نسك السلاطين ومولاي الأقاليم البعيدة والقريبة السّلطان"دون جوان" زاد الله دولته ورفع علو مملكته وبعد تبليغ سلامة الصافية ننهي لعلمكم بأن حامل هذا الكتاب - يعلمكم بأحوالنا وأحوال هذه البلاد الذي هو تحت نظركم ومحسوب عليكم لكي تتحنن علينا بتخفيف المحصول والمال المعين علينا كلّ سنة لنقدر نعيش ويعمر البلاد .

لا يجوز أنّ بلاد الذي هو باسم جنابكم العالي ومحسوب على أعلى ملوكيتك يخرب وعمارته مربوطه باهتمامكم الشريف وخاطركم الكريم وعمارة هذه البلاد من قديم كانت من قبطان الكبير "افنسو دالبوكرك"

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

الذي بعدله واهتمامه أحيى هذه البلاد ولكن في الوقت الحاضر نقص محصوله والواجب عليكم وعلى اهتمامكم المساعدة لعمارته وحفظه ونحن من جانبنا إكمال أمركم وقضائكم وترانا على ساق العبودية ومشمرين الساعد في كلّ ما يكون لطاعتك ، والله يديم عزك وملكك .

من المحبّ المخلص "مير شرف بن شرف" .

(ترجمة بالبرتغالية لرسالة مير شرف" نائب حاكم هرمز إلى "دوم جواو الثالث") .

ملحوظات :

"المير شرف" ابن الريس شرف هو النائب الأوّل للملك في هرمز ، وهو ابن الريس شرف الآخر والذي بموجب أمر من الملك "دوم جواو الثالث" جيء به إلى البرتغال سجيناً . (انظر المذكرة إلى الكتاب رقم ٤٨ (الوثائق الملكية/ ١٦٧ / الوثيقة ص ١٦٢ - ١٦٤) .

هذا "الريس شرف" هو الذي تتحدث الرّسالة عن أبيه ، فلقد كان أحد أبناء الريس نور الدين ، والذي كان صديقاً عظيماً للبرتغاليين ، ومدافعاً كبيراً عنهم في معركة بينهم وبين المسلمين ، وبما أنّه كان على صداقة مع البرتغاليين ، فإنّ "أفونسو دي البوكيرك" قد منحه عفواً لابنيه : "ريس دالميشا" و"ريس شرف" ، واللذان تآمرا ضد ملك هرمز بنية قتله وتمكينهم من العودة من بلاد الشّيخ إسماعيل حيث كانا في المنفى هناك .

حول هذا الأمر راجع : يوميات الملك "دوم مانويل" ، الجزء الثاني -الفصل ٣٤ .

أحداث عام ١٥٣٢م

في بداية شهر فبراير عام ١٥٣٢م ، كان الأسطول البرتغالي بقيادة "أنطونيو دا سالدانها" متوجهاً للهند ، بعد وصول "أنطونيو دا سالدانها" إلى "غوا" ، أبحر "أنطونيو دا سيلفيرا" متوجهاً إلى هرمز ، استجابة لأوامر الحاكم للهند الذي أرسله لكي يتولى منصب قائد قلعة هرمز .

عندما وصل قائد القلعة في هرمز استلم شكوى من ملك هرمز ضد أخيه الذي حاول اغتياله ، وأن الأتراك لهم قاعدة عسكرية في "بيسين" "Bassein" تحت إدارة ملك "كامباي" في غجرات ، جاءت تفاصيل الحادثة في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، من الفصل الثامن والأربعين إلى الفصل الحادي والخمسين :[٢٠]

---

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

الفصل الثامن والأربعون :

كان الحاكم قد شرع في بناء قلعة في "شيل" بمساعدة من بعض النبلاء والبرتغاليين الذين معه ، وكانوا قد أكملوا بناءها في وقت قصير جداً حتى أن السكان المحليين قد عجبوا لهذا الأمر ، وكان ملك كاليكوت أكثرهم أعجاباً ودهشة ، وفي الحقيقة لم يتجرأ ملك كاليكوت طيلة هذا الوقت على إرسال أية فئة من رجاله لمناوشة العاملين في بناء القلعة أو إزعاجهم ، على الرغم من تفاخره بأنه سوف يفعل ذلك ، وكان قد استشعر مهانة كبرى إزاء جرأة الحاكم وإقدامه على بناء قلعة في إقليمه ، لأن تصرفه هذا من شأنه أن يعصف بسمعة ملك كاليكوت وهيبته .

بعد أن اكتمل البناء ، بدت القلعة تقف شامخة فوق سهل بالقرب من البحر ، وقد اتخذت شكل مربع ؛ وفي جميع جوانبها تم عمل تحصينات منيعة ، وبلغ عرض الحيطان التي بنيت بين الاستحكامات ٥٠ قدماً ، وعلى طول الحيطان الداخلية أقيمت المنازل الخاصة بضباط القلعة ومسؤوليها ومساكن قوات الحدود .

في الوسط تم بناء السجن ، وقد كان بناء منيعاً ، كما تم أيضاً تزويد الفجوات بالأسلحة المدفعية كما يجب .

كان الحاكم قد أعطى قبطانية هذه القلعة لصديقه الشخصي "ديوقو بيريرا" "Diogo Perreira" ، بالرغم من تقدم الأخير هذا في العمر ، وبالرغم من وجود آخرين غيره تقدموا بطلباتهم لشغل هذه الوظيفة ، ويُشهد لهم بتفانيهم في خدمة الملك وبكفاءاتهم في توفير الأمن والسلام دفاعاً عن القلعة .

أما بالنسبة لمنصب القائد البحري في الساحل ، فقد أعطى لأحد النبلاء باسم "مانويل دي سوسا" "Manuel de Susa" ، وهو من مواطني "إيفورا" "Evora" ، ويقود قوة قوامها ٣٠٠ جندي .

بعد ذلك أبحر الحاكم إلى "غوا" ، حيث وجد هناك "أنطونيو سالدانها" جاهزاً للذهاب إلى "رأس جوردافوي" ، حيث أرسل إلى بقية القباطنة الآخرين وهم : الكابتن "فاسكو بيريز دي ساوبايو" "Vasco Perez de Sampaio" في السفينة "لامبيا موريم" "Lampia Moreim" ، و"دون فيرناندو دي سا" في "قاليكا ، وأنطونيو دي ليموس" "Antonio de Limos" في السفينة "ريس ماقوس" ، و"ديوقو بوتلهو بيريرا" "Diago Botelho Perreira" في "الغليون" الذي تم بناؤه في "شول" "Chaul" ، و"الكابتن دون بيدرو دي منسيس" "D . Pedro de Meneses" و"مانويل دي فاسكونسيلوس" "Manuel de Vasconcilos" في سفينتي "قاليوتا" ، أيضاً ضم ذلك الأسطول عدداً من السفن الحربية .

في بداية شهر فبراير من عام ١٥٣٢م ، انطلق "أنطونيو دا سالدانها" مبحراً يقود هذا الأسطول ؛ وفي أثناء إبحاره كان قد واجه عاصفة هوجاء كاد "ديوقو بوتليهو" أن يروح ضحيتها لولا أن حدثت معجزة بفضل الرب الذي أنقذه من الغرق ، وبالتالي لجأ "ديوقو" إلى "شول" بعدما عجز عن مرافقة "أنطونيو دي سالدانها" .

الفصل التاسع والأربعون :

بعد وصول "أنطونيو دي سالدانها" ، أبحر "أنطونيو دا سيلفيرا"

متجهاً إلى هرمز ، استجابة لأوامر الحاكم ، الذي أرسله لكي يتولى منصب قائد القلعة هناك .

نظراً لأن هذا المنصب قد أصبح شاغراً بعد وفاة "كريستوفاو دي مندوسا" ، وكان "بلشيور دي سوسا تفاريز" قد ظل ينوب عن القائد ، بعدما كان في الماضي يعمل قائداً عاماً في المنطقة البحرية هناك ، وقد صحب "أنطونيو دي سيلفيرا" في رحلته هذه ابن أخيه "لويس فالكاو" رئيس حرس ملك هرمز .

بعد وصولهم إلى هناك ، تسلم "أنطونيو دا سيلفيرا" مسؤولية قبطانية القلعة ، ومن تم تلقى من ملك هرمز شكوى مفادها أن أخاه ، ويبلغ الثامنة عشرة من العمر ، قد حاول أن يغتاله ؛ وكان ذلك بتحريض من أمه التي رأت أن أخاه هذا أفضل منه ، وإنها تريده أن يصبح الملك ، وفي إحدى الليالي تم القبض عليه وهو مختبئ تحت سرير الملك ، ويحمل خنجراً .

لذا فقد أمر باعتقاله ، ونظراً لخطورة هذا الأمر ، ودرءاً لحدوث الخصومة والشقاق في المملكة ، لم يرغب الملك في اتخاذ الإجراءات القانونية ضد أخيه ، بالرغم من أنه يستحق ذلك ، وعليه فإن الملك قد طلب بأن أخيه هذا يجب (...) .

لم يتم أي احتجاز للسفن والمراكب في ظل وجود "أنطونيو دا سالدانها" هناك ؛ ومن ثم أبحر متجهاً إلى "غوا" ، حيث سلم الأموال التي بحوزته .

الفصل الحادي والخمسون :

في العام ١٥٣٢م ، كان الأسطول الذي قدم للهند من البرتغال قد

تــم تقسيمــه إلـى قسمين ؛ قـاد القســم الأول "استيفــاو دا جاما" "Estephao da Gama" ، ابن "دون فاسكو دا جاما" "D . Vasco da Gama" ، كونت "فديقويرا" "Conte de Fedegueira" والأميرال في المحيط الهندي ، وكان قد عين قائداً على "مالقا" بدلاً من "قارسيا دي سا" ، وتحت إمرته "فيسنت جيل" "Vicente Jill" مالك السفينة .

كـانت القبطانيــة الثانية قد أعطيت للكابتن "دون باولو دا جاما" "D . Paolo da Gama" ، شقيق "دون استيفاو" ، وأيضاً عين قائداً في مالاقا وتحت أمرته أيضاً "أنطونيو كارفالهو" "Antonio Carvalho" ، وقد قضى "دون استيفاو" موسم المونسون في "موزمبيق" ، أما الباقون فقد تركوا العمل ، وذهبوا إلى الهند ، حيث وصلوا إلى هناك في أوقات مختلفة ، وكان بينهم الكثيرون من المرضى .

في هذا الأسطول أبحر أيضاً أسقف يدعى "دون فيرناندو" الذي كان راهباً "فرنسيسكاني" ؛ هذا وكان قد خرج بغية إعادة تنظيم عمل الكنسية في الهند فيما يتعلق بإعطاء الأوامر وتنفيذ التوجيهات ، ولقد سبق أن سمعته وهو يقوم بعمل تبشيري جيد في "غوا" .

كان الحاكم قد أرسل "أنطونيو دا سالدانها" قائداً لسفن الشحن الثلاث بالإضافة إلى الينك ؛ ولقد غادرت هذه المجموعة في أواخر شهر ديسمبر من نفس العام .

في فترة وجود الحاكم في ديو ، بلغته أخبار موثوقة تفيد أن مالك توكان قد قام ببناء قلعة حصينة في "بيسين" ، وإنه يعمل هناك بغرض

إنشاء "ديو" جديدة ، وهو يتطلع لنقل السفن من "ديو" حتى يتمكن من منع رجالنا من المرور بذلك الساحل .

كان الحاكم قد خشي أن الأتراك إذا ما قدموا إلى الهند ربما يعملون على احتلال تلك القلعة عندما يكتشفون خصوبة أرضها واستراتيجية موقعها على النهر ، تماماً كما هو حال "بيسين" ؛ وبذلك ستكون الهند في خطر عظيم بسبب قدوم الأتراك كي يصبحوا جيراناً قريبين منها ، وعليه ، فقد قرر مهاجمة تلك القلعة وتدميرها ، وعليه ودون التشاور مع أي أحد آخر بدأ يستعد للذهاب إلى هناك ، تحديداً عند نهاية الموسم ، نظراً لتحسن الطقس ، خاصة وفي ذلك الوقت كان "ديوقو دا سيلفيرا" "Diogo da Silviera" قد أبلى بلاء حسناً في حربه ضد "كامباي" .

أحداث عام ١٥٣٣م

بعث الملك "د . جواو الثالث" "D . Joao III" من "لشبونه" في يـوم الرابـع من شـهر مارس ، عـام ١٥٣٣م ، رسالة [أ] إلـى "د . هنريك دي منسيس" "D . Henrique de Meneses" ، بشأن العبيد الذين يتحولون إلـى المسيحية : [٢١]

وصلتني معلومات بأن تجار هرمز والمقيمين فيها يشتكون منذ فترة من تعاملهم مع عبيدهم الذكور والإناث الذين يتحولون ويصبحون مسيحيين .

(أ) هذه الوثيقة ملحقة برسالة حسن سير وسلوك حررت يوم الثامن من شهر إبريل ، عام ١٥٥١م وأقرها "فرانسيسكو فيسنتي" ، قاضي صاحب الجلالة ذو السلطة القانونية في مدينة "سانتا كروز دي كوتشين" ، وقد حررت بطلب من الأخوة في "مكريكورديا" في هذه المدينة . وقد وجدنا نسخة منها في دفتر تسجيل الوثائق ، الذي كان يستخدمه أب المسيحيين ويخص بيت مدرس التعليم الديني بطريقة السؤال والجواب . وهي الآن محفوظة في سجلات وزارة الخزانة في "غوا" ، صفحة رقم ٧٤٢ من الدفتر .

---

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

كما جاءتني أيضا أخبار بأن ما يحدث في مثل هذه الحالات هو أنه مجرد أن يصبح العبيد مسيحيين فإنهم يتمنون أن يشتريهم المسيحيون البرتغاليون بهذا السعر المقدر ، ويتم دفع الثمن إلى مالكيهم ، ثم يظلون عبيدا للمسيحيين الذين اشتروهم بهذه الطريقة .

قد ناقشت هذه المسألة مع علماء اللاهوت ، وقد تم إقرار ما يلي :

عندما يرغب بعض الأشخاص في أن يتحولوا إلى المسيحية ويخضعون للمعمودية ، يجب أن يتم فحصهم أولا من قبل رجال الدين في الكنيسة لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ، لكي يتأكدوا من أنهم يرغبون في أن يصبحوا مسيحيين عن إخلاص وتقوى وبمحض إرادتهم الخاصة .

أثناء تلك الفترة يجب أن ينقلوا تعليماتي بشكل يكون كافياً في أمور العقيدة ، وبعد أن يتم تحويلهم إلى المسيحية بهذه الطريقة فإنهم يجب أن يصبحوا عتقاء أحراراً ، لأن هذا هو حقهم ، وذلك بدون أي تثمين أو تقييم .

يجب على هؤلاء الذين يشتروهم أن يدفعوا ثمنهم لمالكيهم كما هي الحال في الوقت الحاضر ، لكيلا يرجعوا إلى عقيدتهم السابقة ، إذا ظلوا في مكان يشجعها ، ويجب إرسالهم إلى الهند ثم ينتقلون فيها برسالة من قائد القلعة في أماكن تواجدهم تكون موقعة ومختومة بخاتمي ، وعن طريق هذه الرسالة سيعرف الجميع أن هؤلاء العبيد قد أصبحوا مسيحيين وأنهم عتقاء أحراراً .

على قائد القلعة ، بأمر مني ، أن يعطي هذه الرسالة لهؤلاء العبيد

المتحولين دون أن يدفعوا الرسوم المستحقة لا من أجل الأوراق الرسمية ولا من أجل الختم .

هذه هي الطريقة التي آمرك أن تستمر بها من الآن فصاعداً في هرمز ، وملقا وكل الأماكن الأخرى حيث توجد القلاع والمراكز التجارية .

هذه نسخة من فقرة من رسالة كتبها مولانا الملك إلى الراحل "د . هنريك دي منسيس" بخصوص معاملة العبيد من الذكور والإناث الذين يملكهم التجار المسلمون والمقيمون في هرمز بعد أن تحول هؤلاء العبيد إلى المسيحية .

قد أمرني جلالته بإرسالها إلى "نونو دي كونها" ، قائد وحاكم الهند ، متضمنة تحت شفرتي بين الرسائل التي كتبها إليه حول هذا الموضوع .

تم فحص نسخة الفقرة بمعرفتي ، وهي صورة طبق الأصل .

كتبت هذه الحاشية بخط يدي في منزلي في "كامبوليد" في يوم الرابع من شهر مارس ، عام ١٥٣٣م .

"أنطونيو رودريجس" "Antonio Roderigues"

السكرتير

وفي العام نفسه (١٥٣٣م)

بعث محمود شاه أحد أعيان هرمز رسالة إلى الملك ، بتاريخ عام ١٥٣٣م ، يؤكد التهمة على ريس شرف بالكتابة لريس سليمان ، قائد الأسطول التركي : [٢٢]

نسخة لرسالة من "مير محمود شاه" ، إلى سيدنا الملك

لك ، الملك ، وسيد كل الملوك في العالم وسيد العرب والفرس وكل الأنحاء الأخرى ، الذي نسأل الله أن يطيل من عمره ودولته الملكية ويرسي من عدالته .

أنا ، خادمك دائماً ما أطلعك كيف كان أبي وكنت أنا وأجدادنا خداماً دائمين لملك هرمز بكل الحب والرغبة في خدمته والحمد لله وفي خلال كل الوقت الذي خدمنا فيه لم نجد أي خطأ منك تسبب في إذلالنا .

بعد أن جاء البرتغاليون إلى هرمز ، أنا خادمك مع الذين معي كانوا

---

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

دائماً يعينون وفي أي مكان آخر كان فإننا معروفون دائماً كخدام لملك البرتغال كما قد تعلم ذلك من القادة المسؤولين ومن قادة آخرين

كنت أرغب دوماً أن أكون صديقاً وأن عليك أن تعرف مدى الخدمة التي قدمتها لك في هذه البلاد ، وعند معرفة ذلك قدم لي الفضل ، ومع حامل هذه الرسالة ، "أنطونيو" ، وهو في رحلة إلى قصرك وله سمعة جيدة .

بناء على الثقة التي يدين له بها الكل ، أكتب لك عبره عن خدماتي والتي لا أود أن يعلم بها أحد سوى سموك ، ودون أي وسيلة يصبح ذلك معروفاً لأي مسلم حتى لا يكن لي ضغينة ويصبحوا أعداء إن علموا بهذه الرسالة ، وعن آخرين من الرجال الأمناء الذين سيقدمون لك من الذين ذكروا بأنهم لا يعملون في مصلحتك ، وتحمل في الشارع وهي رسائل مختومة ، وأدى القسم برأس الملك وعلى الإنجيل وشهد بوضع يده وأنهم لن يكشفوا تلك الرسائل لأي شخص باستثناء سموك الذي هو ملك البرتغال .

كانت الطريقة التي أخذنا بها الرسائل هي كما يلي : أنا خادمك كنت في "جاليولو" وجاء خادم الملك "بهرمز" الذي يسمونه "كوجاس آدم" "Kojas Adam" وعند دخوله إلى "كاليتي" حدث أن دخل إلى مكان إقامة والدي وفي خلال الحديث بدأ في أخبارنا أنه جاء وذهب برسالة وزراء هرمز إلى ريس سليمان طالباً منه الحضور لإنقاذ هرمز .

أنا خادمك ووالدي حالما سمعنا ذلك شعرنا بقلق بليغ واستعرضنا ما علينا القيام به لمنع مغادرته (استمر ذلك لأيام قليلة) ، وخلال هذه

الاستراحة جاء رجل شريف وأمين يقوم بالكتابة لك عما حدث هنا ، وأخبرني كيف أن "كوجاس آدم" جاء لمقابلته .

أخبره أنه يحمل رسائل الوزراء إلى ريس سليمان وطلب منا إن كنا نرغب في الكتابة كذلك ، فأخبرناه بعدم استطاعتنا مالم نشاهد تلك الرسائل التي يحملها ونقوم بقراءتها ، ومن ثم يمكننا كتابة رسائل مشابهة .

فوافق على ذلك وذهب لإحضار الرسائل ، وحالما جاء بها طلبنا منه الذهاب والعودة في الصباح حتى نسلمه الرسائل جاهزة ، وبعد أن قمنا بقراءتها لم نعدها له أبداً مرة ثانية ، وكان عليه أن يلتمس إذناً بالمغادرة واحتفظت بها في أمان .

بالرغم من مناشدته ورجائه في طلبها حتى مزق شعر رأسه ، إلا أننا لم نسلمها له واحتفظنا بها في حوزتنا حتى مغادرة الملك لـ هرمز إلى الهند ، وقد كان في صحبته ذلك الرجل الفاضل نفسه .

عند المغادرة أخبرته بعدم أخذ الرسائل معه ، وأن يتركها في حوزتي وإنني سأسلمها لشخص مؤتمن وموثوق به وسأبعث بها إلى البرتغال ، وعليه تركها معي وغادر ، وظللت محتاراً فيمن أثق ومن سيتمكن في أخذها خفية ومن سيتمكن من عدم عرضها على أي أحد سوى سموك .

لم أتمكن من إيجاد أي شخص أو كل أمرها له ، واحتفظت بها دائماً حتى ذهبت إلى هرمز ، وبينما أنا في عملي في يوم من الأيام عند القصر جاء لي "أنطونيو" وأخبرني أن في "قشن" رجلاً أميناً جاء عنده وروى له كل الأحداث التي مرت معي وأراد أن يعرف إن كان عليَّ تسليمه الرسائل .

أجبته بأن عليه أداء القسم أمامي برأس ملك البرتغال وعلى الكتاب المقدس ، الإنجيل ، بأن ما أعطيته له لن يسلمه لأحد ، وألا يعلن ذلك لأي أحد باستثناء ملك البرتغال ، وأن عليه أن يكتم سري هذا ولا يكشف عنه لأي مسلم أو أي شخص آخر .

أخبرني أيضاً أنه سعيد بذلك ، وسيعمل كما أشرت له ، وقد أقسم أمامي بذلك ، وقد بدا لي رجلاً ذا مصداقية وأمانة ، فسلمته الرسائل حتى يقوم بتسليمها بطريقة سرية لسموك .

حدث كل ذلك كما ذكرت وسيقوم نفس حامل الرسائل بإطلاع سموك بنفسه وعلى سموك أن يقوم بما يراه صواباً في كل هذا الأمر ، ونتصرف بناء على ذلك .

كل تلك الأمور معروفة باستثناء موضوع الرسائل فلا أحد يعلم عنها أي شيء وإن كان هناك من علم بأمرها فذلك لابد أن يكون من فم المدعو "كوجاز آدم" ، الذي يعتبر نفسه مظلوماً ، وبدا له أنه بعمله ذاك فسيكون قد أدى خدمة جليلة وفائدة كبرى .

يتجول الآن قائلاً إنه هو من قدم هذه الخدمة لسموك وأنه جاء بتلك الرسائل ليس لأي دافع آخر وأن سموك الرجل صاحب النفوذ والملك المحب للعدل ، وألتمس منك أن تمنحني المعروف بالنظر لحالي أنا خادمك المطيع ... إلخ .

(بقلم الرصاص) : الأصل لهذه الرسالة مرفق مع النسخة .

وفي العام نفسه (١٥٣٣م)

بعث كمال بن حسين أحد أعيان هرمز رسالة إلى الملك "دوم مانويل" "Dom Manuel" ، بتاريخ عام ١٥٣٣م ، يؤكد التهمة على ريس شرف : (٢٣)

إلى الملك :

لك أنت ، ملك البرتغال ، ملك البحر والبر ، ملك الجزيرة العربية وفارس وكل الممالك الأخرى ، ليكن معلوماً أنني ، أنا خادمك الموجود في "كاليت" حيث وصل هناك إليها "كوجاس آدم" الحاكم في هرمز ، وعند دخول "كاليت" أطلعنا على الأخبار وقال إنه جاء نيابة عن الملك إلى "روم كوليماو" .

بعد يومين أخبرني أنه يحمل بعض الرسائل الخاصة بحاكم هرمز إلى الروم "كوليماو" وأن إحدى تلك الرسائل كان بخط يد وتوقيع

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

الوزراء ، وسألني إن كانت لي الرغبة بالكتابة إلى "كوليماو" أو لأي "مير" من بلاده وما علي سوى القيام بذلك لأنه خلال ثلاثة أو أربعة أيام سيغادر .

طلبت منه أن يأتي لي بالرسائل الخاصة بحاكم هرمز وبعد أن أراها سأقوم بالكتابة بناء على ذلك للآخرين ، وقد وافق على ذلك ، وعندما ذهب لإحضارها قمت بسرد كل ذلك إلى مير محمود شاه ، وقد رأى أن علينا محاولة عدم السماح لتلك الرسائل أن تصل بما أن ذلك سيكون في خدمة ملك البرتغال .

عندما أحضر لي "كوجاس آدم" الرسالة طلبت منه قراءتها لي وفي الصباح سأعطيها له مع الرسائل الأخرى فقرأها لي ، وحالما ذهب توجهت لأعرضها على مير محمود شاه ، وعندما اطلع عليها أخفيتها في الجدار .

جاء "كوجاس آدم" في اليوم التالي طالباً الرسائل فأخبرته بأنني فقدتها فبدأ في الحال بالشتم والشجار وبعث باثنين من العبيد لضربي لعلني بتلك الضربات واللطمات أعيد له الرسائل ، وقال لي مير محمود شاه إن تصرفي كان صحيحاً بعدم إعطائها له مرة ثانية مهما كان ، وبذلك نكون قد قدمنا لملك البرتغال خدمة وهو ما تم بالفعل ، وبعد مغادرة الوزراء مع "مانويل دو ماسيدو" ذهبت معهم .

عند مغادرتي معهم سألني "مير محمود" عن الرسائل حتى يحتفظ بها لحين إيجاد شخص ما ليأخذها إلى البرتغال ، سلمته الرسائل في يديه وغادرت ، فيما بعد وأنا في "قشن" رويت هذا الموضوع إلى

"أنطونيو" وكيف نقدم خدمة لملك البرتغال حتى لا تقع هذه الرسائل في أيدي أحد ما .

عند اطلاعه على ذلك جاء "أنطونيو" إلى هرمز وطلب الرسائل من مير محمود شاه وأخبره أنه في طريقه للبرتغال وكخدمة له فيسعده جداً أن يأخذها ، وعند ذلك أقسم أمام مير محمود برأس ملك البرتغال وعلى الكتاب المقدس بأنه لن يسلم تلك الرسائل لأي شخص أو يحكي عنها أو يعرضها لأي أحد ، بل فقط سيقدمها لملك البرتغال بيديه ، وهكذا بهذه الطريقة تم أخذ الرسائل وتسليمها وقدمت لشخص آخر اعتبرناه مسؤولاً وهي مغلقة تماماً ، وما أكتبه هنا هو الحقيقة بعينها .

وفي العام نفسه (١٥٣٣م)

كشفت الرسالة التي قيل إنها من ريس شرف ، قاضي هرمز ، وهي أنه بعث رسالة إلى ريس سليمان الرومي ، القائد التركي ، بتاريخ ١٥٣٣م : (٢٤)

إلى فاتح الموانئ ، عظيم المعرفة والمعلومات بين كل الناس ، خادم الرب القوي رجل الحروب المشهور كالأسد الذي ننتظره جميعاً بعيون مفتوحة الذي يبقى رجاؤه دائماً في الرب الذي نذر نفسه لرب النصر ، أمير "سوليماو" الذي نسأل الله أن يحفظه تحت رعايته وكل من يتبعه ويود له كل طيب .

الذي يواجه الأعداء ، الذي أطلعه أنه بالرغم من الحظ الذي واجهناه مع أولئك المرتدين ، إلا أن أرواحنا بدت وكأنها تود مغادرة أجسامنا للشر العظيم والنهب والسلب الذي مارسوه معنا ، والذي لا يعد ولا يحصى والسيطرة التي حاصرونا بها ووضعوا السكاكين حول أعناقنا .

هذا كان حظنا بأن يتمكن مرتد من حكمنا ويصبح الأمر الناهي علينا ،

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

تلك هي الحياة التي أمر بها ، أنا شرف الدين بينهم ومتى ما أرادوا يلقون بالقبض علي ويأخذونني والسلاسل حول عنقي إلى السجن ولا أدري إن كنت تحكم بهذا العذاب والمعاناة ، أنا أعتبرها الآن لا شيء وكل الشرور التي مارسوها علينا والتي تخطت كل الآثام والشرور .

عقد أولئك المرتدون مجلساً بخصوصي مع آخرين من الذين يتمنون لي الشر والأذى الذي لا تستطيع أن تصفه الكلمات ، ورغم ذلك لم ينصفني إيماني أو القانون ، وقد أمروا أولئك الضعاف من الناس والأنذال ليكونوا ضدي حتى يسلموني لأولئك المرتدين ليأخذوني إلى بلادهم حيث لا قيمة لحياتي هناك .

إنني أدعوك الآن بحب الرب أن تأتي لإنقاذي بأسرع ما تستطيع لإسعافي ، وإن رجالي مستعدون لمساعدتك في القتال ، وتذكر أنني واقع في شرك دون حبل أو يد ترفعني لأعلى وتنجيني وكل الأشياء الأخرى التي تبقى ليكتب عنها والتي مرت ستقدم لك في بيان بواسطة "بوكوجاس"(؟)

آدم الذي يعلم بها تماماً ، وأيضا ما لم أتمكن من نقله إليك ، حامل هذه الرسالة سيقدم لك كل التفاصيل ذات العلاقة وعن عدونا الشيخ قاصد قاتل أخي وما سيطلعك به هذا الرسول هو ما أقوله وما يمكنك أن تعرفه من فمه مباشرة كما ذكرته له ، بالإضافة لما تجده في هذه الرسالة ، وكيف هو وضعي هنا ، نسأل الله أن يجعلك تحت رعايته ويمنحك النصر بعون نبينا محمد .

عبدك شرف الدين

الأصل ملحق بهذا

أحداث عام ١٥٣٤م

منذ بداية ذلك العام ، وملك هرمز يطلب مراراً من البرتغاليين ، أن يقوموا باحتلال "خورفكان" وإرجاعها تحت حكم هرمز ، حتى إذا ما حدث أسر البرتغاليين ، وتأتي التفاصيل من كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، من الفصل الرابع والسبعين إلى الفصل السادس والسبعين : (٢٥)

الفصل الرابع والسبعون :

ثار في هذا الوقت أحد رعايا ملك هرمز ضده ، وكان هو الملك لمدينة تسمى "ريشهير" على ساحل الخليج الفارسي ، وتبعد مسافة مائة وسبعين فرسخاً عن هرمز ، وقد جاء بأسطول يتكون من اثني عشر مركباً عبر الخليج ، وقام بنهب السفن التي تبحر هناك ، خاصة تلك

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

التي في طريقها إلى هرمز ؛ ولهذا السبب قلة من السفن فقط تجرأت بالذهاب إلى هناك مما جعل ملك هرمز يعاني خسائر فادحة في تحصيل رسوم الجمارك .

اشتكى "لأنطونيو دا سيلفيرا" قائد القلعة ، وأبلغه بضرورة تدمير ذلك الأسطول ، وإلا فإنه لن يتمكن من سداد الجزية المفروضة عليه لخزينة ملك البرتغال . عندما علم "أنطونيو دا سيلفيرا" بهذا ، اتفق مع "دون جورجي دي كراستو" "D . Jorje de Crasto" ، القائد العام للبحار في هرمز ، أن يذهب بأسطوله إلى "ريشهير" ويصرح بأن ملكها قد عاد لطاعة ملك هرمز ، وأن يسحب أسطوله ، فإن رفض فسيكون من الضروري له أن يساعد ملك هرمز ، كونه أحد رعايا وأتباع ملك البرتغال .

انطلق "دون جورجي" على سفينة ، وأخذ معه بارجتين بصاريين ، كان قباطنتهما : "روى غوميز كراستو" "Rui Gomez de Crasto" والآخر "جواو ريبيرو" "Joao Rebeiro" ، وأخذ أيضاً مركباً بقيادة "نونو فاز" وخمسة قوارب ، وعلى ظهر تلك السفن مائتان من الرجال .

عندما وصلوا إلى "رأس باردستان" التي تبعد مائة وستين فرسخاً من هرمز ، واجه طقساً رهيباً ، مما أجبره على اللجوء إلى جزيرة غير مأهولة بالقرب من ذلك الرأس نفسه ، وعندما تحسن الطقس بعد أكثر من عشرين يوماً ، واصل تقدمه على رحلته وكان في حاجة ماسة للمياه والمؤن .

لم يكن في الجزيرة أي شيء ، وذهب للبحث في البر الرئيس ، وبينما هم يجمعون المياه على بعد ثلث أو نصف فرسخ من المنطقة التي رسوا فيها ، هاجمتهم أعداد كبيرة من المسلمين الذين كانوا يختبئون

في انتظارهم ، انقضوا عليها فجأة ، ولم يتمكنوا من مساعدة ثمانية برتغاليين وخمسة وثلاثين من العبيد المسيحيين من أخذهم أسرى .

مع إضافة عدد مماثل من المجدفين في سفينة المقدمة ولم يكن بها غيرهم . عندما علم "دون جورجي" الذي كان في البحر بذلك صدم كثيراً لأن فقدان المجدفين الذين أُسروا ، سيمنعه من مواصلة رحلته ، ولا يوجد مكان آخر يستطيع الحصول منه على آخرين ، واقترح في اجتماع عقدوه بضرورة العودة إلى هرمز لإيجاد بعض الرجال الذين لن يتمكن بغيرهم على تحقيق أي مكاسب .

اتفق معه بعض الحاضرين بالعودة إلى هرمز ، لكن "فرانسيسكو دي جوفيا" قال بينما يذهبون هم إلى هرمز ونقل الأخبار لما يحدث في "ريشهير" أراد هو أن يذهب أولاً للقيام بذلك ، إلا أن "دون جورجي" رفض وقال إنه إذا ذهب إلى هناك فسيعلم العدو بذلك ، وهو يريد أن يأخذهم على حين غرة ، ثم عاد إلى هرمز .

عندما سمع "انطوينو دا سيلفيرا" ، بخلاف عدم تحقيق أي شيء ، أصيبوا بهذه الكارثة ، والتي يلام فيها "دون جورجي" ، وكان غاضباً جداً بسبب قلة الحماس التي أبداها البرتغاليون ، وسوء ونقص الخدمة التي قدمت لملك البرتغال ، وقرر أن يأمر نفس الأسطول بالعودة مع قائد آخر هو "فرانسيسكو دي غويفا" ؛ وكان يعلم مدى مقدرته ، وكيف سيحقق المطلوب منه ، وأبلغه بقراره ، وحثه على القيام بذلك بصورة رائعة وسليمة ؛ ووعده "فرانسيسكو" بذلك .

الفصل الخامس والسبعون :

انطلق من هرمز مع نفس الأسطول كما فعل "دون جورجي" وأبحر هو على المركب الذي يقوده "نونو فاز" ، ولم يعترضه أي عائق في رحلته حتى وصل إلى ميناء "ريشهير" وهي مدينة كبيرة فيها قلعة جميلة على ساحل فارس ، في موقع رائع ، ومنازل من الحجر الأبيض ، تكثر فيها المؤن ، وجميع سكانها من المسلمين .

عندما سمع الملك أن أسطولنا بالميناء ، قرر الاستيلاء عليه ، وكل من فيه عبر الخداع والمكيدة ، وبعث برسالة إلى "فرانسيسكو دي غوفيا" بواسطة قائد مسلم للترحيب به ، وبأن الملك كان سعيداً جداً بمجيء البرتغاليين إلى مينائه ، وهو كان يرغب بشدة في أن يرسي دعائم السلام معهم ، إن كان "فرانسيسكو دي غويفا" يقبل بذلك ، وسيمنحه المركب الذي يملكه بطيب خاطر مع الأسرى الذين أخذوا من قوة "دون جورجي" ، كما سيسلمه كل الممتلكات التي احتجزت من البرتغاليين .

أرسل مع الرسالة هدية قيمة من المشروبات والمأكولات ، ولأن "فرانسيسكو دي غويفا" قد تلقى تعليمات بإبرام السلام مع الملك شريطة أن يسلم ما وعد به ، رد عليه بأنه مقتنع تماماً بالسلام إن أوفى الملك بما قال ، وما كان عليه في البدء باحتجاز أي شيء ، عندما تلقى الملك هذا الرد ، ألزم نفسه بعقد اجتماع عند حافة المياه (الشط) .

لترتيب ذلك الاجتماع ، رأى وجود مهلة لثلاثة أيام ، لأنه غير رأيه حول الذهاب والتحدث مع "فرانسيسكو دي غويفا" ؛ كان ذلك لأنه

قرر احتجازه عند المواجهة ، ورأى أن ذلك قد يؤدي إلى مخاطرة ، وإن كان على أحد أن يذهب فمن الأفضل أن يكون ذلك رئيس الوزراء "الجوازيل" ولذلك بعث برسالة يعتذر فيها بعدم ذهابه كما وعد سابقاً .

بعد مرور تلك الأيام ، أمر الملك بنصب خيمة رائعة على الشاطئ ، بالقرب من البحر ، للاجتماع الذي سيتم بين رئيس وزرائه و"فرانسيسكو دي غويفا" ، الذي ذهب إلى البر مع أربعين من البرتغاليين ، كانوا جميعاً من الفرسان ، ويحمل هو "سيفين" على جانبيه . ترك السفن ومقدماتها باتجاه اليابسة مع المدافع جاهزة ، لأنه شك بأن المسلمين قد يحاولوا بعض الخدع والمكر .

كان الملك قد وضع كميناً خلف تلة في مكان قريب ، حيث يتواجد أربعمائة من الخيالة ، وعدد ضخم من الجنود المشاة ، يقدم رئيس الوزراء يده مرحباً بـ "فرانسيسكو دي غويفا" ، وعندها يندفع الآخرون لقتل كل البرتغاليين والاستيلاء على الأسطول ، كان رئيس الوزراء يدعى خواجا فرج الله ومعه ثلاثمائة من الرجال خرجوا .

عندما شاهده "فرانسيسكو دي غويفا" بعث برسالة يسأل فيها عن هذا العدد الكبير من الرجال ، بينما جاءوا هم لإبرام سلام ، ولم يكن معه سوى أربعين رجلاً ، وطلب أن يبقى مع رئيس الوزراء مائة رجل فقط ، قبل رئيس الوزراء بذلك ، وأبعد بقية الرجال ، دخلوا بعد ذلك إلى الخيمة حيث جلس رئيس ودعا "فرانسيسكو دي غويفا" للجلوس ، لكنه رفض ذلك لشكه في الأمر .

خلال حديثه مع رئيس الوزراء كان يتمشى وسيفه في يده ، وعليه

لم يجرؤ رئيس الوزراء لتنفيذ ما خطط له ؛ وعلى النقيض كان خائفا عندما رأى الهدوء الذي يبدو على "فرانسيسكو دي غويفا" ، واعتقد أنه يفكر في قتله ، تم إبرام السلام مثلما عرض الملك ذلك في السابق ، وتم تسجيل ذلك كتابة بواسطة كاتبين أحدهما برتغالي والآخر مسلم .

وقع عليه "فرانسيسكو دي غويفا" ورئيس الوزراء ، الذي عاد إلى المدينة بعد انتهاء الموضوع ، وقال في اليوم التالي إن الشروط التي وردت في اتفاق السلام ستنفذ ، عندما رأى الملك وصول رئيس الوزراء دون أن يكون معه "فرانسيسكو دي غويفا" انزعج كثيراً ، وفكر في أن يأمر بقتله ، إلا أن الذين حوله نصحوه بعدم تنفيذ ذلك ؛ لكنه أبعده عن المنصب .

الفصل السادس والسبعون :

عندما رأى الملك عدم إمكانية القبض على "فرانسيسكو دي غويفا" ، كما كان يتمنى ، قرر أن يعلن الحرب عليه ، وأرسل العديد من الفرسان ومطلقي السهام لحراسة الآبار التي يتزود منها "فرانسيسكو دي غويفا" بالمياه ، ويمنع من ذلك بواسطة المسلمين .

كانت أعداد البرتغاليين قليلة جداً مقارنة بأعداد المسلمين ، مما اضطرهم للانسحاب إلى السفن ، وكان عملاً شاقاً ، إلا أن المدافع ساعدتهم وتسببت في بعض الإصابات من جرحى وقتلى بين المسلمين ، الذين قتلوا بحاراً برتغالياً واحداً فقط .

تحرك العدو بعيداً عن مرمى مدافعنا ، وأصبحت هناك مساحة

ليصعد رجالنا إلى السفن ، إلا أن الحاجة للمياه أجبرت "فرانسيسكو دي غويفا" أن يذهب ويستولى على جزيرة تسمى "خرج" على بعد سبعة فراسخ من "ريشهير" وفي الطريق إلى هناك رأى المراكب قادمة من "ريشهير" ، وبالرغم من أن عددهم ضعف حجم أسطوله ، إلا أنه قرر محاربتهم ، وأبلغ القباطنة الآخرين بذلك ، وتحول لمواجهتهم .

عندما شاهدوا أسطولنا بدأ وكأنهم خافوا واتجهوا مباشرة نحو اليابسة ودخلوا في ممر على بعد فرسخين من "ريشهير" ، ظل مركبان في الخارج لعدم وجود مكان لأخرى ، رأى "فرانسيسكو دي غويفا" أنهم لجأوا إلى هناك ؛ وحتى يتمكن من الوصول إليهم بسرعة ، تحول لأحد القوارب وجدف بسرعة حتى وصل لأحد المراكب الذي مكث بالخارج عند النهر ، فاستولى عليه ، وقتل ثلاثة من العشرين رجلاً الذين كانوا على ظهره وجميعهم من الفرسان .

رمى البقية بأنفسهم في البحر ، لكن البرتغاليين أسروهم جميعاً واستولوا على المركب ، رسا المركب الآخر عند الشاطئ ، وهرب الرجال الذين كانوا على ظهره ، واحتجز المركب بواسطة "فرانسيسكو دي غويفا" ، وكان محملاً بالأقمشة والزنجبيل والقرفة ، وتلك هي الحمولات التي تحملها السفن التي تبحر من هرمز إلى البصرة .

بعد الاستيلاء على ذلك المركب ، ولمعرفة "فرانسيسكو دي غويفا" بعدم قدرته على محاربة السفن الأخرى ، لأنها ذهبت إلى داخل النهر ، فذهب إلى "خرج" ليتزود بالمياه ، ووجد هناك قرية بها مسجد وحوالي

ستين مسلماً من أسطول العدو ، كانوا ينتظرون هناك ، بينما أخذ الآخرون الغنائم التي وجدوها في "ريشهير" .

عندما شاهدوا أسطولنا في الميناء يأخذ في الماء ، تجمعوا على قمة التلة حيث كانت القلعة واستعدوا للدفاع عن أنفسهم وبعثوا برسالة إلى "ريشهير" شرحوا فيها ما يحدث ، بينما لجأ السكان إلى مكان فيه بعض الكهوف عند حافة البحر ، وقتل البرتغاليون جزءاً كبيراً منهم . بعد أخذ المياه ، أحرقوا القرية بما فيها المسجد أيضاً الذي يعتبره المسلمون مكاناً مقدساً ويأتيه الناس من كل مكان .

بعث "فرانسيسكو دي غويفا" برسالة للمسلمين الذين في أعلى التلة بأنهم إن لم يستسلموا في غضون ثلاث ساعات سيلحق بهم ويفعل بهم ما يشاء ، استجابوا للنداء وأرسلوا له سلاحهم أولاً ، وحصل بعد ذلك على إطلاق سراح الأسرى الذين أخذوا من "دون جورجي دي كراستو" ، واشترط عليهم إبقاء السلام كما هو ، والذي اتفق عليه مع خواجا فراج الله ، واقتنع ملك "ريشهير" بذلك ، بعد أن رأى القليل الذي سيكسبه إن أصر على شن الحرب ضد البرتغاليين .

تحرك "فرانسيسكو دي غويفا" بعد ذلك بسرعة وانطلق عبر الخليج إلى جزيرة البحرين ، وكتب من هناك لملك "البصرة" بما قام به ، وأرسل له التوابل التي أخذها من المسلمين لصداقته مع البرتغاليين ، لعلم الملك بالوضع الآمن في الخليج ، أرسل سفينة بالمؤن والمواد إلى "فرانسيسكو دي غويفا" مع شكره وتحياته على التوابل التي تسلمها .

ذهب "فرانسيسكو دي غويفا" بعد أن تأكد من سلامة وأمن الخليج

لقضاء موسم "المونسون" في هرمز التي توفي ملكها في ذلك الوقت ، ونصب "أنطونيو دا سيلفيرا" و"ديوغو دا سيلفيرا" ابنه ملكاً على العرش ، وهو صبي يبلغ من العمر ثماني سنوات ، وقد توفي فيما بعد مسموماً ، وكان ذلك بأمر من ريس علي الذي كان قد نُفي إلى الهند ، وبما أنه عم الصبي فقد خلفه في الملك ، وكان صديقاً حميماً للبرتغاليين ، وقدم خدمات جليلة لملك البرتغال .

أحداث عام ١٥٣٥م

حـدثت الهزيمـة الكبرى للسلطـان التركـي ، جاء ذلك في رسالـة مرسلـة من "القسطنطينيـة" إلـى الأب المقـدس "البابا بول الثالث" "Pope Paul III" ، تتعلق بالهزيمة الكبرى التي حلَّت بالسلطان التركي على يد ملك بلاد فارس في مدينة "تبريز" ، والتي يتم فيها رواية كل شيء بالتفصيل ، "القسطنطينية" ، في العشرين من شهر مارس عام ١٥٣٥م : (٢٦)

سوف يعرف قداستكم أن أياماً عديدة مرَّت قبل أن تُعرف في "القسطنطينية" هزيمة الأتراك الكبرى ومذبحتهم ، حينما تمت معرفتها ، أعلمت نفسي على الفور وبتفصيل كبير من أشخاص لم يخفوا شيئاً عني وسجلتها كلها بعناية شديدة .

إنني مرسل إلى قداستكم بهذه المعلومات .

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

أقول إنه قبل أيام عديدة غادر الصفوي ، ملك بلاد فارس العظيم مملكته مع ثلاثمائة ألف من الرجال المقاتلين الأقوياء جداً ، خيّالة ومشاة معاً ، لم أستطع أن أكتشف كم عدد الذين تمّ إعدادهم ، فقط كان العدد الإجمالي لأولئك الذين غادروا لشن الحرب على سلطان الأتراك هو ثلاثمائة ألف ، تقدموا بعداوة شديدة ، محدثين قتلاً كثيراً وضرراً لعدد كبير من المدن وقرى السلطان التركي .

عندما سمع السلطان التركي بهذا خرج مع كل رجاله وقواته ، وهم عاقدون العزم على ألا يعودوا حتى يتم الوصول إلى نهاية ، إما النصر أو الهزيمة ، أخذ معه مائتي ألف من رجال الخيالة ومائتي ألف من جنود المشاة ، تمّ سحبهم من "مصر" و"كرمانيا" وولايات أخرى . انخرط في معركة ضد الفرس بقوة كبيرة لدرجة أنه دحرهم بهجوم كبير ، واستعاد كل شيء .

لم يتمكن الفرس من مقاومته ومالوا إلى الفرار ، غير مكتفين بالضرر الشديد الذي قد أصابوهم به ، لاحقهم الأتراك المنتصرون في داخل مملكة بلاد فارس ، مُحكمين السيطرة على كل الدولة .

اقتحم على الفور إبراهيم باشا ، قبطان الأتراك العظيم مدينة تسمى "تبريز" في مملكة بلاد فارس ، حيث كان هناك جزء كبير من ثروة الملك الصفوي ، ولأنه لم يكن بها أية أسوار قوية جداً ، فقد تمّ الاستيلاء عليها مع مكسب كبير للأتراك ، حينما تلقى الملك الصفوي الخبر هذا ، قرر أنه بالدهاء يستطيع أن يخدع أعداءه بالطريقة التالية :

سوف تعرفون أن أراضي بلاد فارس قاحلة جداً ، ذات جبال

عديدة . عند القيام بإظهار كبير للخوف ، استشار الملك الصفوي "إساي كاستيلو" "Esai Castello" وهو رجل ذو سلطة كثيرة ، واتفقا على أن يلوذ بالفرار .

رأى الأتراك أن هذا صحيح ، وكذلك أيضاً الفرار ، وفكروا في أنهم يجب أن يتابعوا نصرهم ، ويتقدموا إلى الأمام بشجاعة ، على الرغم من أن الأرض كانت عارية والطرق صعبة ، راغبين في أن يضعوا نهاية لأعدائهم .

حاولوا أن يُحصَّنوا مدينة "تبريز" جيداً بقدر استطاعتهم ، وتركوا فيها كل الثروة والذخيرة ، وقطع المدفعية والنسوة اللائي قد أتوا بهن من "القسطنطينية" ، والخيول الخاصة بالأتراك وعدداً كبيراً من الإبل .

تُركت مدينة "تبريز" تحت مسؤولية اثنين من القباطنة اليونانيين ، ورجال خيّالة ، ومواطنين من أبناء مدينة "ناثا" "Natha" ، الذين كانوا تحت قيادة إبراهيم باشا ، مع ثلاثة آلاف جندي من حملة الرماح لكي يحرسوا المدينة بقيادة الإثنين من القباطنة .

بعد مغادرة المدينة مع القوات المذكورة ، غادر السلطان التركي مع بقية الجيش ، وبعض قطع المدفعية التي كانت أكثر شيوعاً ، عبروا نهراً كبيراً يسمى "الفرات" بواسطة ثلاثة من الجسور الخشبية ، التي أمر بأن يتم صناعتها ، ولاحقوا الفرس الذين كان لديهم ميزة كبرى عليهم ، لأنهم عرفوا البلاد .

واجه الأتراك برداً شديداً ، كانت بداية شهر يناير وكان كل من الخيول والرجال يشعرون بالجوع الشديد ، وحيث اقتفوا الأثر ، فقد

فاجأوا العدو ، الذي قاومهم في جبل يسمى "رينارك" "Reinarqui" ، بينما كان الأتراك يستريحون في أسفل الجبل ، كان الفرس يقومون بإعداد حصن لأنفسهم في الجبال مع الحواجز ودفاعات أخرى .

غادر ستون ألفاً من الفرس الجبال بطريقة سرية جداً من خلال طرق محجوبة عن الرؤية دون أن يسمع بهم أحد ، ورجعوا عائدين ، وعبروا نهر الفرات ، وهاجموا مدينة "تبريز" في منتصف الليل ، واستولوا عليها بالإضافة إلى جميع الأتراك الذين كانوا فيها .

أخذوا كل ثروة السلطان التركي ، والنسوة ، وحصنوا أنفسهم في المدينة ، مثلما قرروا أن يفعلوا .

وصل الخبر إلى الفرس الذين كانوا في الجبال ، وكذلك أيضاً الأتراك ، الذين لاذوا بالفرار حينما علموا بالهزيمة ، لاحقهم الفرس ، وحينما وصلوا إلى النهر كان عدد كبير منهم غرقى ، بلا رحمة ، أسر الفرس أعداءهم لدرجة أنهم تمكنوا من قتلهم .

كان السلطان التركي ، لحسن حظه ، في ذلك الوقت بعيداً عن جيشه ، مع قوة كبيرة من المرتزقة ، والأعيان ، وجنود بلاطه ، وحينما علم الخبر السيئ ، سار ممتطياً حصانه بغضب شديد وصل حدود دولته ، وحصَّن نفسه في مدينة تسمى "كوستج" "Costj" ، وهي مكان قوي جداً ، لكن كل المدن التي وراءه كانت متروكة ، مع الأسرى والموتى لسيوف أعدائه القاسية .

تم الاحتفاظ بهذا الخبر سراً في "القسطنطينية" أولاً ، ولكن عندما أُذيع كان هناك حزنٌ شديد لأن عدداً كبيراً من الرجال من

المدينة نفسها كانوا أسرى وقتلى ، الآن يقوم السلطان التركي بعمل استعدادات كبيرة آمراً جميع ولاياته ومدنه وقُراه أن يمدوه بعدد كبير من الرجال والطعام وأشياء ضرورية أخرى .

كتب السلطان التركي إلى أعيان البندقية معتمداً عليها ولديه ثقة في شيئين اثنين ومذكراً إياهم بتحالفهم القديم . أرسل إلى مدينة كبيرة جداً تسمى "جنا" "Jena" من أجل قرض مالي كبير من المسيحيين بفائدة عشرين "أسفير" (عملة معدنية من الذهب) لكل فرد ، وأمر بأن يتم استخدام هذا المال لكي يحشد الجنود ، والذي نتيجة له يتم معاملة كل المسيحيين تحت حكمه بطريقة سيئة جداً .

يُقال إن عدد الرجال الموتى والأسرى هو ستة آلاف من الخيالة وثلاثون ألفاً من المشاة ، خمسون من الخيول وثمانون قطعة مدفعية ، زيادة على عدد كبير من البنادق الصغيرة والبنادق الكبيرة المحمولة على الكتف .

القباطنة المهمون الذي قُتلوا هم هؤلاء :

"كاساو باشا" ، مستشار عظيم خاص لسلطان الأتراك ، قبطان اليونان ، قبطان أناتوليا ، قبطان مصر ، "توبيبي" باشا ، أمين خزانة عظيم ، ضابط المدفعية ، "نيساجيبي" باشا ، مستشار عظيم لدى المرتزقة ، "ساباو باشا" ضابط عظيم ، ثلاثون قائدًا آخر ، ثلاثة آلاف من الإنكشارية (جنود المرتزقة) ، باشا قصاريا (قيصرية) ، الباشا ، رجل شجاع ، باشا البوسنة ، ثلاثون وثنيًا ، عدد كبير من الجرحى ، أربعون من سيدات القصر ، عشرون من الخدم كانوا يسيرون مع شخصية

السلطان التركي في ركبه ، خمسة عشر ألف رجل قُتلوا على يد الملك الصفوي في مدينة "تبريز" ، خمسة آلاف قُتلوا في نواح أخرى .

كتب في "القسطنطينية" في العشرين من شهر مارس عام ١٥٣٥م .

وفي العام نفسه (١٥٣٥م)

بعث ملك البرتغال رسالة إلى "البابا" "the Pope" ، "لشبونه" ، في يوم الثاني والعشرين من شهر يوليو عام ١٥٣٥م ، وفيها وصف للسلطان التركي وهو بين الغانيات والجنود البؤساء والجرحى : (٢٧)

رسالة أخرى مرسلة إلى قداسته بعد (كما هي مكتوبة في الأصل) الرسالة السابقة .

أكتب إلى قداستكم عن الهزيمة الكبرى التي نزلت بالسلطان التركي على يد الملك الصفوي في مدينة "تبريز" ، والتي لم تكن كذبة ولكنها أكبر مما أخبر قداستكم .

الآن يجب عليَّ أن أقدم إليكم تقريراً عن الاستعدادات الكبرى التي قام بها السلطان التركي في مدينة نبيلة تسمى "العريضة" "Alerida" .

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

تم إجراء حشد ، وقد تبين أن أكثر من ثلاثين ألف رجل لم يكونوا صالحين للقتال لأنهم جُرحوا وعانوا من الوقت الصعب الذي قضوه في السير على الطرق ، والآن فإنهم ليسوا في حالة جيدة لكي يقاتلوا .

حشد عدداً كبيراً من الرجال الآخرين بقدر استطاعته وأرسل إثنين من السفراء إلى ملك بلاد فارس لكي يقدم فدية عن الأسرى ، حينما سلَّموا رسائلهم إلى الملك الصفوي منحهم المساجين الأسرى ، ولم يتمكن فقط من تسليم أو إرسال النسوة أو الخيول .

كان بين المساجين الذين أرسلهم "الباشا" الذي كان مجروحاً بشدة ويُقال إنه رجل شجاع جداً ، وكشخص باسل يمكن أن يوجد في أي مكان في العام ، يُقال أيضاً أن السلطان التركي حزين جداً عليه ، لأنه كان دائماً معه ، يقال إنه حسن النية تجاه المسيحيين ، وأن والده كان في روما لفترة طويلة من الزمن في أيام البابا "ألكسندر السادس" "Alexandre VI" مع "زينزامو" (شاهنشاه؟) باشا ، شقيق السلطان التركي المعظم سليم .

أخبرت قداستكم في الرسالة الأخيرة عن الأتاوة الكبيرة التي يقوم بطلبها من المسيحيين ، التي هي عشرون "إسفير" عن كل فرد والتي جمع منها ثروة كثيرة ، في هذه البلاد حشد رجالاً كثيرين ، وحصل على مائة ألف من الخيول ، وصلت الآن ، هذا بالإضافة إلى تلك التي كان يمتلكها فعلاً في وقت سابق ، وهو يحتفظ بها في المعسكر .

أرسل أيضاً من "القسطنطينية" زهرة سيدات القصر ، اللائي

سافرن في عربات تجرها الخيول مع عباءات وثياب موشاة بالذهب ، وهن يظهرن وجوههن الجميلة وزينتهن .

ذهبوا إلى المعسكر حيث كان السلطان التركي ، ومقدار كبير أيضاً من المؤن التي وصلت بحراً وبراً من كل الاتجاهات ، أقسم أن يُكرس كل قوته لهذه العملية وألا يتخلى عنها سوى بالنصر أو فقدان دولته ، حينما وصلت هذه الأشياء ، والمؤن ، والرجال كان هناك ابتهاج شديد لمدة ثلاثة أيام في المعسكر التركي ، وإطلاق نار كثير من المدافع .

بعد ذلك انتدب اثنين من السفراء وأوفدهما إلى الملك الصفوي ومعهما رسالة تقول بأنه عرف أنه كان مُمتعاً نفسه بالنساء والخيول والثروة ، وأنه قد أرسل من "القسطنطينية" أفضل كل شيء مع ثروة كثيرة من الذهب والخيول .

كونه شهماً ، فقد فكر أن يجعله يعلم ، لكي يمكن لجنوده أن يستعدوا لقتال الأتراك بشجاعة أكثر ، وأنه كان مُصمماً على أن يذهب إلى هذه العملية بكل قوته لكي يستعيد الولايات التي تم اغتصابها منه لفترة طويلة من الزمن بخداع كبير .

عندما وصل السفيران إلى حضرة ملك بلاد فارس وسلّماه رسالتهما ، تم استقبالهما بطريقة حسنة جداً ، وأعطاهما الملك الصفوي الإجابة هذه :

رد الملك الصفوي :

"إنكما سوف تقولان لملككما أنه بعد أن سمعت ببعثته أجيب بأنه لا أنا ولا رجالي قد قاتلنا بفكرة سبي النساء أو الثروات الأخرى من الذهب ،

ولكن فقط من أجل سمعتنا الحسنة والشهرة التي نمتلكها ، والتي نعتز بها ، زيادة على ذلك ، فإننا نتوقع أن نكون أسياداً لأولئك الذين يمتلكون هؤلاء النسوة والثروات التي في سلطتهم ، التي نتوقع أن نحصل عليها للأبد عما قريب من الله ، ربنا الحقيقي ، الذي منه نرجو المجد المرغوب" .

عندما أعطى هذا الرد ، أمر بأن يتم إعطاؤهما هدايا وأعطاهما تصريحاً بالذهاب ، وأرسلهما في أمان في حراسة جيدة إلى أميرهما .

حينما سلّما رسالتهما إلى السلطان التركي ، قال السفيران إن الفرس قد أظهروا روحاً معنوية عالية ضدهم .

عندما سمع الأتراك بهذه الرسالة من الفرس أصبحوا في روح معنوية عالية ومستعدين للثأر لأنفسهم ، متشوقين للمشاركة في المعركة ، مُلقين اللوم بسبب هزائمهم على المرشدين السيئين والطرق في بلاد فارس ، ولم يعرفوا بعد بأنه يمكن أن يوجد سبب آخر أو حتى نتيجة أخرى .

يجب أن أخبر قداستكم أن دين ملك بلاد فارس هذا هو حياته ، ويحكم بالطرق التي يتبعها في الحرب ، فهو سيد على منطقة كبيرة من "ميديا" "Media" وأرمينيا ، وعلى مناطق أخرى نبيلة جداً ، ذو ثروة وفيرة وجنود ، ولكن ليست كثيرة مثل التي لدى السلطان التركي ، ولكنهم يعطونه جنوداً شجعاناً ، ومقاتلين أقوياء ومطيعين لملكهم .

إنهم يقاتلون (...) ، ومعظمهم جنود مشاة لديهم أقواس ورماح غليظة ولديهم أيضاً منجنيقات ، والتي يرمون بها كرات من الرصاص بتلك الكمية وتلك القوة لدرجة أنها ليست أقل تأثيراً من البنادق التي يحملونها على أكتافهم .

إنهم لا يشتركون في معركة خيالة كبيرة ، ولذلك فإنهم لا يمكن أن يتم جعلهم يسيرون في طريق واحد وأخذهم مع أسلحتهم وهم يُدمرون بشكل تام من أجل العقيدة .

لذلك فإنه سيكون أكثر انسجاماً إذا ما سعى السلطان المعظم إلى انتقامه بالتهديد بأنه سوف يستولي على الضريح المقدس ، وسوف تكون شكواه أكثر بشكل تام ضدنا ، حينما يرى هلاكه ، الذي سوف يكون بعون الله عما قريب ، وحينما يحزن على ثروته المادية فإنه سوف يطلب عملياً حسناتنا ومجد انبعاث العقيدة المسيحية .

هذه الأشياء ، أيها الأب المقدس ، ليست أشياء باطلة ولا صعبة جداً لكيلا تتحقق لأن الغزو هو قصدنا ، ما قد فعلناه هنا مع بدايات شاقة ووسائل مخيفة وقد تمَّ الحصول عليها وتمَّ إنجازه في فترة زمنية قصيرة جداً بعون الله مع ثروة عظيمة ومزدهرة .

سوف يعتقد أي كاثوليكي يقدرها دون مشاهدته لها أنه قد تمّ فعلها بشكل معجز بيد الله بدلاً من مشورة وقوة الرجال ، التي سوف يتم تلقيها بمجد كثير ، لأنه يوجد أمل كبير بأن عقيدته الحقيقية سوف تنتشر .

على الرغم من أنه يجب أن يتم الثناء بشكل عالٍ على هذا الغزو النافع والصالح ، فإن ملوك البرتغال أسلافنا ونحن قد استمرينا لمدة ستين عاماً حتى الآن من أجل تنفيذها ، بعد كبير من الوفيات (...) في قباطنتنا واللوردات النبلاء وكثير من جنودنا ، مع الأخطار غير المرغوب فيها والجهد المستمر والنفقة الباهظة .

إلا أننا نعتقد أن هذه الأعمال كانت مرسلة تماماً من الله ، وأنه لم

يجعلها صالحة لكي يفعلها رجال آخرون ، ربما قد توقفوا عما قد بدأوه ، لأنه تمَّ إخافتهم بواسطة أشياء كهذه ، أو أيضاً عندما تم إلهاؤهم بواسطة الأرباح الكبيرة للتجارة ، نجدهم قد أهملوا تمجيد العقيدة الكاثوليكية الحقيقة المقدسة .

ليس بدون سبب يعهد الله القدير لنا بهذه الأعمال ، لأنه عند إتباعنا خطوات أسلافنا فإننا نرغب في أن ننشر العقيدة ، وليس فقط في ننفق الثروات والربح الذي يأتي إلينا بشكل قانوني من خلال تجارتنا ، ولكن أيضاً نقدم إيرادات مملكاتنا وأوقاف كنائسنا وممتلكات رعايانا وما هو أكثر عزة لنا .

إننا لم ندخر وسعاً لكي ننجز هذه الأشياء ، ولكننا نرغب في أن نكرس كل ممتلكاتنا وحياتنا الخاصة حتى الموت في عمل صالح كهذا لفضل كهذا .

إننا ، أيها الأب المقدس ، نقول هذه الأشياء ، التي تنتمي إلى قداستكم بكلمات واضحة ، وفم مفتوح حينما علمنا وعرفنا دولة الهند ، حيث نمتلك بعون الله القدير خبرة في حالة البرابرة الكفار ، الذين لن يكو ن لديهم من الآن فصاعداً قوة أو مقاومة .

سوف يكون العكس صحيحاً لنا لأننا كاثوليك ونريد تمجيد العقيدة المسيحية الحقيقية ، في هذه المسائل سوف يُدرك قداستكم بسهولة أنه لأننا نمتلك هذا الأمل المرغوب ، لا نؤكد هذه الأشياء ضد سبب وأمل معين ، علاوة على هذا ، أيها الأب المقدس ، فيما يتعلق بهذه الذنوب التي من أجلها يشكو السلطان الملك والدنا ، نيابة عن الكفار ، فإنه يعتبرنا مشاركين .

يجب ألا ينسى قداستكم أنه طالما دام الزواج بين أنفسنا والملكة الأكثر عزاً زوجتنا ، دائماً (....) في هذه الإرادة الخالصة . إن مهرنا الأفضل هو أن نحتفظ بكل مساجد المسلمين في "قشتالة" وفي أي مكان آخر ، الخاضعة للملك والدنا ، وأنه قبل وصول أطفالهم سن النضج يتم عزلهم عن تعاليم وأخطاء آبائهم ويتلقون من الآن فصاعداً ماء التعميد المقدس ، كأفراد مسيحيين ، الشيء الذي تم فعله لسرورنا الشديد والمنفعة ولمجد الله .

أما فيما يتعلق بالانتقام الطائش وغير شريف والتهديدات التي قام بها السلطان القاسي مع نصف إنكار و (...) ضد الضريح المقدس ليسوع المسيح ، المُنقذ الوحيد لخلاصنا ، فإننا لا يمكن أن نغض النظر عنه ، إنه يُحزننا كثيراً جداً ، وبقسوة شديدة تم الاتفاق على أنه ربما لا يكون من غير المستحق .

لكن ، حينما يتجرأ البربري المتوحش على أن يقول أشياء كهذه ، بقليل من ضبط النفس ، فهذا يبدو مهيناً لدينكم ، ولقداستكم التي هي الرأس الحقيقية لعقيدتنا ، فإنهم يحملون إهانة لدينكم واضطهاداً يحتوي على الأسى .

لا عجب ، أيها الأب المقدس ، من أجل أن يتم حدوث أشياء كهذه وغباء متعجرف لدى الكفار من خلال إهانة كبيرة للملوك المسيحيين والأمراء الذين هم أكثر اهتماماً بمسائلهم الإنسانية الخاصة ، والذين لم يتجاهلوا فقط الإهانات لابن الله ، التي دائماً ما يطلقها الأعداء لأنها لم تكن من شأنهم ، ولكن أيضاً ، مثلما قد تمت رؤيته من قبل ، يغفرون لهم كل شيء .

لا يوجد أحد ، مدفوعاً بحماس العقيدة والروح الكاثوليكية ، يستطيع أن يثور ضدهم بيد متأهبة ويبدأ في مهاجمتهم بالأسلحة كما يجب ، متذكرين المنافع المتلقاة من يد الله كما يجب أن يفعلوا والأضرار العديدة التي تصيبهم على يد الكافرين ، فيجب عليهم أن ينزلوا بهم الألم العقاب .

أخيراً أيها الأب المقدس ، إننا لا نعتقد أن السلطان نفسه يقوم في سخرية عامة لجميع المسيحيين بتدمير سيئ كهذا للبيت المقدس حتى لو وعد به ، لأن العدو الشرير الوقح ، آخذاً بمشورته الخاصة (....) وقلبه .

لأنه يجب عليه أن يتابعه بمجرد أن أصبح معروفاً من أولئك الذين قد تلقوا ماء التعميد المقدس الانتقام الورع والمعادل وقد اعترفوا باسم المسيح ، صغاراً وكباراً ، مرضى وأصحاء ، دون النظر إلى الحالة والعمر ، فإن الجميع سوف يهرع إليه بثروتهم وجسمهم ، مقدمين أرواحهم من أجله .

ربما لن يحدث هذا فيما عدا بالإذن الإلهي ، الذي به يجب أن يتم انتشار العقيدة المسيحية بواسطة نصر مكرّس ، وبعد ذلك بالمساعدة الملائمة والمزدهرة يمكن أن يتم عاجلاً وبسهولة أكثر البيت المقدس ليسوع المسيح ، المُنتزع من أيادي البرابرة ومع خسارتهم التامة .

إننا نُخبر قداستكم أن هذه الأشياء ، أيها الأب المقدس ، التي يجب أن تحدث إذا كانت لديكم النية كما نعتقد ، هي في متناول أيديكم ، ثم سوف تحدث بعد ذلك السيادة ، مع رخاء عظيم وحلاوة الحرب والسلام ، حينما يُزيل حظكم الحسن من الملوك المسيحيين والأمراء النية السيئة والخلاف الذي يوجد بينهم ، الذي بواسطته يقومون بتدمير كل منهم الآخر .

حينما كان من المقترح لقداستكم السلف الصالح البابا "ألكسندر" من قبل بعض الأمراء المسيحيين (بشكل كاثوليكي) ، الذين لا يشملوننا ، تسلمها منهم ، ولذلك نعتقد فقط لأن الله القدير قد حفظ هذا العمل المقدس والورع من أجل قداستكم ، وفقط في زمانكم (...) بركة متضمنة منكم لكي يكون قسيساً أكثر جدارة .

لأن هذه الأمر هو شيء ما يُعد مهماً لكي نحققه وضروري جداً (...) ويتم تقديم هذه الأشياء إليكم ، التي يجب على قداستكم أن يتجاهلها من أجل الشكر الكبير لله ومجده العظيم .

لكن ، بعد رفع الصليب كراية وقبطان في القضية (...) ، تابعوا المسألة بإخلاص وبشجاعة عظيمة وقوة ، وتأكدوا أنه ربما على الرغم من وقت لفضل كهذا وثناء ، لن يوجد شيء على الأرض سوى الازدياد في العقيدة الكاثوليكية .

كما أمرنا قداستكم في رسالة بأننا يجب أن نعلن لكم أنه في رأينا يجب أن يكون الرد على السلطان المذكور ، الذي من أجله نقدم إلى قداستكم شكراً بلا حدود ، إننا نعتبر أنه من الأفضل أننا يجب أن نقدم عذراً عن هذا ، لأنه حيث يوجد حظكم الحسن والكلية المقدسة المباركة لدى القلوب حيث تزدهر حكمة كثيرة وتدبر ، إننا نعتقد أنه يجب أن نقدم النصيحة في هذه المسألة ، حتى لو كانت أكثر خطورة .

أما بالنسبة للمسائل الأخرى ، أيها الأب المقدس ، فهم ليسوا أكثر من أنهم سوف يدعون الله بتدبر شديد جداً لكي يُنير عقل قداستكم بنور الإحسان لكي تردوا على هذه الأشياء التي تنتمي بشكل وثيق

بدول رابطة الديانة المسيحية ، بالطريقة المعتادة ، وأن نستعد لهم بالأعمال والأفعال أكثر منه بالكلمات والأقوال .

أطال الله في عمركم وصحتكم وملككم كما ترغبون .

من "لشبونه" ، مدينتنا هذه ، في يوم ١٢ يوليو ١٥٣٥م/ (كما هي مكتوبة في الأصل) .

أحداث عام ١٥٣٦م

بعث "لويس سارمينتو" "Luis Sarmiento" ، السفير الإسباني في البرتغال "لشبونه" ، رسالة إلى الملك في الثامن عشر من يوليو ١٥٣٦م ، جاء فيها الحديث عن الأسرى البرتغاليين في "القسطنطينية" : (٢٨)

مقتطف :

أخبرني ملك البرتغال ، كما اعتاد أن يفعل من قبل ، أنه في العام الماضي ١٥٣٦م ، أسر الأتراك أحد قواده ، "دوم مانويل دي مينسيس" "D . Manuel de Meneses" ، في الشحر ، على ساحل الجزيرة العربية ، وأن واحداً وثمانين برتغالياً قد تم أسرهم أيضاً ، وكان في الأمر خيانة ؛ لأن حاكم ذلك البلد يعادي الملك في البرتغال .

كان "دوم مانويل" والبرتغاليون الآخرون قد ذهبوا إلى هناك للتجارة

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

مع ذلك الملك في التوابل والبضائع الأخرى ، كما اعتادوا أن يفعلوا من قبل ، عندما قبض عليهم ، بعد أن قتل اثنين منهم بيديه .

بعد ذلك أوثقهم بينما كانت إحدى السفن تعد لهم ، ثم أمر بوضع أربعة وثلاثين من البرتغاليين على ظهرها وأرسلهم هدية إلى الأتراك ، وتم تسليم الأسرى إلى والي "القاهرة" ليحولهم إلى رؤسائه .

فاستبقى منهم اثنين وثلاثين وأرسل إلى الأتراك في "القسطنطينية" وبأقصى سرعة ، الاثنين الآخرين ؛ لأنه اعتقد أنهما الأكثر معرفة بأحوال الهند ، وكان عليهما أن يقدما معلومات عن القلاع والأسلحة والجيوش والأساطيل التي يمتلكها ملك البرتغال في الهند ، وأيضاً معلومات عن ثروة الهند ونواحي العظمة فيها ، وقد علم الأتراك أشياء كثيرة من رواية هذين الرجلين .

الأهم من هذا ، كما أخبرني ملك البرتغال ، أن لديه معلومات من مصادر موثوقة بأن ملك "كامباي" أرسل إلى الأتراك سبع سفن شراعية حربية ، تحمل هدية من ثلاثة ملايين قطعة من الذهب ، ويُعتقد أن ملك "كامباي" فعل ما فعل ليساعد الأتراك في بناء أسطول وإعداد جيش كبير للذهاب إلى الهند ، لأن من الصعب التفكير في سبب آخر يجعله يرسل هذا المال الوفير .

طبقاً لما كتبه هؤلاء الأسرى من البرتغاليين من "القسطنطينية" ، فإن الأتراك عينوا حاكماً وقائداً للأسطول ونقيباً في الجيش اسمه سليمان ، وعين للذهاب معه رجل من البندقية اسمه "جيوفاني فرانسيسكو"

"Giovani Francisco" الذي عاش في هذه المملكة (البرتغال) ، ويقال إنه على علم واسع جداً فيما يخص الأساطيل .

في يوم الثاني من نوفمبر عام ١٥٣٦م ، كتب هؤلاء الأسرى في "القسطنطينية" أن الأتراك أعطوا هذا القائد اثنين وثلاثين (هكذا جاء في الأصل) رجلاً ليأخذهم معه في الأسطول ، بما في ذلك ثلاثة آلاف جندي من حملة البنادق .

قد أعد الأسطول ليتألف من ستين سفينة شراعية مزودة بالمجاديف ، وعشرين سفينة شراعية صغيرة ذات مجاديف ، وثمان سفن شراعية حربية ، هذا غير السفن السبع التي أرسلها ملك "كامباي" ... ويضاف إلى هذا العديد من السفن الأخرى التي تحمل التموين والمعدات الضرورية .

كان على هذا الأسطول أن يبحر إلى الهند هذا العام ، ١٥٣٧م ، في الشهر القادم ، أي في شهر سبتمبر ، كما أخبرني جلالته أنه سوف يرسل إلى جلالتكم رسالة مطولة حول هذا الموضوع عن طريق أحد عملائه السريين ، ورغم ذلك فقد طلب مني أن أنقل لجلالتكم ما أخبرني به وذكرته في السطور السابقة .

هو يطلب من جلالتكم أن تكتبوا إلى نواب الملك في نابولي وصقلية ، وإلى سفرائكم في روما والبندقية وكذلك من خلال ملك الرومان ، أن تسألوهم ليفعلوا كل ما في وسعهم ليكتشفوا ماذا سيفعل التركي بهذا الأسطول ، وعما إذا كان قد أرسله إلى الهند أو أنه يعده للذهاب إلى هناك ، وما هي حالة هذا الأسطول ؟ وأن تطلبوا جلالتكم منهم أن يخبروكم بما يعرفونه ، لأن هذا الأمر في غاية الأهمية بالنسبة له .

لهذا السبب طلب مني جلالته أن أرسل لكم هذه الرسالة ، كما هو واضح هنا فإن الهند ذات أهمية أولى ، وإن من الأمور الحيوية لهم أن يحافظوا على التجارة هناك ، وثمة خوف شديد من أن يكسب الأتراك موطئ قدم في هذا البلد .

من الواضح هنا (في البرتغال) أن الضرر لن يصيبهم وحدهم ، رغم أنه سيعني دماراً شاملاً لهذه المملكة ، بل إنه سوف يسبب الضرر أيضاً لكل العالم المسيحي ؛ لأن التركي إذا استطاع أن يتحكم في الهند بثرواتها العظيمة ، فمن المؤكد أنه عندئذ سوف يسيطر على العالم كله ، وهذا هو السبب في أننا نعتبر الأمر ذا أهمية قصوى .

أحداث عام ١٥٣٧م

في ذلك العام عند لقاء ملك "كامباي" المسلم بالبرتغاليين وجرت الأحـداث أن تدخلت القوات التركية المقيمة في مملكة "كامباي" في غجرات ، وحدث القتال بين البرتغاليين والأتراك وقد تم القضاء على سفن الأتراك ، جاء ذلك في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، في الفصل الرابع والستين بعد المائة : (٢٩)

الفصل الرابع والستون بعد المائة :

بينما كان الملك قد ذهب لكي يصعد إلى سفينته ، كان الحاكم قد انفرد جانباً يتحدث إلى "مانويل دا سوسا" ، حيث قال له : اذهب الآن لكي تلحق بالملك ، وتقول له : نظراً لمغادرته التي تمت بتلك السرعة

---

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

لم يجد الحاكم الوقت كي يسلمك رسالة سيده ملك البرتغال التي يعتبر تسليمها أمراً بالغ الأهمية ، ومن واجبه الملقى على عاتقه ، وعليه فسوف يكون الحاكم ممتناً لك إذا ما تفضلت بالحضور للقلعة لكي يقابلك بنفسه ويسلمك رسالة جلالة الملك هناك .

بهذا صعد "مانويل دي سوسا" إلى متن قاربه ، ورافقه حينها كل من "ديوقو دي مزكويتا" "Diogo da Mesquita" و"أنطونيو كوريا" ؛ أما مجموعة النبلاء الذين تواجدوا في الغليون ، فقد راعهم تصرف الحاكم الذي سمح بمغادرة الملك ، فأخذوا يرمقونه بنظراتهم ، لذا فقد خاطبهم بقوله (سادتي الكرام ، الذين يرمقونني بتلك النظرات الآن ، هلموا ، دونكم هذه المراكب ، أسرعوا لكي تلحقوا بالملك ، وافعلوا ما يأمركم به ، ويقوله لكم مانويل دي سوسا) .

بعد ما قال لهم هذا ، صعد جميع النبلاء في المراكب غير مسلحين بشيء سوى سيوفهم ، وفي بعض المراكب ركب البعض الآخر ، ومن ثم أبحروا بأقصى سرعة ، وكانوا يبحرون خلف "مانويل دي سوسا" ، الذي أبحر بأقصى سرعة ممكنة ، لكي يلحق بالملك ، وكان الوقت الذي استغرقه الملك في العودة لكي يأخذ "خواجا صفار" قد ساعد "مانويل دي سوسا" كثيراً لكي يدرك سفينة الملك ، ولولا ذلك لما تمكن قط من اللحاق به .

بعدما لحق به ، وأصبح مركبه موازياً لسفينة الملك ، أخبر "سانتياقو" ترجمان الملك بأن يسأل الملك ما إذا كان بامكانه أن يذهب إلى الكاتيور ، لأن الحاكم يريده أن يذهب إلى القلعة ؛ فرد "سانتياقو"

بقوله : (هذا هراء وكلام فارغ ، وانه لن يذهب بنفسه كي يخبر الملك بذلك ، ويجب عليه ان يذهب بنفسه إلى سفينة الملك لكي يبلغه بهذا الأمر) .

حاول "مانويل دي سوسا" الصعود لسفينة الملك ، لكن باءت محاولته بالفشل ، ومن ثم سقط في البحر ، وهنا أسرع غلامه ورمى بنفسه في الماء ، حيث تمكن بالإمساك به من شعر رأسه ، وفجأة ظهر مركب آخر يحمل كلاً من "لوبو دي سوسا كوتنهو" "Lopo de Susa Coutinho" و"أنطونيو كوردوسو" "Antonio Cardoso" و"بدرو ألفاريز دي ألميدا" "D . Pedro Alvarez de Almeida" رئيس القضاء في الهند ، حيث كانوا يسافرون على متنه ؛ ومن هذا المركب قفز "لوبو دي سوسا" فوق مركب "مانويل دي سوسا" لكي يساعده وينتشله من البحر .

لما شاهد ملك "كامباي" هذا الحادث ، أبدى أسفه الكبير لما حدث لـ "مانويل دي سوسا" ، ومن ثم دعاه إلى سفينته ، التي ساعتها قد بدت في رفع مجاديفها ، ولم يمض وقت طويل حتى صعد "مانويل دي سوسا" إلى سفينة الملك ، يرافقه كل من "ديوقو دي مزكويتا" و"لوبو دي سوسا" و"بدرو ألفاريز دا ألميدا" و"أنطونيو كوريا" ، وحينها كانت الساعة قد قاربت الرابعة بعد الظهر ، كان "مانويل دي سوسا" و"أنطونيو توري" و"بدرو ألفاريز" قد آثروا الانتظار في مقدمة السفينة ، بينما عبر كل من "لوبو دي سوسا" و"ديوقو دي مزكويتا" إلى مؤخرة السفينة .

عندما رأى "سانتياقو" هؤلاء النفر يدخلون دون أن يأذن لهم الملك بالدخول ، كما رأى أيضاً بعض مراكب البرتغاليين تتسابق في الوصول

إلى المكان ، أخبر الملك بأنهم قد جاءوا للقبض عليه ، وهنا غضب الملك ، ومن ثم أطلق سهماً في الهواء ، وهي دلالة على الحرب والقتال .

فهم "ديوقو دي مزكويتا" هذه الإشارة ، كما أنه سمع أيضاً ما قاله "سانتياقو" للملك ؛ لذا فقد جرد سيفه ، ومن ثم أمسك بكل قوة بذراع الملك ، وسدد إليه طعنة بسيف صغير من جانبه الأيمن .

على العموم سرعان ما توافد المسلمون مسرعين لنجدته ، حيث تفاجأوا بهذا الهجوم ، وكان عددهم يقدر بثلاثة عشر رجلاً وكلهم رجال شجعان ، وفي تحد صلب شرعوا في ضرب البرتغاليين بوحشية ، وكانت أول ضربة قد تسببت في موت "مانويل سوسا" و"بدرو ألفاريز دا ألميدا" اللذين ألقيا في مياه البحر .

كان "ديوقو مزكويتا" و"لوبو دي سوسا" و"أنطونيو كوريا" قد قاتلوا بشجاعة نادرة وقاوموا مجموعة المسلمين إلى أن وصل مركبان من مراكب البرتغاليين بقيادة كل من "أفونسو فيالهو" "Afonso Velho" و"ألفارو منديز" "Alvaro Mendes" من "شول" ؛ وكانوا من نوع الرجال الذين لا يهابون الموت ، وكان قوام هذين المركبين أربعين محارباً ، وعند وصولهما كان "أنطونيو كاردوسا" قد سقط في الماء عندما كان يحاول القفز إلى سفينة الملك ، وقد تمكنوا من انتشاله من البحر .

أثناء هذا الاشتباك ، كان أحد غلمان الملك ، ويبلغ الثامنة عشرة من العمر ، قد ساعد جانبه بشجاعة فائقة ، حيث ظل يطلق سهامه من قوس الملك ، وكان يطلقها بمهارة عجيبة قلما تخطئ هدفها .

أثناء انتشال "أنطونيو كاردوسا" من الماء ، تلقى هذا الغريق سهماً من

سهام هذا الصبي اخترق جسده ، ومن ثم أسلم الروح إلى بارئها ؛ أما خدم النبلاء الذين كانوا برفقة الملك ، ومعظمهم من الأتراك ، فقد كانوا فئة تميزت بالشجاعة والإقدام ، وكان لهم دور بارز في هذه المعركة الحامية .

عندما رأى "ألفارو منديز" هذا ، تشبث بأحد المراكب ، حتى تمكن من الصعود إلى متنها ، ومعه البعض من رجاله ، وبدأ يقاتل بضراوة ، بحيث قتل عدداً كبيراً منهم ، وتسبب في جرح عدد آخر ، وحاول بعض الجرحى الهروب من أمامه بإلقاء أنفسهم في البحر .

عموماً لما رأى غلام الملك ما فعله هذا المحارب ، أطلق عليه سهماً أصابه في بطنه وأسقطه ميتاً .

بنفس الطريقة قُتل "أفونسو فيالهو" وعشرة أو اثنا عشر محارباً آخرون ، وكان من الممكن أن يقتلوا جميعاً لولا نجاحهم في قتل ذلك الغلام برصاص بنادقهم .

كانت مجموعة من المسلمين قد أحاطت بكل من "لوبو دي سوسا" و"ديوقو دي مزكويتا" ، وبالرغم من إصابتهما بجراح إلا أنهما تمكنا من قتل خمسة أو ستة منهم ؛ وبالرغم من ذلك ، فعندما علم المسلمون الآخرون من الجرحى أن قوتهم قد خارت بسبب فقدانهم كميات من الدماء .

ظلوا يضغطون عليهم كثيراً ويهاجمونهم بضراوة حتى قذفوهم في البحر ، وكانوا على وشك الموت غرقاً لولا أن تم انتشالهم من الماء .

عندما رأى الملك أن سفينته قد نظفت تماماً من البرتغاليين ، أمر جماعته بأن يعملوا بالتجديف فيها بأقصى سرعة ممكنة صوب المدينة ،

وتقريباً كانت جميع السفن العاملة بالتجديف تطارده ، وقد ملأت الجو صراخاً وهتافاً لا يقطعه سوى دوي البنادق التي تطلق نيرانها .

كان هذا الأمر قد شوهد بواسطة الأتراك الذين وصلوا إلى هناك في "الغليـون" و"التافوري" اللتين ألقتا بمراسيهما هناك ، حيث كان الملـك قـد أمر بأن تنضما إلـى أسطولـه ، ومن ثم شرعوا في إطلاق نيران مدفعيتهـم علـى البرتغالـيين ، وعندما رأى "قونسالو فاز كوتنهو "Goncalo Vaz Coutinho" والقباطنـة الآخرون ذلك ، وكانوا قد أبحروا تفصلهم مسافة بعيدة عن الملك ، فتمكنوا من اللحاق بسفن الأتراك ، حيث اشتبكوا مع المجموعة التي كانت على متنها وقتلوا معظمها .

كان الملك قد أسرع إلى ملجئه بالسرعة القصوى ، وقد وصل إلى موقع في وسط التحصينات ، وذلك موقع يوفر له الأمن والسلامة ، على العموم لما كان الرب يعلم حق اليقين أن خلاصه سيضر بالبرتغاليين ، فقد قضت إرادته أنه عند وصولهم إلى هناك كان أحد قواربنا قد انجرف خارج النهر ، وكان يبحر بقيادة أحد البرتغاليين ، واسمه "دا كونها بانتا فاصول "De Cunha Panta Fasol" ، وكان قد عبر قبله وتمكن من توجيه قذيفة من مدفعية أردت خمسة قتلى من رجاله العاملين بالتجديف ؛ وفي هذه اللحظة بدأت حركة المد في الانحسار ، فقد أخرجت المركب .

في نقص عدد المجدفين من رجالنا ، مع استمرار أسطولنا في ملاحقته ، فقد بدأ للملك أن من الأفضل له أن يلقي بنفسه في البحر لكي يتمكن من إنقاذها سباحة ، وبالتالي ، ألقى بنفسه ، كما قفز الذين معه في البحر ؛ وعندما

رأى سفينة "ترستاو دي بايفا" "Tristao de Baiva" قادمة من "سانتاريم" نادى عليه الملك بلغته (ألا يطلق عليه النار ليقتله لأنه هو ملك "كامباي" وأنه سوف يعطيه مكافأة مالية كبيرة إذا ما قام بإنقاذه) .

هنا طمأنه "تريستاو دي بايفا" بأنه لن يمسه بسوء ، ومن ثم ألقى إليه بأحد المجاديف لكي يتشبث به ، وبعدها أعطاه مجدافاً آخر على هيئة انبوب فارغ ، ولما رآه جريحاً على تلك الحال ، سارع "تريستاو" للقضاء عليه بسيفه فقتله ، وغاص جثمانه في الأعماق ، ولم يظهر قط .

أيضاً سبح "سانتياقو" إلى أن وصل إلى التحصينات البحرية ، حيث قام البرتغاليون برمي حجر ضخم أصابه في رأسه فقتله ، أيضاً كان البقية كلهم قد لقوا حتفهم ما عدا خواجا صفار ، الذي أصيب بجرحين في رأسه ، لكن أمكن إنقاذه بواسطة "أنطونيو دي سوتو" "Antonio de Sauto" الذي كان يعرفه من قبل .

تلك كانت نهاية ملك "كامباي" ، سيد أعظم الأقاليم والبلدان والناس والمال ، ولو كان قد نجا بجلده ، وكان يدرك أن البرتغاليين يريدون قتله ، لكان قد خلق لهم مشاكل لا حد لها - فقد كان لديه أكثر من خمسين ألف مقاتل من ديو ، وأسطوله بكافة أسلحته المدفعية ، لكن يبدو أن الرب كان رحيماً بالبرتغاليين حين مكنهم من قتله ، بعدما رأى توانيهم وإهمالهم في القبض عليه ، عندما كان بين أيديهم ، عالماً بخطة الخيانة والغدر التي أعدوها والكراهية التي يكنها الملك للبرتغاليين .

أحداث عام ١٥٣٨م

في ذلك العام ، وفي بداية شهر فبراير ، تقدمت قوة تركية إلـى سواحل الهند ، لتبدأ معارك ضد البرتغاليين جاء ذلك في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، من الفصل الثاني والثمانين بعد المائة إلـى الفصل الثالث والتسعين بعد المائة : (٣٠)

الفصل الثاني والثمانون بعد المائة :

كما قلت كان الملك قد ذهب إلى "ديو" ، حيث وصل إلى هناك في بداية شهر فبراير ١٥٣٨م ، وقد علم من خواجا صفر ، إنه على بينة من قدوم الأتراك في قوة ضخمة ، وقد كانت منطقة الوجود التركي في "ديو" واسعة جداً بحيث تقتضي الحاجة نشر العديد من الرجال كي

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

يقوموا بالدفاع عنها ، وحقيقة فهو لا يملك هذا العدد الكبير ، وبالتالي ليس هناك من شك في تمكن الأتراك من احتلالها .

لذلك ، كان قد قرر في اجتماعه مع القادة ، بأنه سوف يقوم بتدميرها لكي ينشئ عند طرف الجزء المائي منها حصناً منيعاً وسوراً لحماية قائدها ، وعلى الفور شرع في بناء سور وحيطان بعرض عشرين قدماً . بعدها قرر الحاكم إعطاء القبطانية للمدعو "فرانسيسكو باشيكو" "Francisco Pacheco" ، قاضي مركز الجمارك في "ديو" ، وبالفعل تم عمل نظام مجاري داخل القلعة ، بعمق عشرين شبراً ، واتساع بحيث يمكنه أن يستوعب مائة وخمسين برميلاً من المياه .

في هذا الوقت ، فكر الحاكم في تجديد الهدنة التي كان "أنطونيو دا سيلفيرا" قد أبرمها مع علي خان ، والتي كانت مدتها قد نفذت ؛ إلا أن علي خان لم يوافق على تجديدها ، بالرغم من الرسائل العديدة التي تلقاها بهذا الشأن ، وكان الحاكم ما يزال يتوقع وصول الأتراك ، كما أنه لم يرغب في قضاء موسم "المونسون" هناك ، فغادر إلى "غوا" ، تاركاً "أنطونيو دا سيلفيرا" هناك ومعه ستمائة من الرجال ، منهم أربعمائة جندي لا يملكون أسلحة جيدة ، والبقية لا علاقة لهم بالحرب والقتال ؛ وبين هؤلاء فئة قليلة من النبلاء .

عموماً ، أخذ جميع الجنود معه ، تاركاً القلعة تواجه خطراً داهماً ، سيما وهي تعيش حالة حرب مع "كامباي" ، ومن "غوا" أرسل "قاسبار بيريزز دي ساوبايو" "Gaspar Perez de Sampaio" إلى البنغال مع مجموعة من الرجال لمساعدة الملك هناك ، وكان قد أبحر وهو يتولى

قيادة تسع من السفن ، نذكر إنها وضعت تحت مسؤولية بعض القباطنة هم ، باستثناء شخصه :

"أنطونيـــو دي مـــيلو" "Antonio de Milo" ، الذي يقيـــم الآن في "بوســـلاس" "Boslass" ، "فرانـسيسكو دي باروس دي بايـافا" "Francisco de Barros de Baiva" ، و"مـــانويل ماسكـــارينهـــاس" "Manuel Mascarinhas" ، "كريســتوفـــاو دي دوريـــــا" "Christofao de Doria" ، "ديوقو رابيلو" "Diogo Rabello" وآخرين ، وأرسل مع هذا الأسطول مبعوث ملك البنغال ، حيث اتجه "فاسكو بيريز" في البداية إلى "كوتشين" ، ومن هناك أبحر إلى البنغال في بداية شهر مايو .

الفصل الثالث والثمانون بعد المائة :

بعد ما غادر الحاكم "ديو" ، قام "أنطونيو دا سيلفيرا" بتجديد الهدنة مع علي خان ، وبعدها وردت رسالة إلى "ديو" رداً على الرسالة التي أرسلها خواجا صفر إلى "قشن" بغية الحصول على مزيد من المعلومات المؤكدة عن تقدم الأتراك نحو الهند ، ولقد أكدت الرسالة مجي الأسطول محملاً بالرجال المسلحين ، وبالتالي سر سروراً عظيماً بذلك إذ اعتقد بأنهم سوف يطردون البرتغاليين خارج الهند ، وهو كل ما يتمناه ، لأنه يمقتهم إلى حد كبير ، بالرغم من ادعائه صداقتهم .

بناء عليه ، قرر فوراً أن يذهب سراً إلى "سورات" ، ومعه عائلته وممتلكاته ، وقال إن الأمر يبدو بالنسبة له مجرد ثرثرة فقط فيما يتعلق بقدوم هؤلاء الأتراك ، وهذا يحدث في الوقت الذي تلقى فيه رسائل

من ملك "قشن" ومن بعض التجار في مكة تفيد بعدم وصول أي أخبار عنهم هناك ، ولكي يخفي رحيله هذا ، كان لديه سفينة جديدة كانت قد صنعت مؤخراً لكي ترسل إلى "تناسارين" "Tenesarin" .

لما تم ذلك أرسل زوجاته إلى سورات برفقة أحد قادة المسلمين المتجهين إلى هناك ، ومعه جميع أفراد عائلته ، لأن الحاكم كان قد جرده من حصانته في "ديو" ، وبعدما أرسل زوجاته ، قام خواجا صفر ، في إحدى الليالي ، بتحميل مقدراته وبضائعه ، مشيراً بأنه يرسلها إلى "تناسارين" ، وكان قد أمر قبطان السفينة بضرورة الرسو خارج الحاجز ، لتكون مستعدة للذهاب ، ومن ثم اتجه إلى ملجئه في يوم السادس والعشرين من شهر إبريل ١٥٣٨م .

كان هذا الرحيل المفاجئ قد أحدث استغراباً كبيراً في المدينة ، خاصة في أوساط السكان المحليين ، الذين قالوا إن خواجا صفر قد رحل بعيداً بغية محاربة البرتغاليين ؛ وعليه يبدو أن "أنطونيو دا سيلفيرا" الذي يعلم إنه موجود في "سورات" ، قد كتب إليه عدة مرات ، يقول له : إن كان ذهابه هذا بسبب مظالم طالته فعليه أن يخبره بها ، وإنه سوف يقوم بتصحيح الأوضاع ، ووضع الأمور في نصابها الصحيح ، وعليه فقد طلب منه أن يعود إلى "ديو" ، لكن لم يتلق منه أي رد .

منذ ذلك الوقت ، ظل "أنطونيو دا سيلفيرا" يترقب في وجل نشوب الحرب ، ولذلك فقد بذل جهوداً ضخمة لكي يكمل مشروع التحصينات ؛ بعدها وفي أحد أيام الأحد حدث شيء ما ، بعد رحيل خواجا صفر ، ويبدو ذلك الحدث كأنه نذير شؤم ينبئ عن نشوب

الحرب في تلك السنة ، حيث اعتزم الأتراك الهجوم على القلعة ؛ وقد حدث أن الأسرى الشباب من المسيحيين والمسلمين قد نظموا أنفسهم في مجموعتين : مجموعة مسلمة وأخرى مسيحية ، بحيث يعمدون في لهوهم إلى الاشتباك والقتال باستخدام العصي .

عندما تغلبت مجموعة الشباب المسيحيين ، غضب الشباب المسلم كثيراً ، وفكروا في الانتقام منهم ، وبعد مضي أسبوع فقط عاد الشباب للعراك مرة ثانية ، وكل مجموعة تحمل الألعاب النارية ؛ وحمل المسيحيون علماً وصليب المسيح ، كما حمل المسلمون علماً آخر يحمل أعلام محمد ، ومرة ثانية كانت الغلبة للمسيحيين ، ولما طال الأذى أفراد المجموعين معاً ، تم منعهم من القتال مجدداً .

في هذه اللحظة – أي في يوم السادس عشر من شهر مايو ، وصل "فيرناو دي موريس" "Fernao de Moris" إلى "ديو" ، وكان قد غادر البرتغال ذلك العام قائد السفينة التجارية ، كما قلت ، وكان من خلاله قد كتب ملك البرتغال ما يفيد بشكل مؤكد أن الأتراك قد أبحروا صوب الهند .

كانت هذه الأخبار قد وردت إلى "أنطونيو دا سيلفيرا" عن طريق "تريستاو جوميز" "Tristao Gomez" ، وهو من أهالي "سيسامبرا" وكان أسيراً لدى "باردوسا" "Pardosa" ، لكنه هرب إلى البصرة ، ومن ثم إلى الهند .

قد علم "أنطونيو دا سيلفيرا" من هذا الرجل ما يؤكد تحركات الأتراك ، وبما أنه ليس بوسع "فيرناو دي موريس" الإبحار بسفينته على

طول ساحل الهند ، نظراً لهبوب رياح "المونسون" ، فقد ذهب في أحد الزوارق إلى "غوا" ، لكنه من "شول" لم يكن قادراً على الإبحار بذلك الزورق ، لذا فقد ذهب عن طريق البر ومعه الرسائل لتسليمها إلى الحاكم ، الذي أعد نفسه للذهاب إلى "ديو" في سبتمبر القادم .

الفصل الرابع والثمانون بعد المائة :

كان خواجا صفر قد رغب بشدة في الاستيلاء على القلعة في "ديو" ، حيث علم حقيقة أنها غير مزودة بالرجال والمؤن والمياه كما ينبغي وبشكل كافٍ ؛ لذا فقد اتجه إلى "كامبانير" حيث توجد هناك أم سلطان بهادور وحفيدها ، سلطان محمود ابن ملك "كامباي" والقادة الثلاثة الذين يحكمون مملكته ، وقدم لهم تقريراً عن أحوال القلعة في "ديو" ، مشيراً إنه ما من وقت أفضل وانسب لاحتلال القلعة من هذا الوقت الراهن .

لذا ، فقد أبدوا موافقتهم ، ومن ثم أرسلوا رسالة إلى علي خان لإعلان الحرب على "ديو" ، حيث تم تجيش خمسة آلاف من الفرسان الخيالة وعشرة آلاف من الجنود المشاة ، ونظراً لتقدمه في العمر ، فقد تقرر أن يعاونه خواجا صفر ، ونظراً لهذا التعظيم الذي منح له ، فقد جيش الرجل ألفين من الأتراك وثلاثة آلاف من أهالي "قجارات" ، جميعهم من الجنود المشاة ، على نفقته الخاصة ؛ وبالتالي ، بالإضافة إلى القوات التي حشدها علي خان ، يصبح العدد الكلي تسعة عشر ألف محارب ، وهكذا بدأوا الزحف نحو "ديو" .

لما علم "أنطونيو دا سيلفيرا" بهذا الأمر ، أخبر النبلاء وكذلك القادة الذين حوله ؛ فأمر "فرانسيسكو باشيكو" ، قائد الحصن في القطاع

التركي ، بأن يحرص على المبيت هناك في كل ليلة ، نظراً لاكتمال البناء هناك ، حيث ملئت الطبقة الأولى بالتراب تماماً وبارتفاع عشرين شبراً ، وبعدها نصبت خمسة من المدافع الكبيرة هناك من نوع "لياو" ، و"فالكاو" ، و"أسبيرا" ، واثنين من معدن "كاميلوس" .

بعدها أمر بعمل فتحات الرمي ، وعمل مخارج للسفن التي اوقفت هناك ، بغرض استخدامها في الدفاع عن النهر ، وأثناء انشغالهم بهذه الاستعدادات ، شب حريق داخل القلعة في منزل إحدى النساء من غير المتزوجات ، وأتت النار على نحو ستين مسكناً ، وعندما علم خواجا صفر بالأمر ، سر كثيراً ، واعتبره فألاً حسنا ، وأخبر جماعته قائلاً : (أن النيران قد أتت على جميع ذخائر البرتغاليين في القلعة) .

لما أسرع بهذه الأخبار برفقة علي خان وصلا إلى المنزل الريفي الذي يقيم فيه مالك ، وكان ذلك في يوم الرابع والعشرين من شهر يونيو ، وكانا قد نصبا معسكرهما هناك . من هناك عملا على منع وصول المؤن والغذاءات من البر الرئيس إلى المدينة ، التي بدأ سكانها ، بسبب خوفهم من إخلائها ، الهروب إلى أماكن أخرى .

عندما علم خواجا صفر منهم بأن فتحات الرمي في الحصن في القطاع التركي لم ينته العمل فيها بعد ، وإن الأسلحة المدفعية لن تنصب هناك ، قام بشن هجوم في صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر يونيو ، مستخدماً قوة قوامها أربعة آلاف محارباً ، وكان قد وصل بشكل مفاجئ ، حيث تسلق رجاله الأسوار ، وباغتوا حرس القلعة ، حيث قتلوا بعض العاملين بواجب المراقبة من البرتغاليين .

كانت الصيحات التي أطلقها المهاجمون قد أيقظت المسؤولين في مركز الجمارك ، وكذلك مجموعة من البرتغاليين بلغ عددهم عشرين شخصاً ، لذا فقد سارع هؤلاء للاحتماء بالحصن بملابس النوم ، وهناك بدأوا يدافعون عن أنفسهم مستخدمين البنادق ، وقاتلوا المهاجمين بشراسة حتى منعوهم من الدخول ، خاصة بعدما سارع "أنطونيو دا سيلفيرا" لنجدتهم ، حيث تمكن ومن معه من إجبار العدو على التراجع ، وفي هذا الاشتباك كان خواجا صفر قد أصيب بطلق ناري في يده ، وبعدها عاد إلى منزل مالك ، ليجد أنه قد أصيب بجرح عميق .

الفصل الخامس والثمانون بعد المائة :

في هذا الوقت ، كانت هناك مجموعة كبيرة من المسلمين البيض ، ممن قدموا من المضيق إلى "ديو" ، وجميعهم من المحاربين ، وهؤلاء كان ملك "كامباي" قد أرسل لهم قبل وفاته لكي يساعدوه في حربه ضد البرتغاليين ، وكانوا قد وصلوا في شهر إبريل المنصرم ، وهم يرتدون ملابس التجار ، حتى لا يكتشف أمرهم ؛ كما أنهم أخفوا أسلحتهم بشكل سري ، وإمعاناً في التخفي أقاموا مع بعض التجار في منازلهم ، وخبأوا أسلحتهم عن الأنظار .

عندما رأوا الحرب التي يخوضها خواجا صفر ضد البرتغاليين ، اشتدت رغبتهم في مساعدته ، وبعدما كشفوا أنفسهم كتجار ، بدأوا في تحريض أهالي المدينة لكي يناهضوا البرتغاليين ؛ هذا من جانب ، ومن الجانب الآخر بدأ بعضهم في إقامة الاجتماعات واللقاءات بالأهالي في طرقات المدينة وميادينها ، لكن سرعان ما ظهر على مسرح الأحداث

"أنطونيو دا سيلفيرا" ، يرافقه أفضل رجاله في القلعة ، وجميعهم مسلحون ، حتى هاجموا المجتمعين وقبضوا على الكثيرين منهم ؛ ومن ثم شرعوا في تفتيش مساكن التجار ، حيث صادروا الكثير من الأسلحة .

هكذا أصبح أولئك المرتزقة مجردين من السلاح ، بعد ذلك ، ولأن المدينة تتزود بالمياه من إحدى الجزر ، فقد عمل على وضع حراس في المداخل التي تؤدي إلى البر الرئيس ؛ وفي اثنين من المواقع التي تم تحصينها ، عمل على وضع اثنين من قادته في المداخل ، هما "قونسالو فالكاو" "Goncalo Falcao" ابن "جواو فالكاو" "Joao Falcao" و"لويس رودريغيز دي كارفالهو" "Luis Roderigues de Carvalho" .

في مدخل آخر يسمى "بالاري" "Balari" عيَن "لوبو دي سوسا دي كوتينهو" من "سانتاريم" ، وزوده بسفينة قوامها خمسة وعشرون من الجنود المسلحين بالبنادق ، وغيرهم في إحدى السفن الحربية ، واثنين من المراكب "الفوستا" .

أيضاً كـــان المدخـــل الموجود في نهاية الجزيرة قد وضع تحت الحراسة التي أوكلت إلى "أنطونيو دي فيجا" "Antonio de Vega" ، والوكيل التجاري "فرانسيسكو هنريكويز" "Francisco Henriques" أمين خزينة مركز الجمارك ، و"فرانسيسكو جويفي" "Francisco Guivi" وطاقم الكتبة الذي ضم كل من "فرانسيسكو فوريرو" "Francisco Ferreiro" و"جورج باربوسا" "George Barbosa" ، من "كويمبرا" "Coimbra" و"فرانسيسكو جوفيا" القائد البحري الرئيس في "ديو" ، أما "ميقويل فاز" "Miguel Vaz" و"بانتالياو بيريرا" "Pantaliao Perreira" فقد كانا

يقومان بالأشراف العام في ثلاثة من الزوارق التي تتولى علمية تمشيط المنطقة والتجول ليل نهار .

في الوقت الذي كان خواجا صفر يعالج جراحه لكي تلتئم ، لم يقم المسلمون بأي هجوم ، وعليه أمر "أنطونيو دا سيلفيرا" بإكمال العمل في الحصن في القطاع التركي ، فأصبح بارتفاع أربعين شبراً ، كما هو حال المبنى الذي بجواره ، ولأجل إكمال هذا العمل ، كان قد أرسل "فرانسيسكو باشيكو" مع سبعين من رجاله .

بالرغم من ذلك لم يتمكن من حفر خندق (أو قناة مائية) أمام هذا الحصن-الأمر الذي أدى للاستيلاء عليه فيما بعد ، ولما اكتمل العمل ، تم ملؤه بالمياه ، حيث استوعب نحو خمسة آلاف برميل ، بحيث أصبحت القلعة تزود بالمياه بشكل جيد .

الفصل السادس والثمانون بعد المائة :

بعدما التأمت جروح خواجا صفر ، قام برفقة علي خان ، ببناء معسكر في البر الرئيس وراء الجزيرة ، ومن ثم وضعت الأسلحة المدفعية في مواقع قبالة المداخل التي حولها ، فالخواجا صفر نصب أسلحته في مدخل "بالاري" ، ونصب علي خان أسلحته في المداخل الأخرى ، وحقيقة لم تتوقف هذه المدافع عن إطلاق نيرانها صباحاً ومساء ، وذلك كي تمنع دخول المراكب والزوارق التي تحمل المؤن الغذائية والذخائر لكي تمر عبر تلك المداخل .

كانت رغبة خواجا صفر شديدة في الاستيلاء على مدخل "بالاري" ، وفي إحدى الليالي تمكن من تحسين موقفه ، بحيث أصبح قريباً جداً

من المدخل ، سيما وأنه يعلم تماماً بأنه لا يمكنه فعل ذلك نهاراً ، ولكي ينهي هذا العمل بشكل عاجل ، كان قد أمر ، في إحدى الليالي ، وكان قد استخدم حوالي خمسمائة من الأتراك ، تحت قيادته ، وهم يحملون السلال المليئة بالتراب .

حينها كان الكابتن "ميقويل فاز" ماراً بقاربه على طول النهر فشاهد كميات هائلة من السلال موضوعة هناك وهي مليئة بالتراب ، لكنه لم يتمكن من التعرف على ما يحدث هناك ، وهنا أمر بفتح نيران البنادق على مجموعة من الأتراك الذين شرعوا في الاحتماء خلف تلك السلال ، ولم يجرؤ على التحرك للمقاومة ، خشية أن ينكشف أمرهم وإجبارهم على التوقف عن الاستمرار في عملهم .

لما سمع "لوبو دي سوسا" صوت إطلاق النار ، اتجه فوراً إلى مسرح الحدث ، مستقلاً زورقه ، ومن ثم أمر بإطلاق قذيفة من مدفع كاميلو ، استقرت وسط تلك السلال ، فتفرق جميع الأتراك ، وأصابت البعض منهم بمقتل ، وعندما رأى "لوبو دي سوسا" أن كمية التراب قد تلاشت واختفت .

أمر رجاله بالاستمرار في القصف ، حيث رد الأتراك على نيران رجالنا ، عموماً ، نظراً للشجاعة التي يتمتع بها "لوبو دي سوسا" ، فإنه لم يقتنع بذلك ، فقفز إلى البر مع "ميقويل فاز" وبقية من معه من الجنود ، وشرعوا يهاجمون الأتراك بشراسة ، حتى اضطروهم للهروب ، تاركين قتلاهم في أرض المعركة .

تبين لهم ذلك صبيحة اليوم التالي ، من كمية الدماء التي وجدت

هناك والأحشاء بعدما أخذت الأجساد بواسطة الأحياء عند انسحابهم حتى لا يعرف البرتغاليون كمية الخسائر التي لحقت بهم ؛ هذا والجدير بالذكر انه قد أصيب "ميقويل" بطلقة بندقية في قدمه ، رغم ذلك ؛ ونظراً لكثرة عدد المسلمين .

كما قلت ، فقد عجز البرتغاليون من وقف زحفهم في احتلال مواقع متقدمة ، إذ إنهم تمكنوا من نصب أسلحتهم المدفعية في مائة مدخل على الأقل في النهر ، وبالتالي فقد حرموا البرتغاليين من الإبحار هناك ، لأنهم ظلوا طيلة اليوم والليلة يطلقون نيران مدافعهم ، حيث تسببوا في قتل وجرح الكثيرين من البرتغاليين ، لذا فقد تبين لـ "أنطونيو دا سيلفيرا" أنه لن يستطيع الدفاع عن الجزيرة بتلك القلة من رجاله .

لأنه يملك أحواضاً مليئة بالمياه أيضاً ، وهو في غنى عن تلك الموجودة في الجزيرة ، فقد آثر بالعمل وفقاً للنصيحة التي اسديت له أن يبتعد عن المسلمين ، ولقد تم له ذلك في يوم التاسع من شهر أغسطس ، وفي المساء كان قد أمر "بايو رودريغيز دي أروجو" "Bayo Roderigues de Arogo" .

أن يحمل رسالة إلى القادة في الممرات ، لكي ينسحبوا إلى المدينة ، وقد أدى ذلك لاضطراب وتشوش كبير وانقلاب في النظام ؛ لأنه بمعزل عن ذلك .

هبت رياح هوجاء زادت من ارتفاع الموج الذي تدفق بشدة في النهر ، ومن ثم بات أمر الملاحة فيه أمراً بعيد المنال وقضية محفوفة بمخاطر عظيمة ، وعندما اطلع الوكيل "أنطونيو دا فيجا" على رسالة "أنطونيو دا سيلفيرا" ، لم يتردد لحظة واحدة في ترك القيادة واللجوء إلى الجزيرة ،

خوفاً من القصف الذي سيتعرض له من جانب المسلمين ، إذا ما ذهب عن طريق النهر ، أما البقية من رفقاء "فرانسيسكو هنريكويز" و"جورج باربوسا" و"فرانسيسكو" و"ميقويل فاز" و"بانتا تاليونج فيريرا" فقد ذهبوا في مراكبهم .

كان عريفا المركبين قد واجها موقفاً حرجاً عندما استشعرا أن مدفعاً للمسلمين ظل يستهدفهما بنيرانه عند مرورهما قبالة موقع المدفعية ، لأنهما تعرضا للانجراف ، لكن استمرت بقية السفن الأخرى في الإبحار ، غير عالمة بما حدث لهما ، لكن عندما أدرك رجال المجاديف والرجال المسلحون أنهم تعرضوا للانجراف لم يتوانوا عن الهروب خوفاً من الوقوع في أيدي المسلمين ، فتركوا قادتهم وحدهم ، وولوا هاربين غير مهتمين لأوامر قادتهم بالرجوع .

لما تبين لهم أنهم لن يستطيعوا إنقاذ تلك المراكب ، وأنهم لو انتظروا طويلاً سوف يتعرضون للغرق ، ما كان منهم إلا أن أقبلوا عليها وأضرموا النار فيها ، ومن ثم اتجهوا إلى البر ، ولما رأى المسلمون الحريق ذهبوا لإلقاء نظرة على ما يحدث ، ولما وجدوها قد أخليت ، عملوا على إطفاء النار ، ومن ثم استعيدت المدافع والأسلحة الأخرى التي أخذت .

كان نفس الشيء قد حدث بالنسبة "لقونسالو فالكاو" الذي كان يستقل بارجته ومعه رجاله ومدفعيته من الحصن ، الذي عين قائداً عليه ؛ وأيضاً بالنسبة إلى "لويس دي كرافالو" ، الذي استقل المركب ؛ فقد ولى رجالهما هاربين لا يلوون على شيء ، تاركين مدفعيتهم وبقية أسلحتهم الأخرى للمسلمين ، دون أن يقاتلوهم ، وهكذا كان المسلمون

قد كسبوا من الغنائم ما لم يكن يحلمون به ، حتى ولو استمروا في حرب البرتغاليين لعدة أيام .

قام "لوبو دي سوسا" أيضاً برفع شراع مركبه ، لكن في ظل هبوب الرياح العاتية التي كانت تهب بشدة ، وحركة انحسار الماء عن اليابسة ، فقد انجرفت مركبه نحو البر الرئيس ، حيث توقفت على مسافة مرمى حجر من وسط النهر ، ولما أيقن بانجراف مركبه ، عمل على تحريكه صوب منحدر النهر ، خشية أن يقوم الرجال المرافقين له بالهروب ، لأنهم لا يعرفون أن النهر في تلك المنطقة يبدو عريضاً بحيث يصعب عليهم الهروب .

في الصباح الباكر انتبه المسلمون إلى وجود المركب بالقرب من الشاطئ ، وبعيداً عن المياه العميقة ، وظنوا أن بوسعهم القبض عليه ؛ وعليه فقد تجمع حوالي ثلاثمائة من الرجال من الأتراك والأحباش والعرب ، وشرعوا في شن هجوم كاسح مستهدفين المركب ، ورافق هجومهم هذا صيحات عالية .

لما كانوا يتقدمون نحو "لوبو دي سوسا" ، وقف الأخير هذا رافعاً علمه ، تاركاً رمحه في وسط المركب ، وخاطبهم بوجه مبتسم قائلاً : (إنني أرى أن بعض الجبناء قد قدموا للنيل مني ، لكن السادة الذين برفقتي هم رجال شجعان ، ولن يسمحوا بحدوث هذا قط) .

هنا بدأ البعض يطلق نيران أسلحته ، بينما ذهب البعض الآخر إلى مدافع "البيركوس" و"الفالكاو" في السفينة ، حيث قاموا بتعبئتها بالبارود ، وعملوا على محاصرة أفراد العدو ، ومن ثم بدأ تبادل إطلاق النار .

نظراً لهذه المواجهة التي تميزت بإمطار العدو بوابل كثيف من النيران ، بدأت فلول العدو في الهروب ، وقبل أن يعاودوا الكر مرة ، أخرى كان "لوبو دي سوسا" ورجاله قد استولوا على السفينة ، وتعاونوا جميعاً على دفعها وتحريكها بجهد بالغ ، حتى تمكنوا من زحزحتها وإعادتها إلى الموضع الذي تبدو فيه المياه عميقة ، هكذا تجنبوا وقوع خطورة عظيمة ، وبعون الله وحوله تمكنوا من الذهاب للمدينة ، وفي طريقهم إلى هناك ، كانوا قد التقوا باثنين من المراكب التي كانت تبحر في طريقها لتقديم المساعدة لهم .

الفصل السابع والثمانون بعد المائة :

بعد فقدانهم الأسلحة المدفعية التي حملت عند المداخل ، والتي أملوا في استخدامها للدفاع عن المدينة ، استقر رأي الجميع بأنه ما من وسيلة أخرى تمكنهم من الدفاع عن المدينة سوى الحصول على الأسلحة المدفعية من القلعة ، لكن لم يكن هذا بالأمر الهين ، لأنهم لا يعرفون ما يمكن أن يحدث لهم ، لذا فقد تقرر في اجتماع ما التخلي عنها محبذين ، التجمع داخل القلعة ، كونها أكثر أماناً .

أصبح المسلمون الآن داخل الجزيرة ، ويأتون على مرمى من المدينة ، وكان الموجودون داخلها يقومون بإرسال إشارات لهم بواسطة التلويح لهم بالأعلام ، عندها خرج "أنطونيو دا سيلفيرا" قاصداً المدينة ، ومعه حوالي مائة من البرتغاليين ؛ وهناك قامت مجموعته بقتل وشنق الكثيرين من المسلمين ، خاصة الفئات التي شوهدت وهي تحمل السلاح ، وبالإضافة إلى هذا تمكن من إلقاء القبض على أربعة من التجار البارزين ، وذلك تحسباً للإفادة منهم وقت الحاجة .

حينها كان الظلام قد حل ، لذا فقد قرر الرجوع إلى القلعة ، وكان ذلك في يوم العاشر من شهر أغسطس ، وفي اليوم التالي ، انهمك المسلمون الذين كانوا في المدينة في نهب محتويات المنازل الكائنة بالقرب من القلعة ، التي كانت تحتوي على كميات وفيرة من المؤن والأغذية والبضائع ، لم يتمكن البرتغاليون من نقلها إلى داخل القلعة ، بسبب الاستعجال .

استجابة لطلب البعض ممن شاهدوا أعمال النهب تلك ، ورغبتهم في الخروج لمواجهة المسلمين ، أرسل "أنطونيو دا سيلفيرا" معهم أحد النبلاء ، يدعى "قاسبار دي سوسا" "Gaspar de Susa" ، وقاد هذا النبيل هجوماً استهدف المسلمين ، تمخض عن قتل البعض من رجال العدو ، واضطر الآخرون للهروب ، هذا وقد قتل أحد البرتغاليين وجرح عدد قليل منهم .

بعدها عادوا إلى القلعة محملين بالمؤن ، ومنذ حينها أمرهم "أنطونيو دا سيلفيرا" بالخروج عليهم بشكل يومي ، على أن تصحبهم فرقة لحمايتهم ، مكونة من أربعة وخمسين رجلاً ، أيضاً كانوا يحصلون على الأخشاب والمياه من بعض الآبار القريبة من القلعة ، وتكريماً للقائد "لوبو دي سوسا كوتينهو" ، فقد منحه قيادة تلك الفرقة ، التي دأبت على الذهاب للمدينة بشكل يومي للحصول على المؤن والوقود والمياه ، وبالطبع كانت تحدث اشتباكات بشكل مستمر ضد المسلمين .

في هذا الوقت كان خواجا صفر يقوم بقصف منطقتنا المحصنة في القطاع التركي ، من الموقع الذي نصب فيه مدفعيته في رصيف مركز

الجمارك ، أيضاً استخدم مدفعيته في ضرب المراكب البحرية التي تقوم بنقل المؤن من القلعة إلى المنطقة المحصنة ، على كلٍ لم يكن ذلك القصف قد سبب الكثير من الدمار في جانبنا ، إذ كان "لوبو دي سوسا" يخرج يومياً ويخرج رجاله إلى المدينة دون خوف من المسلمين .

في عشية يوم اعتبار السيدة العذراء ، خرج "لوبو دي سوسا" متجهاً إلى المدينة ، حيث ظفر ببعض رجال خواجا صفر من الأتراك ، فقام بقتلهم جميعاً ، نظراً لأنهم خرجوا دون إذن ، وقد فر الباقون لكي يخبروا خواجا صفر بما حدث ، فما كان منه إلا أن قام بإرسال خمسمائة من أفضل رجاله لكي يبحثوا عن "لوبو دي سوسا" ، الذي لم يكن برفقته سوى أربعة عشر رجلاً عند مدخل أحد الطرق ، حيث كان قد نشر بقية رجاله على مداخل الطرق الأخرى .

عندما تقدم نحوه المسلمون ، قرر "دي سوسا" مواجهتهم ، وكاد أن يشرع في ذلك ، لولا أن نصحه "سيماو فيرتادو" بالتريث حتى يتجمع أفراد العدو بحيث يضيق بهم ذلك الشارع ، لأنه كلما أصبحوا قريبين من بعضهم كلما قلت فعاليتهم بحكم الزحام ، وحينها لن يتمكنوا من استخدام أسلحتهم بشكل مؤثر وفعال .

تجمع الكثيرون من المسلمين ، وبالفعل كان فقط من يحاربون البرتغال هم الموجودون في المقدمة ، على كلٍ شرع "لوبو دي سوسا" في مهاجمتهم هو ورجاله ، وقد أبلوا بلاء حسناً ، وقتلوا جميع المسلمين الذين في المقدمة ، وكذلك القريبين منهم في الخلف ، وفر الباقون تاركين ثلاثين قتيلاً في أرض المعركة ؛ أما من جانب البرتغاليين فلم

يقتل أحد ، لكن تلقى "لوبو دي سوسا" جرحاً في قدمه ، وكذلك الحال بالنسبة لواحد من رجاله ، كما أصيب أحد الغلمان برصاصة فقد بسببها إحدى عينيه .

بينما كان "لوبو دا سوسا" يعالج من جراحه تلك ، كان قائدا فرقة الحراسة وهما "قونسالو فالكاو" و"قاسبار دي سوسا" قد قبضا على أحد قادة المسلمين حيث علم "أنطونيو دا سيلفيرا" منه أن في معسكر علي خان شائعات تقول بوصول سفينة المسلمين إلى "مانقلور" "Mangalore" ، تحمل أنباء مفادها وجود أسطول تركي ضخم في عدن ، على العموم كان البحر هادئاً ، وأرسل "أنطونيو دا سيلفيرا" "ميجويل فاز" إلى "مانقلور" لكي يتحقق من أخبار ذلك الأسطول التركي .

بعد ما عاد "لوبو دي سوسا" لقيادة فرقة الحراسة ، كان قد عثر في الآبار على نوع من السموم التي تستخدم لقتل الفئران ، وبالتالي أمر بحظر الخروج لأي فرد من القلعة ، وجمع كل الأشخاص لكي يبقوا داخل القلعة ، ومن ثم شرع بتوجيه أسلحة نيرانه من المنطقة المحصنة في القطاع التركي نحو المسلمين ، وظل يضربهم بشكل عشوائي محدثاً الكثير من الأضرار . كان "أنطونيو دا سيلفيرا" قد خاطب الحاكم من خلال رسالة أرسلها له بحراً ، طالباً منه أن يمده ببعض المساعدات ، وبالفعل تم ذلك ، وسوف أتناوله بالشرح فيما بعد .

الفصل الثامن والثمانون بعد المائة :

لقد سبق أن أشير إلى صفار خان القائد لدى ملك "كامباي" الذي أرسل مبعوثاً إلى السلطان التركي لكي يطلب منه المساعدة ، فقد أبحر

من "ديو" في بداية شهر سبتمبر ١٥٣٦م ، وقد استمر في رحلته إلى أن وصل إلى "جدة" ، حيث ترك أسطوله والهدايا التي يحملها إلى السلطان ، وبعدها سافر براً إلى "القاهرة" ، ومن هناك اتجه إلى شمال النيل حتى رشيد وهي منطقة تقع على دلتا النيل ، على بعد ستين ميلاً من "الإسكندرية" .

لما وصل إلى هناك ، قدم نفسه للسلطان ، ثم سلمه الرسائل التي حملها له ، وحينها أخبره السلطان بأنه في تلك السنة لم يتمكن من إعطاء ملك "كامباي" الرجال الذين طلبهم ، لأنه كان حينها في طريقه إلى مدينة "بيلونا" "Bilona" بنية الذهاب إلى الهند من هناك ، هذا وقد طلب منه أن يترك الهدايا التي جاء بها هناك ، وعند عودته سوف يرسل إلى ملك "كامباي" الرجال الذين طلبهم .

بعد رجوعه من "بيلونا" ، دون أن ينجز أي شيء يذكر ، كان هنالك مبعوثاً آخر من قبل ملك "كامباي" قد ذهب إليه كي يخبره إنه قد أرسل له بسبب تصميم ملك "كامباي" على سحق البرتغاليين الموجودين في الهند ، سيما وقد شعر بندم شديد عندما سمح لهم ببناء قلعة في "ديو" ، وقد ألح السلطان التركي كي يرسل إلى ملك "كامباي" المساعدة التي أرسله خصيصاً كي يطلبها منه .

بعد وصول هذا المبعوث ، كان مبعوث آخر قد وصل من قبل ميران محمد أيضاً ، أرسل بهدف الحصول على مساعدات كافية لكي يتمكن من الثأر ضد البرتغاليين ، الذين قتلوا ملك "كامباي" ، وأيضاً لأنه يريد أن ينتزع المملكة من قبضته ، وبوصول هذا المبعوث الأخير ، قرر السلطان منحه تلك المساعدات .

كتب إلى سيلمان باشا - ملك "القاهرة" و"الإسكندرية" ورشيد و"دمشق" و"ميدا" والأقاليم الممتدة حتى "جدة" ، آمراً بأن يرسل الأموال والهدايا التي أرسلها ملك "كامباي" إليه ، وأن يأتي من السويس بمجموعة السفن السبع التي جاءت بها لكي يصار إلى ضمها إلى بقية السفن الموجودة هناك ، ولقد قام سليمان بتنفيذ ذلك فوراً ، حيث أرسل الأموال والهدايا بواسطة الكابتن (حميد ريس) ، وبأمر من السلطان كان قد رافقه في رحلته تلك المرتد "جورجي" "Jorje" .

عندما رأى السلطان تلك الثروات ، وأيضاً وصول تلك الهدايا الفاخرة بكل سهولة من قبل ملك تلك البلاد البعيدة ، بدا له أن ثروات تلك البلاد لابد أنها تفوق حد التصور ، وعليه ذهب تفكيره لغزو "كامباي" وبقية بلاد الهند ، لذا فقد حصل على معلومات من المرتد "جورجي" عن ثروات "كامباي" والممالك الأخرى ، وعن قوة ملوكها والبرتغاليين ؛ وأخبره "جورجي" بإسهاب عن كل شيء ، مبيناً له إن قوة ملك البرتغال ليست ذات أثر كبير في الهند ، وبوسعه أن يتمكن بأي أسطول أن يلقي بالبرتغاليين خارج الهند ، ويستولى منهم كل ما حصلوا عليه .

في تلك اللحظة كانت السيدة الأولى ، زوجة ملك "كامباي" ، قد وصلت إلى "القسطنطينية" ، ومعها الكثير من الجواهر والأموال ، وقد روت للسلطان كيف توفى زوجها ، وطلبت منه أن يرسل أسطولا إلى الهند لطرد البرتغاليين ، وفي نفس وصل المبعوث إلى "القسطنطينية" ، قادماً من ملك "شايل" ؛ ومعه حوالي ثمانية عشر رجلاً من البرتغاليين ، كان قد قبض عليهم في مينائه ، ومعهم آخرين ، حسبما ذكرت من قبل .

كان من ضمنهم "ألفارو ماديرا" الذي أعلن قبطاناً ، والذي كان السلطان قد علم منه أيضاً بعض الأنباء عن الهند ، وأيضاً عن حجم قوة ملك البرتغال في المنطقة تلك ، ولقد كشف أنها بالفعل تتطابق مع الأخبار التي حدثه "جورجي" عنها ، هذا وقد تطوع ووعد "ألفارو ماديرا" "Alvaro Madera" بالذهاب في الأسطول ، إذا ما ترتب عليه إرسال أحد ما إلى الهند لأنه يعرف الطريق بشكل جيد ، وكذلك المداخل التي تؤدي إلى الموانئ هناك .

الفصل التاسع والثمانون بعد المائة :

عموماً فبهذه المعلومات وغيرها الكثير ، قرر السلطان أن يرسل أسطولاً للهند لكي يتقصى ما إذا كان بوسعه انتزاعها من قبضة البرتغاليين ، وكانت سفن هذا الأسطول في السويس ، لأنه كان قد طلب من صديقه العزيز إبراهيم باشا أن يقوم ببنائها ، هذا ، ولقد صدر له الأمر بالتوجه لغزو الهند بتلك السفن ، لكنه لم يذهب لأن السلطان أمر بقتله ، عندما علم برغبته في تسليم "القسطنطينية" للإمبراطور .

بعد ما قرر إرسال هذا الأسطول للهند ، أعطى القيادة إلى سليمان باشا ملك "القاهرة" ، وفي إطار علمه بأن الأسطول سوف يبحر إلى هناك ، فقد ناشد السلطان كي يسمح له بقيادته ، لقد كان قد عمل مسؤولاً عن غرفة النوم الملكية ، وأيضاً غرفة أبيه في وقت ما ، ويحكم ديانته المسيحية واعتباره مواطناً من (موريا) كان قد قدم كعربون محبة عندما كان يافعاً ؛ حيث أمر السلطان بأن يصار إلى إخصائه عندما عينه في منصب المشرف على غرفة النوم ، وأيضا بسبب بقائه قريباً من نسائه .

كما إن سبب وصوله على هذا المنصب هو أنه عندما كان الأتراك يحكمون، وحينها كان يعمل مسؤولاً عن غرفة النوم الملكية، كما ذكرت، كان حامد باشا قد ثار ضده وكان ملكاً على "القاهرة" و"الإسكندرية" ورشيد ودمشق وميدا وكذلك الأقاليم الممتدة حتى جده، وكان السلطان قد وهبه هذه المملكة، لأنه وقت محاصرة "رودس" كان قد اخترع حيطان الحجارة التي ساعدت في عملية الاستيلاء عليها، كما أنه قام ببناء القلعة من الأخشاب والتي ظل السلطان يقيم فيها إبان الحصار.

بعد هذه الثورة، كان حامد باشا قد اغتيل بواسطة المدعو "كمساي" وهو أحد العرب المسلمين من مواطني حلب، وكان يعمل رئيساً للمحاسبين في "القاهرة"، وقبيل اغتياله كان قد كتب عن ثورته، وكيف قرر أن يقوم بتلك الثورة؛ وبعدما تم له ذلك. أرسل رأس حامد باشا للسلطان ورسائل توضح تفاصيل عملية اغتياله.

في الطريق تم اعتراض هذه الرسالة بواسطة سليمان باشا، الذي أرسله السلطان بأسطول مكون من اثنتي عشرة سفينة لأجل مساعدة "كمساي"، ولما عثر سليمان على هذه الرسالة الموجهة إلى السلطان، قام بمصادرة الرسائل، ومزقها، ومن ثم عاد برأس حامد باشا إلى "القسطنطينية"، لكي يخبر السلطان بأنه هو من قام بقتل حامد باشا - وبالتالي منحه السلطان كل السلطات التي كانت بيد حامد باشا.

من هذا الوقت وإلى ما بعده أصبحت طبيعة العلاقات بين "كمساي" "Kamsai" وسليمان باشا عدائية جداً، ويعتبر سليمان هذا

من كبار سادة القوم ، ويبلغ من العمر سبعين عاماً ، وكان ممتلئ الجسم لدرجة أنه إذا جلس فمن الصعوبة أن يقف على رجليه دون أن يساعده رجلان لكي يرفعاه إلى أعلى وكان لديه صدراً ممتلئاً يتدلى إلى أسفل ، ولعل أكثر ما يميزه حبه للجاه والمال .

بلغ به الطمع والجشع أنه رغب في الاستحواذ على الهند من البرتغاليين ، وأراد أن يصبح سيداً على الجميع ، حتى يحوز على كل الثروات هناك ؛ لذا فقد طلب ذلك من السلطان وتعهد بأن يتحمل نفقات ومعاشات الرجال الذين سيرسلهم في الأسطول ، وبعدما حصل على موافقة السلطان ، هرب القبطان "ألفارو ماديرا" من "القسطنطينية" ، حيث سلم نفسه في البرتغال ، وأبلغ الملك عن عبور الأسطول التركي إلى الهند ، وكان قد علم بذلك لأول مرة .

بعد ما أعد وجهز كل شيء بخصوص الأسطول ، انطلق سليمان باشا مبحراً من السويس في بداية يوليو ١٥٣٨م ، وكان أسطوله يتألف من أربع وستين سفينة ، منها خمس عشرة سفينة شراعية صغيرة ، بكل واحدة منها ثلاثة وثلاثين مقعداً للمجدفين ، وخمسة وعشرين غليوناً بكل واحد ثلاثين مقعداً ، وعشرة "غلايين" خفيفة وأربع سفن تركية يطلق عليها اسم "موناس" "Monas" ، وست سفن "غليون" وأربع سفن صغيرة ، وتبلغ جملة هذه المراكب والسفن أربع وستين سفينة ، ولقد زودت جميعها بما يكفي من أسلحة المدفعية المعدنية .

بلغ قوام جميع هذه السفن ستة آلاف وخمسمائة محارب منهم ألف وخمسمائة جندي من الإنكشارية وألفين من الأتراك تم اختيارهم

بعناية وثلاثة آلاف من المحاربين ممن تعودوا على السفر بالبحر ، وسوف يتولون الخدمة في السفن ، وكذلك الحرب ، والمشاركة في القتال ، إذا ما لزم الأمر ، أيضاً هناك حوالي سبعة آلاف من العبيد ، يستفاد منهم في أعمال التجديف ، لكنهم غير مسلحين .

كون بعض التجار تمردوا فقد أمر بقطع رؤوس مئتين من المجموعة التي اعترفت بالتمرد والخروج عن اللوائح والقوانين ؛ وبغض النظر عن هذا الأمر ، فقد ارتكب أعمالاً قاسية أخرى وخيانات حتى يتمكن من الحصول على المال لكي يدفعه للجنود ، وفي هذا الأسطول كان قد أخذ خمسة من أبرز القباطنة : إلى يوسف حامد أمير البحر في "الإسكندرية" .

بالرغم من وتنازل سليمان ، قيادة الأسطول ، إلا أن السلطة العليا كانت في متناول يده ، أيضاً كان هناك مصطفى وهو من المماليك كان سليمان قد عينه بدلاً من "كمساي" المحاسب الرئيس في "القاهرة" ، وكان قد أبحر أيضاً القبطان ، ونظراً للعداوة والخصومة السائدة بين سليمان و"كمساي" ، فقد أقدم سليمان على قتل "كمساي" ، أيضاً كان هناك اثنان من القادة هما : إبراهيم بك ، وهو من المماليك ، ومحمود بك .

كانت أوامر السلطات التي قام سليمان بتنفيذها تنص على ما يلي :

أن يبحر إلى ساحل خليج "كامباي" ، أو "مانقلور" ، للتزود بالمياه من هناك .

ألا يشتبك في أي قتال إلا بأسطول الحاكم في الهند المعين من قبل ملك البرتغال وإلا فإنه سوف يضعف أو يقلل أسطوله وفي حالة ما إذا

رغب الحاكم عن القتال في البحر ، فعليه أن يتجه إلى مدينة "غوا" لكي يضرب حصاراً حولها .

عندما يتم احتلالها ، يجب عليه أن يحصن نفسه جيداً لأنه سوف يترتب عليه إرسال المساعدات للدفاع عنها ضد البرتغاليين ، وإذا ما تبين له في "مانقلور" عدم قدرتهم على خوض المعركة بأسطول الحاكم أو الفشل في احتلال "غوا" دون أن يخاطر بسلامة أسطوله ورجاله هناك ، فإنه يجب أن يبحر إلى هرمز لاحتلالها ، ومن ثم يقوم بتحصين نفسه جيداً هناك ، وبعدها سرعان ما ترسل له التعزيزات لتقوية موقفه .

الفصل التسعون بعد المائة :

بعد ما غادر سليمان باشا ميناء السويس ، انطلق مبحراً بسرعة شديدة في رحلته ، آملاً ألا يعرف أحد أخبار رحلته هذه ، إلا بعد أن يصل إلى الهند ، ولتحقيق هذا الهدف ، فقد واجه صعوبات جمة حتى لا تتمكن أية سفينة أخرى من العبور عبر المضيق قبله ، هذا ، ولقد استغرقت رحلته ثلاثة أيام من السويس حتى "الطور" ، ومن "الطور" خمسة أيام إلى "جدة" ، حيث تأخر هناك اثني عشر يوماً .

كما جرت العادة ، فقد رغب في مؤانسة ملك "جدة" ، إلا أن الأخير يعلم تماماً نفاق ورياء الأتراك ، وبشكل خاص سليمان هذا ، ويعرف أن ديدنه هو النفاق والغش ، لذا فقد أقدم على إخلاء المدينة ونجا بنفسه ؛ وهنا أضاف سليمان لأسطوله سبعاً من السفن كانت هناك ، وهي سفن تعود لملك "كامباي" ، وثلاث سفن تؤول إلى حمزاوي السكرتير المالي

في "القاهرة" ، واثنتين تعودان لملك "جدة" ، وبهذا يصبح عدد سفنه ستا وسبعين سفينة .

بعد مضي أربعة أيام على مغادرته ميناء "جدة" ، وصل إلى "كمران" ، وفي الطريق عرج إلى "أزبيل" "Azbeel" وهي منطقة تقع على الساحل العربي يتزعمها أحد السادة الأتراك ويدعى "ناكود حامد" ، وبعدما استقبل سليمان بالترحاب أصدر سليمان أوامره بقطع رأسه ، ولعل السبب في ذلك يعود لقسوته ، وبعد ذلك أعطى سيادة الإقليم إلى للقائد مصطفى .

بعد وصوله إلى "كمران" ، كتب إلى ملك عدن يقول : إنه يعتزم الذهاب إلى الهند ، وأعطى أسبابا لذلك ، وقد طلب منه أن يأذن له بدخول ميناء عدن لكي يتزود بالمياه والوقود واللحوم ؛ وفي هذا الوقت ترتب على حامل الرسالة أن يقوم بتجهيز بعض الأمور ، مثل إيجاد بعض المساكن التي سوف يستخدمها لإيواء بعض المرضى الذين جاء بهم .

كان الحاكم قد اقتنع بهذا ، حيث ظن أن سليمان صادق في أقواله ونواياه ، وبعد احتجاز استمر مدة خمسة عشر يوماً في "كمران" ، انطلق سليمان مبحراً نحو المضيق ، حيث استغرقت رحلته مدة يوم وليلة ، وقضى وقتاً مماثلاً قبل وصوله إلى ميناء عدن ، حيث دخل المرفأ ، وتلقى كميات وفيرة من الأغذية والمشروبات من ملك عدن .

كان سليمان قد صمم على الاستيلاء على المدينة بواسطة الحيلة ، حيث بدأ أولاً بإرسال الرجال المرضى إلى هناك ، وكان قد أمرهم بأن يخبروا الملك بأنه سوف يتركهم في المدينة ، وحقيقة كان هؤلاء أشجع

الرجال الذين رافقوه ، وكان أحدهم قد نقل على سرير كان يخفى في طياته بعض الأسلحة له وللآخرين من زملائه .

كانت المنازل التي أعدت لاستقبال هؤلاء المرضى خالية ، وتقع بالقرب من اثنين لرعايته وخدمته ، حقيقة لم ينتبه أهالي المدينة لهذا الأمر ، سيما وقد بدوا غير مسلحين ، وبعدما أصبحوا بالداخل ، أمر سليمان ملك عدن بأن يأتي للاجتماع به في سفينته ، لأنه يريد التحدث إليه في أمور بالغة الأهمية ، اعتبرها الملك ضرباً من الدعابة .

عموماً ، هذا ما أراده سليمان ، وقد أمر بأن يصار إلى إطلاق إشارة معينة جعلت جميع المرضى يهرعون إلى أسلحتهم وشن الهجوم على قصر الملك ، فدخلوا بصخب شديد ، دون أن يتمكن أحد من المقاومة ، نظراً للمباغتة ، وبالفعل تم القبض على الملك ، حيث أخذ إلى سفينة سليمان ، وهكذا أصبحت المدينة تحت قبضة أولئك "المرضى" .

بعدما وضع ملك عدن داخل سفينة سليمان ، وجه الملك سؤاله إلى سليمان قائلاً : لماذا تم بالقبض عليه ، والمجيء به إلى هنا ، بعد ما وثق فيه؟ فأجاب سليمان بقوله : سوف يكون حسناً أن يعرف بأنه هناك باسم السلطان ، وإنه ظل هناك لمدة أربعة أيام دون أن يذهب الملك للقائه ، وهنا رد الملك بكل شجاعة قائلاً : إذا كان سيده السلطان هناك لكان قد ذهب إلى لقائه ، ولكن سليمان ليس سوى قائد وعبد له فقط ، ولو كان قد أراد ذلك لذهب لمقابلته ، وكان بوسعه ذلك ، لأنه وثق به .

لولا أنه وثق فيه ، لما كان قد سمح له بإدخال رجاله إلى المدينة ، أو السماح لهم بالخروج ، وهم يحملون رؤوسهم على أجسادهم ، هنا أمر

سليمان بأن يشنق بواسطة أحد حبال السفينة ، ومن ثم يعلق في بوابة المدينة ، ثم أمر رجاله بنهب المدينة ، واتجه إلى البر حيث وجد لنفسه مكاناً بجانب البوابة ، وأمر بأن يجلب للأسطول أي شيء يتم سرقته من المدينة ، ومن يخالف ذلك فسوف يكون مصيره الموت .

قام سليمان بتفتيش جميع المغادرين من المدينة وهم يحملون غنائم ، حيث أخذ منهم كل الأغراض الذهبية والفضية والجواهر ، تاركاً لهم فقط الملابس والأغراض المنزلية ، وبهذه الطريقة تمكن من الحصول على كميات كبيرة من الذهب والفضة ، ولما رأى الجنود أنه لم يقاسمهم في تلك الغنائم ، بدأوا يحسون ببغض شديد تجاهه .

اتبع نفس الأسلوب الذي نهبت به المدينة في الاستيلاء على مقدرات ثلاث من سفن "مالابار" كانت موجودة في الميناء ، وكان سليمان قد أمر بالاستيلاء عليها ، لكي يقوم بتحميلها بالمؤن ، واتخذ من المالاباريين عمالاً للتجديف ، بعدما احتل المدينة ، كان قد أمر بقطع رؤوس جميع الرجال البارزين في المدينة ، بحجة أنهم لم يقيموا له احتفالا بمناسبة وصوله ، بعد ذلك كان قد عين إبراهيم بك قائداً على المدينة ، بعد ما زوده بمجموعة من الجنود والأسلحة المدفعية ، وبعدها أبحر إلى الهند .

أثناء عبوره المحيط ، وبسبب تعرضه لعدة رياح وعواصف عنيفة ، ونظراً للعنف وفظاظة أسلوبه في التصرف ، كان قد فقد ستاً من السفن التي انفصلت عن مجموعة سفنه ، حيث اتجه "غليون" إلى جزيرة "سانتا ماريا" في ساحل الهند ، حيث كان يرابط "أنطونيو دي سوسا" "Antonio de Susa" .

هناك ، ومعه بعض سفن الأسطول ، وكان قد اشتبك ليوم كامل ضد الأتراك الذين كانوا يستغلون إحدى سفن "الغليون" .

بعد قتال عنيف تمكن أخيراً من هزيمتهم ، حيث استطاع رجالنا قتل الغالبية العظمى منهم ، وعلم من بقي منهم حياً أن سليمان قادم في طريقه إليهم ، فأرسلهم إلى الحاكم "نونو دا كونها" ، ولما علم الأخير هذا بالأخبار ، بدأ يجري استعداداته لإرسال المساعدات إلى "ديو" ، حيث اعتقد أن هذا الأسطول سوف يتجه إلى هناك مباشرة .

استمر سليمان في رحلته متجهاً إلى ساحل الهند ، وبعد مضي خمسة عشر يوماً على مغادرته ميناء عدن وصل إلى ميناء "مانقلور" ، حيث بدا خواجا صفر على علم بقدومه ، لذا فقد كان ينتظره هناك ، وعندما وصل ذهب لمقابلته في البحر ، وظل يجامله ويثنى عليه وعلى أسطوله القوي ، وتشاور معه حول ذهابه إلى "ديو" ، لأن كل من يريد الاستيلاء على الهند فإن الحاجة تقتضي أن يبسط سيطرته على تلك المدينة .

حتى يتمكن من تحقيق هدفه بشكل سهل ، وذلك نظراً لأن المدينة تمتلك موقعاً استراتيجياً طبيعياً وميناء رائعاً ، وهي تقع في جانب الهند ، الذي تهب منه الرياح ، وبوسعه أن يحتلها دون أن يبذل جهداً كبيراً ، لأن البرتغاليين الموجودين في القلعة هناك يميلون إليهم ، ربما لوجود مصالح مشتركة واهتمامات مماثلة .

لذا فقد اعتقد بأنهم سوف يثأرون له ضد البرتغاليين باستيلائهم وانتزاع القلعة من قبضتهم وسحق البرتغاليين بشكل كامل هناك وإقصائهم من كل مناطق الهند ، لذا فقد ازدادت رغبته في مساعدة

الأتراك ، فعمل على زيادة قوة أسطول علي خان ، بعد أن انضم إلى صف سليمان باشا في "مانقلور" ، ودون أن يشعر بالحرج ، انضم إلى السلطان بالإنابة عن ملك "كامباي" .

في "ديو" أقسم على القرآن عندما طلب منه سليمان ذلك ، لكن رفض علي خان هذا ، وأصيب بخيبة أمل عندما استشعر عدم الوفاء من جانب خواجا صفر ، إثر تلقيه الكثير من الامتيازات في "كامباي" ، والآن اتجهت رغبته في المشاركة والدخول في هذه المكيدة التي تستهدف الملك والمملكة ، وقال إنه لن يتحالف قط ، سواء مع سليمان أو الأتراك ، لأنه يدرك تماماً أنهم قوم سيئون ، وإذا ما أراد خواجا صفر هذه الصداقة فلن يبقى في صفه على الإطلاق .

كان خواجا صفر قد ناقش هذا الأمر مع سليمان ، وعندما ألقى سليمان مرساة سفينته ، ذهب لكي يزوره ويخبره عن علي خان وعن صداقته معه ، وبالرغم من ذلك سوف يقوم بخدمة سليمان وتزويده بمن معه من رجاله ، بل أعلن له عن استعداده للموت في خدمة السلطان ورجاله ، وأعطى سليمان أنباء عن موقع القلعة ، مؤكداً له بأن احتلالها سيكون أمراً في غاية البساطة ، وبعد ذلك قفل عائداً إلى البر .

في حركة منه بقصد مغازلة أهالي "قجارات" ، أمر سليمان في اليوم التالي أن في الخامس من سبتمبر حوالي سبعمائة من الجنود الإنكشارية بالنزول إلى البر ، بعد ما ارتدوا الأردية الإغريقية الطويلة المصنوعة من الساتان ذي اللون القرمزي أو الألوان البراقة الأخرى ، ووضعوا على رؤوسهم قبعات مسطحة أشبه الخوذات ذات الطراز القديم (والتي

توضح بأنهم من الانكشارية وتميزهم عن غيرهم) وكانت ملابسهم بحق مميزة تزينها الأشرطة الذهبية وأنواع الريش الملون ، وهؤلاء كانوا من الرماة ومستخدمي البنادق .

عندما نزلوا إلى البر اتجهوا مباشرة صوب القلعة ، وهم يمسحون بأيديهم على شواربهم ويقومون بحركات وإيماءات توحي للرائي بأنهم يكشفون عن صلف وغرور تتميز بهما طبيعتهم ؛ ولقد دهش أهالي "كامباي" لجرأتهم ، ومن ثم ساروا خلفهم معتقدين بأنهم سوف يقومون بتسلق الحيطان ، لكنهم لم يفعلوا ذلك ، وإنما تابعوا سيرهم وسط مساكن البرتغاليين التي كانت خلف القلعة بنية نهب تلك المساكن .

وصل "أنطونيو دا سيلفيرا" إلى هناك حيث ، أمر المشاة من قوته ومستخدمي البنادق بإطلاق النار عليهم ، حيث قتل منهم خمسين جندياً ؛ أما خسائر البرتغاليين فقد بلغ عدد قتلاهم سبعة قتلى وجرح حوالي اثنين وعشرين جندياً ؛ لكن نظراً للخسائر التي تكبدها العدو ، فقد توقفوا لكي يعودوا من حيث أتوا ، تلاحقهم تهكمات البرتغاليين وتعليقاتهم الساخرة .

كان علي خان يدرك تماماً ازدواجية تعامل الأتراك ، سيما وقد تورط خواجا صفر الآن مع سليمان ، وانضم إلى صفه ؛ لذا فقد رغب عن صداقتهم ، وبالتالي لم يطب له البقاء هناك ، لذا فقد رحل في تلك الأمسية متجهاً إلى "نوفاقوير" ، ومعه حوالي ستة آلاف رجل ، وكان البعض من رجاله قد رفضوا الذهاب معه ، حيث استمالهم خواجا صفر ، فأثروا الانضمام إليه ؛ وبالتالي بلغ عدد قواته ألف وثلاثمائة محارب .

في "نوفاقوير" مكث علي خان طيلة مدة حصار القلعة ، ومن هناك كتب إلى ملك "كامباي" يخبره بأن خواجا صفر قد انضم إلى صف سليمان ، وهذا ما أضطره للذهاب إلى "نوفاقوير" "Nova Guere" ، ورد عليه الملك مستحسناً تصرفه هذا ، وأمره بأن يمتنع عن تزويد الأتراك بالمؤن الغذائية ؛ ومن ثم كتب إلى جميع القادة في منطقة "ديو" بالالتزام بتنفيذ ذلك الأمر .

بالرغم من الرسائل العديدة التي بعث بها سليمان إلى ملك "كامباي" بشأن ذلك القرار ، إلا أن ملك "كامباي" لم يقم بإلغاء ذلك الأمر بتاتاً ، وعلى المرء أن يؤمن تماماً بأن الرب قد قدر ذلك ، حتى يذهب كيد الأتراك ، ويكف أيديهم عن الأضرار بقواتنا ، ومثل هذا سبباً رئيسياً في عدم إقبال أهالي "قجارات" عليهم ، والتعاون معهم .

الفصل الحادي والتسعون بعد المائة :

بحلول الليل كان هنالك إطلاق نار من جانب الأتراك ، بهدف استعراض القوة ، وبعد ما انتهى عرضهم ، فعل البرتغاليون المثل ، وذلك بأمر صدر عن "أنطونيو دا سيلفيرا" ، وذلك حتى يعلم الأتراك مدى استعداده لمواجهتهم ومقاومتهم ، لقد كان عددهم قد بلغ الثلاثمائة ، وعندما انتهوا ، قدم عرضاً لمدفعيتنا ، وبعد ذلك بدأوا بقرع الطبول .

تعالت أيضا صيحات وهتافات الموجودين في القلعة ، الأمر الذي استغرب له الأتراك ، وبشكل خاص "ليمان" ؛ وبذلك العرض تيقن أنهم رجال لهم خبرة ودراية بأمور الحرب والاشتباك ، ورغم كل ذلك تظاهر بعدم الاهتمام ، بعد ذلك ، سمع الموجودون داخل القلعة أصواتاً

عالية بالخارج ، تنادي (البوابات ، الحجارة) ، عدة مرات ، ويبدو أنها إشارة للبرتغاليين لحثهم على الذهاب لوضع الحجارة والمتاريس عند بوابات القلعة .

كان "أنطونيو" قد أولى هذا الأمر عنايته البالغة ؛ وليست هنالك ضرورة لتذكيره بذلك ، وفي اليوم التالي ، الذي وافق السادس من شهر سبتمبر ، بدأت الرياح الجنوبية تهب وتنشط ، وكان الأسطول التركي يقف في وجه الرياح ، الأمر الذي أثار مخاوف سليمان باشا ، لكن سرعان ما هدأت تلك الرياح ؛ وبالتالي ، شاءت إرادة الرب أن يدع أمر قتل الأتراك كي يتم على أيدي البرتغاليين .

بعد التشاور مع خواجا صفر ، والأخذ بنصيحته ، قرر سليمان أن يستولى على القلعة ، لذا ، فقد اتجه إلى نهر "مادري فابي" ، وذلك لنقل مدفعيته إلى الشاطئ ، ونصبها على منصة كان قد أحضرها معه ، لكن بما أن ، هذا العمل سوف يستغرق عدة أيام ، فقد رغب عن تنفيذه في "ديو" ، إذ ربما عمدت مدفعية القلعة إلى تدميره .

بما فكرته كانت تقوم على احتلال الحصن الكائن في القطاع التركي قبل القلعة ، فقد أوصى خواجا صفر باللقاء هناك لتجهيز كل ما هو ضروري للقصف ، وكان قد ترك معه خمسة آلاف محارب من الأتراك لمساعدته ، بقيادة محمود بك ، وفي يوم السبت الموافق السابع من شهر سبتمبر ، اتجه إلى "مادري فابي" "Madri Fabi" ، وما أن توغل إلى داخل النهر ، حتى فقد أربعاً من سفنه كانت محملة تماماً بالمؤن والذخائر ؛ وقد عانى بسبب ذلك معاناة كبيرة ، فيما بعد .

لعل أول ما بدأ به سليمان هو أن أصدر أمره بإنزال ثلاثة من مدافع "الباسيلسك" وبعض المدافع الأخرى التي كان قد أرسلها إلى خواجا صفر عن طريق إبراهيم ومعها حوالي خمسمائة جندي من الأتراك ، على العموم ، فبسبب طول المسافة وهشاشة الأرض الرملية في الكثير من أجزاء المنطقة ، فإنهم لم يتمكنوا من نقل قطع تلك الأسلحة أكثر من مدفع "باسيلسكي" واحد وبعض القطع الصغيرة الأخرى إلى "ديو" .

هناك انشغل خواجا صفر ومحمود بك في عمل الخنادق وعمل أكوام من التربة لتكوين "سواتر" ، وبالمثل شمل العمل إيجاد ناقلات للأسلحة المدفعية وعمل مظلات وغطاءات يحتاجون لها في عمليات القصف التي أملوا في توجيهه نحو الحصن والقلعة ، على العموم ، لم يتوقفوا عن قصفهم بشكل عشوائي للقلعة منذ انتهاء المراقبة الأخيرة وحتى بداية الأولى ، وذلك بأسلحتهم المدفعية ؛ ومن خلال الرشق برصاص البنادق .

حيث بلغ ما استنفذوه في هذا العمل حوالي عشرة آلاف طلقة بندقية في ذلك اليوم ، ووجه معظمها نحو الكنيسة ، التي كانت تقف فوق هضبة مرتفعة ، وتبدو معزولة ، وكذلك على الطريق العام أمام البوابة الرئيسة ، حيث يمر عبره الكثير من الناس للدخول إلى الكنيسة ، وهذا ما جعل العدو يكثف من نيرانه على هذه الجهة ، وبالرغم من كثافة نيران العدو إلا أن الرب تكفل بحماية البرتغاليين ووقاهم شر ذلك القصف .

كان هذا الأمر قد أزعجهم كثيراً ، حيث تحملوا عبء العمل في

إصلاح كل ما وجب إصلاحه في القلعة ، فقاموا بتقوية وتعزيز شرفات الحصون ، وبناء إضافات للحيطان بالحجارة ، بهدف زيادة سماكتها ؛ كما أوجدوا أيضا بعض المخابئ للاحتماء بها ، وقاموا بهدم بعض الجسور من مداخل القلعة ، وهدم المداخل الصغيرة ، وأغلقوا البوابات بوضع الحجارة والتراب ، وأخيراً قاموا بعمل درابزين ومتاريس للدفاع ، يحتمون بها من نيران العدو .

قاموا أيضاً بتحصين موقع "لوبو دا سوسا كوتنهو" ، حيث تم عمل سياج خشبي بني بشكل عال داخل حاجز دفاعي صنع من أعواد محاكة ومنسوجة بشكل منيع من الحطب ؛ وكان الجميع يعملون بجد واهتمام دون أي اعتبار للمنزلة أو الرتبة ، إذ انهمك كل قائد في العمل مع رجاله في موقعه ، وظلوا يعملون جميعاً كفريق واحد غير عابئين بالتعب والإرهاق .

الفصل الثاني والتسعون بعد المائة :

كان خواجا صفر وإبراهيم بك ومحمود بك قد قرروا أن يلحقوا أكبر ضرر بالبرتغاليين مهما كلفهم ذلك من مشقة ، ولذلك قاموا بعمل جهاز أو وسيلة حربية ثبتوها في أحد المراكب بطول ثمانين "كوفادوسا" كانت تؤول إلى السلطان بهادور ، ونظراً لضخامة حجمها ، لم يسهل الإبحار بها ، لذا وضعت فوق الشاطئ ؛ وإمعانا في زيادة ارتفاعها فقد زادوها ارتفاعاً حتى أصبحت بطول حاجز البحر .

لما اكتمل كل ذلك أمروا بملئها بالحطب والكبريت والقطران ، وذلك بهدف إحداث دخان كثيف ، ومن ثم دفعوها حتى أصبحت

في منتصف النهر ، ومن ثم ثبتت بأربع مراسي- اثنان للمد العالي ، والآخران لانحسار المد ، وذلك لكي تكون في مأمن تام إلى حين قدوم المد لكي تطفو فيما بعد ، لأنه نظراً لوزنها الثقيل لا يمكنها التحرك عند انحسار المد .

لقد تم كل ذلك بهدف وضعها إلى جانب الحصن في القطاع التركي ، ومن ثم يصار إلى إضرام النار فيها لكي يتصاعد دخانها الكثيف لكي يتسبب في إزعاج كبير للبرتغاليين ، وأيضا سوف يساعدهم ذلك في قتال البرتغاليين بكل سهولة . كان "أنطونيو دا سيلفيرا" يتمتع بقدر وافر من الذكاء .

كان يراقب بشكل جيد ما يقوم به العدو في هذا الأمر ؛ وعليه ولكي يمنع ذلك ويدرأ هذا الخطر عن رجاله ، عزم على إحراق هذه الوسيلة قبل حدوث حركة المد ، ولذلك كان قد اجتمع في حصن "ساو تومي" "Sao Toumi" بالكثير من قادة الوحدات والمراكز ، حيث طرح عليهم خطته لكي يشاركوه بوجهات نظرهم فيما يتعلق بعملية إضرام النار فيها ، ومن سيتولى القيام بذلك .

كان كبير قادة البحرية "فرانسيسكو دي جوفيا" بين الحضور في ذلك الاجتماع ، وباعتبار منصبه تولى مسؤولية تلك المهمة ، فأخبر "أنطونيو دا سيلفيرا" بداية بأنه لا يوجد من سيتطوع للقيام بهذه العمل ، وأنه سوف يقوم بشرح الطريقة التي سيتم بها حرق تلك السفينة ، وإنه متأكد من أن من يجب عليه القيام بهذا الأمر هو شخصه ، "فرانسيسكو دي جوفيا" ، وهنا تبين جميع القادة الحضور حجم المهمة هذه ، والخدمة التي يؤديها الرجل إلى ملك البرتغال بالرغم من خطورتها .

أخبره "أنطونيو دي سيلفيرا" بأنهم سوف يكونون جميعاً شهوداً على عملــه هذا ، وعن الامتياز الذي سيناله لقاء عمله هذا ؛ وفي تلك الليلة أمر "فرانسيسكو دي جوفيا" بأن يستقل قارب "ميغويل فاز" ، الذي قدم الآن من "غوا" ، ويرافقه في ذلك "بارتلوميو فيرناندز" "Bartholomew Fernandes" و"بالتسار دياز" "Balthazar Dias" ، وهما قائدا المركبين ، على أن يذهب ثلاثتهم لإضرام النار في تلك السفينة ، آخذين معهم جراراً مليئة بالبارود .

أما بالنسبة للذين سيرافقونه ، فقد تم اختيار بعض الجنود الذين تسلحوا بالبنادق ، لكي يقوموا بحمايتهم من العدو ، إذا ما انقضى الأمر . بعدما تم الاتفاق على ذلك فسلك "فرانسيسكو" أثناء الليل لكي يقوم بتنفيذ هذه المهمة التي أوكلت له ، وبرغم شدة الظلام وضيق مجرى النهر ، إلا أن العدو كان يراقبه بحذر من كلا جانبي النهر ، حيث تمكن من رصد تحركه ، ومن ثم بدأ في توجيه نيران مدفعيته التي نصبها في ذلك المكان .

بعد ما كان كل شيء هادئاً ، بدأ فجأة الضجيج وهدير المدافع ، وتصاعدت طبقات الدخان الكثيف ، وبمجرد البدء في استخدام نيران المدفعية من جانب العدو ، كان رجالنا العاملون بالتجديف قد تلقوا ضغطاً عالياً من العدو أجبرهم على التجديف بسرعة هائلة حتى يحسب المرء أن مراكبهم تكاد أن تطير من فوق سطح المياه ؛ وفي هذا الأثناء تقضي مشيئة الرب أن يتفادى رجالنا هذا الكم الهائل من الطلقات التي أمطرهم بها العدو من أسلحته .

حتى اتجه رجالنا نحو ذلك البناء الذي بدا لهم كمبنى برج هائل ضخم شديد الارتفاع ، وكان قد خُصص لمراقبته عشرون رجلاً من المسلمين ، وعندما وصل "فرانسيسكو دي جوفيا" ومن معه من رجالنا إلى موقع السفين ، قاموا بقذف جميع جرار البارود بداخلها وبعض الحطب والأخشاب والمفرقعات الأخرى التي سرعان ما تفاعلت مع النار والمواد الأخرى .

من ثم بدأت السنة تتصاعد ، بحيث جعلت المسلحين يقذفون بأنفسهم في المياه خشية الموت ، لكنهم لم ينجوا من بأس رجالنا الذين قاتلوهم داخل المياه ، فقتلوا الكثيرين منهم ، أما "فرانسيسكو دي جوفيا" وبقية الرجال الموجودين في القاربين الآخرين فقد توقفوا عن التجديف حتى تبينوا أن النيران التي أضرموها لن يسهل إطفاؤها .

كانت هذه المهمة قد نفذت بجدارة ، بالرغم من تعرض تلك القوارب إلى خطورة حقيقية ، سيما وقد ظلت هدفاً لقصف العدو طيلة المدة التي استغرقت لتنفيذ العملية ، لقد تمكن رجالنا من إنقاذ أنفسهم بصعوبة بالغة ، واحترقت السفينة بشكل كامل ، وعاد "فرانسيسكو دي جوفيا" في ظل نفس الخطورة ، ولقد استحق بالفعل ثناء عظيماً على مجازفته بحياته لتنفيذ تلك الخطة .

الفصل الثالث والتسعون بعد المائة :

عندما علم الحاكم بوجود سليمان باشا في ميناء "ديو" بأسطوله ، خشي أن يواصل رحلته من الميناء إلى "ديو" لمحاصرتها ، حيث سيتمكن سليمان بذلك من منع وصول الإمدادات والمؤن إلى "غوا" ؛ لذا فقد

قرر أن يمون نفسه مقدماً من البر الرئيس ، وبناء على نصيحة "فيرناو رودريغيز دي كاستيلو بارنكو" "Fernao Roderigues de Castello Branco" مـراقب الخزينـة ، أرسـل مبعوثـه إلـى أسـد خـان يحمـل لـه أخبارا عن قدوم الأتراك ، طالباً منه ألا يزرع الخوف في قلوب أنصاره ، خشية منهم ، وبالمثل أرسل رسالة إلى القباطنة في "ديكان" .

يبدو أنه قرر أن يقاوم الأتراك وحده ، حتى يتبنوا حجم قوته كجار لهم ؛ ولقد رافق هذا المبعوث شخص آخر لكي يقوم بشراء المؤن وإرسالها إلى "غوا" ، ولقد تم ذلك . سر أسد خان سروراً عظيماً بهذا المبعوث ، وأعرب عن شكره للحاكم على قوله ذلك ، وفي هذا الوقت كان الحاكم قد أعد نفسه بشكل جيد للذهاب لمساعدة "أنطونيو دا سبلفيرا" ، فبعث له برسالة عبر "فريناو دي موريس" الذي رافقه حوالي عشرين جندياً تم اختيارهم بعناية .

في "شول" انضم إليه "بيرو فاز قويدز" الذي أرسله قائد القلعة "سيماو قويدز دي سوسا" يحمل أيضا بعض الذخائر والبارود ؛ وقد تمكن كلاهما من دخول ميناء "ديو" الذي خلا تماما من وجود الأتراك ؛ ولما كان الوقت ليلا لم يعلم خواجا صفر بوصولهما . عاد "بيرو فاز" إلى "شول" ، بينما أحجم "فيرناو دي موريس" عن مرافقته ، لأن "أنطونيو دي سيلفيرا" لم يرد ذلك .

بعد مضي يومين أو ثلاثة أيام على هذا ، كان "فراسيسكو باشيكو" قائد منطقة الحصن في القطاع التركي قد ذهب ليلاً إلى القلعة ، قائلاً بأنه يريد أن يعمل وصية بغرض وضع بعض العبء عن كاهله ، لكي

ترتاح نفسه ، وعندما علم الوكيل "أنطونيو دا فيجا" بالأمر أرسل له يناشده أن يدفع للملك قدراً من المال ، كان قد أخذه منه ، وهنا استاء "فرانسيسكو باشيكو" وغضب من الوكيل ، ومن ثم شكاه إلى "أنطونيو دا سيلفيرا" .

زاد غضبه بشكل جاد عندما أخبره "أنطونيو دا سيلفيرا" بأنه يجب عليه دفع ذلك المبلغ ، وإلا فإنه يجب أن يترك منصبه لقائد للحصن ، وبما أن "أنطونيو دا سيلفيرا" قد غضب لهذا الأمر ، فقد تطوع "لوبو دي سوسا" ، وعرض عليه بأنه على استعداد لتولي المنصب في حالة الرفض التام من قبل "فرانسيسكو باشيكو" له ، وإنما يدفعه لتولي هذا المنصب الخطير رغبته الشديدة في خدمة الملك .

لكن لم يكن ضرورياً أن يستمر "فرانسيسكو باشيكو" في منصب القائد ؛ وتجاهل "أنطونيو دا سيلفيرا" هذا التصرف المهين في ظل الظروف التي تحيط بهم الآن ، وفي هذا الوقت ظهرت إحدى السفن في البحر متجهة نحو الأسطول التركي ، وهي تحمل المؤن والغذاءات ، وعلى متنها ثلاثمائة من الرجال معظمهم من المحاربين .

استجابة لأوامر "أنطونيو دا سيلفيرا" ، ذهب "ميقويل فاز" للتحري عن السفينة ، مستقلاً قاربه الذي حمل على متنه مدفعين وخمسة عشر من الجنود بأسلحتهم الخفيفة ، وعندما أصبح قريباً من السفينة ، ألقى مرساة قاربه ، حتى يتمكن من التحدث إليهم ؛ وهنا قام المسلحون بتوجيه نيران أسلحتهم نحوهم وإمطارهم بوابل من السهام ، وهكذا اندلعت الحرب .

استمر القتال فيها حتى المساء ، ولم يتوقف إلا بعد أن نشطت رياح هبت من جانب البر الرئيس على الخليج ، وقد تابع "ميقويل فاز" السير إلى أن تقدمت منه سفينتان حربيتان تؤولان للأتراك ، كانتا تقومان بتمشيط البحر ، ونظراً لافتقاره للذخيرة والبارود ، لم يرغب في مقاتلتهما ، لذا فقد سارع بالابتعاد عن المنطقة ، ويحمل معه اثنين من الجرحى ، تاركاً مائة وخمسين من القتلى والجرحى من رجال العدو ، حسب الإحصائية التي سجلت .

وفي العام نفسه (١٥٣٨م)

ورد وصف صراع الأتراك مع البرتغاليين ، كما جاء في كتاب : "عقـود آسـيا" "Da Asia Nova" ، للمـؤرخ البرتـغـالـي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto" : [(٣١)]

الفصل الخامس : إبحار الأسطول التركي من السويس ، والطريق التي سلكها عبر المضيق ، والموانئ والجزر والمراسي التي مر بها حتى وصوله إلى عدن ، كيف ألقى الباشا القبض على الملك هناك وأعدمه شنقاً .

عندما أرسل سليمان باشا من "القاهرة" إلى السويس مجموعة المسؤولين والعناصر الأساسية للأسطول ، كما سبق أن بينا وبقي هناك في "القاهرة" ، قام بجمع المحاربين الذين أمر بتجنيدهم من مقاطعات أوروبا وآسيا ، وجمع كمية من الذهب لمقابلة نفقات الحملة ، وذلك من خلال تهديد مختلف الشعوب التي تركها مدمرة .

---

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

عليه غادر إلى السويس في بداية شهر يونيو حيث أمر القوة التي جهزها للانضمام إليه هناك في منتصف يونيو ، وإثر وصوله إلى ذلك الميناء عمل على التسريع في تجهيز الأسطول الذي أصبح الجزء الأعظم منه في البحر .

بداية أرسل سفناً سريعة إلى جميع الموانئ في كلا جانبي المضيق ، وأمرهم متوعداً إياهم بالعقوبات لأجل منع أية سفن تشرع في المغادرة للهند من الخروج من المدخل إلى المضيق ، حتى لا يتسنى للبرتغاليين التقاط أية أخبار عن الأسطول .

قد كتب إلى شريف مكة ليخبره بضرورة تجهيز السفن التي أتت بالمدعو "عسا فرخان" من "كامباي" بحيث إنها عندما تصل يكون بوسعه أن يأخذها معه .

أرسل أيضاً رسالة إلى الحاكم في "جدة" يخبره أن ثلاث سفن موجودة في ذاك الميناء تعود لملكية "أميزوي" وهو أحد المسلمين من السادة المعروفين في "القاهرة" ، ويجب أن يصار إلى تجهيزها أيضاً ، كما أنه يرغب في مساعدة بعض سفنه .

عندما استلموا تلك الرسائل قاموا بإصدار أوامرهم كي يصار إلى تجهيز السفن التي طلبها حتى تقابله في شهر يوليو على مبعدة من جزيرة "كمران" .

كانت مجموعة الرجال الذين قام بتجنيدهم قد وصلت في الوقت الذي حدده بنفسه وتألفت المجموعة مما يلي :

ألف وخمسمائة جندي من الإنكشارية من حرس التركي الذي وافق بإعطائه له حسبما ذكرنا من قبل ، وألفان من المجندين الأتراك من "ثراقيا" "Thracia" ، وثلاثة آلاف مجند من موانئ الأناضول ودمياط و"الإسكندرية" وغيرها .

عند وصولهم تم العمل على تسليمهم الأجور ، وعليه قام (سليمان باشا) بإرسال أهل البندقية للأسطول ، وكانوا حوالي أربعمائة جندي من بينهم مدفعيون ، وكتاب ، وحدادون ونجارون ، وآخرون من ذوي الحرف اليدوية .

في الثاني والعشرين من يونيو شرع في الإبحار من ميناء السويس حتى رسا على مبعدة من "فاراو" [فرعون] على عمق أربع قامات ، ومبعدة تقدر بطول ميل ونصف من السويس حيث عقد اجتماعاً لجنوده في الأسطول .

كان أهم الأفراد الذين رافقوه في هذه الحملة هم : يوسف حامد قائد بحري في "الإسكندرية" ، وقد أناط به الباشا مسؤولية قيادة الأسطول بكامله ، خاصة وأن "الباشا" قد تقدم به العمر ولم يعد قادراً على تنفيذ مثل تلك الأعمال ، "شرشي" باشا "الإسكندرية" ، "بيراو باشا" و"مير مصطفى" ، قادة مجموعة الإنكشارية ، مصطفى نصار و"بيراو باشا" آخر وإنكشاري .

بغض النظر عن "السناجقة" "Sanjaks" وربابنة السفن ، فإن جميع من جمع من القوات والرجال وإنكشارية الأتراك قد أبحروا في إحدى السفن ، وكان من بينهم "عسا فرخان" باعتباره مستشار الباشا .

انطلق الأسطول مبحراً حيث تتبعنا إرشادات أحد رجال البندقية والذي سبق أن أُسر في "الإسكندرية" وكان على متن إحدى السفن بصفة كاتب .

تلك الإرشادات كانت قد كتبت باللغة الإيطالية ، وهي تضمنتها مختلف الرحلات التي جمعها "جيوفاني باتستا راموسيو" "Jiovani Batista Ramosio" ، ونظراً لكبر حجمها وكثرة أسماء الموانئ والمدن والتي لم توضح هنا في الخرائط التي بحوزتنا فيبدو من الجيد أن نتتبعها هنا .

بعد انطلاق الأسطول من موقع "فاراو" عمل على الرسو بعد ذلك على مبعدة ثلاثة أميال من ينابيع موسى الاثني عشر ، ومن هناك أبحروا إلى [كرونادولو] وهي رحلة بحرية تقدر مسافتها بنحو أربعة عشر فرسخاً حيث ألقوا مراسيهم على عمق اثنتي عشرة قامة (وقد قيل إن هذا هو المكان الذي ضرب فيه موسى البحر بعصاه فانفلق كي يعبر للضفة الثانية) .

من هناك توجهوا إلى الساحل العربي ، حيث رست سفنهم على مبعدة من "الطور" وكانت هناك مجموعة كبيرة من المسيحيين يُعرفون باسم "دي سنتورا" (الطوريين) ، وبعد رحلة استغرقت يوماً ونصف اليوم من دير رهبان القديسة "كاثرين" من جبل سيناء .

في ذلك اليوم استمر إبحارهم لمسافة ثمانية وعشرين فرسخاً ومكثوا هناك مدة خمسة أيام ، بعدها أبحروا مجدداً في الثالث من يوليو حيث وصلوا في ذات اليوم إلى مدينة تسمى "كاراس" (شرم الشيخ؟) على بعد ثلاثة عشر فرسخاً من "الطور" حيث ألقوا مراسيهم في أعماق تقدر باثنتي عشرة قامة .

بعدها انطلقوا إلى جزيرة تسمى "سريداو" [شادوان] على مبعدة اثني عشر فرسخاً من البر الرئيس ، وبسبب تحسن الجو والرياح فقد ظلوا مبحرين طيلة الليل .

في الصباح كانوا قد أصبحوا قبالة سلسلة عالية من الجبال على جانب "إثيوبيا" تسمى "مارزواري" على بعد خمسة وخمسين فرسخاً من "كاراس" ، وهي المسافة التي قطعوها في فترة يوم وليلتين ، ثم أبحروا من هناك على مرأى من إقليم "إثيوبيا" .

في ذلك اليوم الذي صادف اليوم السادس من الشهر قطعوا مسافة ثمانية وعشرين فرسخاً ، وفي اليوم السابع خمسة وعشرين فرسخاً ، وفي الثامن ثمانية وعشرين فرسخاً ، واستمروا مبحرين خلال الليل بحيث قطعوا نفس المسافة .

لكن في اليوم التاسع تغيرت الرياح وأصبحوا يواجهون مشكلة الإبحار في المياه الضحلة لمسافة ثمانية فراسخ ، أما في ذلك اليوم فإنهم لم يتمكنوا من الإبحار خلال يوم وليلة سوى فرسخين ونصف فقط .

في اليوم العاشر وصلوا إلى ميناء اسمه "كور" وهو ميناء مهجور ، وألقوا مراسيهم في أعماق ثماني قامات ، بعد أن أبحروا لمسافة تقدر بثلاثة وعشرين فرسخاً .

في ظهيرة يوم الحادي عشر من يوليو ، وبعد أن قطعوا مسافة سبعة فراسخ وصلوا إلى مدينة "جدة" الشهيرة في المضيق ، وهذه تبعد مسافة مسيرة يوم ونصف اليوم من البيت الحرام في مكة .

عموماً يعتبر المرفأ جيداً وكذلك الميناء البحري ، ولكن المنطقة تفتقر لوجود المياه باستثناء مياه الأمطار التي يتم تجميعها وحفظها في أحواض ، ويوجد على مقربة من الداخل مسجد شهير يعتقد المسلمون أن أمنا حواء مدفونة هناك .

أما الأهالي الذين يقيمون في "جدة" أو في ذلك الساحل فإنهم صيادون يعتمدون في غذائهم على السمك الذي يتم تجفيفه في الشمس ، ويتميزون بالنحافة ، ويتجولون عراة في معظم الأحيان .

وصل الأسطول هنا باستثناء خمس سفن كانت قد اختفت وفقدت في منطقة المياه الضحلة ، ولقد مكث الباشا منتظراً مدة أربعة أيام قضاها في الراحة والحصول على المياه .

في السادس عشر من يوليو انطلقوا مبحرين حيث واصلوا إبحارهم نهاراً وليلاً حتى وصلوا إلى مجموعة من الجزر غير المأهولة تسمى "أطفس" وتقع على بعد مائة وستين فرسخاً من "جدة" قضوا فيها ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ .

من البر الرئيس وبعض الجزر يأتي الصيادون إلى هذه الجزر لصيد اللؤلؤ حيث تتوفر هناك المغاصات في أعماق أربع قامات من المياه تمكن الأسطول من الرسو .

في العشرين من الشهر أبحروا إلى جزيرة "كمران" حيث كانت السفن على أهبة الاستعداد للإبحار في المحيط .

عندما نزل الباشا أمر بإمالة المراكب ، ومن ثم أرسل اثنين من

القوارب السريعة أحدهما لملك "زبيد" والآخر إلى عدن وذلك لأجل الحصول على المواد الغذائية ومياه الشرب وإعدادها للأسطول بكامله .

أمر الباشا ملك "زبيد" كي يلتقيه في الميناء (لأن المدينة نفسها كانت تبعد مسافة تقدر بمسيرة يوم كامل في البر) كي يأتيه بالجزية المستحقة عليه ، وأن يأتي أيضاً لمبايعته بصفته كان تابعاً للسيد الكبير .

عمل الباشا على جمع قطع الأسطول حيث وجد أن هناك ستة وسبعين مركباً شراعياً كما يلي : ستة "موناس" "maonas" ، وسبعة عشر مركباً ذات أشرعة مثلثة ، وسبعة وعشرون "ساتيس" "Satis" ، وثمانية مراكب سريعة ، ومركبان ، وست سفن ، وتسع سفن كبيرة محملة بالملح الصخري ، وكمية من البارود ، والقمح والبسكوت ، وطلقات مدفعية وأشياء ضرورية أخرى للأسطول .

في "كمران" بقي الباشا مدة عشرة أيام ، ومن ثم انطلق مبحراً في يوم الثالث عشر من الشهر ، وفي اليوم التالي ، وبعدما قطع مسافة ثمانية وعشرين فرسخاً وصلوا إلى جزيرة تسمى "طويس" "Tuice" حيث وجدوا هنا المركب الذي أخذ الرسالة إلى ملك "زبيد" ، وقد جيء منه بهدية للباشا وهي عبارة عن مجموعة من السيوف والخناجر المطلية بالذهب والفضة ومزينة بالفيروز واللؤلؤ ، وهناك حراب مصنوعة من الصلب وأشياء أخرى جميلة .

أرسل أيضاً الملك بما يفيد أنه سوف يأخذ الحملة لمحاربة البرتغاليين ، وعند عودته سوف يكون في انتظاره بالجزية ليدفعها له ؛ الأمر الذي أثار غضب الباشا واستياءه .

في ظل متابعته الإبحار ، أي في اليوم الأول من شهر أغسطس عمل على الرسو قبالة جزيرة "بلماندل" [باب المندب] التي تقع عند مدخل المضيق .

المسلمون يطلقون على هذه الجزيرة اسم جزيرة القباطنة ؛ بسبب أن أية سفينة ترغب في الدخول في المضيق لا بد لها أن تأخذ منها أحد القباطنة .

كان "أفونسو دي البوكيرك" قد رسا بأسطوله داخل هذه الجزيرة عندما دخل في المضيق ، ولقد أمر بإقامة صليب رائع هناك ، ومن ثم أطلق على الجزيرة اسم جزيرة "فيرا كروز" ، أي الصليب الحق ، وعليه أصبح ملوك البرتغال بسبب هذا الرمز المقدس يفرضون هيمنتهم ونفوذهم في مدخل البحر الأحمر .

لقد أنعم الرب بذلك عندما ورث الأمير "فيليب" مملكة البرتغال بعد أن دامت فترة حكم أبيه زمناً طويلاً ، وسوف يؤكد على أن يظل هذا الرمز باقياً وأنه سوف يلتزم بإبقاء شعار جده الإمبراطور "شارل الخامس" الذي تم وضعه خلف أعمدته .

بالإضافة لذلك سيكون ذلك بمثابة تكهن بما يمكن أن يحدث في زمنه ، وبمثابة دعامة لإصلاحنا ، وسوف تمر من ورائها حتى تنصب فوق جبال السويس و"سيناء" ، كما سيتم إقامة معابد فخمة من "بيت محمد" وبالتالي ، فبدلاً من الخبث ، ستكون هناك القرابين والأضحيات تقدم للرب الجليل .

في اليوم التالي ، وكان ذلك في الثاني من أغسطس ، قاموا بنشر الأشرعة ، وفي الثالث من أغسطس ألقوا مرساتهم على مشارف عدن ، أربعون فرسخاً خلف مدخل المضيق .

في الحال أرسل ملك عدن ممثليه لزيارة الباشا يحملون معهم بعض الأغذية والهدايا ، حيث أحسن الباشا استقبالهم وأكرم وفادتهم فأعطاهم "كاباس" "cabas" من المخمل ثم أرسل لهم ترخيصاً من الأتراك لمساعدة الملك في زيارته دون التعرض لأية مخاطر .

اعتذر الملك بنفسه عن ذلك ولكنه قدم كل شيء يحتاجه ، لكن الباشا استاء ودفعه الرد الذي تلقاه من الملك لإصدار الأمر كي يتم تخليص السفن وتسليح جميع الرجال ، ووضع جميع جنود الإنكشارية في الشاطئ ، فأرسل "الكاسايا" مباشرة لأجل إقناع الملك بأنه قادم بواسطة مركبه لمقابلته .

بعد نقاش مستفيض صرح المبعوث بأنه سوف يقطع له وعداً وعهداً بذلك ، وبالفعل تم التأكيد للملك ، وهكذا ذهب مصطحباً معه مجموعة من رجاله الموثوقين لمقابلة الباشا الذي استقبله بحرارة ومن ثم أخذه جانباً بحركة فيها الكثير من الرياء كي يتحدث معه حول موضوعات شتى ، ومن ثم صرفه مقدماً له اثنين من "الكابايا" الموشاة بالذهب وأخرى بالحرير لكل فرد من مرافقيه .

عندما أتى الملك إلى المركب للصعود كان الإنكشارية قد ساعدوه في الصعود إلى أعلى المركب ، وكانوا على علم تام مسبقاً بما يجب عليهم عمله ، وهكذا تم شنقه مع أربعة من رجاله ، بعد ذلك أمر الباشا بإعداد "سنجق" قوامها خمسمائة من الإنكشارية لتوفير الحماية للمدينة .

اختلف كتابنا في رواية ذلك حيث يقول بعضهم : إن الباشا أرسل من "زبيد" بعض السفن التي تحمل جنود الإنكشارية الذين ادعوا

أنهم مرضى ، هذا إلى جانب مجموعة أخرى منهم كانوا يلبسون ملابس الخدم ، وقد تم تجهيز نقالات الجرحى لغرض نقلهم للشاطئ حيث خُبئت الأسلحة .

بعدها أرسل رسالة إلى ملك عدن يطلب منه الاهتمام بأولئك المرضى ورعايتهم ، وهكذا تم إيواؤهم في بعض المنازل .

بعد ذلك وصل الباشا إلى عدن حيث أرسل مجموعة أخرى ، وكذلك مجموعة ثانية غيرها ، حتى بلغ العدد حوالي خمسمائة رجل هناك ، بعدها أرسل في طلب الملك ، وعندما اعتذر ، كان الباشا قد أعطى إشارة لرجاله للنزول ، وبعد ذلك شن هجوماً على القلعة ، وفي الوقت نفسه نهض الرجال المرضى ، وبعدما علم الملك بهذه الخدعة ، أعلن استسلامه ، وبعدها أخذ إلى الباشا ثم أعدم شنقاً .

يروي أهل البندقية الذين أوردوا تقارير عن تلك الأحداث تماماً كما يتحدث عنها الآن ، وكذلك فعل المسلمون من هذا الأسطول الذين تخلفوا في "كامباي" ، فالذين سبق أن تحدثنا معهم يقولون : إنه لم يكن هناك أفراد مرضى قط ، فقد شنق الملك ، وعندما غادر الباشا ، كانت المدينة تخضع لنفوذه بوجود حامية قوامها خمسمائة جندي .

الفصل السادس : بشأن ما فعله الباشا في عدن ، والأحداث التي واجهها إلى أن وصل إلى "ديو" ، كيف تعرض أحد مراكبه في ساحل الهند للاستيلاء عليه بواسطة "أنطونيو دي سوتومايور" "Antonio de Soutomayor" .

أخبار الأسطول التي نقلت للحاكم .

التعزيزات التي أخذت من "غوا" إلى "ديو" .

بعد أن شنق ملك عدن ، أرسل الباشا على رأس كتيبة مكونة من خمسمائة جندي من الإنكشارية "بيراو باشا" للاستيلاء على المدينة ، ولقد نفذت هذه المهمة دون أن تواجه هذه الكتيبة أية مقاومة تذكر .

عموماً كان رجال هذه الكتيبة جبابرة قساة تمكنوا من استباحة المدينة وارتكبوا أعمالاً وحشية فظيعة في حق الساكنين ، ساعدهم في ذلك بشكل تدريجي البعض ممن كانوا في الأسطول لإلحاق الدمار بالمدينة التي تعرضت للسلب والنهب فاغتنوا بما حصلوا عليه من غنائم وثروات ، سيما وكانت تلك المدينة تزخر بممتلكات ثمينة بسبب تردد التجار على مينائها من جميع مناطق الشرق .

بالرغم من أن سليمان باشا كان مخصياً يبلغ من العمر ثمانين عاماً إلا أنه كان اكتسابياً لا يقنع بالقليل ، وعندما سمع بثروات تلك المدينة دفعه طمعه الجارف للاستحواذ على كل ما فيها ، ولم يعد يتصور أن يسمح لأي أحد غيره أن يضع يده على تلك الثروات .

بناء عليه فقد نزل بحراسه ، وبعدها توجه إلى بوابة المدينة من جانبها البحري ، ومن ثم فإن جميع من دخلوا المدينة قد نهبوا ثرواتها ثم عادوا إلى السفن بغنائمهم ؛ خضعوا للتفتيش ، وهكذا حصل منهم على جميع الذهب والفضة واللؤلؤ ، وبالتالي لا غرابة أن كل من في الأسطول قد بات يبغضه نظراً لتصرفه ذلك ، وعندما حصل على كفايته أمر بالانسحاب من المدينة بعد أن ترك لها ما يكفيها من المؤن الغذائية وثلاثة مراكب فقط في مينائها .

عندما قرر مغادرتها استولى على ثلاث سفن كانت مرابطة هناك بحمولتها من البضائع والسلع التي كانت تؤول إلى أحد المالاباريين الذي كان قد تلقى منه وعداً بتأمين سلامتها وحمايتها عند وصوله .

بعد أن حصل على كل شيء فيها بعد تفريغها ، ملأها كلها بالجنود والذخائر وأشياء أخرى عديدة كان قد حصل عليها من خلال عملياته في نهب المدينة ، فأضافها إلى أسطوله .

في التاسع عشر من أغسطس أطلق أشرعته مبحراً مستفيداً من قوة الرياح الهابة آنذاك ، لكن حدث أن هبت عليهم عاصفة رعدية مزقت الأشرعة وأطاحت بها بحيث جعلت قطع الأسطول تترنح تحت رحمتها .

لقد اضطرت إحدى السفن التى أصيبت بدمار هائل إلى دخول مضيق "جاكيت" "Jaquete" في ساحل "سانقانيس" . وعموماً ألقت بمرساتها هناك ، ثم أرسلوا مركباً للشاطئ بحثاً عن بعض الطعام ، بعد أن نفد كل ما لديهم .

نظراً لأن السكان هناك من كبار اللصوص ، فقد اعتدوا على المركب وقتلوا جميع من فيه ، ثم اتجهوا بأسلحتهم لتطويق السفينة ، وشرعوا في إطلاق نيراهم على ركابها ، وظل البعض منهم يقذفون الركاب بالحجارة بمهارة عالية تشابه مهارة أهالي "مالوركا" "Mallorca" .

بلغت حصيلة قتلاهم حوالي ستين رجلاً ، أما من تبقى فقد أدركوا أنه لا مجال لإنقاذ أنفسهم إلا بالهروب ، وعليه فقد سارعوا للإبحار وتمكنوا من الإفلات بمساعدة الرياح .

كان من بين السفن التي فقدت الاتصال واحدة من سفن "عسا

فرخـان" التي أبحرت قبل هبوب الرياح بعيداً نحو جزر "سانتا ماريا" "S . Maria" على ساحل "كانارا" "Canara" بين "باركور" و"مانغالور" .

قبل يومين وصل "أنطونيو دي سوتومايور" إلى هناك كقائد للسفن العاملة بالمجاديف ، لكن لم ترد أية إشارة لعدد القباطنة ، وكان قد أبحر من "كانانور" حيث كان يقضي الشتاء مع أبيه ، "فيرناو اينيس دي سوتومايور" "Fernao Aines de Soutomayor" ، أحد القادة هناك .

لقد رصد ظهور هذه السفينة في الثامنة صباحاً ، وعندما ذهب للتحري عنها أدرك من خلال رؤيته للأعلام التي ترفعها أنها سفينة تركية ، لذا فقد استعد فوراً لمواجهتها والاشتباك ضدها ، الأمر الذي أدهش رجاله الذين لا يحتاجون إلى أي مبرر من قائدهم .

بالتالي دفعهم حماسهم المتقد ورغبتهم في النصر إلى مهاجمة مقدمة السفينة فأحاطوا بها من كل الجهات ، وصاروا يطلقون نيران بنادقهم ومدافعهم حتى قتلوا عدداً كبيراً من ركابها . كان الأتراك قد استعدوا للدفاع عن أنفسهم ، وبالفعل قتلوا الكثيرين من البرتغاليين .

كانت المعركة شرسة جداً أبلى فيها الجانبان بلاءً عظيماً ، وعندما أظلم الليل لم يلجأ البرتغاليون للابتعاد عن السفينة حيث صمموا جميعاً على مواصلة القتال حتى النصر أو الموت ، وبالفعل كانت هناك أعمال بطولية من جانبهم بسببها قتل الكثير من الأتراك ، وعندما اشتد ظلام الليل تمكنوا من الاستيلاء على السفينة بعد قتال مستمر لم يذوقوا أي طعام أو راحة طيلة اليوم .

من بين المسلمين الذين وجدوا أحياء ، علم "أنطونيو دي سوتومايور"

أنهم يتبعون إلى أسطول سليمان باشا الذي ربما كان وقتها موجوداً في "ديو" ، ولقد اكتشف الكثير عن ذلك الأسطول ، ومن ثم قام فوراً بإرسال الأخبار إلى الحاكم بواسطة زورق سريع ، وذلك بغية إطلاعه على الحقائق .

وصل الزورق إلى "غوا" في غضون أيام قليلة ، واضطربت المدينة بعد سماع الأخبار ، وعندما تلقى الحاكم الأخبار أمر بتسريع العمل لتجهيز أسطول في الحال بسبب رغبته في الخروج للبحث عن الأعداء لقتالهم .

في نفس يوم وصول الأخبار أخذ بعض النبلاء والفرسان قوارب سريعة واصطحبوا معهم بعض الجنود من أتباعهم ثم أبحروا متجهين إلى "ديو" ، وكان هؤلاء النبلاء "فيرناو دي موريس" ، "سيماو رانجل دي كاستيلو برانكو" "Simao Rangel de Castelo Branco" و"أنطونيو دي أروجو" "Antonio de Arogo" و"غاسبار دي أروجو" "Gaspar de Arogo" شقيق "بايو رويس دي أروجو" "Bayo Roues de Arogo" .

لقد رأس كل منهم حوالي عشرين جندياً محارباً ، ومن هؤلاء نذكر أسماء كل من "لانزاروت بيريرا" ، و"رودريغو هوميم" "Roderigo Homim" و"أنطونيو مانهوس" "Antonio Manhos" و"تريستاو دا سيلفا" "Tristao da Silva" ، و"فيرناو كوريا" "Fernao Correia" ، وجميعهم كانوا قد أبلوا بلاء عظيماً إبان الحصار ، وسوف يأتي تفصيل هذا فيما بعد .

من بين كل أولئك القادة كان "فيرناو دي موريس" وحده قد حصل على موافقة الحاكم الذي سمح له بالمغادرة مزوداً إياه بخطاب كي

يسلمه إلى "أنطونيو دا سيلفيرا" طالباً منه المزيد من الجلد والصبر ؛ لأنه يعد العدة للحضور لمساعدته .

بعدهـــا أرســل الحاكم رسالة إلى "مارتيم أنطونيو دي سوسا" "Martim Antonio de Susa" في "كوتشين" طالباً منه أن يعجل بما معه من سفن الأسطول ؛ لأنه قد قرر الخروج لمحاربة الأتراك ، وزوده بتقرير عن أسطول العدو والسفينة التي تم الاستيلاء عليها .

كتب أيضا مخبراً أهالي المدينة بالأخبار طالباً منهم المساعدة ، ومده بكل ما يتوفر لديهم من رجال وسفن ، محدداً بشكل خاص الوضع السائد في مدينة "ديو" وحاجتها للمساعدة ، مشيراً في نفس الوقت إلى ضرورة المساعدة في ملاحقة الأتراك قائلاً : إن ثقته في الرب عظيمة لتحقيق النصر الذي سوف يكون باقياً وخالداً في أذهان الشعوب ، ومجداً عظيماً للبرتغاليين تتناقله الأجيال .

بالعودة إلى ما يتعلق بسليمان باشا ، فقد استمر في الإبحار بالرغم من أن الطقس لم يكن ملائماً له ولغيره ، لذا فقد بذل جهداً عظيماً وواجه صعوبة جمة حتى أصبح على مقربة من "مانجالور" على ساحل "ديو" .

بإبحاره على طول الساحل فقد شوهد في الثالث من سبتمبر بواسطة "ميجيل فاز" الذي كان يقوم بالتطواف بحثاً عن الأسطول التركي ، فقد كان يراقبهم بحرص لمعرفة أعدادهم ، وبعدها قفل راجعاً إلى "ديو" على عجل .

مبحراً بسرعة هائلة ، شوهد من القلعة وعُرف أن لديه أخباراً عن الأسطول ، أيضاً شاهده المسلمون في تلك الجزيرة من أعلى

مآذنهم ، ومن ثم خرجوا ، وشاهد البرتغاليون جميع من في المدينة يهرولون لرؤية القادم .

أسرع "ميجيل فاز" للقلعة حيث سلم القائد كل الأخبار عن الأسطول ، أما الأول فبدون أي شعور بالدهشة سارع بكتابة مذكرة صغيرة للحاكم سلمها "ميجيل فاز" وحثه على الإسراع بتسليمها للحاكم .

بعدها عبر الحاجز ، حيث دفعته جرأته على الذهاب للتأكد من عدد السفن التي لم يرها في محاولته الأولى ، وأيضاً من واقع حرصه على إعطاء الحاكم المعلومات الصحيحة .

بما أنه معتاد على استخدام المجاديف فقد اتجه للأسطول وشرع في إحصاء السفن ، وبمجرد أن رأى الأتراك الزورق أرسلوا اثني عشر مركباً من أسرع مراكبهم لمطاردته .

أصدر "ميجيل فاز" أوامره بالإبحار ، خاصة وقد كانت الرياح نشطة بصورة جيدة ، وهكذا انطلق نحو الخليج ، وبالتالي قامت المراكب برفع أشرعتها لأجل استخدام المجاديف . واستمرت في مطاردته حتى لحقت به .

كان هذا المنظر قد شوهد من القلعة بحيث اعتُقد أن الزورق لن يفلت وبالتالي سوف تكون ضربة قاصمة وخسارة فادحة ، ونذير نحس لبداية عملية الحصار المتوقع .

بيد أن "ميجيل فاز" كان جندياً ذا خبرة واسعة بأمور المناورة والحرب ، وفارساً مقتدراً ، لذا فقد بث الحماس في رجاله وأولاهم ثقة كبيرة ؛ الأمر الذي دفعهم للعمل بنكران ذات .

بالفعل أنجزوا ذلك بكفاءة واقتدار ، بحيث ظهروا وكأنهم قد خضعوا للتزود بشحنة عالية من القوة والحماس .

بما أن عين الرب تعالى كانت تحمي تلك القلعة ، فقد كفل لها الرب الحماية ؛ لأنه بعد عدة ساعات من المطاردة كاد الأتراك أن يتمكنوا حقيقة من الاستيلاء على الزورق .

فجأة هدأت حركة الرياح ، وبما أن السفينة كانت صغيرة الحجم فقد كان من السهل جداً استخدام المجاديف ، وبالتالي تمكنوا بشكل تدريجي من إخلاء المركب وراءهم .

لم يكن الأتراك راضين عن عملية إفلات الزورق منهم ، لذا فقد شرعوا في إطلاق النار من بنادقهم ، وتساقطت قذائف مدفعيتهم حول السفينة التي كانت تنطلق بكل سهولة بفضل هبوب الرياح والمجاديف ، وهكذا قفل الأتراك راجعين إلى أسطولهم .

بعد أن تأكد "ميجيل فاز" بأنه قد أفلت منهم أعطى رجاله قسطاً من الراحة ، وصار يمدحهم ويثني عليهم ، بل منحهم بعض المال .

دعنا الآن نتركهم مبحرين لمواصلة رحلتهم كي نعود إلى "ديو" .

عندما رأى علي خان و"خواجا صفر" أسطول الأتراك ، توجها كلاهما إلى سفنهما مع مجموعة الرجال الذين رغبا في اصطحابهم ، ومن ثم عبروا الحاجز الآخر من الجزيرة في الجانب الغربي منها ، وبعدها اتجها إلى سفينة الباشا بغرض زيارته .

هناك استقبلهما الباشا بالترحاب وقادهما إلى كابينته كي يسمع منهما الأخبار عن "ديو" .

بعد أن أخبراه عن حالة الأوضاع في قلعة البرتغاليين بحيث تبين له سهولة الاستيلاء عليها ، طلبا منه تزويدهما بمدفع وذخائر ، ثم قالا : إنه يجب أن يأخذ قسطاً من الراحة ، وسوف يقومان بتسليمه القلعة في غضون أيام قليلة .

كان لهذه الكلمات وقع حسن في نفس الباشا فسُر سروراً عظيماً ، ومن ثم شكرهما على حسن نواياهما ورغبتهما في تقديم خدمات جليلة للسيد الكبير ، ووعدهما باسمه أن يمنحهما عدة جوائز وامتيازات .

أحداث عام ١٥٣٩م

أرسل "دوارتي غالفاو" "Duarte Galvao" إلـى الملكة رسالة جاء فيها تحذير من زوال البحر ومدى أهميته للهند وما يزال الأتراك لم يصلوا إلـى البصرة : (٣٢)

مولاتي ،

ترددت عشرات المرات في الإقدام على هذا ؛ إذ إن جهودي لم تجد نفعاً ، ولم يبق لي سوى أن أقفز وأموت ، وفقدان ثقة كبيرة كهذه لا أجرؤ على الحديث عنه وتوضيح الأشياء التي تشهد عليه ، ولكن وعندما أتذكر فقط الالتزام الذي أتكفل به في خدمة سموك ، أود أن أقوم بهذا .

إن سموك تدركين جيداً أن اليد اليمنى للهند تتمثل في البحر الأحمر وهي متقرحة ما لم يتم تطهيرها بشكل جيد إذ إنها تواجه

(٣٢) رقم الوثيقة والهامش.

خطراً كبيراً ، كما أنني لا أدري إن كانت هرمز آمنة للغاية ، وخصوصاً إذا استولى الأتراك على البصرة ، بما أنهم حاولوا ذلك بعد أن استولوا على بغداد نظراً لوقوعها على نهر الفرات .

لا يجب أن تنخدعوا بالمزاعم التي تقول إنهم يفتقرون للأخشاب إذ لا يوجد نقص في أي شيء بالنسبة لشخص قوي كهذا ، إذ إن قدمي هذا الجسم هي جزر الملوك وإذا سقطت فستسقط كلها لأنها لا تعتمد إلا على التوابل والعقاقير وبالنسبة للأولى فإن الهند ليس لديها أكثر في محصولها من الفلفل والزنجبيل والقرفة والأحجار الكريمة وصغار اللؤلؤ ، وأما ما هو خلاف هذا فإنه ذو أهمية ضئيلة .

بالنسبة لهذه لا يوجد نقص فيها في أرخبيل جزر الملوك ؛ لأن في سومطرة يوجد كثير من الفلفل وبعض جوز الطيب والماكير والصندل والكافور واللبان والجاوي وزيت "aquilla" المحلي ، وآخر يصنعونه من الأشجار ، والكثير من الحرير والبيوتر والفضة والحديد للأسلحة والكبريت ، وهناك كمية ضخمة من الذهب الجيد ، وكل هذا موجود في البر الرئيس في ملقة وخصوصاً على ساحل "باو" و"باتان" وفي جزيرة "بورنيو" .

الكافور كثير وجيد ، ومقابل الجنوب حيث هناك موضع يسمى "لاف تاوجامبورا" يوجد ألماس صخري قديم ، ومن الجانب الشمالي الذي يسمى "بيماجانا" يأتي الذهب ويصيدون اللؤلؤ ، وكذلك في جزيرة يسمونها "سولار" وفي أخرى تسمى "بيكازا" يوجد الكثير من القرفة .

كذلك في "مندنا" يوجد نوع آخر من الأشجار تشبه القرفة وتحظى بتقدير عظيم ، وفي هذه الجزيرة يقال إن هناك ذهباً ، وعلى الجانب

الشرقي قريباً من الأرض ذاتها ، توجد بعض الجزر التي بها جوز الطيب ، والماكير .

في جزر الملوك "ملقة" يوجد القرنفل والفلفل الطويل ، وفي "باندا" يوجد جوز الطيب والماكير بوفرة ونوعية جيدة ، وفي بعض الجزر المسماة "بوتام" و"بنغواي" و"مقاصار" يقال إن هناك الألماس والحديد والذهب والصندل ، وفي "تيمور" بكمية ونوعية جيدة ، وفي جزيرة تقع على مسافة أبعد على الطريق إلى "جاوة" تسمى "سومبا" يقال إنه توجد بكمية كبيرة وجيدة للغاية ، وكذلك في "جاوة" ولكن يقال إنها برية .

يوجد كثير من الفلفل الذي سيعطونه مقابل القرنفل إذ إنهم يستخدمونه كثيراً في هذه الجزيرة كما في مقاطعة ألمانيا ، وبالنسبة للزنجبيل فإنني لن أقول شيئاً لأنه شائع في كل أنحاء هذا الأرخبيل كالورد البري .

قد تأكد لي أيضاً أن هذا ينطبق على اللؤلؤ إذ كانوا سيصيدونه ولكنه لن يحقق عائداً لعدم وجود جزيرة ، ولكن يوجد ذهب كثير أو قليل منذ بدايته والكثير من أنواع البضائع الأخرى والعبيد والخشب المعالج بالقار لبناء السفن وبكمية تجعله بلا قيمة .

إمدادات الطعام من "الساكو" "saquu" المحفوظ للعشرين عاماً القادمة ، ومن سومطرة إلى جزر الملوك لا تزيد المسافة عن أربعمائة فرسخ ، حيث يوجد كل هذا والبحر هادئ كالبحيرة ، وهي تبعد مسافة أيضاً إلى الصين .

على مسافة قريبة تقع "اللوكيو" "Lequeos" حيث يقال إن القرنفل

والفلفل يساوي أكثر من مائة "كروزادو" ، ويمكن الإبحار إليها خلال خمسة عشر يوماً والعودة منها خلال المدة ذاتها ، وسيكون كل هذا ملك من يملك جزر الملوك أمام كل العالم .

نأمل أن يرضي ذلك الرب ، وذلك حتى يكون هناك المزيد من الانتباه إليها وتذكرها لخدمة مولانا الملك ، وذلك لأنني أشهد سموك على أن بوجود جزر الملوك فقط وما حولها من جزر ستتم المحافظة على مملكة ذات قيمة ممتازة وذلك في حال ترتيبها على نحو جيد .

يمكن لكل هذا أن يتعرض للفقد ، لأن الملك ليس لديه إيجار مؤكد في كل الهند ، وأدعو الله أن يغفر لأولئك الذين يسحبونه ؛ إذ إنني متأكد أنه شيء أفضل من منجم ، وأن مفتاحه يمكن حمله بأمان في الحزام رغماً عن أنها بعيدة للغاية من المملكة .

إذا خضعت لحكم سليم لن تكون هناك فقط حاجة إرسال نقود لتحميل الفلفل ، بل إنها يمكن أن تعول خمسة أو ستة آلاف عسكري بتأمين أجورهم وإعالتهم في الهند ، وعلاوة على هذا ، ستدفع الكلفة أيضاً ، ويدرك القشتاليون هذا جيداً ، ولذلك احتفظوا بها في الخلفية على ما يبدو غير راغبين في أكثر من العثور على طريق للعودة إلى إسبانيا الجديدة ، لأنهم إذا حققوا هذا فمن المؤكد أنهم سيستولون على الأرض .

ينبغي تفادي هذا بمشيئة الله ، لأنني أعرف السبب الذي يجعلهم يتخلون عنها بسهولة إذا كان ذلك لخدمة ملك البرتغال كما هي الخدمة ملك قشتالة وحتى تشهدي سموك تذكرهم لهذا ، وإنني أود أن أكتب هنا ما حدث خلال زمني .

عندما كنت لمدة ثمانية أو تسعة شهور في القلعة أبلغني الأهالي أنهم صادفوا سفينتين من سفن قشتالة ، وأنهما لم تسمحا لهم بدخول الميناء إلى أن تتلقيا أوامري لأنهم ، ولله الحمد ، احتفظوا دائماً بهذا الحب وهذه الطاعة تجاهي ، وقد قمت على الفور بتجهيز أسطول وأرسلت قائداً عاماً عليه "جواو فوغاسا" .

كان الشيء الرئيس الذي أمرتهم به ، وأعني الذي فرضته عليهم هو ألّا يدخلوا بأي حال في أي معركة مع هذه السفن حتى وإن رغبت في ذلك ، ويجب عليه مواجهتها ولكن يجب عليه الفرار منها .

من جانبي رجوته أن يبلغهم بالحضور إلى القلعة حيث سأستضيفهم وأقدم لهم اللازم ؛ إذ إن مولانا الملك أمر بهذا ، ويجب عليه أن يتصرف في الأمور الخاصة بالإمبراطور ، ورجوتهم ألّا يدخلوا ميناء أو براً وإنما فقط حيث أكون ، وألّا يضايقوا الرجال الذين فيها بأي طريقة حتى لا يجبروني على أن أفعل ما فعلته .

بالإضافة إلى هذا رجوت من أولئك الذين على البر ألّا يسمحوا لهم بالرسو في البر ، وإنما أن يطلبوا منهم نيابة عني الحضور إلى القلعة .

أرسلت أيضاً طلباً إلى الملوك واللوردات بضرورة أن يعلنوا داخل بلدانهم ولوردياتهم ، وأن كل من يأتيني بمعلومات مؤكدة عن مكان هذه السفن فسأعطيه مكافأة قدرها مائة "كروزادو" .

أبحر "جواو فوغاسا" ولم يأت بمعلومات مؤكدة ، وتحركت السفن من جزيرة إلى أخرى دون السماح لها بدخول ميناء ، وأصبحت يائسة إلى حد

أنها اتجهت لترسو في بعض النقاط التي صنعتها جزيرة "مورو" إلى الجانب الشرقي ، وتسمى هذه النقاط "ساموس" "Samos" و"فيداس" "Vedas" .

لكنها لم تصل إلى البر بسبب حقيقة أن الملوك كانوا قد أمروا الغواصين بأن يفصلوا كبلات المراسي ليلاً ، ولكن آخرين يقولون إنه مادام المرسى بائساً إلى هذا الحد فقد تقطعت بها السبل بسبب الأماكن الصخرية ، فأبحرت يأساً من إمكانية استقبالها في الشاطئ وغيرت الاتجاه من الأبواب التي جاءت منها .

يقال إن سفينة "ألفوريد" اتجهت إلى "إسبانيا" الجديدة ، وإن أي أنباء لم تسمع عنها بعد ذلك مطلقاً ، وأبحرت بارجة الأميرال في طريقها وفقدت في جزيرة تحت خط "أغوادوا" "Aguada" ولكن الأهالي المحليين يقولون إن اسمها الحقيقي هو "ميهونسوم" "Mehunsum" ، وإن الميناء الذي فقدت فيه هو "سافاهيم" "Savahim" وبالتالي ركبوا قواربهم وتوجهوا ليقدموا أنفسهم لي في جزر الملوك .

لكن أولئك القادمين من الجزر هجموا عليهم وقتلوهم ، وتمكن خمسة أو ستة فقط من الإفلات لأنهم كانوا مرضى على الشاطئ حيث جنحت السفينة على الساحل ، وقد أسر هؤلاء أهالي جزيرة أخرى تقع إلى الشرق من هذه وهي التي تسمى جزيرة "دوم" بسبب حقيقة أن "دوم جورج دو مينيزيس" "D . George do Meneses" – قائد القلعة السابق – قضى الشتاء هناك ، ولكن اسمها الصحيح هو "فيرساي" "Versai" ، وحملهم أولئك الأهالي إلى مساكنهم حيث اعتنوا بهم وعاملوهم معاملة طيبة للغاية .

على الرغم من ذلك هرب اثنان منهم ، أحدهم يدعى "جواو كاماشو" "Joao Macasho" ، وهو نجل "لورنسو كاماشو دو بالوس" "Lorence Macasho do Ballos" ، وقيل إن الآخر هو "ميغيل نوبري" ، وجرى دفع كفالة الأخير بواسطة أولئك الأشخاص من "كامافو" ، وهي مدينة في "مورو" تخضع لملك "تيدور" ، الذي بعث لي بمعلومات مفادها أن هذا القشتالي موجود هناك ، وأن أرسل إليه ، إذ إنه وفور وصوله سيرسله إليّ .

هذا ما فعله في الواقع ، وقد كلفني ذلك مائتي "كروزادو" ، ولم يتم استخدامها بشكل سيئ إذ عندما استمعت إلى ذلك ، وأن طالع "أغورا" سيتم إيقافه ، وما يمكن توقعه طبقاً للوقت الذي جئت خلاله من هذه المملكة ، لأنني أصبحت بواسطته ملماً بكل ذلك الذي تحدد هناك .

فهذا هو الذي أرغب فيه وهو أن الماركيز "دو فيل" كان يأمر بصنع سفينتين على جانب الجهة الجنوبية في ميناء يسمى "تاكوانتيب" ، وأن الأكبر فيهما ذات حمولة تبلغ مائة وعشرين طناً وتدعى "ساملياقو" ، ويقال إن قبطانها الأعلى هو "فيرنام دو غوزالفاريس" "Fernam dogos Alvares" ، وهو "ماستريسـلا" "mastresala" الماركـيز ، وكان مدير الدفة برتغالياً من أهالـي مدينـة "أوبوردو" "Obordo" ، وقيل إنه "مارتيم دا كوستا" "Martim da Costa" .

كان ربان السفينة "إيستيفاو دو كاستيلها" "Estifao do Castelha" المتزوج في إشبيلية ، ومن مواطني لوردية "جنوة" ، ومن مكان يسمى "سام بيدرو دارينها" "Sam Pedro Darenha" ، وكان عريف الملاحين

من دوقية "سافوي" من "فيلا فرانكا دو نيزا" "Vila Franca do Nisa" ، وهو خادم لـ"منينو" في قشتالة يدعى "ميغيل نوتر" "Miguel Nouter" ، وهو رجل وسيم نوعاً ما ، في حوالي الثلاثين من عمره .

كانت حمولة السفينة الثانية تتراوح بين ثمانية وتسعين طناً ، وكان القبطان يدعى "ألفارادا" "Alvarada" ، وهو نبيل وشاب وقد عمل كربان ومدير دفة في سفينة ، وهو من "بسكاي" ويقال إنه "جواو مارتينيز" "Joao Martins" ، وعريف ملاحين ، وكان من مواطني "مرسيليا" .

كانت تلك السفن التي تم بناؤها وتجهيزها محملة بالإمدادات الغذائية وكان ثقلها الموازن من الرصاص وقد أبحرت من ميناء "غوادالوب" "Guadalope" ، وأعني "غوابولكو" في اليوم الثامن من عيد الفصح من عام ستة وثلاثين إلى "بيرو" بأوامر من "الماركيز" .

وصلت إلى مدينة تسمى "مانتوا" "Mantua" ومن هناك إلى "تومبيز" "Tompez" في "أبايتا" ، وهو ميناء مدينة "سام ميغيل" حيث توجد للقشتاليين مستوطنة ، وهنا أفرغت السفن حمولتها وأرسلت رسالة إلى "فيرناو بيسارو" "Fernao Bisaro" ، حاكم "بيرو" ، الذي كان في مدينة "سكوكسا" ، وبقيت السفن هناك إلى أن تلقت رداً ، وقد أرسل له رجلاً من الذهب وامرأة من الفضة ، وأبحرت السفن سالكة الطريق إلى جزر الملوك بطول الخط .

كانت أول أرض وصلت إليها طبقاً للمعلومات التي قدمها هي جزيرة "فيرساي" التي تقع عند مسافة أكثر من مائتي فرسخ إلى الشرق من "تيرنيت" ومن هناك اتجهت إليها .

أوضح "ميغيل نوبري" هذا أيضاً أن "دوم جورج دالفورادو" "George D'Alvorado" ، حاكم "غواتيمالا" ، كان يأمر بتجهيز سفينتين وقد قيل إنهما ستبحران على الفور بعد هذه ، وأن "الماركيز فيرناو كورتيز" "Fernao Curtes" ونائب الملك "دوم أنطونيو دو ميندونسا" الذي كان قد وصل حديثاً كان يأمر بتجهيز آخر من سفن "غليون" وعدة سفن من تلك الناحية في الجنوب لإرساله إلى الصين و"الليكيات" التي تملكها جزر الملوك ، ولتكتشف عالماً جديداً ، وأشياء أخرى عرفتها عن تلك الأنحاء .

كان ذلك لخدمة الرب ومولانا الملك ، ولكنني في هذا المستشفى منذ أكثر من أربع سنوات ، حيث لا أرى تقارير كثيرة عن كل هذه الأشياء لأنني كنت مريضاً عند حضوري ، وقد تناولت كل هذا في رسالة إلى سموه وأرسلت إليه تلك الرسائل التي كتبها إليه ملك جزر الملوك ، وقد أرسلت صورة عنها لسموك ؛ لأنني رأيت أن من الملائم أن أهتم بهذا ، وما يشتكون منه من أمور أخرى وما هو ضروري هناك ، وأدعو الله أن يطيل عمر سموك ويرفع من مكانتك .

"أنطونيو غالفام"

على العنوان : لمولاتنا الملكة .

أحداث عام ١٥٤٠م

بدأت أحداث تلك السنة ، برسالة من "أنطونيو كارفيلهو" "António Carvalho" من جزر "كاناكاني" "Canacani" ، في الثالث عشر من شهر مارس عام ١٥٤٠م ، إلـى نائب الملك في الهند ، عن الوضع في عدن : (٣٣)

رسالة من "أنطونيو كارفيلهو" إلى نائب الملك في الهند ، يقدم فيها تقريراً بما حدث له خلال رحلته من "غوا" ، وقد استولى على سفينة "قرقور" ؛ لأنها كانت خارج حدها ، وأحرق سفينتي "قرقور" وجدها في ميناء تابع للعدو ، وأسر خمسة مسلمين .

يخوض الشريف والبدو حرباً مع أهل عدن ، وقد قتل كثيراً من الناس ، وقام التركي الكبير بقتل سليمان باشا ، وعن الحروب الأخرى ، مكتوبة من جزر "كاناكاني" في المضيق بتاريخ الثالث عشر من مارس ١٥٤٠م .

---

(٣٣) رقم الوثيقة والهامش.

مولاي : رسالة كتبها "أنطونيو كارفالهو" إلى نائب الملك من المضيق :

غادرت مدينة "غوا" في التاسع من فبراير متجهاً إلى سوقطرة ، وفي السادس عشر من ذلك الشهر فقدت ثلاث من السفن المرافقة لي الاتصال بي في إحدى الليالي وسط الخليج ، بسبب سوء المراقبة ، وعندما أصبح الصباح اكتشفت اختفاءها ، وذهبت لانتظارها في سوقطرة حيث لحقت بي في السادس والعشرين من الشهر .

خلال اختفائها في الخليج قابلت سفينة "قرقور" تحمل جواز مرور وهي في طريقها من "ديو" إلى "قشن" ، وقد سمحت السفن للسفينة بالمرور بسبب جواز المرور .

فور التئام شمل سفننا في سوقطرة ، ذهبت إلى الميناء حيث يوجد الشيخ الذي استقبلني بحفاوة ، وسلمته الرسالة المرسلة من فخامتكم والتي كنت أحملها له ، وشرعت بعد ذلك بتنظيف السفن وإمالتها .

فور الانتهاء من تنظيف السفن انطلقت لنرى ما إذا كان بإمكاننا أسر سفينة "القرقور" التي كانت تبحر إلى "قشن" ، وإذا وجدناها خارج حدودها أن نستولي عليها كعقوبة ، ووجدتها على مسافة اثني عشر فرسخاً من "قشن" ، ونظراً إلى أنها كانت تتحرك على نحو سيئ فقد تركتها وشأنها ، ولكنني أسرت أولاً الربان ومسلماً آخر منها لإرغامها على الإبحار إلى ذلك الميناء .

نظراً إلى أن السفينة "القرقور" لم يكن لديها جواز مرور ، وكانت في طريقها إلى "قشن" ، وقد اعتقدت أنها ستعطي معلومات عني ، فقد اتجهت نحو "قشن" ، وحصلت هناك على أنباء مفادها أن "جورج دي

ميلو" "George de Milo" (بونهو) غادر المدينة إلى عدن مع سفينتين شراعيتين ، كان قد جاء بهما إلى ذلك الساحل من هرمز ، وأنه استولى على سفينتي "قرقور" في ميناء "دوهار" وأخرى في ميناء "قشن" ، وكان لدى كل واحدة جواز مرور يحدد لواحدة .

إنها لا تستطيع الإبحار إلى "دوهار" لأنها كانت في حالة حرب معنا ، وأما السفينة التي كانت في "قشن" ، فلأن جواز المرور يذكر اسماً للربان في حين كان الرجل الذي على السفينة "القرقور" يحمل اسماً آخر ، وكان يشير أيضاً إلى أن في السفينة الكثير من مصابيح الزيت وأنها ليست ضخمة .

قد بيعت السفينة "القرقور" التي كانت في "قشن" في الميناء مقابل ألفي أشرفي محلي والذي يعادل اثنين "لار تانجا" لكل أشرفي ، وغادرت "قشن" بعد ذلك إلى الشحر بحثاً عن "جورج دي ميلو" ، لأرى ما إذا كنت أستطيع العثور عليه .

لم أجده في الشحر ، ولكنني عندما كنت في الميناء ومعي أربع سفن "قرقور" وسفينة "غلفا" "gelva" واحدة ، كانت هناك في البحر المتلاطم الأمواج ، اعتقدت بأنني ما دمت هناك فيجب علي أن أحرق تلك السفن .

عندما بدأت بإشعال النار فيها تعرضت لإطلاق النار عليّ من عدة مدافع ، كانت لديهم في القلعة وخارجها في ساحة السفن ، ومن بنادق "مسكيت" ، ولذلك لم أتمكن سوى من سحب سفينتي "قرقور" خارج الميناء وأشعلت النار فيهما بإطلاق النار عليهما ، وقد احترقت السفينتان كلياً .

من هناك ذهبت إلى "كاناكاني" حيث كتبت هذه الرسالة .

خلال الإبحار بطول الساحل وصلت إلى بلدة تسمى "فيرونا" حيث تزودت بالمياه ، وأبلغني شيخ البلدة بالأخبار التي كنت قد سمعتها بالفعل في سوقطرة .

تلقيت أيضاً معلومات من برتغالي وجدته في سوقطرة ، وكان قد عبر إلى هناك من قشن قادماً من صنعاء ، بلد الشريف ، وقد كان عبداً في عدن لمدة عشر سنوات ، وإنني أصطحبه معي ، ويعطيني في كل يوم معلومات عن بلد الشريف وبلد البدو التي جاء منها .

في الطريق إلى هذه الجزر عثرت على غابة أسرت فيها خمسة عرب من "فيرونا" ، وقدموا لي الأنباء التي كانوا يحملونها ، وما يأتي من قشن ومن "فيرونا" ومن هذا المكان ، يتفق عليه الجميع ، وهو كما يلي :

يقولون إن هناك ثمانمائة تركي في عدن ، وأن القلعة والمدينة تقفان لصالحهم ، وكانت لديهم ست سفن شراعية ، تقوم اثنتان منها برحلات بين الموانئ ، وتقوم الأربع الأخرى بأعمال الدورية في بحر "بربرة" و"زيلع" وحتى عدن ، وذلك لكي تدخل سفن عدن المرفأ ، وعند مدخل المضيق البحر الأحمر لا يسمحون لأي سفن بالدخول أو المغادرة .

لا يرغب الشريف مطلقاً في السلام مع أتراك عدن الموجودين داخل القلعة ، ولا يرغب البدو أيضاً في سلام معهم كذلك ، ويخرج الأتراك في كثير من الأحيان ويستخدمون العنف في البلاد ، وقد قتل البدو حوالي مائتين من الرجال وكثيرين من الأتراك من قلعة عدن .

كان هناك كثيرون منهم في المدينة حتى نوفمبر أو ديسمبر وكانوا يأكلون القطط ، ويقولون إنهم سيتخلون عن عدن بكل تأكيد لولا كمية المؤن التي يتلقونها من الهند على متن سفينة "قرقور" قادمة من هناك ، لأنهم لم يتلقوا حتى الآن شيئاً من الداخل ، وسوف لن تأتي السفينة إلى أن تهب الرياح الغربية من جديد .

سيكون الأمر مفيداً للغاية لخدمة مولانا الملك في حال لم يتم إصدار تصاريح مرور في هذه السنة ، لأن هؤلاء الأتراك سيغادرون هذه البلاد بالتأكيد .

يشعر العرب والبدو بكراهية عميقة لهؤلاء الأتراك إذ إنهم يقولون إنه لا خير في هؤلاء الأتراك ، وبسبب الأذى البالغ الذي يلحقونه بهم ، وهم يريدوننا نحن أكثر من رغبتهم في الأتراك طبقاً لما يقولونه ، ويقول الجميع هنا : إن التركي الكبير شنق سليمان باشا ، وهم على ثقة من أن ذلك حدث .

قبل مغادرة الأتراك ، أمر بقطع رأس "الريجيدور" وقائد "زبيد" وعين آخر في مكانه ، وذهب بعد ذلك إلى "جدة" ومكة ، وفي نيته نهبهما حتى يأتي إليه أهالي تلك البلاد ليتوسلوا إليه أن يرحمهم ويدفعوا له بدلاً من ذلك مائة ألف أشرفي .

يقولون إن قائد "زبيد" الحالي وقائد عدن سيوحدان صفوفهما الآن للهجوم على الشريف والقضاء عليه ، وقيل أيضاً إن قائدين قد تم تعيينهما بواسطة التركي الكبير للحضور لفتح الهند ، ويسمى القائد الأول داوود باشا والآخر خير الدين .

إن عشرين ألف مركبة محملة بالخشب المعالج غادرت "القاهرة" إلى السويس لبناء العديد من السفن ، وإنه من المتوقع أن تكفي هذه الكمية لبناء مائة وخمسين سفينة شراعية ، وستحضر بحلول شهر سبتمبر لتتجه إلى الهند ، وإذا لم تصل في سبتمبر من العام الحالي فستحضر بكل تأكيد في العام المقبل .

قد قيل هذا أيضاً وتم بحثه ، وإنني أنقل إليك المعلومات التي جمعتها حتى الآن .

قد تركت سفينتين من مجموعتي في جزر "كاناكاني" هذه ، لأنهما لم تكونا على ما توقعته إذ كنت أؤمل غير ذلك ، وكانت واحدة منهما ذات مجاديف والأخرى سفينة شراعية ، وكانت هذه لتكون أكثر خفة وأفضل للذهاب للحصول على المعلومات أينما أمكن العثور عليها .

نظراً إلى أنني سأتركهما على هذا النحو ، فقد رأيت أنه من الأفضل أن أتركهما لميناء الشحر ، لانتظار سفن "القرقور" القادمة من الهند محملة بالمؤن ، والاستيلاء عليها للإبحار وفقاً لتصاريح المرور ، حيث آمل أن تكون مفيدة لخدمة مولانا الملك .

ربان إحدى هاتين السفينتين هو "أنطونيو ماتشادو" "Antonio Machado" وربان الأخرى هو "فرانشيسكو ديلهيز" "Francisco Delheisa" ، وهما رجلان يحظيان باحترام كبير ، وأتوقع لهما أن يؤديا أعمالهما بشكل طيب في كل شيء أكلفهما به .

أنا ذاهب كما قلت ، لأرى بنفسي إذا كنت أستطيع العثور على

معلومات إضافية أينما عثرت على أي منها حتى أستطيع العودة لقضاء الشتاء في الهند .

الوضع مماثل في جميع البلدان التي زرتها حتى الآن ، وكذلك ما يقوله المسلمون ، وهم لا يعرفون ما كان يحدث وراء المدخل المؤدي إلى البحر الأحمر ، كما أقول ، لمدة خمسة أو ستة شهور ، ولذلك لا أعتقد أن التركي سيكون في الهند بحلول إبريل أو مايو .

ليس هناك أي شيء يقال بشأن هذا ، وكل شيء مثير للضجر ، وعليه فإن كل المعلومات عن داخل المدخل المؤدي إلى البحر الأحمر هي أن الأتراك لا يسمحون بمرور أي شيء للداخل أو الخارج ولذلك يسود الهدوء (......) .

يقول أهل البلاد إن "المخصي" سليمان باشا فعل الشيء ذاته عندما غادر "كمران" مع أسطوله إلى "ديو" ، وأقوم بإبلاغ فخامتكم بكل ذلك .

عندما كان "المخصي" متجهاً من "كمران" إلى "جدة" في طريق عودته من الهند صادف طقساً سيئاً ، وفقد اثنتي عشرة سفينة "قادس" قبالة جزيرة سبايا .

سيسلم "أنطونيو ماتشادو" لفخامتكم رسالة كتبها بعض البرتغاليين الأسرى في صنعاء ، مدينة الشريف ، إلى الحاكم "نونو داكونها" ، تحتوي على معلومات حول تلك الأنحاء .

قد أحضر الرسالة البرتغالي (الموجود معي) والذي جاء من

هناك وقد علم هذا البرتغالي ، في قشن ، أن هؤلاء البرتغاليين كانوا قد كتبوا هذه الرسالة بالفعل ، وغادر بعد أربعة شهور ، وأما بالنسبة لبقية المعلومات ، فقد كتبها "أنطونيو ماتشادو" كلها ، ويمكن لفخامتكم الاطلاع عليها منه .

يقول هذا البرتغالي إن "المخصي" عندما عاد من الهند أمر بقطع رؤوس جميع البرتغاليين الذين أسرهم من القلعة في "ديو" ، وبقطع رؤوس أولئك الذين جلبهم من "مانويل ماتشادو " "Manuel Machado" في الشحر ، وقد قطع رؤوسهم في "كاليفاس" ، وهو ميناء في "كمران" ، حيث جمع كل سفن أسطوله معاً لمدة شهر كامل ، ومن هناك أمر الأسطول بالتوجه إلى السويس حيث يوجد الآن .

أدعو الله أن يطيل عمر فخامتكم ويزيد ممتلكاتكم .

من جزر "كانيكاني" ، في الثالث عشر من مارس ١٥٤٠م .

وفي العام نفسه (١٥٤٠م)

صدر مرسوم ملكي بتعيين "لويس فالكاو" "Luis Falcao" قائداً على هرمز ، من "لشبونه" في الثامن عشر من شهر مارس عام ١٥٤٠م ، وتعيين "لويس فالكاو" له أهمية ، حيث إن شقيقه "غونسالـو فالكـاو" "Goncalo Falcao" قد قـتل من قبل الأتراك وسيقوم "لويس فالكاو" بمنع وصول الأتراك إلـى "البصرة" : (٣٤)

"لويس فالكاو" ، منصب القيادة في الهند :

أنا "دوم جواو" ... إلخ ، أعلن لكل الذين يطالعون رسالتي هذه أنني – وتقديراً للخدمات التي قدمها النبيل من بيتي "لويس فالكاو" ، في الوقت الحاضر في الهند ، ورغبة في مكافأته – أريد وأسعد بمنحه منصب قائد قلعة هرمز ، وأثق في أنه سيخدمني بطريقة جيدة وإخلاص طبقاً لما تقتضيه مصالحي .

---

(٣٤) رقم الوثيقة والهامش.

ستكون فترة شغله المنصب وراتبه حسبما هو موضح في أوامري المستديمة ، وسيتولى المنصب بعد أن يكمل الأشخاص المعينون في منصب قائد هرمز بموجب مرسوم سابق فترات عملهم أو عندما يشغر المنصب .

سيتخلى "لويس فالكاو" عن شغل منصب قائد "شاول" الذي منحته إياه ، وسيسلم تعليماته إلى نائب الملك عندما يؤدي بيعة تولي منصب قائد هرمز حتى يتمكن نائب الملك من إنهائها .

سيكون من واجبه أن يدفع الديون وينجز الالتزامات الروحية الخاصة بشقيقه "غونسالو فالكاو" ، الذي قتله الأتراك خلال الدفاع عن "ديو" عندما كانت تحت الحصار .

إنني أعلن لنائب الملك وحاكم تلك الأنحاء وكبير ضباط الخزانة هناك وأمرهم بأن يحرصوا - بمجرد أن يتهيأ منصب القائد ليشغله "لويس فالكاو" - على أن يمكنوه من شغله وأن يسمحوا له بأن يعمل في المنصب وأن يستلم الراتب المذكور وجميع المزايا والعلاوات المتعلقة بالمنصب .

عليه أولاً أن يؤدي اليمين على الكتاب المقدس بأن يخدم هناك على نحو جيد وبإخلاص ، وعليه أداء البيعة فيما يتعلق بمنصب القائد إلى نائب الملك الذي سيؤكد على ظهر الوثيقة الحالية أنه شهد أصولاً أداءه اليمين وتعهده بالولاء .

تأكيداً لكل هذا ، أمرت بأن يتم التوقيع على هذه الرسالة بواسطتي ومهرها بخاتمي وتسليمها إياه .

صدر في مدينة "لشبونه" في الثامن عشر من مارس .

كتبها "ألفارو دو أفيلار" "Alvaro do Avilar" في عام ١٥٤٠م .

صدرت رسالة أخرى تحتوي على هذه الصيغة ذاتها لإرسالهما من طريقين ، وعند الانصياع لإحداهما لا يكون للأخرى أي قوة أو نفاذ ولا يتم أي شيء بمقتضاها .

وفي العام نفسه (١٥٤٠م)

بعث ملك "قشن" "Qis`n" في الثالث من سبتمبر عام ١٥٤٠م ، رسالة إلى نائب الملك في الهند ، يبلغه فيها أن التقارير صحيحة بشأن الأسطول التركي ، وأن ثلاثة آلاف قد أبحروا إلى "جدة" وينوون من هناك التوجه إلى "زبيد" وعدن للاستيلاء على مدينة تعز التابعة للشريف ، ويطلب منه أيضاً أن يرسل إليه ضماناً حتى لا يلحق البرتغاليون ضرراً به : (٣٥)

بعد كثير من كلمات التحية والإطراء ، جاء برتغاليوكم إلى هناك ، ولم أضع أي صعوبات أمامهم وفعلت ما طلبتم مني أن أفعله إلى أن يغادروا ، وقد غادرت هذا المكان واتجهت إلى جزيرة "قانا" للبحث عن معلومات عن الأتراك ، ووجدت سفينة قادمة من المضيق ، وعادت السفينة البرتغالية إلى هذا الميناء ومعها السفينة القادمة من المضيق ، وبقينا هنا لمدة عشرة أيام تقريباً .

---

(٣٥) رقم الوثيقة والهامش.

خلال هذا الوقت جاءت سفينة من "جدة" وكان اسم النوخذة شمس الدين ، وكان لديه جواز مرور من قائد "ديو" ، وأظهر البرتغاليون احتراماً كبيراً لهذه السفينة ونوخذتها ؛ لأنها كانت تحمل جواز مرور ، وقد سألته عن أخبار الأسطول التركي فقال لي إن ثلاثة آلاف تركي جاءوا إلى "جدة" وعزموا على التوجه إلى "زبيد" وعدن وعلى الاستيلاء على مدينة تعز التابعة للشريف وقد وصلوا إلى المدينة .

قال لي أيضاً إن شريف صنعاء (ذاهب إلى هناك) مع كثير من الرجال ، وإنني لا أعتقد أن بمقدور الأتراك أن يفعلوا أي شيء له ، وأرسلت إلى الشريف الرسالة التي بعثتم بها إليه ولكن لم يصل عليها رد بعد ، وأخبرني النوخذة أيضاً بأنه علم بالأسطول الذي جاء إلى "جدة" ، وأنهم يرسلون سفناً من "القاهرة" إلى السويس لتصليحها ولصنع سفن أخرى وأنهم يعكفون على بنائها .

قد زودني بهذه المعلومات أمام برتغاليكم ، وقال لي أيضاً إن عليّ أن أبلغكم بضرورة أن ترسلوا إليّ ضماناً لهذا الميناء التابع لي وهو ما لم تفعلوا للأسطول الذي جاء إلى هنا .

أرجو منكم ألّا تنسوا إرسال هذا الضمان لي حتى لا يلحق البرتغاليون الذين يأتون إلى هنا أي أذى بي ، وحتى يمتنع البرتغاليون الذين يأتون إلى هنا بهدف إلحاق الأذى بي عن ذلك عندما أريهم الضمان المرسل منكم .

إنكم تعرفون جيداً أنني صديقكم وأن الجميع ، أي ملك الشِحر والآخرين ، يكرهونني ويتمنون لي الأذى لأنني أقف في صفكم ،

وإنني أدعو الله أن يطيل عمركم ، وعندما ترسلون لي الضمان أرجو أن تجعلوه ضماناً جيداً للغاية ، وأرجو أيضاً أن تصدروا أوامركم بالإفراج عن رعاياي عند أسرهم .

فور وصول السفينة من "جدة" كتبت عدة رسائل إليكم لإرسالها على متن سفينة "القرقور" المتجهة إلى "دبهول" "Dabhol" لأزودكم بهذه المعلومات ، وكتبت أيضاً رسائل أعطيتها لسفينة "قرقور" متجهة إلى "مانغالور" ، وقد كتبتها يوم الجمعة من الشهر الجاري ٩٤٧ ، أي قبل خمسة عشر يوماً من هذه الرسالة التي كتبتها في ١٧ سبتمبر عام ١٥٤٠م .

أحضر هذه الرسالة "سلفادور دا كوستا" قبطان "كاتور" ، وقد تركها "أنطونيو كارفالهو" في المضيق عندما قضى الشتاء في قشن .

وفي العام نفسه (١٥٤٠م)

بعث "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martim Afonso de Melo" رسالة إلـى الملك ، يشكره فيها على العطف الذي أبداه له ، ويقدم له تقريراً عن العمل في القلعة حسب طلبه ، حررت في هرمز في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٥٤٠م : [٣٦]

استلمت رسالتين من سموكم في هذه السنة ١٥٤٠م ، رداً على الرسائل التي كتبتها لسموكم من "كوتشين" ، عندما ذهبت إلى هناك من البنغال ، ورداً أيضاً على الرسائل التي حملها "ديوغو بوتيلهو" ، متضمنة معلومات عن الأتراك .

إنني أقبل يدي سموكم الملكيتين على الثقة التي أوليتموني إياها ، وعلى حسن النية الذي تبدونه بالعطف علي ، وإنني على يقين من هذا استناداً إلى تجاربنا هنا مع تقدير سموكم لأولئك الذين يخدمونكم

(٣٦) رقم الوثيقة والهامش.

بإخلاص ، حسبما اتضح من المكافآت التي تهبونها للجميع طبقاً لجدارتهم واستحقاقهم .

لهذا السبب فإنني أشعر بالثقة في أن سموكم لن ينسى خدماتي ، بل ستتذكرونها وتمنحونني ذلك التكريم وتلك المكافآت التي أستحقها .

بما أن سموكم أمرتموني بالكتابة لكم عن الأمور التي أعتقد إنها ذات أهمية ، والمتعلقة بهذا المكان ، فإنني سأفعل هذا ، ولن تكون هذه الكلمات منتقاة بعناية ، ولكنني أرجو من سموكم قبول رغبتي في خدمة سموكم وأن تضعوا في الحسبان أنني رجل خدم هنا بعيداً عن بلاط سموكم لفترة طويلة ، إلى حد إنني لا أستطيع معه الاحتفاظ بالأسلوب المستخدم هناك في الكتابة لسموكم .

في السنة الماضية أبلغت سموكم الحالة التي وجدت عليها هذه القلعة ومملكة هرمز ، وعن العمل الذي تم إنجازه هنا ، والمتاعب الذي واجهتها من أجل ترتيب أوضاع هذه البلاد ، وعن كل شيء آخر حدث حتى ذلك الوقت .

سأبلغ سموكم بما فعلته حتى الوقت الحاضر وآمل في أن أفعل ذلك في المستقبل بطريقة ملائم .

قد انتهيت بالفعل من البستين التحصين الجديد لبوابة القلعة الذي يشيده ملك هرمز على نفقته وقد أكملته على نفقة سموكم ، لأن الملك فقد الاهتمام ولن يكمله ، وسيتم إنفاق ألف ومائتي "بارداو" عليه من خزانة سموكم ، وأما ملك هرمز فكان سينفق خمسة آلاف . ويعود هذا إلى حسن إدارتي للأمر لأنني أشرفت على إنفاق كل شيء بنفسي .

المبنى ضخم إلى حد أنني ذهلت من إنجازه في هذه البلاد التي تصل كلفة كل شيء يشترى فيها إلى مبالغ باهظة ، وحيث يعمل الناس بمستوى متدنٍ للغاية ، ولا سيما في الصيف ، عندما لا تسمح الحرارة الشديدة بإنجاز أي شيء .

لم أستلم من الهند أي جزء من الكمية الكبيرة من الخشب التي طلبت منهم إرسالها لهذا العمل ، وقد شاء الله أن تصل السفينة "القرقور" "ساو بارتولوميو" "Sao Bartholomew" إلى هنا ، وهي في حال سيئة للغاية ، وقد تسرب إليها الكثير من الماء ، إلى حد أن الربان والمرشد والصناع لم يجرؤوا على الإبحار بها من هنا إلى الهند .

قد طلب مني جميع الصناع أن آمر بضرورة تفكيكها ، وقد جرت عدة عمليات معاينة وتقديم إفادات عدة بعد أداء القسم ، ونظراً إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن السفينة "القرقور" لا يمكن أن تبحر ، فقد أمرت بتفكيكها ، وتم بناء البستين بأخشابها ، وإجراء أعمال صيانة أخرى كانت القلعة بحاجة ماسة لها .

أعطيت سفينة أخرى لـ"فيرناندو دي ليما" ، الذي كان قد جاء كربان لهذه السفينة "القرقور" ، وغادر على متنها ليذهب إلى الحاكم .

بهذه الطريقة تم إكمال بناء البستين وأصبح مبنى رائعاً يستحق أن يراه المرء ، وقد كتبت إلى سموكم بأنني بدأت بناء جدار مقابل يمتد من هذا البستين الجديد إلى برج المحطة التجارية ، وقد اكتمل الآن مع ملحقاته .

يمثل هذا الجدار بناء قوياً للغاية ، ومفيداً لأنه يجعل القلعة أوسع ، وقد تم تشييد الشرفات المفرجة في هذا الجدار المقابل كفتحات مكشوفة ، وذلك

حــتى يصبح وضع المدافع الثقيلة ممكناً ، وهذا الامتداد الجداري – الذي تحمل القسم الأعنف من القتال هو الجزء الأقوى والأكثر أماناً في القلعة .

كان البستين الدائري القائم على الجانب الغربي ، في مقابل المستشفى ، الجزء الأضعف في القلعة ، وقد أقنعت القضاة ريس نور الدين بترميمه على نفقته ، وقد كان سعيداً بأن يفعل هذا لأنه يخدم سموكم بإقدامه على تنفيذ ذلك .

قد تم بناء الأساسات بمحيط قدره عشرون شبراً ينقص إلى اثني عشر عند الشرفات المفرجة ، وكان محيط الجدار القديم أربعين شبراً عند الأساسات وثلاثين عند الطابق الأول وثمانية عشر عند الشرفات المفرجة .

كان القاضي سعيداً للغاية بخدمة سموكم ، وهو يحكم هذه البلاد بشكل جيد إلى حد يستحق معه المكافأة والتكريم ، وهو حزين للغاية مما تعرضوا له في السابق .

امتداد الجدار مع جزئه العلوي من برج المحطة التجارية إلى هذا البستين التابع للقاضي ذو سماكة جيدة ، ولكنني لا أثق في هذا العمل ، لأنه مشيد من الجير المحاري الذي لا يتماسك بشكل قوي .

أقوم ببناء جدار مقابل جواره داخل القلعة مع بناء من الطين ليتم وضع المدافع عليها ، إذ إن أي مدفعية ثقيلة لا يمكن وضعها على هذه السقوف المسطحة بسبب ضعفها إذ إنها مشيدة دون خشب .

أود أن أقوم بالعمل ذاته على امتدادات الجدار على جانب البحر

لأنها ضعيفة ، وكذلك السقوف المسطحة ، الأمر الذي يجعل وضع مدافع عليها صعباً .

بهـــذا العمل فــي خدمة سموكم ، أظهر "جاسبار غونسالفيس" "Gaspar Goncalves"– الذي يتمتع بحسن تقدير الأمور – مدى ما يتميز به من صفات قيمة ، وبالنسبة للخدمات الأخرى يقول إنه قدمها لوالدكم الملك الراحل ، وينبغي على سموكم مكافأته لأنه يستحق ذلك أيضاً ، وسيكون قدوة حسنة للآخرين .

بسبب وفاة "أفونسو دي شافيز" "Afonso de Chaves" ، الذي كان وكيلاً تجارياً هنا ، يعمل رجل يدعى "فرانشيسكو لوبيز" "Francisco Lopez " – وهو فارس من حرسكم الملكي – في هذه المحطة التجارية ، وهو "كاسادو" "Casado" من "غوا" ، وقد عمل في خدمة سموكم لوقت طويل في هذه الأنحاء ، وقد شارك في كثير من الأمور المتعلقة بخدمة سموكم ، وقد خدم سموكم بشخصه وبممتلكاته .

هو يعمل في هذه المحطة التجارية على أحسن وجه ممكن على الرغم من أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك وفق رغبته بسبب العقبات التي يضعها أمامه أمين الخزانة الذي عينه نائب الملك هنا ، وإنني أورد ذكره باعتباره ضابطاً هنا خلال وجودي حتى يتذكر سموكم مكافأته عندما تحين مناسبة لذلك .

أدعو الله أن يطيل عمر سموكم ويوسع ممتلكاتكم لخدمته .

حررت في قلعتكم في هرمز بتاريخ الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٥٤٠م

خادم سموكم "مارتيم أفونسو دي ميلو" .

معنون من مارتيم أفونسو دي ميلو ، إلى جلالة ملكنا ، من قائد هرمز ، وساطة ثانية؟

وفي العام نفسه (١٥٤٠م)

صدرت وثيقة متعلقة بملك هرمز ، بشأن محاولةٍ قام بها ملك هرمز ليقتل القائد "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martin Afonso de Melo" بخنجر ، لأنه طلب منه الإفراج عن القاضي الريس نور الدين ، "غوا" "Goa" ، في السادس من شهر نوفمبر عام ١٥٤٠م : (٣٧)

(طبعت هذه في كتاب بقلم "إيستيفز بيريرا" "Esteves Pereira" عن أعمال "دوم كريستوفاو دا جاما" "D . Cristovao de Gama") .

وثيقة متعلقة بمحاولة قام بها ملك هرمز ليقتل القائد "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martin Afonso de Melo" بخنجر ، لأنه طلب منه الإفراج عن القاضي الريس نور الدين ، وكان قد اعتقله لأنه رفض تسليم بعض المال من دار الجمارك ؛ أراد أن ينتزعه منه ، وقد تقرر خلال اجتماع

(٣٧) رقم الوثيقة والهامش.

المجلس طرد الملك من المملكة ، لأنه أيضاً أحمق وسكير وسيئ الخلق ، وأن يتولى ابنه الحكم في غيابه ، حررت في السادس من نوفمبر ١٥٤٠م .

في السادس من نوفمبر ١٥٤٠م ، وفي مدينة "غوا" هذه ، وفي مقر فخامة الحاكم "إيستيفاو دا جاما" ، وبحضوره وحضور القادة والنبلاء الموضحة توقيعاتهم أدناه ، أبلغهم أن "مارتيم أفونسو دي ميلو "– قائد هرمز – والنبلاء والشخصيات الأخرى في المدينة كتبوا له يقولون إن ملك هرمز حبس القاضي الريس نور الدين ، في داره وحاول إجباره على أن يسلمه مبلغاً كبيراً من المال من إيرادات دار الجمارك .

عند إبلاغ القائد بحبس القاضي ، ولخوفه من إلحاق الملك بعض الأذى به ، كما يفعل في كثير من الأحيان بالمير "Mirs" والأشخاص الذين يخدمونه ، وحتى لا يكون لذلك الفعل عواقب ضارة ، أرسل إليه ليأمر بالإفراج عن القاضي .

حمل الرسالة "فرانسيسكو مانهوس" "Francisco Manhos" ، المترجم ، ولكنه لم يتمكن من إقناعه بفعل ذلك ، وبدلاً من ذلك بعث الملك برسالة إلى القائد ، يقول فيها بأنه لن يطلق سراحه .

نتيجة لذلك ، كان من الضروري أن يذهب القائد إلى مقر الملك مصحوباً بالنبلاء والفرسان والأشخاص الحاضرين لديه في ذلك الوقت ، وعندما دخل عبر البوابة وجد الملك غاضباً للغاية ، وكان خدمه يحملون بنادق "المسكيت" والأسلحة .

سأل القائد عن سبب حبس القاضي ، وقال للملك إن عليه أن يأمر

بالإفراج عنه لأن حبسه سيؤخر إرسال الجمارك من المملكة ، وأما المال المستحق له فسيتم تحصيله ، وسيتم الدفع له من أول إيرادات .

كان الملك ثائراً إلى حد أنه هاجم القائد بيديه ، قائلاً إنه لن يفرج عنه وبمقدوره (القائد) أن يفعل ما يشاء في هذا الصدد ، واستل خنجراً كان يحمله في حزامه ، وهم بالهجوم به على القائد ، ولكن "فيرناو دي ليما" "Fernao de Lima" الذي كان حاضراً ، انتزعه منه ، ولهذا السبب لم يطعن الملك القائد ، وتم أخذ إفادات عن كل هذا الأمر ، الذي اعتبره كبير القضاة الذي كان حاضراً ، تأكيداً كافياً .

قدم كبير القضاة بعد ذلك الوثائق المذكورة في السابع والعشرين من سبتمبر من العام الحالي ، وقال إنها أكدت ما قاله وأوضحه فخامة الحاكم ، وقال فخامته أيضاً إن "مارتيم أفونسو" كان يحتفظ بالملك في منزل ، ومعه بعض الرجال لحراسته ، لحين الوصول لقرار حول الأمر .

لذلك أرسل إليهم واجتمعوا هناك لإبداء آرائهم حول ما ينبغي عمله في هذه القضية : ما يجب القيام به فيما يتعلق بملك هرمز ، وما إذا كان يتعين طرده من المملكة ، وما إذا كان يجب إحضاره إلى "غوا" ، أو ما إذا كان ينبغي عليه أن يذهب هو بنفسه مع "مارتيم أفونسو" إلى المضيق أو إذا كان يتعين عليه البقاء في مملكته ؟!

بعد أن أدلى كل شخص برأيه ، تم الاتفاق بالإجماع على ضرورة أن يرسل فخامته لإحضار ملك هرمز ، لأنه مؤذ للغاية لمصالح مولانا الملك ، وهو غبي وسكير وسيئ الخلق .

قد أعاق الإرسالية إلى البرتغال ، وهو أمر ألحق الضرر بمولانا الملك ،

الذي لم يستلم دفعة الجزية الخاصة به ، التي كان سيستلمها بالتأكيد إذا لم يكن هذا الرجل يتولى الحكم .

لن تحدث اضطرابات في البلاد بسبب هذا الجرم ، لأن الملك كان غير محبوب كلياً من قبل جميع رعاياه وأبناء بلده ، وله رذائل أخرى كثيرة ، وسمعته سيئة أمام الجميع ، وفوق كل هذا فقد ارتكب إثماً خطيراً الآن بمحاولته قتل القائد .

لذلك ، كان يجب على فخامته أن يرسل إليه وأن يأمر بترقية ابنه ومعاملته كأمير وملك على المملكة في غياب والده ، وأن يكلف أشخاصاً بارزين ليتولوا إدارة المملكة ، وتحصيل الضرائب لسداد حاجات الملك ، ونفقات ابنه ، والمصاريف الأخرى المطلوبة للمملكة .

يتعين بعد ذلك تحصيل الباقي ، ولا يجب التصرف فيه بأي حال دون أمر منه وأما بالنسبة لخزانة الملك وممتلكاته ، فيتم تحصيلها والقيام بجهود لمعرفة مكانها والأشخاص الذين يحتفظون بها ، ويجب الاعتناء بشكل كامل بهذا الأمر لضمان إكمال تجميعها برمتها ، وبحيث لا يقول الملك أنه وقع ضحية غش .

بعد الحصول على المال والأصول يجب عدها ووزنها وقياسها ووضعها داخل صندوق يحتفظ القائد بمفتاحه ، ويحتفظ بمفتاحه الآخر الأفراد المعينون بواسطة فخامته لإدارة المملكة ، ويجب وضع كل الأموال المستلمة من الضرائب والإيجارات في هذا الصندوق .

ينبغي أن تدفع من هذه الإيرادات المصاريف الضرورية للإدارة بواسطة هؤلاء الأشخاص ، ويجب أن يكون هناك دفتر لتسجيل هذه

الإيصالات والمصاريف حتى تسهل معرفة أوجه صرفها وإصدار دفتر لتسجيل المراسيم .

يجب الاحتفاظ بالأختام التي يتم مهر هذه المراسيم بها في مكان آمن ، داخل خزانة حديدية ، لها أكثر من مفتاح ، حيث يتم توزيعها بالطريقة ذاتها .

بما أن الجميع وافقوا فقد وقعوا هنا .

أنا "جواو دا كوستا" ، أمين السر ، كنت حاضراً طوال الوقت ، وقد وقعت أدناه ، وعملت على أن تتم كتابتها في اليوم والشهر والعام المذكور أعلاه .

قد تم إغلاق خزينة الملك طبقاً لما ذكر دون أن يتم فتحها ، ويجب ألّا يتم نقل أي شيء منها دون أمر من فخامته . وستكون هناك خزينة أخرى لإيرادات المملكة لتوضع داخلها ، وسيتم دفع المصاريف طبقاً للأمر الموضح أعلاه .

الأشخاص الحاضرون :

"دوم جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro"

"دوم غونسالو كوتينهو"

"روي لورنسو دي تافورا" "Rui Lorenco de Tavora"

"فرانسيسكو دي سوسا تافاريس" "Francisco de Susa Tavares"

"روي فاز بيريرا" "Rui Vaz Periera"

"دوم كريستوفاو دا جاما"

"دوم مانويل ليما" "D . Manuel Lima"

"أنطونيو دي ليموس" "Antonio de Limos"

"فيرناو دي سوسا دي تافورا" "Fernao de Susa de Tavora"

"كبير القضاة العموميين"

القسيس العام*

"فرانسيسكو دا كونها" "Francisco da Cunha"

"دوم فرانسيسكو دي مينيسيس" "D . Francisco de Meneses"

"فاسكو دا كونها" "Vasco da Cunha"

"دوم جارسيا دي كاسترو" "Garcia de Castro"

"دوم جواو ماسكارينهاس" "D . Joao Mascarinhas"

الأسقف "جارسيا دي ساو لورنسو دي سيبولفيدا" "Garcia de Sao Lorenco de Sipulveda" ، وقع لاحقاً .

وفي العام نفسه (١٥٤٠م)

بعث "ديوغو لوبيز دي سوزا" "Diogo Lopes de Sousa" رسالة إلـى "د . إيستيفاو دا جاما" "D . Estevao da Gama" ، الحاكم في الهند ، من "ديو" "Diu" في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٤٠م ، يخبره عن النشاط التركي في البحر الأحمر : [٣٨]

سيدي ،

الأخبار المتداولة هنا ، ولا أعرف إلى أي مدى هي مؤكدة ، حسبما يقول المسلمون وسكان "كامباس" أنها مؤكدة جداً ، فقد جاءت من البصرة ، وهي أن أشراف المضائق قد أرسلوا الرسل والسفراء إلى الأتراك ليبلغوهم بأن البرتغاليين يبحرون في المضائق طوال العامين المنصرمين .

(٣٨) رقم الوثيقة والهامش.

إن الحاكم شخصياً كان هناك أيضاً ، وأنهم هدموا ودمروا العديد من المدن وهي الآن في أحوال خربة وسيئة فإذا ما عاد الأسطول مجدداً فلا سبيل أمامهم غير الاستسلام ، لقد توسلوا إلى (عظيم الترك) تقديم العون والمساعدة بسبب مكانته وبسبب العقيدة المشتركة .

عند استلام الرسالة أرسل عظيم الترك قائدا بحرياً إلى السويس ليجعل الأسطول الذي يرابط هناك على أهبة الاستعداد وليتم بناء سفن جديدة (...) وكذلك أرسل بعض رجاله في لباس التجار برسائل إلى ملوك وسادة "كامباي" .

لا أعرف يقيناً مدى صحة ذلك ، ولكنني أقول إن هذا هو ما يؤكد هنا ، فإذا ما اقتنع سموكم بهذا فيمكن لكم الكتابة إليَّ حول الأمر وإلى مولانا الملك مثلما أفعل أنا الآن ، وبهذه التحفظات ، حتى يكون الملك قد استفهم عن حقيقة الأمر وصحته من عدمها .

أنا أكتب هذا وصلتني أخبار أن الحاكم "tander" قد أصدر أوامره بإغلاق أبواب مركز الجمارك ، وكذلك فعل كل تجار المدينة ، وهو لا يسمح بشراء أو بيع أي شيء في المدينة .

أقبل يديّ سموكم .

من "ديو" ، في الثامن والعشرين من ديسمبر

خادم جلالتكم "ديوغو لوبيز دي سوزا" .

أحداث عام ١٥٤١م

في تلك السنة صدر تقرير عن الأسطول الضخم الذي أبحر به الحاكم لمضيق البحر الأحمر حين غادر الهند في بداية شهر يناير عام ١٥٤١م بعد أن عهد بالمسؤولية إلى "فيرناو رويس دي كاستيلو برانكو" "Fernao Ruis de Castelo Branco" المسؤول الأول عن الخزينة ، والأحداث التي واجهها حتى وصوله إلى مصوع : (٣٩)

عندما أرسلت السفن إلى "كوتشين" ، شرع الحاكم في دفع أجور الجنود وتحميل السفن بالمؤن الغذائية والذخائر . كان كل شيء معداً تماماً ومعبأ عند وصول أسطولي "د . كريستفاو دا غاما" و"أنطونيو و"مانويل دي فاسكونسيلوس" إلى جانب الأموال والعبيد الذين عمل أهالي "كوتشين" على توفيرهم ، وآخرين تم أخذهم من أيتام تلك

(٣٩) رقم الوثيقة والهامش.

المدينة ، والكثير من المؤن والإمدادات التي أمر بشحنها في السفن التي أعدت لهذا الغرض .

كان قد تم الاحتفال بعيد الميلاد في البر ، وفي الأيام التي تلت ذلك قام الحاكم بتسليم مقاليد الأمور في الهند إلى سعادة المسؤول الأول عن الخزينة "فيرناو رويس دي كاستيلو برانكو" بعد أن أدى قسم الولاء والطاعة .

بعدها شرع في الإبحار تاركاً بعض السفن تحت أوامر وتوجيهات بالتطواف في ساحل مالابار ، ثم انطلق في بداية شهر يناير من عام ١٥٤١م ، وكان على متن المراكب البطريرك "د . جواو بلمودس" الذي قدم من البرتغال في طريقه إلى "البرستر" كما ذكرنا .

كان الحاكم قد أعد سبعين سفينة للإبحار ، منها اثنتا عشرة سفينة من النوع الضخم الذي يناسب السفر في المحيطات ، ومركبين و ثمانيَ وستين من السفن العاملة بالمجاديف .

أمـــا قباطنتهـــا فمنهم الحاكم في السفينة الشراعية "ساو لويس" "Sao Luis" ، و"ترلستاد دي أتيد" "Trilestad de Ataide" في السفينة "إس ماتيوس" "S . Matheus" ، و"دي فرانسيسكو دي منسيس" في السفينة "ريس ماقوس""Rais Mageus" و"دي فرانسيسكو دي ليما" "Francisco de Lima" في السفينة "بفارا" "Pfara" ، و"دي غارسيا دي كاســترو" في السفينة "بونافنتورا" "Poventura" ، و"د . جواو دي كاسترو" في السفينة "كولاو" "Colao" ، و"مانويل دا غاما" "Manuel da Gama" في سفيـــنة أخـــرى ، و"مـــاسير برناندو"

"Macero Bernando" في سفينته السريعة الخاصة ، وكانت تحمل بعض المؤن والأغذية ، لم يرغب في نقلها على نفقة الملك ، و"دي مانويل دي ليما" في سفينة أخرى أيضاً .

كان قائد حرس الملك الكابتن "جواو دي بينا" "Joao de Bena" علـــى مـــتن مـــركب شراعي صغير ، و"فرانسيسكو دي مورا" "Francisco de Mora" الذي يعمل وكيلاً في الأسطول في سفينة نقل المؤن والإمدادات . "أنطونيو كوريا" على متن إحدى السفن التي تحمل المدفعية والذخائر الاحتياطية ، وعلى متنها أيضاً "أفونسو فاز" كابتن الأسطول ، أما قباطنة القوادس "السفن الشراعية" فمنهم "د . كريستوفاو دا غاما" و"ديوغو دي رينوسو" "Diogo de Rinocio" .

في قيادة السفن العاملة بالمجاديف نجد كلاً من "د . مارتنهو دي سوسا" "D . Martinho de Susa" ، و"ألونصو هنريكس" "Alonso Henriques" ، و"مانويل دي سوسا دي سيلفيرا" "Manuel de Susa de Silviera" وشقيقه ، و"بيرناديم دي سوسا" ، و"فيرناو دا سيلفا" "Fernao da Silva" (البدين) ، و"فرناو دي سوسا دي تابورا" "Fernao da Susa de Tavora" ، و"ديوغو دي ألميدا" "D . Diogo de Almeida" ، ابن رئيس المحاسبين ، و"د. جـورج تيلـو" "George Tello" ، و"جـواو دي مندونسـا كاسكا" "Joao de Mindonca Casca" ، و"هنريك منديس دي فاسكونسيلوس" "Henrique Menedes de Vasconcilos" ، و"مارتيم كوريا دي سيلفا" "Martim Correia da Silva" ، و"دي لويس دي أتيد" "D . Luis de Ataide" ، و"مانويل دي فاسكونسيلوس" ،

و"د . أنطونيـــو دا غـامـــا" ، و"د . ديوغــو دي ألميـــدا فريـــر" "D . Diogo de Almeida Frere" ، و"لويس منديس دي فاسكونسيلوس" "Luis Menedes de Vasconcilos" ، و"أنطونيو مونيس بارتيو" ، و"فرانسيسكو دي سا دي منسيس" "Francisco de Ca de Meneses" ، و"مـــانويـــل دا كونهـــــا" ، و"أفونـــســـو بيريـــرا دي لاســـيردا" "Afonso Perriera de La Cerda" ، و"أنطونيو دي سوتومايور" ، و"د . برناندو دي نورونها" "D . Bernando de Noronha" ابن نائب الملك "د . غارسيا جورج دي ميلو" "D . Garcia George de Milo" ،

و"رافائيــــل لـــوبو" "Raffeal Lopo" ، و"لوبو فاز دي سيغويرا" "Lopo Vaz de Sequeira" ، و"روي جــــومــــيز دي أزفيـــــدو" "Rui Gomez de Azevedo" ، و"فاسكو دا كونها" ، و"ميجيل دا كونها" ، و"ديوغو بيزارو دي ايكا" "Diogo Bisaro de Eka" ، و"ميجيل كارفالهو" "Miguel Carvalho" ، و"فيرناو دي ليما" ، و"أنطونيو دي سا" "Antonio de Sa" التركي ، و"لويس دي نورونها" "Luis de Noronha" ، و"غاسبار دي سوسا" ، و"جواو زوزارتي" "Joao Zasarti" ،

والرجــــــل الأسمر" "فـــــرانسيســـــكو دي مـــيلو بيريرا" "Francisco de Milo Perriera" ، و"جـــــورج بيمــــنتـــل" "George Pemantel" ، و"سيماو بوتلهو" "Simao Boutelho" ، و"فرانسيسكو فرير" ، و"كريستوفاو دي كاسترو" " Christofao de Castro" ، "وفرانسيسكو دي إلهر" ، و"ماتيوس دي بريتو" "Matheus de Breito" ، و"أنطونيو بيريرا" "Antonio Perreira" ، و"فرانسيسكو دي مسكويتا"

و"دوارتي بيريرا" "Duarte Perreira" ، "Francisco de Mesquita" ، و"روي دي ميلو بيريرا" "Rui de Milo Perriera" ، و"د . جواو لوبو" "Joao Lopo" ، و"د . جورج دي منسيس" "George de Meneses" ، و"د . بابو دي نورونها "D . Babo de Noronha"" ،

و"لـيونيل دي ليمـــا" "Leonel de Lima" ، و"جواو رويـــس دي أروجـــو" "Joao Luis de Arogo" ، و"غـــودو فـــردو أندريه" "Godo Fredo Andre" ، و"د . جواو مانويل" "Joao Manuel" ، و"فرانسيسكو ألفاريس" "Francisco Alvares" ، و"ميم رويس دي فريتاس" "Mim Ruis de Feritas" ، و"جواو ساجادو" "Joao Sajado" ، و"ألفارو ساراو أو بيريرنها" "Alvaro Sarao O Perenha" ، وآخرون لم نتمكن من الحصول على أسمائهم ، وقد أبحر في الأسطول ألفان من أفضل الرجال في الهند .

هكذا شرعوا في الإبحار مستفيدين من هبوب رياح شرقية قوية ، غير أن البعض من سفنهم لم تتمكن من المحافظة على الإبحار ضمن المجموعة ، وكان الجميع يتجهون إلى "مونت فليز" وفقاً للأوامر الصادرة لهم .

في بداية شهر فبراير أبحر الحاكم كي يطلع على البر من الشاطئ الإثيوبي ، وبعدها استمر في الإبحار بشكل بطيء كي يتيح لسفن الأسطول فرصة الانضمام إليه .

اتضح أن سفينة "أنطونيو كوريا" هي السفينة الوحيدة التي فقدت بين السفن ، وقد اختفت تماماً بحيث إنه لم يعرف عنها أي شيء ، وعموماً افترض أن اختفاءها قد حدث بسبب صعوبة الأحوال الجوية .

كان الحاكم قد توجه إلى مدخل المضيق عند "رأس رازبل" "Rasbel" عند درجة الثانية عشرة شمالاً من المضيق في الجانب الإثيوبي ، حيث التقى هناك السفينة التي كان قد استقلها "غارسيا دي نورونها" للبحث عن أخبار السفن القادمة من البر ، وقد عُلم بأنهم عملوا على الرسو في السويس ، وليست هناك من أخبار في المضيق متوفرة عنهم ، الأمر الذي أزعج الحاكم كثيراً .

عند مدخل المضيق أمكن للسفن التزود بكميات وفيرة من المياه من جون صغير ، ومن هناك اتجهت إلى خليج صغير عند درجة الثانية عشرة يسمى مضيق "بالمار" ، وذلك نظراً لوجود بعض أشجار النخيل هناك .

هكذا استمرت السفن في الإبحار صوب الجزر الأولى (إلهاس بريمرياس) عند الدرجة الثانية عشرة والنصف ، والخليج القديم "إنسيادا فيلها" عند الدرجة الثالثة عشرة ، ومضيق آخر عند الدرجة الثالثة عشرة والنصف .

عمل الحاكم على الرسو بكامل سفن الأسطول ، وتولى "د . جواو دي كاسترو" عملية مسح جميع المداخل والخلجان من المدخل إلى مضيق السويس ، بحيث إنه حسب مواقعها الجغرافية فيما يتعلق بخطوط العرض واعتبارها بالنسبة للقطب الشمالي وما جاورها في جميع النقاط مدوناً تفاصيل أخرى عن المضيق لأجل جمع وتحرير كتاب عنها .

لقد كتب أكثر البحوث تشويقاً وأهمية أهداه للإسباني المدعو "دون لويس" ، وقد حفل بحثه هذا بمبررات جيدة فيما يتعلق بوجود الرقع والبقع الحمراء التي تظهر في كل مكان في المضيق ، خاصة وقد حظيت

هذه البقع بالكثير من رؤى ووجهات نظر مجموعة من الكُتّاب الذين قاموا بفحصها .

من هنا أبحر الأسطول ماراً بكل من جزيرة "إيستر" وجزر الجمل عند الدرجة الرابعة عشرة و الرابعة عشرة والنصف ، وجزيرة "لاكاو" عند الدرجة الخامسة عشرة والربع ، ومضيق "ميدوس" عند الدرجة الخامسة عشرة حتى وصل إلى "أركيك" ، الكثيرون يروون أن هذا هو موقع "أندولي" ، ويروي "أريان" أنه قد بني بواسطة بعض العبيد الفارين من مصر وبعد ذلك من مصوع ، وهو عند درجة الخامسة عشرة والنصف ، ويبدو أنه جزيرة "بطليموس" من "أورين" "Oren" .

ألقى الحاكم مراسيه هناك في الثامن عشر من شهر فبراير ، ومن ثم أصدر أمره للأسطول كي يحصل على مؤن غذائية ، وأيضاً لأجل نظافة السفن العاملة بالمجاديف وطلائها بزيت السمك .

لقد تشاور فيما يجب عليه عمله بحيث تم الاتفاق على ترك السفن الكبيرة هناك ومواصلة الإبحار للسويس بالسفن العاملة بالمجاديف ، وهذه نصيحة القباطنة المحليين حيث ذكروا أن عملية استقلال السفن الضخمة سوف تكون صعبة إلى حدٍ ما ؛ نظراً للأحوال الجوية ومواجهتها لأخطار الإبحار في المياه الضحلة والشعب المرجانية .

لقد علم من "الريجيدور" "Regidores" المحليين أن ملك سواكن الذي كان على علاقة طيبة مع مملكة الهند ، وهو تابع لإمبراطور "إثيوبيا" ، قد أصبح خاضعاً للحاكم التركي ، ومن ثم بدأ في استقبال الأتراك والترحيب بهم في مملكته .

من الضرورة بمكان وضع حد لهذا الأمر ، وذلك حتى لا يتمكنوا من الهيمنة والسيادة على جميع تلك الموانئ ، ومن ثم يتدخلون في علاقات التواصل بين ملك "إثيوبيا" وملك البرتغال التي أنجزها الحاكمان مع بعضهما البعض سراً قبل أن يتم اكتشاف الهند نفسها ، ومن ثم إرسال السفراء بحراً حسبما ورد في تاريخ تلك العلاقات .

لهذا قرر الحاكم القضاء على ذلك الملك ، وهو في طريقه ، وعليه أرسل أخاه "د . كريستوفاو دا غاما" في اثنتي عشرة سفينة والبقاء خلف الجزيرة إلى حين وصول بقية سفن الأسطول ؛ لأجل شن الحرب عليه ، وذلك في محاولة لقطع الطريق على الملك بحيث يتعذر عليه أن يغادر الجزيرة أو إرسال ثروته للبر الرئيس .

كان الحاكم قد رغب في إعطاء جنوده جرعة من الحماس بحيث يحفزهم على المعركة ؛ لأن الملك وأتباعه يتمتعون بثروات طائلة والبلاد مليئة بالسلع التجارية التي تأتيها من مناطق أخرى من الجانب العربي والمضيق .

هكذا أبحر "د . كريستوفاو" صوب الجزيرة كي يحتل موقعه ما بين الجزيرة والبر الرئيس ، ليس هذا فحسب ، وإنما أمر بعض سفنه بتطويق الجزيرة بحيث يمنع مغادرة أية سفينة منها ، لكن كان الملك قد عبر للجانب الآخر وتلقى أخباراً عن أسطول البرتغاليين عن طريق البر ومن ثم أرسل معلومات إلى السويس ووصلت قبل وصول الحاكم .

أولاً : قيام الحاكم بتدمير جزيرة سواكن والإبحار إلى هرمز ، المقاومة العنيفة التي واجهها الحاكم .

بعدما أرسل في طريقه "د . كريستوفاو" ، عمد الحاكم للتفرغ للأمور الأخرى فأوكل مهمة إدارة ذلك الأسطول الذي ضم عدداً كبيراً من السفن إلى "مانويل دا غاما" بحيث أمره بالبقاء هناك وملازمته مزوداً إياه بمجموعة من الجنود يبلغ قوامها سبعمائة جندي .

أيضاً حرص الحاكم على تأكيد إرسال البطريرك في رحلة العودة ، بعد ذلك استقل السفينة "فيرغاندا" وهي أفضل السفن الموجودة في الهند بقيادة القبطان "لوبو فاز دي سيغويرا" .

أما بقية القباطنة فقد انضموا بسفنهم ومراكبهم للمراكب العاملة بالمجاديف ، ومن ثم شرعوا في الإبحار في يوم الخامس والعشرين من شهر فبراير بكل مراكب الأسطول الخفيفة باستثناء المراكب التي بقيت في مصوع .

قد وصلوا جميعهم إلى سواكن بعد مضي سبعة أيام من وصول "د . كريستوفاو" للجزيرة ، ولقد علم الحاكم أن الملك قد عبر للبر الرئيس لكن ما زالت الجزيرة تذخر بكل شيء .

في إطار خوف الملك من حدوث اجتياح وتدمير الجزيرة ، قام بإرسال مبعوثيه للحاكم ، طالباً السلام وتوطيد علاقات الصداقة ، متعهداً بتقديم أية تعويضات يطلبها حسب رغبته .

لم يتجاهل الحاكم هذا الطلب وبالفعل كان التواصل من الجانبين ، وتم تبادل الرسائل والمبعوثين بحيث استمر ذلك مدة ثمانية أيام ، ولقد وعد الملك بنصف دخل مركز جمارك الجزيرة ، وهو ما كان يقدمه للأتراك ، وقد تعهد بإرسال قباطنة كي يأخذوه إلى السويس .

تم التحفظ على مضمون تلك الرسائل بحيث بقي الأمر سراً حيث خشي الملك أن ينكشف الأمر للمحيطين به من الأتراك ؛ لذا فقد رغب في إخفائه عنهم ، لكن في نهاية الأمر علموا به ، ومن ثم عمدوا لوقفه حيث هددوه بالسيد الكبير ، وحينها عمد الملك إلى وقف المفاوضات .

أدرك الحاكم أن هذا التعطيل ليس سوى مكائد وخدع يحيكها الأتراك مع الملك لكنهم لم يعملوا على توبيخه أو الذهاب لمقابلته حيث يوجد على بعد ميل من الجزيرة في معسكر حصين كان قد أقامه .

ربما كان لتأخر الملك أسبابه التي منعته من الإقدام على حرق السفن ومن ثم الانتظار طويلاً للقيام بالإبحار خاصة (بعد وصول رسائل من مصوع تفيد بوصول أسطول البرتغاليين) ، لقد تأخر الحاكم لأشياء كان بوسعه إنجازها فيما بعد ، وحتى هذه لم تكن بذات الأهمية التي تقتضي ذلك ؛ لأن عروض الملك كانت من باب الاحترام والكياسة .

بمجرد أنه لم يعد يواجه أي خطر من جانب الأسطول ، فقد تأكد له أنه بوسعه أن يفعل ما يحلو له ؛ لأنه أدرك أنه لن يتم إرسال أسطول لأجل تأديبه ، وفي النهاية استعد الحاكم للذهاب إلى الملك ، ومن ثم نزل على البر الرئيس في صبيحة أحد الأيام ومعه ألف جندي ، تم تقسيمهم إلى فرقتين إحداهما بقيادة "د . كريستوفاو" ، وعُهد له بقيادة مقدمة الجيش ، وقد رافق هو بنفسه الكتيبة الأخرى(خمسمائة جندي) باعتبارها مؤخرة الجيش حاملاً شعار المسيح .

قد بدأ الزحف بشكل عاجل وسريع في محاولة للوصول قبل انبلاج الصبح ، وبالفعل عملوا على مهاجمة المخيم بروح معنوية عالية ، حيث

اجتاحوه كي يعملوا في العدو قتلاً وذبحاً ، فقتلوا الكثيرين لحين سماع الملك بالضجة والهرج فسارع بإخلاء المدينة وامتطى أحد الخيول ومن ثم فر هارباً إلى الداخل تاركاً المدينة للبرتغاليين بكل ما فيها .

عموماً تم اجتياح المدينة التي باتت نهباً للدمار والخراب وسلب كل ما يمكن حمله ، وأشعلت فيها النيران ، وبعدما تأكدوا أن كل شيء آل إلى دمار عادوا أدراجهم للأسطول .

أمر الحاكم "د . كريستوفاو دا غاما" بالنزول في سواكن مع جميع من معه من الجنود حيث كافأهم بمنحهم المدينة بكاملها ، وكانت مدينة كبيرة زاخرة بالكثير من الثروات والغنائم حيث إنها كانت ميناءً حراً .

وجد البرتغاليون الكثير من الذهب والعاج والفضة والملابس والأدوية ، لكن معظمها كان قد دفن تحت الأنقاض .

أما نصيب البعض من الرجال فقد كان ما بين أربعة إلى خمسة آلاف "كروزادو" وحصل الكثيرون على ثلاثمائة أو خمسمائة "كروزادو" .

بالإضافة لذلك عثروا على مخازن ملأى بالقمح والدخن والأجبان والمواد الغذائية حملوها إلى الأسطول ، وأيضاً عملوا على إغراق وحرق كل شيء ، ولقد قيل إن مدينة سواكن الواقعة على البر الرئيس هي المدينة التي أطلق عليها "أريان" و" بليني" اسم "ثيرون" ، وقد وضعها "بطليموس" على خط ١٥ درجة ، ولكن تأكد الآن وقوعها على خط ١٨ .

نعود الآن إلى الحاكم : فإنه قد عاد إلى السفينة بعدما انتهت المهمة ، ومن ثم شرع في الإبحار متجهاً نحو السويس .

الآن هذا هو اليوم العاشر من شهر مارس ، وقد واجه الأسطول رياحاً قوية ، وهناك العديد من الشعاب والمياه الضحلة التي تعيق مسيرة الأسطول ، الذي لن يتمكن إلا من قطع مسافة ثمانية عشر ميلاً فقط في غضون ثمانية عشر يوماً ، سيما وقد اقتصر إبحاره على فترة النهار فقط .

في ظل الرياح العكسية التي كانت تهب من جهة الشمال الغربي بشكل مستمر ، ووعورة طول الطريق المؤدية إلى السويس ، وتناقص المواد الغذائية ، اتجهوا إلى أحد الخلجان بقصد الحماية .

بعدها تشاور الحاكم مع البحارة فيما يجب عمله ، فأخبروه أن هذا الطقس وتلك الأحوال الجوية سوف تستمر لوقت طويل ، ويصعب عليهم الوصول للسويس بهذا الأسطول الكبير ، خاصة وأن مجموعة كبيرة من سفنه قد عانت من القصف وأصابها ضرر كبير .

بالتالي فإنه إذا ما كان راغباً في الإبحار للسويس ، فإنه يترتب عليه أن يعمل على اختيار اثنتي عشرة أو خمس عشرة سفينة من السفن الصغيرة السريعة وأخذ المؤن والإمدادات من السفن الأخرى التي يجب أن تعود إلى مصوع ، وبعدها يمكنه أن يبحر إلى أي مكان بالسفن العاملة بالمجاديف .

بالرغم من أنها يمكن أن تواجه أيضاً صعوبات أخرى ، فلقد استحسن الحاكم هذا الرأي ، ومن ثم شرع فوراً في اختيار السفن ، وحدد من بينها ست عشرة سفينة هي كما يلي :

سفينة "حاكم أورغاندا" يقودها "د .غارسيا دي كاسترو" وتحمل

الجنود "د .جواو ماسكرينهاس" و"مانويل دي سوسا دي سبولفيدا" "Manuel de Susa de Sipulveda" ، "تريستاو دي أتيد" في سفينته الخاصة المسماة "أو بابا قايلو" وهي تحمل "ديوغو دي رنوسو" و"أنطونيو دي سوتومايور" ، "د .جواو دي كاسترو" في السفينة "بيريرينها" ، "د . كرستوفاو دا غاما" في المركب "كالاموت" المرافق للسفينة ، أيضاً استقل "فرانسيسكو دي ميلو بيريرا" سفينته الخاصة .

أما "د . فرانسيسكو دي منسيس" ، "دوارتي بيريرا" ، "جورج دي مــيلو بنهــو" "George de Milo Benho" ، "ديــوغو بيريز دي سا" "Diogo Peres de Sa" ، "فاسكو دا كونها" ، "ألونسو هنريكس" ، "فيرناو دي سوسا دي تابورا" ، "د .فرانسيسكو دي ليما" ، "د .ديوغو دي الميدا" و"ميجيل كارفالهو" ، فقد تم اتخاذ القرار كي يذهب هؤلاء جميعهم بحيث يكون البعض منهم في السفن التي جاءوا بها من "غوا" والبعض الآخر في السفن التي اختارها الحاكم من سفن الأسطول .

قاموا باختيار مئتين وخمسين جندياً للصعود في السفن التي قرر الحاكم تزويدها كلها بالمؤن والذخائر من السفن الأخرى التي سوف تعود إلى مسقط للبقاء هناك مدة شهرين .

ثانياً : بعض الخلافات التي نشأت بين الحاكم وكذلك الكثيرين الذين استاءوا من جراء عدم اختيارهم للرحلة والأحداث التي تعاقبت حتى وصولهم إلى "قصير" .

ما إن تم الإعلان عن مجموعة النبلاء الذين سوف يرافقون الحاكم إلى السويس حتى استاء النفر الذين لم يتم اختيارهم وأصبحوا

حانقين على الحاكم ، بل لعنوه وعبروا عن شعورهم بالغضب والاستياء صراحة عندما لحقت إهانته بهم .

عموماً أصبح الحاكم على علم بكل هذا ، ومن ثم حاول التخفيف من حدة غضبهم ، حيث دعا إلى اجتماع عام لجميع القباطنة والنبلاء في الأسطول ، وألقى عليهم كلمة مقتضبة قائلاً :

إنني أدرك أيها السادة أن المنافسة الشريفة التي يستشعرها كل منكم فيما يتعلق بهذا الاختيار إنما تنبع من رغبة كل منكم في الإخلاص في خدمة الرب والملك ، وأيضاً من رغبة كل فرد في إبراز حيويته وحماسه ، وهذه أمور أمكنكم جميعاً إظهارها بشكل واضح يعرفه العالم بأسره .

من الطبيعي أن تكشفوا عن أصل معادنكم الأصلية من خلال استيائكم ، سيما وأنتم ترون حاكمكم في طريقه لمواجهة أخطار وصعوبات بليغة ، بينما أنتم تنتظرون هنا بدلاً من الذهاب لمواجهتها بأنفسكم والتصدي لها .

عموماً ليس من الأصح أن أخوض مغامرة دون أن ترافقني مجموعة من المحاربين البواسل الشجعاء ، خاصة وأنني أعتبر نفسي في أمس الحاجة إلى حكمتهم وقوتهم لمساعدتي للنجاح بامتياز وشرف ومجد ، غير أنني أعتزم القيام بهذه الرحلة فقط لأجل معاينة السفن كي أتبين كيف تبدو حتى لا تكون هذه الحملة عديمة الفائدة .

ما دام قد اتضح أن هذا الطقس والأحوال الجوية غير مناسبة بالنسبة لإبحار السفن الكبيرة ، فلا شك أننا لن ننجز شيئاً إذا ما شاءت إرادة الرب أن نستغلها كلها ، ولهذا السبب فقد وقع اختياري

على السفن الخفيفة والسريعة منها حتى أتمكن من القيام بهذه الرحلة معتمداً على قوة رجالي ، وإلقاء نظرة على المراكب حتى أتمكن من إعطاء الملك تقريري عنها خشية أن يلقي علي باللوم إذا ما خابت مساعيّ في هذا الأمر .

لا شك أنه سوف يدرك أنه من الأفضل مواجهة الأخطار بستين سفينة وليس بواسطة ست عشرة سفينة ، وبما أنها وما تحمله من قلة من الرجال فيمكن أن يستنتج أنني أفضل ذلك فقط لاكتشاف مقدرة المراكب .

إذا ما ترتب عليَّ الخروج للحرب فلا شك أنه من غير الأصوب أن أترك خلفي هذه المجموعة من المحاربين البواسل وبقية سفن الأسطول التي بوسعي أن أدمر بها المضيق بكامله .

لكنكم ترون حقيقة وطبيعة الطقس- وهو الأمر الذي دفعني لإبقاء السفن الكبيرة التي تحمل القوة بعدتها وعتادها في مصوع ؛ لأنه من الممكن استغلال الأسطول العامل بالمجاديف للوصول إلى السويس في غضون ستة وثلاثين يوماً ، بينما أرى أنه من الصعب الإبحار لأكثر من عشرين ميلاً في حالة استخدام كل السفن في ذلك الوقت .

لقد تبين لي أن الإبحار في هذا الظرف ليس من المصلحة ، وأن الرياح ضدنا ، وعليه فإنني لا أحب أن يمنى هذا الأسطول المكلف بالفشل ؛ لأنني الآن لا أمني نفسي بشيء سوى رؤية تلك المراكب بأم عيني كما قلت ، (وحتى الآن لا أعلم ما إذا كانت ظروف الطقس سوف تسمح لي بذلك أم لا) .

لقد وقع اختياري على هذه السفن ، وفي ظل استحالة ذهابكم

جميعاً على متنها فإنني أتوسل إليكم أيها السادة أن من قُدّر له أن يظل هنا أن يقبل طائعاً راضياً بذلك لأنكم جميعاً تخدمون الملك بفعلكم هذا .

هذا أمر لا ينتقص من قدركم شيئاً وأعتبركم كأنكم برفقتي أيضاً وسوف أبلغه بذلك ، ولاشك أنه سوف يعمل على مكافأتكم ، وعليه فإنني أناشدكم باسمه أن تتجنبوا كل تصرف يمكن أن يسيء إليه أو يمكن أن يلحق ضرراً بكم .

كان البعض منهم غير مقتنع بحديث هذا الحاكم ، فذكروا أن ظروف الطقس التي تسمح بإبحار ستة عشر مركباً تمكن أيضاً أن يبحر الجميع مع بعضهم .

عموماً هدأت ثورتهم نوعاً ما ، لكنهم ما زالوا يشعرون أن تلك المراكب يجب ألّا تبحر دونهم ، ويبدو أن معظم القادة وخاصة النبلاء قد انضموا لمجموعة الستين سفينة بصفتهم جنوداً ، كما عمل آخرون على إزاحة المدفعيين وأخذ أماكنهم .

كان هناك البعض من الموالين أيضاً وأنصار الحاكم قد رغبوا في كرم الحاكم بإعطائهم الفرصة للإبحار في تلك السفن ، وقد نجح بعضهم في هذا الأمر ، بينما باءت آمال البعض الآخر بالفشل ، ومثال ذلك "فرانسيسكو دي ميلو بيريرا" الذي اعتذر عندما طلب منه أن يسمح لأحد رجال الحاكم بالذهاب ، اعتذر قائلاً : إنه لا مجال لذلك ؛ لأنه لم يتمكن أيضاً من أخذ أقرب أقربائه في الأسطول .

ثم تداول وتبادل عدة رسائل مع الحاكم الذي ألح على اصطحابه ،

الأمر الذي أدى إلى جدل وخلاف حتى صرح "فرانسيسكو دي ميلو" في فورة غضبه قائلاً : إنه لن يسمح له بالذهاب ولن يذهب هو نفسه إلى السويس .

أقسم بأنه سوف يقوم ببيع السفينة وهي تؤول إلى ملكيته الشخصية ، بعد ذلك ذهب "د . مانويل دي ليما" الذي يرافقه على متن السفينة كجندي كي يقول : إنه إذا كان يعتزم ذلك بالفعل فليبعها له ، طالما هو موجود على متن السفينة .

في ظل الاستياء الكبير والغضب الذي عصف بالسيد "فرانسيسكو دي ميلو" ، فقد قرر بيعها له لقاء أربعمائة "كروزادو" شريطة أن يأخذ معه جميع الرجال الذين كانوا على متن السفينة ، كما أنه تخلى عن كل شيء موجود في السفينة وانضم إلى السفن التي أمرت بالعودة إلى مصوع .

عموماً تم إبلاغ الحاكم بكل هذا ، وعندما اشترى "د . مانويل" السفينة أرسل له رسالة يخبره فيها بضرورة نقل ذلك الرجل لكنه رفض أيضاً .

كان الحاكم مصمماً على ذلك ومن ثم أرسل له رسالة أخرى يذكره فيها أنه إما أن يأخذ الرجل معه أو أنه سوف يلغي ذهابه إلى السويس معه .

أما "مانويل" فقد رد مشيراً أنه ليس ذاهباً برفقته هو وإنما برفقة الرجل الذي يمثل الملك وأنه ذاهب للسويس ، وهو الأمر الذي دفعه لشراء السفينة .

هنا بلغ الاستياء بالحاكم مبلغاً عظيماً لدرجة أنه فكر في سجن "د .

مانويل" ، غير أن "د . فرانسيسكو" الذي كان بقربه نصحه ألّا يتصرف على ذلك النحو ، وألّا يدع الغضب يحكم تصرفه .

يعرف أن "د . مانويل" كان من النبلاء المحترفين وهو رجل عنيد ، وبالتالي يجب على الحاكم أن يستميله ويكسب جانبه ، وعلى حكام الهند أن يتسموا بالرصانة واللين في تعاملهم مع النبلاء الذين يعملون في خدمة جلالة الملك ، وألّا يتشاجروا معهم ؛ لأن ذلك يعد أمراً سوف يثير غضب الملك .

كانت هذه الكلمات قد هدأت نوعاً ما من غضب الحاكم ، وقد أدرك أنه إذا ما استمر على ذلك النحو فسوف يكون مدعاة للتشاجر مع العديدين من النبلاء ؛ لأنه ما من شك أن "ألونسو هنريكس" وأحد النبلاء ، الأخيرين لن يقبلوا بالمثل رجالاً آخرين .

في النهاية تم تحديد وقت المغادرة ، وقام الحاكم بإرسال جميع السفن الأخرى إلى مصوع ، وفي بداية شهر إبريل انطلقت السفن الست عشرة التي كان قد اختارها ، أما هذا الخليج الذي يقع على خط عشرين ونصف درجة شمالاً فقط أصبح يعرف باسم خليج الذُل نظراً لتلك الواقعة .

انطلقت هذه السفن تشق عباب البحر مستخدمة في ذلك المجاديف ؛ لأن الرياح كانت تهب بشكل معاكس . أما في ساعات الليل فكانت تعمل على الرسو تجنباً وتفادياً لخطورة الشعاب البحرية والمياه الضحلة .

كانت المياه قد نفدت من سفينة "ميجيل كارفالهو" ، الأمر الذي جعله يبحر صوب الشاطئ ، وبالفعل تمكن من الدخول في أحد

الخلجان ، ومن ثم أرسل البعض من بحارته كي يعثروا على أي موقع يمكنهم من التزود بالمياه ، وقد عثر البحارة على عدة آبار وأحد الينابيع الرائعة ، وبالتالي أعطيت إشارة إلى سفن الأسطول بحيث اتجهت جميع السفن إلى ذلك الموقع .

هنا نزل الرجال لأخذ قسط من الراحة والاستجمام ، وشرعت السفن في التزود بالمياه ، في هذه المنطقة رأى البحارة بعض الرعاة مع قطعانهم من الماشية لكن لم يتعرض لهم أحد . الكابتن "د . جواو دي كاسترو" أجرى مسحاً لهذا الموقع وتبين له أنه يقع على خط إحدى وعشرين ونصف درجة .

بعد ذلك غادر الأسطول هذا الخليج واستمر في الإبحار حتى التقى بإحدى السفن التي كانت تلاحقها مجموعة من أسرع السفن البرتغالية ، وعندما كانت تنطلق بعيداً اصطدمت بإحدى الشعاب البحرية فما كان من ركابها إلا أن ألقوا بأنفسهم في البحر كي يسبحوا نحو الشاطئ الذي لم يكن بعيداً .

لكنهم لم يكونوا سريعين في السباحة ؛ لأن بعض البرتغاليين رموا بأنفسهم في الشعاب وتمكنوا من القبض على اثنين من المسلمين ، ومن ثم اقتادوهما للمثول أمام الحاكم لاستجوابهما .

هنا أمر الحاكم بأن يتم احتجازهما في مكان أمين ، لأنهما أدرى بشعاب تلك البلاد ويمكن الاستفادة منهما .

كان الموقع الذي انحرفت فيه السفينة المطاردة يقع على خط اثنتين وعشرين ونصف درجة ، بعد ذلك استمروا في الإبحار مدة خمسة

أيام حتى وصل الأسطول إلى خليج جيد ونزل البحارة للتزود بالمياه ، وبالفعل عثروا على آبار ذات مياه عذبة .

هنا حدث اختلاف بين "أنطونيو دو برادو" و"فيرناو نونيس فيدال" ، وهما من عناصر "د . ديوغو دي كاسترو أو إيفورا" ، الذي عمل دليلاً في "غوا" إبان فترة حكم "كوند دي ردوندو" ، عُرف الرجلان أنهما كانا من الفرسان المرموقين ، ولقد أدى بهما الخلاف للمنازلة ، وبالفعل خرجا كي يواجه بعضهما البعض في نزال استمر وقتاً طويلاً .

كان "فيرناو نونيس" مقاتلاً بارعاً وماكراً في القتال باستخدام يده اليسرى ، وغالباً ما يلوح بسيفه في ذلك الجانب ، وقد تمكن من إصابة خصمه في ضلوعه فأسقطه أرضاً .

حينها ظن "فرناو نونيس" أن خصمه قد مات فهرب إلى سفينة "د . غارسيا دي كاسترو" الذي كان يرافقه في الإبحار ، وبدأ في مناشدة جميع أصدقائه من قادة السفن كي يعملوا على مساعدته والوقوف معه حتى لا يلجأ الحاكم إلى سجنه .

كان برادو أحد جنود "ألونسو هنريكس" وعندما علموا بالأخبار هرعوا للبحث عنه ، وعندما وجدوه ما يزال حياً حملوه لمعالجته ، وبالفعل نجا هذا الرجل .

في وقت كتابة تلك الأحداث في عام ١٥٩٦م كان أحد الأشخاص باسم "فرناو نونيس" وكيلاً في "غوا" ما يزال حياً ، وهو أحد الجنود الذين حملوه ، ونظراً لهذه الواقعة فإن منطقة التزود بالمياه قد أصبحت تعرف باسم (خليج المنازلة) ، وهي تقع على خط أربع وعشرين ونصف درجة .

ثالثاً : كيف شرع الحاكم في ضرب مدينة القصير وإنزال جنوده ، ثم كف عن تدمير المدينة بعد مناشدة من رهبان كنيسة القديسة "كاثرين" في جبل سيناء ، الفرسان الذين جمعهم هناك ودستور أولئك الرهبان .

بعد مضي ثلاثة أيام من مغادرتهم مكان النزال وصلوا إلى مدخل صغير على مبعدة مسافة ميلين من مدينة القصير ، وهناك توقفوا قليلاً لإعطاء رجال التجديف قسطاً من الراحة .

أثناء بحثهم عن الأصداف والمحار والمياه العذبة بدأت الرياح الشرقية في الهبوب ، الأمر الذي جعلهم يسارعون إلى سفنهم في ارتباك لإطلاق أشرعتها للإفادة في إبحارهم من تلك الرياح .

قد أدى ذلك الارتباك إلى انطلاق السفن سريعاً ، ولم ينتبه البحارة إلى حقيقة أن اثنين من زملائهم البحارة كانا قد ذهبا بعيداً نوعاً ما داخل الشاطئ ولم يتمكنا من الصعود للسفن ، فقررا السير بمحاذاة الشاطئ أملاً في اللحاق بالسفن عندما تلجأ لأحد الخلجان لقضاء الليل .

هكذا استمرا في السير حتى وصلا إلى طريق واسع قادهما إلى مدينة قصير ، وعندما رآهما السكان اقتربوا منهما ، وأدركوا أنهما غريبان عن المنطقة بالرغم من أنهما من المسلمين العرب ، وأشبه بسكان المدينة ، وعمل السكان على اعتقالهما كي يعلموا من أين جاءا .

لم يأخذ الاستجواب وقتاً طويلاً إذ اعترف الرجلان بالحقيقة وأخبرا السكان عن الأسطول ، دهش السكان لهذه الأخبار فسارعوا فوراً لإرسال أسرهم وزوجاتهم إلى الجبال وقاموا بتسليح أنفسهم بغية

الدفاع عن المدينة ومواجهة البرتغاليين إذا ما جاءوا لمقاتلهم بسبب احتجازهم البحارين .

بينما كانوا يقومون بتجهيز وإعداد أنفسهم للمواجهة ظهرت سفن الأسطول وهي تتجه نحو البر لأجل الاستطلاع ، قام السكان بإطلاق نيران أسلحتهم صوب الأسطول الأمر الذي شجع الحاكم الذي كان متردداً بعض الشيء على النزول في المدينة ، وعليه كشف عن وجهة نظره لمن معه ووافقه الجميع .

هكذا عمل الحاكم على إنزال رجاله حيث قسمهم إلى ثلاثة أقسام كما يلي :

القسم الأول بقيادة "د . كريستوفاو دا غاما" ، وهذا يمثل طليعة الجيش ، وقسم آخر بقيادة "تريستاو دي أتيد" ، والقسم الثالث هو قسم الحاكم ويضم هذا القسم مجموعة النبلاء وقادة السفن .

قام "د . كريستوفاو" بشن هجوم شرس على المدينة فهزم كل الذين برزوا للدفاع عنها ، وفي ظل الارتباك والتشوش تمكنت مجموعته من دخول المدينة التي كانت تفتقر لوجود سور أو حيطان حولها .

سرعان ما اضطر السكان للهروب وإخلاء المدينة ، بعدما أذهلتهم قوة البرتغاليين وبطشهم ، فاتجهوا خائفين إلى منطقة الجبال .

قام "د . كريستوفاو" بإرسال رسالة للحاكم يخبره فيها أن المدينة ليست محمية ، وبعدها تقدم على صوت الطبول حيث جمع الجنود حتى لا يحدث أي اضطراب أو تشوش .

أما الحاكم فقد أرسل رسالة إلى "د . كريستوفاو" يأمره بعدم الصعود للسفن ، وعدم إضاعة أي وقت ، وبالمثل عدم اللجوء للانسحاب قبل إحراق المدينة .

لقد تم تنفيذ كل ذلك وأضرمت النار في المدينة التي احترقت بكاملها ، وضاعت فرصة ثمينة على الحاكم ؛ لأن المدينة كانت تزخر بالكثير من الممتلكات والمؤن ، وكانت تعتبر ميناء رئيساً على الساحل .

قام البرتغاليون بجمع سفنهم واستعادتها بشكل سليم ، ومن ثم أشعلوا النار في سفينة ومركب ضخم يماثلان سفن البرتغاليين فيما يتعلق بالحجم والسعة التي تبلغ أربعمائة طن والكثير من المراكب المليئة بالمؤن ، وبداية كان الأسطول قد حصل منها على كل ما يحتاجه .

كان بحارة الأسطول الذين أُخذوا سجناء في هذا الاشتباك قد وجدوا وقتاً كافياً للهروب والصعود إلى سفنهم ، وهنا تمكن "د . جواو دي كاسترو" من أخذ القراءة حيث تبين له أن المدينة تقع على خط خمس وعشرين ونصف درجة .

استغرقت الرحلة من هذا الموقع إلى السويس حوالي خمسة أيام ، ومن منظر المباني التي دمرت تبين أن تلك المدينة كانت مدينة ضخمة ، وقد استنتج البعض بعد ذلك أنها كانت مدينة (فلوتيرا) القديمة ، وذهب البعض ليؤكد أنها ليست سوى مدينة "بليني" "Pliny" (هاميوسوموس) .

حدث كل ذلك في يوم الأحد الرابع عشر من شهر إبريل ، بقي الأسطول هناك حتى يتسنى لرجال المجاديف أخذ قسط من الراحة ، وفي اليوم التالي عملوا على نشر أشرعتهم للعبور للجانب العربي .

في يوم الخميس اتجهوا مبحرين صوب "الطور" ، وتعرف هذه باسم "طورو" ، ونظراً لأن الحاكم يعلم بوجود بعض المسيحيين فيها فقد قرر النزول للشاطئ كي يتحدث مع أي شخص يمكنه أن يدله على موقع السويس .

عندما اقترب نحو اليابسة رأى على الشاطئ مجموعة من الأتراك يقارب عددهم المئتين بكامل أسلحتهم ، وذلك كي يقفوا على حقيقة هذه السفن القادمة .

أمر "د . استيفاو" بإنزال أشرعة السفن ، ومن ثم بدأ التجديف للوصول للبر ، لكن شرعت مجموعة الأتراك في إطلاق نيرانها عليهم ، وعندما تحدث إلى بحارته رأى الجميع أنه لا بد من الاستمرار في الإبحار نحو الشاطئ والنزول لأجل تأديب هذه الفئة تماماً كما حدث في مدينة قصير .

لابد أيضاً من محاولة القبض على البعض منهم لمعرفة أخبار السويس ، وبالتالي سارعوا بتسليح أنفسهم ، ومن ثم أمرهم الحاكم بالنزول ملتزمين بنفس التكتيك الذي حدث في قصير ، وقد فعلوا ذلك ، وكان الحاكم آخر من ذهب حاملاً شعار المسيح الذي التزمه "لويس هنريكس" .

عندما نزل البرتغاليون على الشاطئ زادت حدة مقاومة الأتراك لكن مارس "د . كريستوفاو" بنجاح ضغطه عليهم حتى اضطرهم للتراجع والانسحاب نحو المدينة [اريسوادا] وكانت تضم مجموعة من المساكن الضخمة .

دخل البرتغاليون هذه المدينة وهم يلاحقون فلول الأتراك ، ومن

خلال خبرتهم في احتلال المدن عملوا على اختراق المدينة حتى وصلوا إلى الجانب الآخر منها ، وكان جميع السكان قد فعلوا الشيء نفسه لأن الأتراك كانوا بمثابة حرس المدينة إذ عمل التركي الكبير على وضعهم هناك مع قائد لهم "سنجق" "Sanjak" .

تمكن "د . كريستوفاو" ورفيقه "تريستاو دي أتيد" من دخول المدينة بمجوعتيهما اللتين تطاردان العدو . بعدها وصل الحاكم إلى مدخل المدينة فأرسل رسالة إلى "د .كريستوفاو" يأمره بالانسحاب حتى لا يحدث أي ارتباك .

في ظل التوجيه الذي صدر إلى "تريستاو دي أتيد" وعمل على تنفيذه ، كان "تريستاو" قد عثر على اثنين من الرهبان من جبل سيناء تمكن من معرفة طبيعة عملهما من خلال طبائعهما وشعر رأسيهما ، فهرول لمقابلتهما واحتضانهما مبدياً لهما كل الاحترام والتوقير ، وكان سعيداً بلقائهما مما دفعه لإحضارهما أمام الحاكم .

إثر وصولهما رمى الراهبان بأنفسهما تحت أقدام الحاكم ، وتوسلا له بحرمة كنيسة القديسة "كاثرين" أن يبقي على المدينة من الحرق والتدمير بسبب وجود مجموعات كبيرة من المسيحيين والكنائس .

هنا اغرورقت عينا الحاكم بالدموع عندما تبين له وجود مسيحيين متدينين يعيشون وسط المسلمين ، فانحنى كي يحتضنهما وقد بدا عليه التأثر والعطف بشكل كبير ، ومن ثم سارع بإرسال رسالة إلى "كريستوفاو" يأمره بالتوقف عما كان مقرراً ، وناشده بألّا يحدث أي حرق أو تدمير في المدينة .

قد انصاع "كريستوفاو" لأمر الحاكم ، فأسرع لمقابلته حيث وجده ما يزال يتحدث مع الراهبين موجهاً لهما العديد من الأسئلة التي أجابا عليها ، لكنهما لم يكونا يعلمان شيئاً عن السويس .

لقد طلب منه الراهبان أن يسدي لهما معروفاً بمرافقتهما إلى مسكن الرهبان لأجل تحية الرهبان الآخرين ، وافق الحاكم مسروراً على ذلك ، ومن ثم ذهبوا بنفس النظام الذي اتخذوه عند النزول بكامل أسلحتهم ، ودخل الحاكم المدينة ومن ثم توجه إلى مسكن الرهبان حيث أحسن استقباله من قبل جميع رجال الدين بمسيره ودية رائعة كان طابعها الاحترام والعطف والإنشاد الديني .

أدى الحاكم الصلاة في الكنيسة كما أداها كل الأفراد وهم مسرورون باعتبارهم من أوائل المسيحيين الأوروبيين الذين وصلوا إلى هذا المكان بقوة السلاح حتى يكون لهذا اليوم ذكرى طيبة تستحق أن يتم انتقالها من جيل لآخر بشيء أكثر (تفاخراً عن "جاسون" الذي أتى بالفروة الذهبية) .

نصب الحاكم الكثيرين من الرجال والنبلاء كفرسان في الأسطول ، وكانت تلك هي المناسبة التي ثمنت فيها خبرات "د . لويس دي أتيد" ، "كوند دي أتوغويا" ، وما زلنا حتى اليوم نذكر الامتياز الذي خص به الحاكم ذلك النبيل "جواو كاميلو" وهو من الرجال المرموقين حيث منحه لقب الفارس هناك .

كانت تلك المناسبة قد أقيمت على صوت دقات الطبول والشوم وعزف الآلات الموسيقية الأخرى مع إطلاق نيران المدفعية كتحية

وشكر للرب والثناء عليه لما أنعم عليهم من الفضائل والرحمة التي حفهم بها وهم في ذلك المقر المقدس .

طلب الحاكم من بعض الرهبان أن يزوده بشيء من الدمن (الأثر القديم) للذكرى ، وقد كان له ذلك ، لكنها كانت قليلة حيث قالوا إن الرئيسة منها والأغلى موجودة في كنيسة القديسة "كاثرين" ، ويمكن رؤيتها هناك ، لكن يقتضي هذا قطع مسافة مسيرة يوم كامل ، وطلبوا منه أن يمكث مدة يومين آخرين حتى يمكنهم الحصول عليها .

عموماً أدى الحاكم شكره لهم وأعرب لهم عن أسفه حيث إنه لا يمكنه أن ينتظر ذلك ، وبالمثل أمر بأن يتم منحهم بعض العطايا والصدقات ، وبعدها استأذنهم بالانصراف حيث رافقوه حتى وصل إلى الشاطئ ، وقبل صعوده للسفينة عانقهم جميعاً وودعوه وهم يدعون له بسلامة الوصول .

تقع مدينة "الطور" هذه على خط ثمان وعشرين درجة شمالاً ، وقد عرف أنها كانت مدينة مزدهرة في الماضي ، وبسبب كثرة الأطلال فيها وموقعها فإن الكثيرين من الجغرافيين يقولون إنها مدينة "إلانا" "Elana" القديمة .

يخضع رهبان ذلك الدير لقانون دستور القديس "باسيل" "بازل" ويدينون بمذهب الإغريق وينصاعون لأوامر المطران ، الذي يتم اختياره في معظم الأحيان من تلك الرهبنة أو من كنيسة القديس "سابا" "St-Sabba" وهي رهبنة دينية تكون غالباً بعيدة عن المناطق السكنية تماثل رهبنة "البجونز" في إقليم "سافي" أعلى جبال البرتغال ، ويطلق

عليها الإغريق اسم "كالوريوس" "Calloiros" أي بمعنى (الرجال الصالحين) وهؤلاء يدينون بمذهب القديس "أنطوني" ، أول رئيس لدير الرهبان .

على مبعدة من هذه المدينة توجد المياه على عمق خمس قامات ، بعيداً من مدينة "الطور" ، وفي قاع نظيف جيد .

رابعاً : الأحداث التي حلت بالحاكم حتى وصوله إلى السويس ، موقع المدينة ، وكيف خرجت مجموعات الجنود في الحصن للقتال ضد البرتغاليين عند محاولتهم النزول ، وانسحاب الحاكم دون حدوث أي اشتباك .

غادر الحاكم مدينة "الطور" مواصلاً رحلته إلى السويس ، ومن هناك يمكن لأي شخص غير ملازم للشاطئ أن يعبر البر في كلا الجانبين ، لأنه حينها يكون قد دخل في عنق المضيق .

استمر الأسطول في الإبحار بشيء من الحذر خلال النهار ، لكن يظل راسياً خلال الليل خوفاً من أخطار الشعب البحرية ، وبعد مضي أسبوع كامل ، أي في صبيحة يوم الخميس أبصروا مبنى قصر السويس الذي كان كل فرد يتوق لرؤيته .

قبل أن نتطرق لما حدث نود أن نقدم نبذة عن موقع هذه المدينة التي كانت صغيرة الحجم بحيث إن عدد المساكن فيها لم يتجاوز الثلاثين مسكناً أو أربعين ، معظمها مبني من القش .

تحتل هذه المدينة موقعاً في صحراء قاحلة جرداء تغيب عنها المياه

والحشائش والغطاءات الخضراء ، بل تكاد تنعدم فيها مياه الشرب ، أما السكان فلا عمل لهم سوى مراقبة السفن والمراكب وجلب المياه من آبار تبعد حوالي ميلين من البلدة ، ويقومون بنقل هذه المياه على ظهور الجمال ، وحتى هذه المياه هي مياه آسنة ، وما زال حطام وركام المدينة ماثلاً منذ عهود الوثنية الأولى .

الكثيرون يؤكدون أن هذه المدينة هي مدينة "هيروبوليس" التي سميت بواسطة الكتاب القدماء ، بالرغم من أن المفهوم السائد هي المدينة المسماة بـ "أرسينوي" وهي في اعتبارات "استرابو" "Strabo" و"بليني" تقع في طرق البحر الأحمر بعد أن أكمل بناءها "بطليموس فلادلوبس" ، وأن "هيروبولس" تقع بجوارها .

كانت للتجارة والسلع القادمة من الهند عن طريق البحر الأحمر أهميتها البالغة لملوك مصر ، ويقول كل من "استرابو" و"بليني" أن الملك "سيزوستريس" قد رغب في تسهيل عملية دخولها لأن البضائع لم يكن يتم تنزيلها في أحد الموانئ الواقعة على طريق أو آخر من موانئ البحر الأحمر ، وإنما يتم نقلها عن طريق البر وحتى نهر النيل .

عليه فقد أمر بحفر قناة من أحد مداخل نهر النيل يعرف باسم الدلتا ، وامتدت القناة حتى "ارسينوي" ، وبهذه الطريقة يمكن توجيه البحر عبر شريط ضعيف من البر يقع بين النيل والبحر الأحمر (وهي مسافة تقدر بحوالي اثني عشر ميلاً) ، غير أنه أُخبر أن مستوى البحر الأحمر أعلى من الأراضي المصرية ، وأنه في هذه الحالة ربما تغمر مياهه كل الأراضي المصرية .

عليه فقد أمر بوقف العمل ، أيضاً هناك من يقولون : إن الأمر بحفر هذه القناة قد صدر من قبل الملك "بسماتيك" ، وعندما توفي تبنى الفكرة من بعده الملك "داريوس" ومن ثم رغب "بطليموس" في إكمالها ، لكنه أيضاً تركها كما هي .

يبدو أن "بليني" أطلق على مدينة السويس اسم "دانيو" إذ يقول : في الجزء الأخير من الخليج العربي هناك منطقة تسمى "دانيو" وفي وقت ما تقرر أن يتم شق قناة مائية لتسهيل عملية الملاحة في نهر النيل ؛ لأن البضائع القادمة من الهند بحراً يتم إنزالها ومن ثم يعمل على نقلها للإسكندرية بواسطة القوافل ، وكان ملوك مصر يتلقون عوائد ودخولاً كبيرة عن دخول تلك البضائع .

يقول "ماركوس توليوس سيسرو" "Marcos Tulius Cicero" في واحد من خطاباته إن العائدات بلغت بعد سقوط الإمبراطورية في أيدي الرومان حوالي اثني عشر ألفًا وخمسمائة "طالن" ، ويرى "بوديو" "Bodeo" أن قيمة ذلك تبلغ سبعة ملايين ونصف المليون بالعملة الذهبية .

يمكن التثبت من ذلك من خلال ما ورد في مجلدات القانون السبعة التي تضمنت جميع أنواع البضائع ، وقد حددت وفصلت بواسطة "أريان" ، والتي كانت تأتي من الهند عن طريق ذلك المضيق .

عندما عادت تلك الإمبراطورية لتصبح تحت نفوذ سلاطين مصر ، كانت أهمية مدينة السويس ما تزال راسخة ، وفي أيامها كانت هناك الصهاريج لتخزين المياه من نهر النيل ، ويحصل على هذه المياه بواسطة قناة حفرها "سيزوستريس" ، لكن هذا المجرى تم هدمه وتدميره بواسطة

المسلمين ، بالرغم من أن بقاياه وجزءاً كبيراً منه ما زال ماثلاً كشاهد على ما حدث في الماضي .

يميل "جواو دي باروس" "Joao de Barros" لتشبيه البحر الأحمر بالعظاءة (السحلية) ، ولقد بينت خرائطنا أن الأمر يبدو كذلك ، ولكننا سوف نشبهه بخرطوم الفيل بنابيه في الأسفل وهما المدخلان في الجانب العربي والجانب الأثيوبي ، وينتهي بشكل أشبه بخطم الخنزير بمنخرين .

في الجانب العربي توجد الشعاب الصخرية ومثلها في جانب مصر حيث تنحدر أطراف السلسلة الجبلية وكأنها تحاول الشرب من مياه البحر ، وحول هذه السلسلة يوجد ساحل رملي ، أما في أعلاها فهناك قلعة بنيت من الطوب الأحمر فوق الصخور ، وتبلغ مساحتها حوالي ثلاثين "براسوس" وفي كل ركن من أركانها تم تثبيت مدفع لحراستها .

هناك حوالي أربعين مركباً اصطفت جميعها على طول ساحل هذا المدخل بين المنخرين ، وفي الجانب العربي توجد السفن والمراكب .

عندما شاهد الحاكم هذه المراكب أمر جميع قادة السفن للمثول أمامه ومن ثم أرسل أخاه "د . كريستوفاو" كي يتجه فوراً ومعه ثمان من السفن لأجل إشعال النار في المراكب ، وأمر بقية السفن بالسير خلفه .

تحرك "د . كريستوفاو" بسفنه الثماني ورجاله المسلحين الذين تأهبوا للهجوم صوب البر متخذين كافة الحيطة والحذر .

عندما أصبحوا على مسافة مرمى قذيفة مدفع أطلقت السفن

قذيفة كإشارة لتنبيه الرجال الذين كانوا على أهبة الاستعداد لمواجهة الأسطول البرتغالي (وكان قد نبههم لذلك الأمر خواجا "صفر" وأيضاً علموا بالأمر من سواكن) .

عملت سفننا على ممارسة الضغط عليهم بقيادة كل من "د . جواو دي كاسترو" و"تريستاو دي أتيد" ، وعندما أدرك "د . كريستوفاو" أنهم يهاجمون الموقع الذي توجد فيه المراكب ، وأنه يسبقهم في هذا الأمر ، لم يعد الأمر سهلاً كي يصل قبلهم .

لذا فقد تحول للجانب الآخر حيث ترسو السفن ، وذلك كي يشعل النار فيها . لكن كان الموقع مليئاً بالشعب الأمر الذي جعل سفينته تنحرف ، وعليه فقد عاد أدراجه إلى موقع "د . جواو" و"تريستاو دي أتيد" ، وقد وصل بعد معاناة شديدة .

عندما كان عائداً كان عرضة لإطلاق النيران من القلعة بحيث وجهت نحوه قذيفة مدوية سقطت بالقرب من سفينته في البحر حتى امتلأت سفينته بالمياه .

أما "د . جواو" و"تريستاو دي أتيد" فقد وصلا إلى البر في وقت واحد ، وكان أحد أهالي "أسومار" قد نزل من سفينة "تريستاو دي أتيد" في المياه التي بلغ منسوبها حتى خاصرته .

في نفس الوقت كان هناك أكثر من ألفين من جنود الخيالة برزوا من خلف السفن رافعين علمين ضخمين ، وكانت أسلحتهم لامعة تمكنوا من اجتياح الشاطئ بسرعة مذهلة بحيث اضطر "أنطونيو بيريرا" للتراجع عبر المياه ، وبالفعل عملت سفن البرتغاليين على التراجع في

عرض البحر ، وقد كان لمدفعيتهم وبنادق "الهاركوبيه" التي استخدموها أثر محدود .

عموماً عادوا أدراجهم إلى الحاكم يجرون ذيول الخيبة حزينين مكسوفي البال من تلك العملية التي ظنوا أن بوسعهم تنفيذها بكل سهولة ويسر ، ولقد قيل إن المدعو "د . فرانسيسكو دي منسيس" أشار إلى أن المحاولة تبدو أفضل للاستكشاف عن النصر ، وقد رمى باللائمة على الحاكم ، لأنه لم يحسن تأمين وسلامة الرحلة .

لذا عمل الحاكم على استشارتهم جميعاً فيما يمكن عمله ، لكنهم أجابوا أنه لا فائدة من ذلك ، و يجب عليهم أن يسارعوا بالانسحاب قبل أن يقوم الأتراك بملاحقتهم ، لأنه إذا ما حدث ذلك فسوف يواجهون صعوبات جمة .

أما الحاكم فقد قال لهم : إذا ما رغب أي فرد في التأكد من عدد جنود العدو فليرجع ، لكن جميعهم أجمعوا على وجود ألفين من الخيالة ، بعدها شرعوا في الإبحار بعيداً ، وفي تلك الليلة تمكنوا من الرسو بعيداً عن "فوراو" على عمق حوالي أربع قامات ومسافة تقدر بحوالي ميل ونصف من السويس .

في اليوم التالي نشروا أشرعتهم مبحرين على طول ساحل الجزيرة العربية على مسافة ثلاثة أميال من السويس .

سأل الحاكم مجموعة المسلمين الذين تم القبض عليهم في مركب "القلفا" "gelva" ما إذا كانت هناك مياه عذبة في تلك المناطق ، وقد وصفوا له موقعاً في الناحية المقابلة قالوا إنه يعرف باسم "آبار موسى" .

حقيقة لا أعرف سبباً لهذه التسمية لأنه بالنسبة لسفر الخروج الخامس والعشرين والأرقام الثلاثة والثلاثين ، بعد عبور البحر الأحمر كان موسى قد سافر مدة ثلاثة أيام عبر صحراء "شور" حتى بلغ بحيرة المرة التي قيل إنه جعلها عذبة بعصاه ، ومن هناك اتجه إلى "إليم" حيث وجد اثنتي عشرة بئراً جميعها مليئة بالمياه العذبة ، أصبحت مقراً لبني إسرائيل .

لم تشر المخطوطات إلى أنه بعد عبوره إلى الجانب الآخر ، عثر على مياه من الينابيع أو الآبار ، أيضاً أبلغ المسلمون "د . استيفاو" أن المنطقة التي يعبرونها هي نفس المنطقة التي عبرها أبناء إسرائيل عندما فروا من مصر ومكنهم البحر من العبور .

نظراً لشدة هبوب الرياح لم يرغب الحاكم في التوقف لأجل التزود بالمياه ، أما الجنود الذين سمعوا أن موسى قد عبر إلى هناك فقد عملوا على تعبئة براميلهم وأوعيتهم التي كانت في السفن الأخرى بالمياه من البحر واحتفظوا بها .

عندما عادوا إلى "غوا" اتجهوا إلى "روا ديريتا" "Roi Derita" حيث يقيم التجار المسيحيون وأفرغوا الأوعية من المياه على أعتاب أبواب منازلهم قائلين : هذه هي المياه التي سار أسلافكم عليها عندما هربوا من مصر .

استمر الحاكم في الإبحار مستفيداً من هبوب الرياح المواتية ، وبعد مضي أيام قليلة من شهر يونيو ، وصل الحاكم إلى مصوع حيث رست جميع سفن الأسطول ، ومن ثم قرر الانتظار حتى موسم هبوب رياح "المونسون" التي بدأت مبكراً في شهر أغسطس لكي يذهب إلى الهند .

أحداث ذهاب "دوم أنتاو" للبصرة ودخوله في نهر الفرات ، حيث استولى على قلعة تابعة للأتراك ، طالما لم يعد هناك من شيء يمكن عمله بعدما تم نسف القلعة وتدميرها وتسويتها بالأرض ، فقد قرر "دوم أنتاو دى نورونها" "Antao de Noronha" ، بحكم اللوائح والقوانين التى يتبعها ، التحرك للبصرة لمناصرة الملك الذي كان ينتظر قدومه كي يساعده في الهجوم على تلك القلعة .

أرسل إلى هرمز مجموعة من السفن عابرة البحار على متنها قاضي كل هرمز و"موغستان" "Mugostan" بكامل جنودهما ، بينما سار هو وجنوده في ثماني عشرة سفينة ، وبعدما أبحروا تمكنوا من الوصول إلى الجزء النهائي من المضيق .

في إحدى الليالي ، هبت عاصفة هوجاء ، أطاحت بأشرعه تسع من السفن وفصلتها عن بقية سفنه ، أما التسع سفن الأخرى فقد استغلها "دوم أنتاو دى نورونها" في مواصلة رحلته حتى وصل إلى مدخل نهر الفرات ، حيث قرر الانتظار حتى تنضم إليه بقية السفن الأخرى .

هنا أرسل بعض العرب الذين كانوا برفقة سفير ملك "البصرة" (الذي غادر إلى "غوا") يحملون رسائل إلى كل من الملك وأهل الجزر ، أبلغهم فيها عن وصوله وأخبرهم أيضاً أنه في انتظار استلام رد منهم حتى يقف على الإجراء والأسلوب الذي يجب عليه تطبيقه في الهجوم على تلك القلعة .

بعدما أرسل الرسائل وبقي هناك مدة سبعة أيام ، وصلت مجموعة السفن التسع فاستقل هذه السفن في الإبحار في نهر الفرات حتى

وصل إلى جزيرة "موزيك" التى تتخذ موقعها في المدخل ، وهناك توجد قلعة صغيرة شيدت فوق صخرة عالية يحرسها بعض الجنود الأتراك سرعان ما أخلوها عندما أبصروا سفن أسطولنا تقترب منهم ، وهنا أمر قائد القوات العسكرية بنزول بعض الرجال على الشاطئ حيث اكتشفوا أن القلعة قد هجرت ، وفي هذا الوقت بقي ينتظر وصول الرد من ملك "البصرة" وأهل الجزر .

عندما تلقى ملك "البصرة" علي باشا أخبار وصول أسطول البرتغاليين ، ظن أن القائد لابد أن يكون قد تفاهم مع أهل الجزر والعرب في الداخل ، وكان رجلاً فطناً ، عمل على أحكام رقابته على كل الطرق التى تستخدم في نقل البريد ، وبالفعل ساعده الحظ في ذلك ، لأن الرسائل التى أرسلها "دوم أنتاو" لهم قد سقطت في يده .

لكن يبدو أن المسلم كان أكثر ذكاء لأنه كتب بخط يده رسائل مزيفة عديدة باسم ملك "البصرة" والجزر ، أشار فيها لهم أنهم كمسلمين يتبعون إلى الأتراك فليس هناك من أسباب تدفعهم لمناصرة المسيحيين ضد الآخرين من نفس الديانة ، ويجب عليهم أن يكونوا راغبين في تقديم خدمة لعظيم الترك ، وذلك من خلال تسليمه أسطول البرتغاليين بأكمله حسبما وعدوه في رسائلهم الأولى ، وفي إطار ذلك أرسل خطاب قائد الجيش البرتغالي وقائد الأسطول الذي كان قد أرسله له ، حتى يتمكنوا من تسليمه لجميع السفن .

كانت هذه الرسائل المزيفة التي خطها الباشا سراً ، قد قرأها عليهم علناً في حضور كثير من الناس من بينهم شابان أحدهما من "البندقية"

والآخر من "نابولى" ، كان قد أسرهما ، فأعطاهما رسالة "دوم أنتاو دى نورونها" كي يطلعا عليها ، ومع أنها كانت قد كتبت بالفارسية إلا أنها حملت توقيعه المعروف ، بعدها شرع في الاستماع للنصائح فيما يتعلق بتدمير الأمر .

بعد مضي أيام قليلة أصدر أوامره بفك الأغلال من أيدي الأسيرين مهيئاً لهما الفرصة للهروب (بالرغم من قول البعض وقوله شخصياً إنه أطلق سراحهما وبوسعهما الذهاب إلى أي مكان يرغبان في التوجه إليه) .

عموماً فقد حدث في ليلة ما عندما رسا أسطولنا في جزيرة "موزيك" أن سمعت أصواتاً آتية من البر الآخر قبالة الشاطئ ، وتعرف هذه بمنطقة فارس ، وبالرغم من أنها منطقة الصفوي وأنها تعرف عند المسلمين باسم "صوفستان" ، وهي نفسها مقاطعة الصفوي ، يزعمان أنهما مسيحيون هاربون ويتوسلان لهم أن ينقلوهما ، اعتقد "دوم أنتاو دي نورونها" أن الأمر ربما ينطوي على خدعة ما ، فأمر رجاله أن يسمعوهما وينصحونهما بإلقاء أنفسهما في الماء حتى يصبح الصبح حتى لا يعثر عليهما أحد .

أما "دوم جيرونيمو دى كاستيلو" "D . Jeronimo de Castello" ، الذي كان بالقرب من الشاطئ ، فقد عمل على الرسو حتى بلغ البر ، ومن ثم قام بإنقاذ الشابين دون علم "دوم أنتاو دى نورونها" ومن ثم أخذهما فجراً إلى سفينته .

قام قائد القوات العسكرية باستقبالهما بشكل جيد وأخبراه بأنهما من المسيحيين ، تم إطلاق سراحهما بواسطة الباشا ويعتقدان أنه من الأفضل لهما الانضمام للأسطول بدلاً من السفر في البر ، بعدها

سألهما الكابتن عن أخبار "البصرة" فقال أحدهما : يجب عليك أيها الكابتن أن تفكر فيما تفعله ، ومن تقوم بمساعدته ، لأنك قد خدعت وكيد لك وسوف تكتشف أن أهل الجزر قد تبادلوا المراسلات مع الباشا ووافقوا على القيام بتسليمك للباشا بكامل أسطولك ، لأنهم أرسلوا له الخطاب الذي أرسلته لهم مع الرسائل ذات الصلة .

بالمؤامرة التى حاكوها ضدك ، وفي سبيل تقديم خدمات للتركي فإنهما على استعداد لأن يقتادونك اليه عنوة .

عندما علم "دوم أنتاو دى نورونها" بهذه الأخبار تملكه الفزع ، لكنه اعتبر ذلك أمراً معقولاً لأن المسلمين يمكن أن يحاولوا فعل أي شيء ضد المسحيين ، لذا فقد سأل الهاربين ما إذا كانا قد شاهدا خطابه وتوقيعه؟ وعندما ردا عليه بالإيجاب ، دعا جميع القادة للاجتماع في سفينته حيث أطلعهم على حقيقة الوضع ، وسألهم ما إذا كان يجب أن يصدق أقوال هذين الهاربين أو إن الأمر لا يعدو خدعة بحرية يحيكها الباشا لكي ينسحبوا من المنطقة .

عندما كانوا يتفاوضون في هذا الأمر ، كان "لورينسو فاز بغادو" الذي يبحر بصفته واحداً من جنود "دوم أناتاو دى نورونها" ماراً تحت أسفل مقدمة سفينة "دوم أنتاو" مقر اجتماع القادة ، وعندما سمع موضوع النقاش ، قال بصوت عال إن كل ما نحتاجه هو إطلاع الشابين على توقيع قائد القوات العسكرية ، والتأكد ما إذا كانا قد شاهدا هذا التوقيع على الخطاب الذي شاهداه ؟!!

هنا سمع حديثه هذا كل من كان على السطح الأعلى ، حيث

يوجد المجتمعون ، ولقد استحسن الجميع هذه الفكرة ، ومن ثم شرع جميع القادة في وضع تواقيعهم على ورقة بيضاء بمن فيهم "د .أنتاو دى نورونها" أيضاً .

لما عرضت هذه التواقيع على الشابين كى يحددا التوقيع الذي شاهداه ، عمل كل منهم على القاء نظرة على مجموعة التواقيع ، وسرعان ما حددا توقيع "دوم أنتاو" ، ومن ثم أشارا إلى أن هذا هو التوقيع الذي شاهداه على الخطاب ، لأنه مكتوب بخط لاتيني جميل .

هكذا تبين جميع الحضور من حقيقة أن أهل الجزر قد تآمروا ضدهم ، و بعدها كان الاتفاق إجماعاً بالانسحاب إلى هرمز ، وهذا ما تم تنفيذه فوراً .

عندما وصلوا إلى هناك أمر "دوم أنتاو" السفن بإلقاء مراسيها وإخضاعها للصيانة ، وفوق ذلك أمر بأن تدفع مرتبات الجنود وإطعامهم .

بعد مضي قليل من الوقت وصل إلى هناك أحد التجار المسلمين ، الذي مر عبر البصرة ، حيث كشف له عن الخدعة التي حاكها الباشا ضدنا ، والتي أمكنه من خلالها إجبارنا على الانسحاب ، وهي حيلة أصبح أكثر من فخور بها .

مـا حدث لـ "د .كريستوفاو دا غاما" في الحبشة ، ومناوشاته ضد المسلمين والهزيمة التي ألحقها بهم .

تركنا "د .كريستوفاو" في بلاد "باروا" برفقة الملك منتظراً انتهاء فصل الشتاء واستلام رسالة الملك التي كما سبق أن قلت قد كتبها له .

لم يمر وقت طويل حتى استلم رسالة لكنها لم تكن رسالة الرد على خطابه .

عندما تلقى أول أخبار بشأن وصول البرتغاليين أرسل الملك مبعوثاً بصفة عاجلة يحمل رسالة موجهة إلى "د .كريستوفاو" وقد وصلته هذه الرسالة عندما كان موجوداً في "باراو" مدة عشرين يوماً .

أخبره الملك أنه على علم بوصوله كما أخبره أيضاً عن الخدمة الجليلة التي قدمها هو وأخوه الملك وجميع من معه من البرتغاليين للرب وأكد له أنه سوف يكافأهم جميعاً ، وقد طلب منه الإبحار لأجل أن يتمكن من الوصول في بداية موسم الصيف ، وأشار بأنه سوف يقوم بالمثل حتى يتمكن من الالتقاء والانضمام إليه ومن ثم يذهبان سوياً للبحث عن مواقع العدو ، وأنه يأمل من خلال تضافر الجهود أن يتمكنا من سحق العدو تماماً .

بموجب هذا الخطاب شرع "د .كريستوفاو" في الإبحار ، وقد أمرت الملكة بإعداد كميات كبيرة من البغال ومجموعة من الخدم لكي يتمكنوا من الإبحار بمجرد انتهاء موسم الأمطار ، وقد تم لهم ذلك في أكتوبر .

شرع "د .كريستوفاو" بالزحف والتقدم بشكل منتظم ، يعاونه في ذلك اثنان من القادة مع كتيبة مدفعية نقلت مدافعها في إحدى العربات الكبيرة ، وعمل على أن يكون العتاد بكامله في الوسط ، وبعدها تأتي عربة الملكة وحولها خمسون من البرتغاليين اختارهم "د .كريستوفاو" لأجل حراستها والدفاع عنها ، وقد اختار "د .كريستوفاو" القائد "ميجيل دى كاستانهوسو" ليكون على رأس حرس الملكة ، و كتب "ميجيل" هذا تقريراً كاملاً عن هذه الحملة مازالت نسخته الأصلية بحوزتي ، أيضاً ذود "د .كريستوفا"و مؤخرة الجيش و"البارقانيس" وبقية

ضباط الملكة بخيول سريعة وذلك لأجل دعم جانبي الجيش الأيمن والأيسر لأجل إحكام المراقبة والاستكشاف .

تحرك هذا الجيش وزحف مدة ثمانية أيام بهذا التنظيم حتى وصل إلى معقل حصين يسمى "قامو" يؤول إلى ملكية نبيل مسيحي كان قد انضم للمسلمين ، وهنا برز أخ له رمى بنفسه تحت قدمي الملكة وتحت أقدام "د . كريستوفاو" ، وبعد الاستماع لشكواه منحته الملكة أقاليم أخيه .

قد جاء مبعوث للملكة برسالة عاجلة تفيد أن الملك غادر بالفعل كي ينضم إليها كما أتى إليها الكثيرون من الأتباع الذين هجروا الديار خوفاً من المسلمين .

هكذا واصلوا مسيرتهم حتى وصلوا إلى معقل جبلي آخر يسمى "كانيتي" في جانب إقليم ملك زيلع ويضم هذا حرساً مكوناً من ألف مقاتل .

هذه السلسلة ذات ثلاث ممرات وعرة محصنة بحيطان عالية وبوابات ، تقود إليها ممرات ضيقة ومنحدرة بشكل يبعث الخوف والرهبة في النفوس ، ونظراً للصخور الضخمة التي من حولها فإنها حقيقة بصد أي هجوم يُشن عليها ، وفوقها يتخذ الجبل شكل مسطح بارد توجد فيه الكثير من الينابيع والجداول المائية ذات المياه الصافية .

هناك مجموعة من القرى التي تربى فيها قطعان الماشية ، وهنا اعتاد الأهالي على إقامة حفلات مراسم تنصيب قدامى ملوك الحبشة هنا .

أما رجال ملك "زيلع" الموجودين هنا فقد دأبوا على مهاجمة المسافرين وتدمير القرى المجاورة ، وعندما علم "د .كريستوفاو" بالخراب الذي

سببوه قرر الاستيلاء على المعقل ووقف هذه المضايقات ، وبالفعل أبلغ الملكة و"بارناقيتس" بنواياه ، غير أنهما حاولا جاهدين إقناعه بخطورة الأمر وعدم جدوى المحاولة ، لأنهما يعتبران أنه من المستحيل أن يفلح في دخول المعقل ،لكن كان إيمان "د .كريستوفا"و وثقته في الرب عظيمة وإنه في سبيل خدمة الرب كان مستعداً لمواجهة أعظم الصعاب ، لذا فقد صمم على شن الهجوم .

بعدما تأكد من اكتشاف الموقع والممرات بالكامل ، جمع رجاله ثم أرسل "مانويل دا كونها" و"فرانسيسكو فيلهو" "Francisco Velho" مع وحداتهما العسكرية ورجالهما وثلاثة مدافع لأجل مهاجمة الممر الأول ، و"جواو دا فونسيكا" "Joao Da Vonsica" و"فرانسيسكو دى أبريو" "Francisco de Abrio" مع رجالهما وثلاثة مدافع أخرى للاستيلاء على الممر الثاني ، وأبقى "د .فرانسيسكو" مع رجاله والمجموعة التابعة لـ "أنفورى دى أبريو" "Anvori de Abrio" لتولى أمر الممر الثالث .

قد نصت الأوامر التى صدرت لهؤلاء القادة أن يتم الهجوم في بداية فبراير ، أما الملكة فقد بقيت مع "البارناقيس" والجيش ، ومعها "ميجيل دى كاستانهوسو" .

قام البرتغاليون بشن هجوم متزامن في جميع الممرات التي حددت لهم ، حيث أطلقوا قذائف مدافعهم ورشاشاتهم .

انتبه العدو وتدفقت جموعه في جانب الجبل فتساقطت الصخور بشكل عنيف جراء القصف وكأن العالم قد انهار بأكمله .

كان الجنود البرتغاليون قد تلقوا التوجيهات اللازمة فيما يجب

عمله ، وسرعان ما عملوا على الانسحاب بعدما قاموا بالقصف ، غير أنه اتضح أنهم قد استنفذوا ذخائرهم دون طائل .

عاد "د .كريستوفاو" للمعسكر وحينئذٍ ظن المسلمون أن البرتغاليين قد تراجعوا هاربين فسخروا منهم وتهكموا عليهم ، وقضوا الليل بأكمله في احتفال بهيج وكأنهم قد حققوا النصر عليهم .

هنا بدت علامات الغضب على وجه الملكة عندما علمت بإنسحاب البرتغاليين وتراجعهم حيث ظنت أن تراجعهم ذلك قد حدث بسبب فشلهم في مهاجمة الحصن ، لذا تملكها اليأس .

عندما أُبلغ "د .كريستوفاو" بهذا الأمر أرسل لها خطاباً كي يطمئنها على حقيقة الأمر ، وذكر لها أن الهجوم كان بمثابة حيلة لجس نبض العدو ومحاولة استكشاف أمر تلك الممرات ، وسوف ترى في اليوم التالي كيف سيقاتل البرتغاليون ، لأنهم لم يعتادوا الهروب أمام الأعداء مهما كانوا ، وأنهم جنود يبذلون نفوسهم رخيصة في الحرب ولا يرضون الهزيمة فإما النصر أو الموت .

في صبيحة اليوم التالي ، وهو يوم خلاص العذراء ، أمر "د . كريستوفاو" بإقامة القداس بحيث تعبد كل فرد وتوجه للرب ولسيدة الرحمة بالدعاء ، وبعدها أخذوا مواقعهم وأسلحتهم كما حدث في اليوم السابق ، ثم شنوا هجوماً ضارياً على الممرات ، ونصبوا مدافعهم لزرع الخوف والهلع في نفوس العدو .

تولى القادة مسألة الهجوم على الممرات تنفيذاً للأوامر التى صدرت لهم ، حيث نصبوا مدفعاً ظل يطلق قذائفه بشكل مستمر لإبعاد العدو

الذي شرع في دحرجة الصخور إلى أسفل نحو جموع البرتغاليين ، وكانت هذه الصخور تحدث ضجة واهتزازات كبيرة عند سقوطها ، وبالفعل تسببت في قتل البعض من البرتغاليين .

أثناء المعركة عمد البعض ، بالرغم من الصعوبات ، للتسلق فوق حيطان الممرات ، وكان أول من وصل للبوابات هو "مانويل دا كونها" و"فرانسيسكو فيلهو" ، وحينها عملا على قصفها واجتياحها مجبرين بحرابهم فلول العدو للتراجع للبوابات الخلفية التي تؤدي إلى قمة الجبل .

في هذا الاشتباك قتل ثلاثة من البرتغاليين ، هذا وقد رأى المسلمون الذين كانوا في أعلى الجبل وهم بين راكب ومترجل كم هو قليل عدد البرتغاليين ، لذا فقد أمروا بفتح البوابة لتسهيل مرورهم .

عندما أحس "مانويل دى كونها" و"فرانسيسكو فيلهو" بثقة العدو شرعاً في مهاجمته وتمكنا من الدخول عبر البوابات واستمرا في ذلك حتى وصلا إلى الهضبة وهناك دارت معركة حامية الوطيس .

كان قائد الحصن يمتطي حصاناً جميلاً وتمكن من قتل اثنين من الجنود في بداية الهجوم أثناء دخولهما مع قادتهما ، وكان ينتقل من جانب إلى آخر يهاجم البرتغاليين وقد ألحق جراحاً كثيرة ببعضهم ، وبالرغم من أن البرتغاليين أطلقوا عليه نيرانهم إلا إنهم فشلوا في إصابته .

هناك مشاهد أخرى حدثت في الممرات الأخرى ، فبعد أن فقد "جواو دى فونسيكا" و"فرانسيسكو دى أبرو" الكثيرين من رفاقهما ذهبا نحو جميع الممرات كي يجدا طريقاً للوصول للهضبة تماماً كما فعل "د .كريستوفاو" .

قد واجها خطورة بالغة وبذلاً كثيراً من الجهد كشف عن بطولة وإقدام مميزين ومهارة بالغة في استخدام السلاح ، حتى وصلا إلى مستوى الأرض ، وهناك دارت معركة دامية كانت الغلبة للبرتغاليين حيث كان عدوهم مكشوفاً يفتقر للحماية فأصابوا الكثيرين بجراح وقتلوا أعداداً كبيرة منه ، وبالتالي تمكنوا من الوصول للممر الثاني .

حيث وجدوا قائد الحصن يقاتل "مانويل دا كونها" و"فرانسيسكو فيلهو" اللذين قاتلا بضراوة وإقدام ، وكانا يخوضان المعركة ضد مجموعة كبيرة من جند العدو جاءت لحماية قائدها الذي كان يقاتل كأسد جسور لم يتمكن أي أحد من قتله أو إسقاطه أرضاً .

تمكن "د .كريستوفاو" وبقية القادة من الوصول إلى ذلك المكان ، ومن ثم حملوا على العدو بشدة حتى تمكنوا من دحرة ، فقتلوا الكثيرين منه ، ولم يكن بوسع البقية غير اللجوء للهروب تفادياً لمواجهة موت يتخذ شكلاً واحداً ، لكنها واجهت موتاً أكثر قساوة وأقبح شكلاً وهو السقوط من أعلى الجبل والتعرض لدق العنق ، على كل توفي قائد المسلمين على أيدى البرتغاليين .

بعد هذا النصر اتجه "د .كريستوفاو" إلى المقر الرئيس حيث جمعت كل الممتلكات والنساء والأطفال وعموماً آل كل شيء إلى نهب ، وأخذ الكثيرون للسجن .

بعدها أرسل "د .كريستوفاو" للملكة والبطريرك حيث جاءا وأخذتهما الدهشة بما شاهداه ، إذ بدا الأمر بالنسبة لهما كالحلم لأنه حسب مفهوم السكان المحليين فإن مثل هذا الإنجاز لا يمكن أن يتحقق بقوة البشر .

طلب "د .كريستوفاو" من "البطريرك" أن يخصص للصلوات المسجد الموجود هناك حيث أقيم للابتهال احتفال بالنصر ، وفي اليوم التالي أقيمت صلاة القداس والدعاء ، وهنا مكثت الملكة عدة أيام حيث قامت بتعيين القائد ومجموعة الجنود لحراسة المعقل .

هنا وصل اثنان من البرتغاليين أرسلهما "فاسكونسيلوس" من ميناء بالقرب من مصوع ، وبعد أن غادر "غوا" وبدأ دخول المضيق بأسطوله اتجه إلى مصوع ، ولكنه أخبر بأنه قد أعلن بتخصيصه للأتراك ، لذا فقد اتجه للبحث عن ميناء يبعد حوالي عشرة أو اثني عشر ميلاً أخبره به البحارة المحليون ، ومن هناك أرسل هؤلاء الرجال كي ينقلوا رسالته إلى "د .كريستوفاو" ، فاستقبلهم الأخير بالترحاب ، وأقام لهم وليمة وتم الاحتفاء بالأخبار التي وصلت من الهند في المعسكر .

بسبب انتظار "مانويل دى فاسكونسيلوس" لاستلام رسالة منه لأجل تسليم الأغراض التي أرسلها الحاكم ، فقد أرسل "فرانسيسكو فيلهو" في مجموعة من رجاله لمرافقة المبعوثين وذلك للترتيب مع "مانويل دى فاسكونسيلوس" لاستلام ما جاء به مع اتخاذ كافة الإجراءات للعودة بسرعة لقضاء الشتاء في الهند .

أعمال أخرى قام بها "د .كريستوفاو" ، وكيف عمد ملك "زيلع" إلى مهاجمته ، والمعركة الشرسة التي دارت بينهما ، حتى اضطر الملك للانسحاب جريحاً مهزوماً .

بعد مرور أيام قليلة على مغادرة "فرانسيسكو فيلهو" ، وصلت رسالة

أخرى تلقاها "د .كريستوفاو" من الملك يسأله عما إذا كان موجوداً في مكان قريب لأنه الآن يسعى للعثور عليه ومقابلته .

عليه بدأ "د .كريستوفاو" في التحرك بنفس النظام والتكتيك الذي اتخذه من قبل حيث توغل في إقليم (جارتي) ، وهذا أيضاً نبيل مسيحي آخر كان قد انضم لصفوف المسلمين ، وعندما علم بتحرك "د . كريستوفاو" قام بإرسال سفير لمقابلة الملكة كي يطلب منها أن تسامحه على أخطائه السابقة ، وذكر أنه إذا كان قد أذعن وخضع سابقاً لملك زيلع فقد كان مضطراً لأنه لم يجد سبيلاً آخر ، وأنه يرغب في الانضمام لها والعمل في خدمتها كتابع لها .

عليه أرسلت له الملكة عفوها عنه وترخيصاً بالمرور .

بالفعل قدم إليها بجميع رجاله كي يقبل يديها ويبايعها على الإخلاص والولاء .

بعد ذلك اتجه إلى "د .كريستوفاو" للتباحث مع "د .كريستوفاو" حيث قدم له هدية لشخصه عبارة عن ستة خيول رائعة ، وأبلغه أنه إذا ما استمر في طريقه هذا فبوسعه أن يلتقى بملك "زيلع" لأنه قد علم من بعض جواسيسه من ذوي الثقة أنه قد خرج عازماً ومصمماً لإيجاده .

استمر "د .كريستوفاو" في السير في مؤخرة الجيش بكل تمهل إذ إنه كان ينتظر قدوم "فرانسيسكو فيلهو" من مصوع .

بينما كان ملك "زيلع" يزحف نحو البرتغاليين كان "د .كريستوفاو" قد سمع قبل يومين فقط من طليعة استكشافه أنهم رصدوا تحركاته ،

وبالتالي لم يلجأ إلى الانعطاف أو سلك طريق فرعي ، وإنما أمر جنوده بالسير في خط مستقيم بكل عزيمة وبالتالي أبقى جيشه في موقع آمن محصن بواسطة أحد الجبال ، محتلاً بذلك موقعاً صغيراً ، ومن ثم شرع في عمل خنادق ومتاريس لأجل الحماية .

أما مدفعيته فقد قام بتوزيعها حول المعسكر ، وأوكل عليها بعض القادة تاركاً المركز للملكة بكامل العدة والعتاد والأغراض الأخرى في الوسط .

انقضى نهار ذلك اليوم والليل بكامله في المراقبة الحذرة ، وفي صبيحة اليوم التالي الذي صادف (أحد السعف) شوهدت طلائع ملك "زيلع" الاستكشافية وهي قادمة لأجل المراقبة ، وسرعان ما قفلت راجعة عندما أبصرت الجيش .

هنا أرسل "د .كريستوفاو" اثنين من الخيالة البرتغاليين لأجل العثور على العدو ، وبالفعل تمكنا من تحديد موقعه من قمة الجبل ، وتريثا قليلاً لإحصاء عدد جنود العدو ، ومن ثم قفلا راجعين ليخبرا قائدهما بما شاهداه .

قد أشارا إلى إن أعداد العدو تبدو ضخمة بحيث إنها منتشرة على مساحة كبيرة من الريف .

بعدها بدأ ظهور مجموعات من جيش العدو على الجبل ، حيث كان البرتغاليون يرصدون حركتهم ، ولما كان ملك "زيلع" يراقب ويقوم بمسح المعسكر فقد أرسل بعض القادة لاستكشاف ومحاولة الاشتباك ومناوشة البرتغاليين وإثارتهم حتى يخرجوا من مخابئهم وخنادقهم ،

معتقداً أنهم إذا ما نجحوا في سحبهم للخارج فمن الممكن هزيمتهم بكل سهولة ويسر .

كان الضباط قد نزلوا من المنحدر ، ومن ثم عملوا على الانتشار فوق السهل وهكذا تمكنوا من تطويق المعسكر بكامله ، واستمروا في قرع الطبول والنفخ في البوق والآلات الموسيقية الأخرى متقدمين نحو جهة البرتغاليين ، وكأنهم يريدون مهاجمتهم .

لم يتوان "د .كريستوفاو" بتاتاً في أي مهمة من مهامه أو يتقاعس عن أداء واجبه العسكري ، فقد قام بجولة على جميع المواقع مذوداً إياها بكل ما يلزم ليبُث الشجاعة والحماس في نفوس الأحباش ، أما جنود البرتغاليين فإنهم لم يكونوا في حاجة لهذا الحماس لأنهم على استعداد تام للقفز من خنادقهم للتصدي للعدو عند اقترابه والاشتباك معه .

عموماً كانت بعض المدافع قد استخدمت فاصابت نيرانها بعضهم حتى أجبرت نيرانها العدو للتراجع لكن العدو بقي في السهل بقية ذلك اليوم .

كان "د .كريستوفاو" يعتقد أن العدو سوف يقوم بمهاجمته أثناء الليل ، لذا فقد أوصى جنوده باحكام الرقابة وأن يكونوا يقظين تماماً لرصد تحركات العدو .

في اليوم التالي أي عند بزوغ الفجر شوهدت جموع العدو تعود مجدداً واستغل الأتراك عربة كبيرة لاكتساب بعض المساحة ، أما ملك "زيلع" فما يزال موجوداً في أعلى التل براياته الثلاثة ، وقاموا بشن هجوم عنيف على المواقع التي تنطلق منها نيران البنادق .

قام البرتغاليون بإطلاق قذيفة مدفعية أصابت البعض بمقتل وجُرح الكثيرون لكنهم ظلوا يتقدمون وتمكنوا أيضاً من إصابة بعض البرتغاليين بجراح الأمر الذي جعل "د .كريستوفاو" يتجه إلى ذلك الموقع لتقديم المساعدة ، ولكي يحد من تقدم قوات العدو . أرسل "مانويل دى كونها" و"انوفرى دى ابرو" مع مجموعتين عسكريتين لأجل تدمير الحاجز الذي كان العدو يصوب منه نيرانه نحو الجنود البرتغاليين ، فقاما بمهاجمة العدو ببنادقهم وحرابهم حتى أجبروه على التراجع بعيداً عن الحاجز ومن ثم عملا على هدمه وتسويته بالأرض .

بعدما لاحظ ضباط ملك "زيلع" أن الأتراك قد بدأوا في التقهقر ، حملوا على البرتغاليين الذين كانوا في انتظارهم وقد حموا ظهورهم بالسد القائم على جانب النهر ، ودارت بين الطرفين معركة شرسة دامية تكبد فيها الطرفان خسائر بالغة .

هنا أعطى "د .كريستوفاو" الإشارة لجنوده بالتراجع ، وذلك كي لا يكون هناك أي خلل في تكوين جيشه ، وقد استجاب جنوده للإشارة وظلت المدفعية تقصف بطاريات العدو وكتائبه التي تراجعت نحو التل الذي يوجد فيه الملك .

في تلك الليلة كانت الرقابة شديدة محكمة لرصد تحركات العدو ، ونظراً لقلة الكلا والماء للخيول وشح المواد الغذائية للجنود فقد استشار "د . كريستوفاو" رجاله فيما يمكن عمله ، واتفق الجميع على مغادرة ذلك الموقع والسير في نظام ، وإذا ما هاجمهم المسلمون فإنهم على استعداد لمقاتلتهم .

بعدما تم الاتفاق على هذا الأمر أعادوا التشكيل بحيث وضعوا المدفعية في الأطراف حتى تتمكن القوات من إطلاق النار إذا ما هوجمت من أية ناحية وتم وضع الملكة و"البطريرك" والعتاد في الوسط .

أما "د .كريستوفاو" فقد اختار ثمانية قادة على ظهور الخيل للسير على جانب الجيش يقومون بالتوجيه بينما قسم "البارناقيتس" وبقية قادة الأحباش إلى مجموعتين لأجل حماية جانبي الجيش ، وبدأت المسيرة بسلام وبنظام جيد مرتب .

كان ملك "زيلع" يرقب كل ذلك بسرور عميق من موقعه في أعلى التل ، وعندما وصلوا إلى السهل نزل عليهم بكل قواته التي هاجمتهم بعنف من كل صوب ، لكن استمر البرتغاليون في السير وهم يطلقون نيران بنادقهم بنظام على جانبي الجيش .

أما الأتراك الذين أغاظهم هجوم البرتغاليين الذين نجحوا في تدمير حاجزهم فقد كان هجومهم على البرتغاليين شرساً وضارياً .

أمر "د .كريستوفاو" القائد "مانويل دى كونها" أن يعمل على شن هجمة مرتدة برجاله ، وقد نفذ "مانويل" ذلك على الأتراك ، ونجح في قتل البعض منهم من خلال هجوم كاسح أجبرهم على الانسحاب .

أما المسلمون فقد هرعوا لمساعدة أصحابهم عندما رأوا الخلل في صفوف البرتغاليين فعملوا على تطويق "مانويل دا كونها" ، الذي فعل العجائب ، وكان من الممكن أن يتورط في صعوبات بالغة لولا ذهاب "د .كريستوفاو" شخصياً لمساعدته والذي اندفع في وسط العدو فشتت شملهم وقتل الكثيرين منهم .

بالرغم من أنه تلقى رصاصة في رجله في الاشتباك الأول إلا أن إصابته تلك لم تحد من عزمه في مواجهة خصومه وأداء واجبه ، بل يبدو أن تلك الإصابة قد شحذت عزيمته وألهبت حماسه وضخت في دمه قوةً بالغة حيث لوحظ أنه واجه خصومه كوحش ضاري أسقط أرضاً الكثير من أعدائه .

هنا وصل الملك إلى أرض المعركة بقوته الأساسية ، وتبع ذلك حدوث معركة طاحنة ، وعموماً كانت مدفعية البرتغاليين موفقة في إصابة الأهداف ، إذ إنها ألحقت أضراراً بليغة في قوات العدو .

عندما أحست الملكة بحدة وشراسة المعركة وإنها أصبحت في وسط حشد من المسلمين تملكها الجزع ، ولكنها برغم ذلك لم تستسلم ، لأنها رأت بسالة البرتغاليين ، ورأتهم كيف يواجهون أعداءهم ، هنا اتجه "البطريرك" للرب داعياً أن يحقق النصر للبرتغاليين ، وما هي إلا لحظات قصيرة حتى انطلقت رصاصة لتصيب ملك زيلع في فخذه ، ومن ثم تسببت في جرح حصانه ، فسقط أرضاً ، فاعتقد رجاله أن ملكهم قد خر صريعاً فأسرع القريبون منه بحمله ومعه شعاراته الثلاثة التي تلازمه ، ومن ثم شرعوا في الانسحاب .

عندما لاحظ "د .كريستوفاو" أن الارتباك قد حل في أوساط العدو أحس بحلاوة النصر الذي أنعم به الرب عليه ، فسارع بإعطاء الإشارة الخاصة بفك الاشتباك ، وأمر الجيش بالتوقف عن القتال في تلك الساحة كي يهتم المقاتلون بالجرحى بنقلهم ومعالجتهم ، خاصة وقد كانوا كثر ، والاهتمام أيضاً بدفن الموتى الذين بلغ عددهم أحد عشر

قتيلاً ، وكان من بينهم "لويس ريوس دى كارفالهو" و"لوبو دا كونها" وكلاهما من النبلاء وبالمثل محاربين أبطال كانوا قبل وفاتهم قد كبدوا العدو خسائر بليغة في الأرواح والعتاد .

كانت سعادة الملكة وفرحتها كبيرة بهذا النصر الذي أنعم به الرب عليها ، فأمرت بنصب الخيام ومثلت بشخصها للاهتمام بالجرحى الذين أمرت بجمعهم جميعاً في خيمة واحدة لمعالجتهم بعناية فائقة ، وكان أولهم "د .كريستوفاو" و"مانويل دا كونها" الذي تلقى جرحاً أيضاً من رصاصة طائشة .

تكفلت الملكة بنفسها بمداواتهما وربط جروحهما تساعدها في ذلك جميع مرافقاتها من السيدات اللائي قمن بكل ما يلزم من عناية للجرحى والمصابين .

هذا الجرح الذي أصاب "د .كريستوفاو" لم يثنه عن القيام بواجبه ، فقد خرج لإصدار الأوامر وتوجيه الجنود في مواقفهم الدفاعية في المعسكر ، وضرورة تعزيز دفاعاته ، وبالمثل أرسل بعض طلائع الاستكشاف للوقوف على ما يفعله جنود العدو .

بعد ذلك أرسل رسالة قصيرة للحاكم يبلغه فيها بالنصر الذي حالفه ، وذلك مع مبعوثه الذي أخذها وأسرع بها إلى مصوع ، مع رسالة أيضاً إلى "فرانسيسكو فيلهو" يخبره فيها بضرورة المجيء في أسرع وقت ممكن للانضمام إليه ، وإنه في انتظار قدومه .

في هذا المكان ظلوا معسكرين حتى حان يوم عيد الفصح ، وصدرت

أوامر الملكة بضرورة التوجه للقرى لجلب كل ما يحتاجه الجنود وكل ما يلزمهم .

في اليوم التالي ، وبعد أن شفى الجنود من جروحهم ، شرع "د . كريستوفاو" في الاستعداد للبحث عن معسكر العدو الذي لم يكن بعيداً من معسكره والاشتباك معه في معركة جديدة ، خاصة وقد رأى بنفسه حجم الخوف الذي بثه البرتغاليون في نفوس جنود عدوه وكم كان الانتصار عليه سهلا بحيث إنه أجبرهم على الانسحاب والتراجع وبالتالي شرعوا في الزحف في رتل طويل متقارب الصفوف بحذر كامل .

هنا تم إبلاغ ملك "زيلع" إن البرتغاليين قادمون إليه ، وبما أنه كان قد شفي من جرحه فقد أمر جنوده بالزحف لملاقاتهم .

عندما التقى الجيشان وجهاً لوجه بدأ المسلمون في التفرق والانتشار في محاولة لتطويق البرتغاليين الذين ظلوا في ظل النصر الذي حققوه متماسكين بشكل صلب ينتظرون وصولهم بكل هدوء .

هكذا بدأت المعركة بصورة شرسة تسببت مدفعية البرتغاليين في إلحاق أضرار بليغة بقوات العدو ، أما الأخير فإنه في سبيل الانتقام من خصومه البرتغاليين عمد للاستماتة في مصارعة البرتغاليين دون هوادة ، وقد لوحظ أن أحد القادة الذي كان يرأس حوالى خمسين مقاتلاً من الخيالة قد اندفع إلى وسط جموع البرتغاليين بجرأة وإقدام ، لكنه سرعان ما لقي حتفه مع مجموعة كبيرة من الخيالة الذين يقودهم .

امتطى "د . كريستوفاو" حصانه وشرع في توجيه جنودهم تارة ومشاركتهم القتال تارة أخرى وكان دائم التشجيع لهم بحيث إن

الكثيرين من الجنود ظلوا يحذون حذوه ويطبقون أسلوبه في الكر على العدو بشراسة وإقدام نادرين حتى اضطرت قوات العدو للهروب والانسحاب من أرض المعركة .

هنا أمر "د .كريستوفاو" بعض القادة الأحباش لملاحقتهم بالرغم من أن نتيجة المعركة قد وضحت معالمها له من خلال عدد قتلى وجرحى العدو الذين ملأوا الساحة ، لقد ولت حشود العدو هاربة في غير انتظام ، ولو كان لدى "د .كريستوفاو" مئتان من الخيالة لما كان بإمكان ملك "زيلع" الإفلات والهروب عندما استخدم عربته التي تجرها الخيول للفرار ، لكنه مع ذلك فقد مجموعة ضخمة من رجاله أثناء عملية المطاردة التي استمرت طويلاً .

بعد ذلك شرع "د .كريستوفاو" في التحدث مع "البارناقيس" ومشاورتهم في المكان الذي يجب أن يقضوا الليل فيه ، فقرروا التوجه إلى ضفة أحد الأنهار الذي لم يكن يبعد سوى مسافة نصف ميل تقريباً ، وبعدما قاموا بدفن تسعة جنود برتغاليين قتلوا في المعركة ، بدأوا في الزحف تجاه ذلك المكان .

كان ملك "زيلع" قد تلقى أخباراً تفيد برجوع القوات البرتغالية ولكنه عندما سمع الإنذار باقترابهم سرعان ما قفز في مركبته وانطلق هارباً بأقصى السرعة ومن ورائه رجاله ، وظل طيلة اليوم والليلة منطلقاً دون توقف يراوده الخوف والإحساس بأن البرتغاليين يلاحقونه للفتك به وإنهم قد اقتربوا منه ولم يتوقف قطء إلا بعدما وصل إلى أحد الجبال العالية .

تمكن "د .كريستوفاو" من بلوغ ضفة النهر حيث خلد للراحة هناك ، خاصة والمكان ملئ بالمياه والتلال المخضرة والحشائش ، وفي هذا المكان قضوا الليل بكامله يصيحون ويهللون فرحين بالنصر ، وفي اليوم التالي وصل "فرانسيسكو فيلهو" الذي كان في مصوع وقد جلب معه كميات وفيرة من المواد الغذائية والذخائر .

بالمثل رسائل الحاكم لتسليمها إلى "د .كريستوفاو" وجميع القادة ، وكان لهذه الأشياء التى أتى بها حلاوتها التي زادت من حلاوة النصر الذي حققه البرتغاليون الأمر الذي أثار غيرة "فرانسيسكو فيلهو" ومرافقيه الذين لم يحضروا المعركة للمشاركة فيها ، ولقد علموا بكل الأخبار التى أخبرهم بها "مانويل دى فاسكونسيلوس" ، وعلموا أنه في طريق عودته راجعاً إلى "غوا" .

في ظل ظهور بوادر الشتاء القادم عملوا على الانسحاب إلى مواقع شتوية ترى جلالة الملكة أنها الأفضل عن سواها نظراً لكونها مذودة بكل ما يلزم من الضروريات ، وعليه فقد اتجهوا إليها وظلوا في انتظار وصول الامبراطور .

الأحداث التي واجهها الحاكم "مارتيم أفونصو دى سوسا" في "موزامبيق" إلى أن أبحر للهند . ، وكيف تحطمت سفينته على مبعدة من "باسين" ، وكيف وصل إلى "غوا" ومن ثم استولى على الحكم .

منذ وقت مضى كنا قد تركنا الحاكم "مارتيم أفونصو دى سوسا" في "موزمبيق" يعد العدة للإبحار للهند لقضاء الشتاء هناك ، وكان

يرتب للأمر بسرعة بالغة عندما أُخبر أن "د . ألفارو دى أتيد" شقيق الحاكم "د . استفاو" الذي قدم برفقته كقائد لإحدى السفن المخصصة لقبطانية "ملقا" ، مصمم على أن يرسل إشعاراً إلى شقيقه ، وأنه يحاول التفاوض بشكل سرى بشأن مركب "بانقايو" "Pangaio" لهذا الغرض ، وعليه أمر بضرورة اعتقاله وزجه في سجن القلعة مع "لويس منديس دى فاسكونسيلوس" الذي تورط أيضاً في هذه الخطة .

بعد ذلك أمر بنشر الحرس في مراكز شتى عند مدخل الميناء لمنع مغادرة أية سفينة ، أيضاً أصدر أمره بمصادرة جميع "بانقايو" (المراكب) الموجودة في النهر مع اتخاذ كافة الاحتياطات والحذر بألا يسمح لأي مركب بالمغادرة قبل أن يفعل ذلك بنفسه ، أيضاً وضع الاستعدادات هناك في القلعة وبالمثل قلعة "سوفالا" .

بعدها شرع في السفر وفي ظل التكريم وحسن الضيافة التي وجدها من قبل "اليكسو دى سوسا" ، قائد القلعة الذي وجده شبه معدم بعدما أنفق كل ما لديه على الفقراء والمساكين ، طلب منه أن يقبل العمل في وظيفة رئيس الخزينة في الهند لأنها وظيفة تمكنه من استعادة أمواله ويمكنه من خلالها إقامة علاقات ودية مع الأصدقاء ، وكان حديثه مقنعاً لدرجة أن "اليكسو" قد قبل العرض خاصة وأنه مقدم من قريب له .

كان الحاكم قد أرسل مركباً "catur" وجده هناك يؤول لملكية "جواو دى سبلفيدا" مع رسالة ومجموعة من الخطابات إلى "مارتيم أفونصو دى ميلو جسارتى" قائد القلعة في هرمز طالباً منه أن يرسل له في أغسطس

ما يمكنه إرساله من أموال الملك ، ولقد كتب رسائل مليئة بالشكاوى والاحتجاجات والعروض للملك والقضاة .

بعدما فرغ من هذا ومن أشياء أخرى شرع في الإبحار في خامس عشر مارس مستغلاً السفينة "كولاو" التي كان على متنها أيضاً "لويس منديس" باعتبارها أكثر السفن سرعة وأسهلها قيادة ، وقد أخذ معه "ناو اس تياغو" التى عين "د .فرناندو دى نورونها" قائداً عليها ، وهو ابن أحد أشقاء "ماركويس دى فيلاريل" "Marquis de La Vilarel" .

قد ترك بقية السفن الأخرى في "موزمبيق" كي تبحر في أغسطس مع السفن التي سوف تبحر من "لشبونه" ، غادر "ديوغو سواريس" برفقة الحاكم في سفينته ، وكان ذلك في غضون نصف ساعة بعد مغادرة السفينة .

أبحر الحاكم إلى الجنوب من ساحل "ماليندى" ومن ثم رست سفينته في ميناء تلك المدينة ، وبعدها حظى بزيارة الملك التي تمت في احتفال بهيج عزفت فيه الموسيقى ، وقد أرسل له الملك الكثير من الطعام المحلي والشراب للترويح عن نفسه .

قد مكث هناك مدة يوم كامل ومن ثم واصل إبحاره ، لكنه بسبب خمود الرياح اضطر للتوجه إلى "سقطرى" حيث تذود بالمياه والمؤن الغذائية ، ومن هناك عمل على العبور تساعده رياح قوية لكن حدث أن انفصلت "اس تياغو" من السفينة في الخليج ومن ثم ظلت مبحرة بصفة مستقلة ، وفي بداية شهر مايو واجهت رياحاً وعواصف رعدية تعتبر بوادر فصل الشتاء ، لذا فقد اضطرت للمحاولة لبلوغ ساحل الهند شمال "دابهول" .

في محاولتها تلك تعرضت لهبوب عاصفة جنوبية كانت من القوة بحيث اضطرتها للإبحار مستخدمة فقط شراعاً قصيراً ، وبما أن العاصفة كانت عاتية والسماء ملبدة بالغيوم فلم يستطع القبطان معرفة الاتجاه الذي يسير فيه الأمر الذي جعلها تجنح في منطقة "ريو داس كابراس" على جزيرة "سالسيتى" في "باسين" ، وهناك تحطمت هذه السفينة ، وغرق البعض من الرجال الذين ألقوا بأنفسهم في البحر كي يسبحوا للشاطئ .

أما زملاؤهم الذين فضلوا البقاء في السفينة فقد تم إنقاذهم جميعاً لأن البعض من "المادياس" "al madias" قد قدموا من البر لإنقاذهم ، تم إبلاغ "د .فرانسيسكو دى منسيس" الذي يتولى منصب القائد في "باسين" بحقيقة الأمر فوراً فأمر مجموعة من السفن بالإبحار في الحال لتقديم المساعدة ، وقد بذل جهداً مقدراً لأجل نقل جميع المدافع والأموال والسلع الأخرى التي كانت تنقلها السفينة على متنها .

أيضاً عمل "د . فرانسيسكو" على أخذ كل من "د . فرناو دى نورونها" وبقية الرجال إلى "باسين" حيث قضوا الشتاء هناك ، وقد أمر أيضاً بإعطائهم مستحقاتهم عن ذلك الفصل من السنة ، كما قدم لهم الطعام والشراب ، و أنفق عليهم الكثير من أمواله الخاصة في هذا الشأن .

كان الحاكم وسفينة "ديوغو دى سواريس" التي ما تزال تسير خلفه قد تعرضوا لعاصفة ضربتهم بالقرب من البر لكن في مكان يمكنهم فيه إلقاء مراسيهم عند حاجز "غوا" (لأن قبطانهم قد توفى) في الموقع الذي رسوا فيه في ستة مايو بعد مغيب الشمس .

عموماً كانوا قد نزلوا في سفينة "ديوغو سواريس" "Diogo Soares"

دون أن يخبروا "د . استيفاو دا غاما" عن أي شئ بشأن وصولهم ، وفي الساعة العاشرة مساءً توجهوا إلى مقر "أنطونيو كوريا" المعروف باسم (سانتوس) خارج المدينة ويقع في الطريق المؤدية إلى "ساو بولو" . (ومؤخراً كانت تؤول إلى "أنطونيو بيساو" "Antonio Bissao" أما الأن فقد أصبحت ضمن ملكية "ريماو فالكاو" "Rimao Falcao" ابن "سيماو غونساليفس بريتو" "Simao Gonsalves Breito" قاضي قضاة البرتغال) .

من هناك أرسل السكريتير "أنطونيو كاردوسو" وهو محام كفء مقتدر كان قد جاء معه كي ينقل أخبار وصوله إلى "د . كريستوفاو دا غاما" ، وأرسل معه "جيرونيمو غونساليفس سارمنتو" "Jeronimo Gonsalves Saramento" ، "حاجبه" كي يأتيه ب "روى غونساليفس دى كامينها"

"Rui Gonsalves de Caminha" الذي يعمل أميناً للخزينة ، كما أرسل أيضاً شخصاً آخر من رجاله كي يأتيه بالسكرتير حتى لا يقوم بإصدار أية توجيهات إلى أن يعمل "د .استيفاو" على تسليم حكومة الهند أو يتمكن أمين الخزينة من تسليم أموال الملك ، حيث كان هدفه الاستيلاء عليها فجأة ، وقد أصدر توجيهاته بألا يسمح لهؤلاء النفر بالذهاب للحاكم أو التدخل في أي أمر .

كان "ديوغو سواريس" مرابطاً في رصيف المدينة ، حيث توجد مساكن نائب الملك ، وكان ذلك عند منتصف الليل ، فقام بإطلاق قذيفة من مدفع "falcao" فوق سطح منزل "سابايو" حيث يسكن "د . استيفاو" .

بعـد ذلك اتجـه السكرتير إلى الشاطئ كي يطرق باب مسكن الحاكم ، ومن ثم أرسل رسالة تفيد عن مكان وجوده هناك .

خرج الملك وهو في ثياب النوم وغطى جسمه بعباءة فأخبره "أنطونيو كاردوسو" أن الحاكم "مارتيم أفونصو دى سوسا" قد أرسله إليه كي يبلغه بتحياته ويخبره بوصوله ، ويتمنى أن يكون بخير .

عنـد ذلك سأله "د .استيفاو" برباطة جأش عن مكانه ، وعندما أخبره أنه موجود في منزل "أنطونيو كورباس" ، قال للسكرتير ، وهو يهز رأسه ، إن السير "مارتيم" يعاملني وكأنني كلصٍ ، فالآن أخبره ليتفضل ! وهكذا أمره بالإنصراف .

أما بخصوص الأخيرين اللذين أرسلا للضباط فقد ذهبا لمنازلهم ، ومن ثم تم تنفيذ الاعتقال ، ولم يسمح للمعتقلين بارتداء ملابس لائقة بل تم اقتيادهم إلى الحاكم الذي قضى الليلة بكاملها في استجوابهم بشأن الخزينة .

تضايق "د . استيفاو" كثيراً من جراء سوء معاملة البرتغاليين له وعدم احترام له حيث تم التحفظ عليه مع رجل ليس من أصدقائه ، وقضى تلك الليلة يتجرع المهانة والذل .

كانت أخبار وصول "مارتيم أفونصو" قد انتشرت في جميع أنحاء المدينة التي ضجت بسخط السكان واستيائهم ، ولوحظ أن الأقرباء والأصدقاء المهتمون بدأوا يتجمعون للتشاور والتباحث حول ما يحدث .

السكرتير وأمين الخزينة هرعا إلى مكان التجمع وقد بلغ بأمين الخزينة

الاستياء حداً جعله يتحدث وكأنه قد أصبح مُداناً ، وفي الصباح اتجه إلى منزل "مارتيم أفونصو" وهناك التقى مع الأقرباء والأصدقاء الذين تجمعوا في المنزل الذي يوجد فيه "أفونصو" الذي خرج لاستقباله ، غير أن "كريستوفاو" لم يستقبله باسماً ، وإنما عامله بشيء من القسوة ، وفي حضور رئيس هيئة الخزينة "فيرناو رويس دى كاستيلو برانكو" والسكرتير "جواو دا كوستا" ومجموعة من النبلاء الذين حضروا اللقاء قام بتسليمه الهند ، وتم هذا الأجراء بشكل عاجل .

بعدها استأذن "د .استيفاو "الحاكم ، وأبحر فوراً إلى "بانجيم" حيث قضى الشتاء هناك دون أن تكون له أية رغبة في التعامل مع الحاكم .

عندما تولى "مارتيم أفونصو" الحاكمية ، منح "اليكسو دى سوسا" منصب القيم على هيئة الخزينة ، كما منح "سينسيادو أنطونيو كاردوسو" منصب السكرتير ، وقد رتب أعضاء المجلس البلدي في المدينة حفل استقبال كبير بمناسبة دخوله الذي تم بعد مرور أيام قليلة في مناسبة احتفاء مهرجاني كبير .

اتجه الأب "فرانسيسكو كزافير" "Francisco Xavier" كبير الرهبان مع مرافقيه الذين أتوا معه في سفينة الحاكم ، اتجهوا للمستشفى ، وبدأوا في نشر تعاليمهم الدينية وتبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم ، وقد اهتموا بشكل خاص بزيارة المرضى في المستشفيات لمواساتهم وتشجيعهم ، كما اهتموا أيضاً بالتبشير للمذهب المسيحي لكافة الناس ، وبالمثل الصغار الذين كانوا يتجمعون بأعداد ضخمة في الطرقات للاستماع للمواعظ الدينية .

أيضاً كان لهم اهتمام أيضاً بالتبشير والاستماع إلى اعترافات الناس ، وقد كان لنشاطهم هذا أثراً كبيراً في بث الارتياح والطمأنينة في نفوس السكان .

عندما ذهب "د .استفاو" إلى "بانجيم" ، أرسل إلى المشرف على الملكية وكبير قضاة السلطة الحاكمة مع أعضاء سكرتاريتهما حيث طلب منهم إعداد عملية جرد ممتلكاته ، وقام شخصياً بأداء القسم ، وبالمثل أدى القسم جميع رجاله الذين يعملون في إدارة ممتلكاته .

عندما تم الجرد تبين بشكل رسمي أن صافي المبلغ ينقص خمسون ألف "برداوس" عما كان عليه عندما تولى أمر الحاكمية عند عملية الجرد الأولى ، وقد أنفق هذا المبلغ في الذهاب إلى المضيق ، وقد منح شهادة بكل ذلك كي يقدمها إلى الملك حتى يتبين جلالته مدى نزاهته في التعامل في الأمور المالية .

شرع الحاكم "مارتيم أفونصو" في ممارسة مهام منصبه ، فأمر فوراً أن يتم تجهيز أسطول في أسرع وقت لأنه يعتزم الإبحار في الصيف .

ما حدث لملك المغول "حامايون باشا" ، بعد هزيمته على يد شيرشاه . كيف استعاد مملكته بمساعدة من ملك فارس شاه إسماعيل وإقدامه على مهاجمة "الباثانز" "Pathans" وتلقى الهزيمة على أيديهم . والابن الذي رزق به كي يتولـى الحكم من بعده .

عندما تكون هناك فترة شتاء لا أجد فيها ما يمكنني قوله عن أوضاع البرتغاليين ، فلأنني ألجأ لتناول الأمور الخاصة بالآخرين ، وسوف أتبع هذا الأسلوب كي لا أخلط بينهما .

أتناول الآن شأن الملك المغولي الذي تلقى الهزيمة على يد شيرشاه ، ومن ثم وجد المساعدة من قبل الملك الفارسي ، لأن هذا الأمر ذي صلة بتاريخنا ولابد من توضيحه .

عندما غادر الملك مملكة السند ، كما سبق أن ذكرت ، كي يدخل فارس سعياً في تلقى المساعدة من شاه إسماعيل ، اتجه إلى غزوين حيث يوجد البلاط ، وقد تم استقباله بكل الترحاب ، وأعرب له عن تعاطفه معه في محنته تلك ، ووعده بمنحه كل المساعدات الممكنة حتى يسترجع مملكته ، وأكد له أنه بوسعه أن يوفر له المأوي وكل ما يحتاجه .

قد مر الوقت وقضى "حامايون" مدة عامين في البلاط دون أن يحقق أي إنجاز يذكر ، بالرغم من أنه لديه عيونه وجواسيسه وسط أعدائه يبلغونه بكل ما يحدث .

أما زوجته فقد اتجهت ، كما نعرف ، إلى "كابول" ، وبعدما علمت أنه موجود في فارس ، أرسلت له خطاباً تبلغه فيه أن عمه الملك قد توفي دون أن يترك وريثاً في المملكة ، وأن السكان ينتظرون قدومه كي ينصبونه على العرش .

كان ذلك دافعاً قوياً للمغول وحافزاً كبيراً للشاه إسماعيل كي يقدم له المساعدة التى طلبها .

بعد ذلك وردت أخبار أخرى تفيد أن بعض مقاطعات البنغال قد ثارت ضد عدوه الملك ، وهي الأقاليم التي كان قد بسط نفوذه فيها لبعض الوقت ، والتي ما زالت تعتبر حتى وقتها قيد الاسترجاع ، إذا ما أنفق عليها القليل من المال .

لذلك كان لابد من انتهاز هذه الفرصة السانحة حتى لا يضيع كل شيء ، وبالتالي أطلع الشاه إسماعيل بهذا الأمر قائلاً :

إن الوقت الآن مناسب كي يستعيد ما فقده وضغط عليه كي يمده بالمساعدات التي كان قد وعده بها ، ووعده بأنه سوف يتحمل ومملكته جميع نفقات الحملة .

هنا رق قلب إسماعيل شاه وهو يرى هذا السيد النبيل يطرح عليه مسألته بكل التواضع ، لذا فقد وقع معه اتفاقية اشترط عليه فيها الحصول على قلعة قندهار في مملكة كابول التي ورثها ، وذلك بسبب موقعها على حدود بلاده وبلاد خراسان ، التي تؤول لنفوذ الشاه إسماعيل ، وتعتبر أهم جزء في مملكته .

عموماً وافق "حامايون" على منحه إياها ، وآثر ذلك أمر شاه إسماعيل بتجهيز المساعدات ، حيث أرسل معه أحد أبنائه مزوداً إياه بمبلغ وقدره خمسة عشر ألف "كزلباش" .

باعتباره مرشده وحاميه فقد أرسل معه قائده العام بيرم خان ، وهو قائد يتمتع بحنكة ودراية كبيرة بأمور الحرب وله خبرة طويلة في هذا المجال ، وبإرساله ابنه أيضاً مرافقاً لهذه الحملة كانت نوايا شاه إسماعيل أن يظل في "قندهار" ، ويكون ملكاً على المنطقة حيث لديه العديد من الأبناء ، ويريد المنصب لابنه هذا .

بعدما تم تجهيز الجيش ، استأذن "حامايون باشا" جلالة الملك شاه إسماعيل في الذهاب ومن ثم شرع في الزحف تجاه كابول ، حيث كانت زوجته تنتظره مع جميع القوات في تلك المملكة .

لكن قبل وصولهم هناك توفى ابن إسماعيل ، فأرسل بيرم خان رسالة إلى والده وانتظر حتى وصول الرد ، وقد جاء له الأمر بأن يواصل مهمته كقائد للحملة إلى حين يتم إدخال المغول في ممالكه .

عندما بلغوا "كابول" أخذ معه الملكة وجميع الرجال الذين تمكنت من جمعهم ، ومن ثم زحفوا نحو الأقاليم ، وتمكن من استعادتها بعدما هزم القادة الذين كان الشاه هولا وقد تركهم فيها ، ومن ثم أعاد بلاطه إلى مدينة "دلهى" ، حيث وزع الكثير من الهدايا والمكافآت على جميع الفرس الذين أسهموا في تلك الحملة .

في ظل إيمانه بمقدرة وعقلانية "بيرم خان" عرض عليه أن يبقى معه في الخدمة ، ومنحه امتيازات مغرية ، ما كان من الأخير إلا أن وافق على العرض .

عموماً تشتت جموع الفرس ، ولكنه بقي في البلاط يتمتع بامتيازات عدة وأملاك قدمها له المغول ، وأصبح يمثل السلطة الثانية في المملكة ، وحصل على لقب (خان خنان) وهي سلطة تماثل مسؤول أمن المملكة .

كان المغولي ممتناً وسعيداً بروابط الصداقة مع الملك الفارسي ، وقد أرسل له هدايا ثمينة ، ومن ثم أصبح كل منهما يعامل الآخر بلطف وكأنهما أخوان .

كان المغولي يعيش في سلام تام في مملكته ، وأصبح نفوذه قوياً بشكل أقوى مما كان عليه عندما فقد مملكة كابول ، لكنه مع ذلك لم يكن مطمئناً على أمن ممتلكاته ، لذا فقد عزم على غزو مملكة "الباثانز" وتدمير ملك شاه "هولاو" الذي بدأت أوضاعه تتدهور وتتجه للأسوأ .

- بالرغم من الازدهار الذي حققه فقد كان ذا مؤشر بقوة ، فبالمثل كان التدهور والهبوط ، ففي بداية هذا الصيف قام المغولي بجمع وتكوين جيش ضخم توغل في مملكة العدو ، ومع أنني بفضل الرب سأتناول بالتفصيل كل الأحداث التي وقفت في أقاليم هذا البربري هنا ، إلا أنني سوف أعطي نبذة قصيرة عن الطريق التي سلكها في حملته هذه :

بعد مغادرة مدينة "دلهي" والتوجه شرقاً ، تمكنوا في غضون مسيرة ثلاثة أيام من الوصول إلى مقاطعة باسم "ماتوران" "ماترا" وهي مقاطعة تتواجد فيها معابد ضخمة للهندوس ، وتؤمها بشكل متواصل جموع الحجيج من جميع البلدان الهندوسية .

بعد مرور ثلاثة أيام وصلوا إلى مدينة اسمها "ساتبور" [فاتبورسكرى] بنيت فوق تل رائع .

بعد مسيرة يوم كامل وراء هذه المدينة وصلوا إلى مدينة "اقرا" (أقارا)التي أصبحت فيما بعد مقراً للبلاط وعاصمة مملكة المغول ، وسوف أوضح هذا فيها بعد .

بعد مسيرة اثني عشر يوم من هنا ، مروا خلالها بنهر جميل ، وصلوا إلى منطقة توجد فيها قلعتان هما قلعة "مانكوبور وكارا" [كورا] .

بعد أربعة أيام أخرى وصلوا إلى مدينة "جانابور" وهي مدينة كبيرة وجميلة ذات مبان قديمة عريقة جديرة بالملاحظة .

من هناك وبعد مرور أربعة أيام أخرى وصلوا إلى مدينة "جاليبور"

أو [جاليبى] التي تبدو من خلال الطراز الذي شيدت به مبانيها والإطلال والقبور والمعابد أنها كانت يوماً ما مدينة ضخمة .

تنتج هذه البلاد كميات وفيرة من السكر المتبلور يتم تصديرها إلى "كامباي" وإلى جميع أقاليم الهند .

بعد مضى عشرة أيام وصلوا إلى مدينة "بيال" [بيلانى] التي تحتضن أحد المعابد الضخمة الذي كان قد بنى بواسطة الملوك السابقين ، ويعتبر مركزاً للحجيج ،

نظراً لأن هذه البلاد منخفضة فغالباً ما يتسبب فيضان نهر "الجانجز" في غمرها بالمياه التي تلحق بها أضرار بلغيه .

عندما قدم مؤخراً الملك أكبر للحج–وهو ابن المغول –شاهد حجم الدمار الذي خلفه الفيضان ، ولذلك أمر بعمل خزان عالٍ وتوجيه المياه للقنوات الأخرى .

لقد اكتمل هذا العمل في غضون ثمانية شهور ، استخدم فيه قرابة أربعون ألف عامل ، كانوا يشتغلون ليل نهار ، ويعتقد أن هذا الإنجاز يماثل تماماً ذلك الإنجاز الذي تم في سايرس (Cyrus) عندما أمر بتجزئة وتقسيم النهر بسبب حادثة غرق راح ضحيتها مجموعة من رجاله ، وبالفعل تم إفراغ النهر من مياهه في القنوات الأخرى حتى أصبحت النسوه يتمكن من عبوره خوضاً .

هناك تمكن" أكبر" من تشييد وإقامة قصور بالغة الروعة والجمال تعتبر من عجائب الدنيا ، ويذكر المغول أن بناءها استغرق ثلاثين عاماً من العمل الشاق كان يؤديه عشرة آلاف عامل .

بعد مضي خمسة أيام من مغادرة بيال وصل المغول إلى مدينة كبيرة تسمى "كومار" [كونار] ، وهذه تقع على أحد روافد نهر "الجانجز" ، وبعد ذلك بثلاث أيام وصلوا إلى إقليم للهندوس يسمى [مانراس] حيث لاحظوا وجود مجموعة كبيرة من المعابد ، ونظراً لكبر حجم المنطقة ، فقد تبين لهم أنها تعتبر مركزاً دائماً للحجيج الهندوس الذين يأتون إليها من جميع مناطق الشرق .

يقال إن الرسوم البسيطة التي يتم استفاؤها عند الدخول تمثل دخلاً كبيراً يتجاوز المليون بالعملة الذهبية .

بعد مضي عدة سنوات قدم الملك أكبر للمنطقة ، فأمر أن يكون الحج متاحاً بشكل مجاني لكل فرد .

من هذه المنطقة بدأ الجيش في التوغل في إقليم "الباثانز" ، وهؤلاء هم جنس سبق إن كانوا حكاماً على كل مناطق "هندوستان" .

بعد مسيرة يومين وصل إلى مدينة "قاسابور" [غيزابور] حيث استولى عليها بكل سهولة .

بعد مسيرة ثلاثة أيام وصلوا إلى مدينة أخرى تسمى "جمانى" حيث توقفت كتائب الجيش إثر ورود أخبار تفيد إن العدو قادم في طريقه في حشد كبير لمواجهته . وهنا عمل الجيش المغولي على تحصين نفسه وإقامة دفاعاته ، ومن ثم شرع في مهاجمة المدينة بعنف ، وذلك في محاولة منه للاستيلاء عليها قبل وصول العدو ، أما العدو فقد اتخذ منطقة مقابلة كمقر له تبعد حوالي ميل واحد من مركز تجمع المغول ، ومن ثم حدثت مناوشات واشتباكات بين الطرفين وطالت الخسائر كليهما .

كان "الباثان" ، وهو من أعظم القادة الذين يتمتعون بمعرفة ودراية بأمور الحرب ، قد اتبع تكتيكاً رائعاً كي يعوق تقدم المغول الذين استغرقوا وقتاً طويلاً في الاستيلاء على المدينة نظراً لقوتها وتحصينها ، هذا بالإضافة إلى أنها كانت مذودة جيداً بكل المؤن والغذاءات والاحتياجات الأخرى .

ظل المغول هناك قرابة شهر كامل حتى بدا نهر "الجانجز" في الفيضان نظراً لقربه من المدينة ، وغالباً ما كان يأتي فيضان هذا النهر عنيفاً بحيث إن مياهه تغطي وتغمر كل الإقليم الذي يمتد بطول ثمانية أميال .

أما "الباثان" فقد كان يتوقع هذا الفيضان ، وعليه فقد أمر بشق قناتين عبر النهر بحيث تقسم النهر إلى قسمين في أعلاه ومن ثم بناء صمامين لأجل التصريف .

عند هطول الأمطار ، أمر بفتح الصمامين ليلاً فبدأت المياه تتدفق عبر المنطقة ، وكانت مياهاً هادرة اهتزت لها الأرض وكأن العالم قد أتى إلى نهايته ، وهكذا وصلوا إلى موقع العدو الذي كان في المنطقة المنخفضة التى غمرتها المياه بشكل كامل فتسببت في موت نصف الجيش غرقاً وكاد هو بنفسه أن يموت غرقاً لولا أنه أنقذ بصعوبة بالغة ، وتم ذلك باستخدام أحد البغال بواسطة سائقي هذه الدواب .

أما زوجته التي كانت حاملاً على وشك أن تضع جنينها ، فقد انقذت هي الأخرى بواسطة زميلات لها ، أنقذنها على ظهر أحد الأفيال ، ومن ثم هرب الجميع تلك الليلة واستمروا في الهروب حتى الصباح .

عندما تجمع معظم الهاربين مع بعضهم بعضاً بمن فيهم (الخان خنان)

الفارسي ، الذي كاد أن يغرق أيضاً ، عملوا على تكوين جيش قوامه خمسون ألف جندي ، وبما أنه خشي من ملاحقة العدو له فقد أرسل زوجته أمامه كي تواصل الهروب ، ومن ثم قفل عائداً مخترقاً كل المدن التي استولى عليها ، وضم لجيشه جنود الحاميات والكتائب الذين كان قد وضعهم فيها ثم انسحب مسرعاً إلى مملكته .

أما الملكة التي واصلت مسيرتها لمدة أيام ، فقد بدأ مخاض ولادتها في العمل . كان أحد البولنديين واسمه "جرافيل" "Gravel" قد قدم من "تارترى" إلى بلاط المغول حيث خدم هناك مدة خمس عشرة سنة ، وأتى مؤخراً من "غوا" ، وكنت أعرفه تمام المعرفة ، وقد حكى لي الكثير عن الأحداث التي وقعت في تلك المدة ، وهو رجل لبيب ذو معرفة واسعة فأخبرني :

إن الملكة قد وضعت طفلتها ولأنها تدرك أن المغولي لن يكون سعيداً بهذه المولودة ، فإنها خشيت أن تصبح مكروهة لديه ، ولذلك تركتها أمانة عند إحدى قريباتها ، ولما علمت في نفس تلك الليلة أن إحدى النساء قد رزقت ولداً أمرت خاصتها أن تتم عملية استبدال الطفلين بشكل عاجل وسري ، وبالفعل تمت هذه المحاولة بأقصى السرية ، بحيث قيل إن أم الطفل نفسها لم تعلم بما حدث ، وهكذا حصلت الملكة على الطفل الذكر باعتباره طفلها .

عندما عُلم أنها قد وضعت حملها ، ذهب أحد الخدم حاملاً هذا الخبر كي يبلغ المغولي الذي عندما علم أنه رُزق بطفل في هذا الوقت الذي تكالبت عليه الصعاب والمحن ، رفع رأسه للسماء هاتفاً "الله أكبر" .

عندما ورث الصبي ملك أبيه أصبح اسمه أكبر أي بمعنى "العظيم" هذا هو السبب في تسمية الابن الذي حكم من بعد والده وسوف أتطرق لذلك فيما بعد .

أما الاسم الحقيقي فهو جلال الدين محمد ، نعم فهو حقيقة لا يشبه من قريب أو بعيد المغول ، فهو رجل صغير الحجم ، ذو سحنة داكنة ووجه قصير أشبه بوجوه اليابانيين .

بينما نجد معشر المغول ذوي سحنة شاحبة وأجساماً ضخمة وأوجهاً عريضة وغالباً ما يطلقون لحاهم . وعودة للملك ، فقد رحل بشكل عاجل إثر شعوره بأنه أصبح خارج منطقة الصراع ، فاستعاد نشاطه وحيوته ، وعندما وصل إلى "دلهي" رغب في أن يعبر عن شكره وامتنانه إلى صاحب البغل الذي أنقذه من الغرق ، إذ إنه اعتبر ذلك صنيعاً لا يمكنه أن ينساه طيلة حياته ، فهو من أنقذه من موت محقق ، فأصبح يعامله كما عامل "أحاسيورس موردكاى" ، فألبسه حلة النبلاء وأجلسه فوق كرسي العرش .

أمر بأن يطاف به داخل المدينة مدة ثلاثة أيام احتفاء به تصحبه جوقة من المنادين كي يسمعون الجمهور لماذا حظي هذا الرجل بهذا المقام النبيل ، أما في خلال هذه الأيام الثلاثة فقد منحه كل ما رغب فيه ، بل أعلن بأنه يمكن أن يأمر بأي شيء وكأنه الملك ، وفوق ذلك أمر بأن تكون دخول المملكة لمدة الثلاثة الأيام من نصيبه ، ويجب أن تجمع كي تسلم له .

قد أصبح فيما بعد من الأثرياء ممن يحظون بشرف التواجد مع الملك ،

هذا وقد تلقى الرجل عدة امتيازات ومكرمات . أيضاً أمر "حامايون" أن تضرب العملة ، ويجب أن تحمل صورة الدابة التي استخدمت لإنقاذه .

في هذه الحملة كان هناك أحد البرتغاليين باسم "كوسمو كوريا" "Cosmo Correia" ، وهو من المقيمين في "شول" مع زوجته وأطفاله الذين ما زالوا هناك ، ونظراً لأنه اعتدى على الوكيل بالضرب فقد لاذ بالفرار إلى "كامباى" ، واتجه منها إلى بلاط المغول ، هذا وقد قدم تقريراً وافياً عن الحملة ونظراً لأنه رجل ذكي فقد أعجب به المغولي .

من بين الأشياء الكثيرة التي تنسب له أنه حدث في يوم ما أنهم كانوا يتجاذبون أطراف الحديث ، فسأله أن يطلعه على الكتاب الذي يؤدى منه صلاته ، وكان بحوزته نسخة من كتاب سيدتنا (سيدة الرحمة) ، وهو مجلد قديم فيه الكثير من التنوير الثقافي .

عندما بدأ الملك يتصفح هذا الكتاب وقع نظره على بداية الزبور السبعة التي تحتوي على قصة داؤود و"بيرشيبا" المفسرة ، وبعدما رأى ذلك قال الملك مخاطباً "كوسمو كوريا" : "ماذا يمكنك أن تعطيني إذا ما خمنت موضوع هذه القصة؟"

أجابه "كوسمو كوريا" ماذا عندي كي أعطيه لجلالتك أيها الملك ؟

أجابه الملك أعطني رمحك(البرتغالي) ، وسوف أقدم لك رأس خنزير بري سأقتله أمامك .

بعد ذلك أخبره عن القصة تماماً كما وردت ، ورد إليه كتابه ثم طلب منه أن يطلعه على الرجال الأربعة الذين كتبوا تعاليم المسيحية ،

فأطلعه "كوسمو" على مؤلفي الانجيل الذين وضعت صورهم في بداية "الآلام الأربعة" (Four Passions) .

نظر الملك إليهم ملياً ثم قال :

سأقول لك شيئاً : لقد سمعت أبي يقول مراراً إنه إذا ما ثبت زيف مذهب محمد فإنه لن يقبل بأي مذهب آخر سوى مذهب الرجال الأربعة .

كان هذا البربري قد اعتنق مذهب المسيحيين ، ومن ثم صار يغدق عليهم الأموال ويمنحهم الكثير من الامتيازات والمكارم أينما التقى بهم .

في هذا الوقت بقي المغولي في مملكته دون أن تكون لديه أية رغبة في غزو بلدان الآخرين ، وبما أن الشاه "هولاو" قد ارتقى سريعاً سدة الحكم ، إلا أنه سرعان ما هوى وسقط ، فعندما توفي كان قد فقد معظم أجزاء مملكته ، وأنه لم يترك ورثة من بعده إذ إنهم ماتوا جميعاً معه .

المساعدات التي أرسلها ملك زبيد إلى ملك "زيلع" في حربة ضد "د . كريستوفاو دا غاما" ، البرتغاليون واحتلالهم "سيرا دو جوردو" ، وكيف هاجم المسلمون "د . كريستوفاو" والمعركة الكبرى التي تمخضت عن هزيمة البرتغاليين ومن ثم وقوع "د . كريستوفاو" في الأسر والتعذيب .

بعدما تمت هزيمة ملك "زيلع" على يد "د .كريستوفاو" ، كما سبق أن وضحت ، شرع في الانسحاب نحو [دامبيا] ، وبما أن جيشه فقد الكثير من الجنود فقد قرر اللجوء إلى "باشا زابد" ، بعد أن أرسل إليه سفراءه

مع كميات ضخمة من الأموال والهدايا الثمينة طالباً أن يساعده بألف مسكيتي من الأتراك ، وبالفعل تم له ما أراد فتم شحن الجنود بحراً كي ينضموا إلى جيش ملك "زيلع" .

انسحب "د .كريستوفاو" بغية قضاء الشتاء في مدينة "أولفا" ، بحيث إنه ظل يتوقع وصول إمبراطور الحبشة من يوم لآخر ، وذلك بعدما تلقى رسالة منه يقول فيها إنه لن يتأخر كثيراً .

كان ذلك في شهر أغسطس ، وقد حدث في هذا الوقت أن قدم أحد اليهود لرؤية "د .كريستوفاو" ، فأخبره أنه إذا ما كان في حاجة لمجموعة من الجياد والبغال فإنه على استعداد كي يأخذه إلى أحد الجبال ، وبوسعه الحصول على أعداد وفيرة منها ، ولن يواجه في هذا الأمر أي إشكال ، لأن سلسلة هذه الجبال تؤول لليهود .

بالرغم من وجود موقع عسكري يضم مجموعة أربعمائة جندي من المسلمين تم وضعهم هناك بواسطة ملك "زيلع" باعتبار أن الموقع خاضع لنفوذه كغيره من المواقع العديدة الأخرى ، فلقد تبين أن هذا اليهودي قد جاءه بأخبار العدو على أمل الانتقام من الأعداء الموجودين في الجبال .

عموماً رحب "د .كريستوفاو" بهذا القادم ، ومن ثم بدأ في التفاوض والتشاور مع "البارناقتيس" وقادة الأحباش الذين أكدوا له صحة ما ورد على لسان اليهودي ، وإنه ليس فقط في حاجة للتوجه للجبال للحصول على تلك المطايا وحرمان العدو منها ، وإنما أيضاً في حاجة لاستكشاف وتأمين الطريق للإمبراطور الذي يتوقع وصوله ما بين يوم وآخر ، لا سيما وأنه يترتب على الإمبراطور أيضاً المرور أسفل تلك السلسلة .

بناء عليه قرر "د .كريستوفاو" تنفيذ هذا الأمر بنفسه ، وبالتالي اختار أن يرافقه في هذه الرحلة "مانويل دا كونها" و"جواو دا فونسيكا" وبعض قادة الأحباش ، وأن يتركوا بقية الجنود مع الملكة .

بعدما صحب اليهودي كمرشد له في رحلته ، استمروا في السير طيلة اليوم حتى بلغوا نهراً كبيراً تمكنوا باستخدام طوف من عبوره ، فقضوا الليل في الجانب الآخر ، وفي صبيحة اليوم التالي استأنفوا السير حتى وصلوا إلى أسفل الجبل ، الذي بدا لهم ضخماً وممتداً قرابة اثني عشر ميلاً على نحو دائري .

كان اليهودى الذي يقود "د .كريستوفاو" قد أرشده لممر سهل استخدمه البرتغاليون في الصعود ، ومن وقت لآخر كانوا يمرون بمجموعات من المسلمين الذين يقومون بدور الحراسة ، تجاوزوهم جميعاً .

بينما كانوا مستمرين في الصعود وصلوا إلى سطح مستو يمثل هضبة الجبل ، حيث رأوا بعض المسلمين متجمعين هناك ، وقد بلغ عددهم أربعمائة فرد ، فاشتبكوا معهم في معركة كان قائد المسلمين يتولى رئاستهم ، وهو يمتطى جواداً رائعاً .

أما "د .كريستوفاو" ، والذي كان أيضاً على صهوة جواده ، فقد عمل على تقسيم مجموعته إلى قسمين حرص على إبقاء شعار المسيح في الوسط ، وأوكل حراسته إلى أربعين شخص ، ومن ثم قاد رجاله للمعركة .

عندما أبصر قائد المسلمين يقود رجاله ، وجه جواده في محاولة لمواجهته شخصياً ، ويبدو أنه كان محظوظاً في هذا الأمر ، إذ إنه نجح في طعنه برمحه فخر صريعاً على الأرض .

في هذا الوقت وصلت كتائب البرتغاليين ، وشرعوا في إطلاق نيران بنادقهم التي تمكنت من إصابة العديد من جند العدو .

في هذه المعركة استبسل البرتغاليون متفوقين على العدو الذي اضطر للهروب أمامهم بعدما ثبطت هممهم إثر مقتل قائدهم على يد "د . كريستوفاو" .

شرع البرتغاليون في مطاردة فلول العدو فقتلوا الكثيرين منهم بحيث لم يفلح في الإفلات سوى قلة منهم ، وبسبب الطعن نفقت مجموعة كبيرة من الخيول والدواب ، وأصاب الضرر الكثير من الممتلكات .

بعدها ذهب "د .كريستوفاو" لمعاينة بعض القرى الرئيسة والقريبة من موقع المعركة التي كان يسكنها اليهود ، كما كانت هناك أيضاً حوالي ست أو سبع قرى يعتقد أن عدد سكانها يبلغ حوالي ثمانية آلاف نسمة ، وقد طمأنهم جميعاً بأنه لن يطالهم أي ضرر من جانبه ، لذا فقد أتوا إليه جميعاً كي يبايعونه على الولاء والطاعة .

أما اليهودي الذي قاد "د .كريستوفاو" فقد بهت أمام شجاعة وإقدام البرتغاليين ، فطلب من "د .كريستوفاو" أن يقوم بتنصيره هو وعائلته ، وقد تم له ذلك ، وتم تعميده بواسطة أحد الكهنة كان يرافقهم ، وبموجب موافقة أهالي تلك المقاطعات تم تنصيبه زعيماً عليهم .

استغرق الأمر يومين ، وفي اليوم الثالث عاد المحاربون كي ينضموا للجيش .

بسبب سيرهم بشكل بطيء فقد أسرع "د .كريستوفاو" قدماً تاركاً

"أفونصو كالديرا" على رأس مجموعة ، قوامها ثلاثون مسكيتاً ، لكن يبدو أنه تأخر بعض الشيء في مسيرته بسبب وجود النهر وصعوبة الطريق الصخرى .

عموماً تمكن "د .كريستوفاو" أن يستمر في سيره بسرعة حتى وصل في نفس اليوم الذي وصل فيه الجيش عند المغيب ، وفي ظل ما ورد من أخبار تفيد بوصول المسلمين ، فقد ظل طيلة الليل في المراقبة وتفقد المواقع العسكرية .

عند ظهور خيوط الفجر ظهر ملك "زيلع" في المنطقة بجميع جيشه ، فقاموا بإطلاق قذائف يعتقد أن عددها بلغ تسعة قذائف كتحية مفاجئة ، ومن ثم شرعوا في تطويق معسكر البرتغاليين .

بشكل عاجل اجتمع "د .كريستوفاو" مع البرتغاليين وقادة الأحباش في القسم الخاص بالملكة للتفاوض فيما يجب عمله ، وما إذا كان من الأفضل لهم أن يلوذوا بالجبال القريبة باعتبارها منطقة حصينة وينتظروا وصول الملك .

كان هذا التصرف هو الواجب اتخاذه من قبل "د .كريستوفاو" عندما انضم للملكة ، وذلك كي يكون في مأمن من العدو حتى لا يصبح محاطاً به إلى حين وصول الإمبراطور ، ومن ثم يمكنه أن يشن عليهم هجوماً مفاجئاً .

لكن بالرغم من أنه محارب عظيم وشاب فتى مقدام إلا أن خبرته في هذا المجال لم تكن عريقة ، لأنه غالباً ما كان ينقاد بما يمليه عليه خياله (وقلبه الذي لا يهاب الصعاب) وليس بالقوانين وأسس وقواعد الحرب ، التي تتطلب قدراً من التعقل والاحتراز .

تستوجب هذه التفكير والتروي تماماً كلاعب الشطرنج الماهر الذي يحسب لكل خطوة يقدم عليها حسابها من حيث إيجابياتها وسلبياتها ، وهذا ما جعل "مينلوس" العظيم يضع "نيستور" في مقام أعلى مما فعل "أجاكس" ، وكذلك الخوف الذي ظل يساور "هانيبال" من "اسكيبو" عندما قعد عن مواجهة "منيكيوس" الذي ظل يهاجمه يومياً .

فمن المعروف أن الجهد الزائد عن حده غالباً ما يتسبب في الخسارة ، وهذا ما حدث لهذا القائد النبيل ، الذي بعدما أدرك ما يجب عليه عمله ، لم يعد بإمكانه القيام به .

قد بات معلوماً الآن أنه من المستحيل أن يتمكن من الوصول للجبال ، لأن الأحباش المرافقين له كانوا عناصر تتسم بالخبث وعدم الولاء ، وإنهم إذا ما عرفوا بأي تغيير في الخطة فسوف يعتقدون أن أي تحرك يتخذ مرده للخوف والجبن ، وليس من شك بأنهم سوف ينحازون إليهم جميعاً ويعقدون مع العدو اتفاقية سلام ، لذا فإن أفضل شيء أن يظل الحال كما هو عليه ، لأنه ليس في مقدور المسلمين أن يخترقوا موقع الجيش الذي بدأ متحصناً .

يضم كل شيء يمكن أن يستفاد منه في الذود والدفاع إلى حين وصول الإمبراطور ، الذي وفق ما ورد في رسائله فإن موعد وصوله لن يطول كثيراً ، وإنما هي أيام قليلة فحسب .

بموجب هذا القرار بقي "د .كريستوفاو" البقاء حيث كان ، وعمل على إرسال خطاب إلى "أفونصو كالديرا" "Afonso Caldera" يخبره فيه بضرورة البقاء خلفه عند سفح السلسلة الجبلية مع مجموعة الخيول والبغال التي

جمعوها ، والحرص على مهاجمة جيش العدو عند الفجر ، وفي ذات الوقت سوف يكون مستعداً لتلقى أول تنبيه وإشعار منه لمساعدته .

كان البرتغاليون جميعاً قد قضوا الليلة الثانية في مواقعهم وأسلحتهم في أيديهم استعداداً لصد أي هجوم يشنه العدو ، وفي اليوم التالي وهو اليوم الثامن والعشرون من شهر أغسطس ، أي اليوم الذي قطعت فيه رأس القديس "جون المعمدان" .

قرر ملك "زيلع" البدء في الهجوم ، وكان قد وضع خطة لجيشه كي يضرب أجزاء وأطراف الجيش في مواقعه حيث بدت له أنها الحلقة الأضعف في تكوين جيش البرتغاليين .

هكذا بدأ زحفه واضعاً الأتراك في المقدمة بدفعيتهم ، فشنوا هجوماً مزدوجاً لأجل إجبار البرتغاليين على إخلاء مواقعهم ، لكن كان "د . كريستوفاو" قد احتاط لهذا الأمر ، وبالتالي توجه إليهم بمساعدة بعض أتباعه ، ولكنه عندما رأى عزم الأتراك خشي أن ينجحوا في اختراق المواقع .

قرر أن يشن عليهم هجوماً مضاداً لإبعادهم عن المنطقة ، وهكذا اختار خمسين شخصاً وخرج من إحدى البوابات للاشتباك مع المجموعة التي تقوم بمهاجمة الموقع وبالفعل تمكن بكثير من الجهد والتضحية من إجبارهم على الابتعاد بعدما قتل الكثيرين منهم .

بسبب أنه يواجه الآن ضغطاً هجومياً كثيفاً من العدو بدأ في التراجع والانسحاب بعدما فقد أربعة من جنوده وإصابته شخصياً بطلق ناري في قدمه .

هنا بدأ العدو في ملاحقته ، وهنا شعر "مانويل دى كونها" بخطر هذه

الملاحقة ، فعمل على الخروج من بوابة أخرى كي يواجههم بقوة وجرأة لم يسبق لها مثيل ، وتمكن من إبعادهم بعدما قتل الكثيرين منهم ، وعاد إدراجه بعدما فقد ثلاثة من رجاله .

كانت المراكز الأخرى أيضاً تعاني ضغطاً شديداً من جانب العدو الذي كان معظم محاربوه على صهوات الخيول .

هنا أحس البرتغاليون بخطورة الموقف فحبذوا الموت في أرض المعركة وليس في الخنادق ، وهكذا تواثبوا من خنادقهم كأسود ضارية مهاجمين العدو بشراسة وإقدام فخاضوا معركة دامية .

اضطر "د .كريستوفاو" بعدما أصيب بجرح في قدمه لمغادرة أرض المعركة مع رجاله بعدما أبلوا بلاء حسناً كجندي مقاتل شجاع وقائد ماهر يقوم بتوجيه وإرشاد جنوده حيناً ويساعدهم في القتال حيناً آخراً ، يخوض معركته ويواجه عدوه بشجاعة وإقدام .

أثناء مراقبته للموقف أبصر "فرانسيسكو دي أبرو" محاطاً بقوة من الأعداء يحملون عليه بعنف ويواجههم بصلابة وقوة وبالرغم من ذلك فقد تمكن من قتل وجرح مجموعة كبيرة منهم ، فترك "د .كريستوفاو" شقيقه "انفورى دى أبرو" مع بعض الجنود الذين يساعدوه .

اندفع نحو العدو غير عابئ بخطورة الموقف حتى أخذ مكانه أمام شقيقه الذي كان حينها قد جرح في القتال ، وبدأ في قتال العدو مظهراً بطولة حقيقية في مواجهتهم ، لكنهم كانوا كثر يفوق عددهم عدد البرتغاليين بنحو الضعف ، وبما أن أؤلئك قد جاءوا كقوة تعزيزية .

قد كانوا يرغبون في لفت انتباه ملك "زيلع" فأظهروا بطولات في القتال ومهارات في الفروسية غير عابئين بقوة البرتغاليين وأسلحتهم المتلألئة التي شهروها في وجوههم ، فتمكنوا من إجبارهم على التراجع إلى خنادقهم .

في هذا الوقت أصيب "فرانسيسكو دى أبرو" بطلق ناري أسقطه أرضاً من صهوة جواده ، وعندما التفت إليه شقيقه لمساعدته للنهوض كان قد أسلم الروح بسبب رصاصة أصابته في مقتل فخر صريعاً فوق جسد أخيه .

كان كلاهما قد خاض المعركة ببسالة وشجاعة لا مثيل لها ، ولا تكفي الكلمات في وصفها ، وإذا أعطى كل شخص محارب ما يستحقه من كلمات الإطراء والتمجيد ، فإن القصة لن تصل إلى نهايتها .

هنا تمت هزيمة البرتغاليين فعادوا إلى خنادقهم ، وهم مضطربون مشوشون بعدما قتل الكثيرون منهم ، وإذا ما أردنا تقييم الموقف نجد أن "د .كريستوفاو" قد عمل على جمع العديد من الجنود محاولاً قدر جهده أن يجمع رجاله حول الشعار الملكي لكنهم كانوا منهكين جداً بلغ منهم التعب مبلغاً عظيماً .

كانت الملكة طيلة هذا الوقت قلقة جداً ، لكنها عملت على تضميد جراح الجنود بنفسها وتقديم المساعدة للنسوة اللائي كن برفقتها يعملن في معالجة الجرحى .

أما "البطريرك" ومن معه من رجال الدين فقد ظلوا راكعين رافعين أيديهم للرب طلباً للرحمة .

ظل "د .كريستوفاو" مستمراً في الانسحاب ما أمكنه ذلك ، حيث كان مطارداً من قبل العدو ، وأشار إلى "مانويل دى كونها" كي يعود برجاله لمناوشة العدو وطرده بعيداً ، وعلى الفور شرع "مانويل دى كونها" في تنفيذ الأمر ، فانقض على جنود العدو كالصاعقة وظل يضربهم دون رحمة حتى تمكن من طردهم قليلاً ، ثم عاد إلى خطوط الجنود البرتغاليين ، لكن برزت مجدداً مجموعة كبيرة من الأتراك لمناوشتهم .

مرة أخرى استدار "د .كريستوفاو" لمواجهتها ، وبالفعل زاد عدد المقاتلين الأتراك ، واشتبك الطرفان في صراع عنيف أظهر البرتغاليون فيه مهارة وشجاعة نادرتين في الفتك بأعدائهم وكانوا كالأسود الضارية في مواجهة خصومهم من غير خوف أو وجل .

من نتيجة المعركة يكاد المرء ألا يصدق أن هذا العدد الضخم من الموتى والجرحى في هذا الاشتباك هو إنجاز وفعل حفنة قليلة من الجنود البرتغاليين بلغ منها التعب مداه ، وإنما عمل مجموعة كبيرة من الجنود أخذوا كفايتهم من التدريب الجيد على القتال والراحة .

حقيقة كان أداء "د .كريستوفاو" في ذلك اليوم جديراً بأن تفرد له مساحات وفصول لوصفه ، لكن حظه العاثر كان قد حسده على إنجازه فأصيب هذا البطل المغوار بطلق ناري في يده اليمنى التي حققت تلك البطولات الفريدة ، فمزقتها كلياً ، أسرع "مانويل دى كونها" لمساعدته كي يقف على قدميه ، ومن ثم قفل راجعاً للعدو الذي كان سعيداً مبتهجاً لإصابة القائد "د .كريستوفاو" .

تمكن "مانويل" مع رجاله من طرد العدو الذي تراجع للخلف ،

وبذلك انتهز هذه الفرصة ليقوم بحمل صديقه فوق ظهره معرضاً نفسه لخطورة كبيرة .

بمرور الوقت أيضاً أصبح اسم هذا الجندي البطل نسياً منسياً ، وذلك بسبب إهمال البرتغاليين الذين كانت لهم أشياء أخرى جديرة بالذكر .

حمل العدو بعنف على البرتغاليين وتدفقت جموعهم كسيل عارم آملين في طرد البرتغاليين وإبعادهم عن خنادقهم ونجح العدو في إصابة "جواو دى فونسيكا" بطلق ناري أرداه قتيلاً ، وكذلك كان الحال بالنسبة "لفرانسيسكو فيلهو" وهما من كبار قادة الجيش البرتغالي ، أفرزا تضحيات جسيمة .

عندما علم "د .كريستوفاو" بمقتلهما طلب من بعض رجاله أن يحملوه إلى ذلك الجزء من أرض المعركة وأخبرهم أن يهتموا بحماية الخنادق حتى لا يتمكن العدو من الدخول ، لكن لم يكن من الممكن أن يتم لهم ذلك لأن الكثيرين قد تراجعوا إلى حيث توجد خيام الملكة معتقدين أنهم سوف يجدون المساعدة هناك .

أما "البطريرك" فبعد أن أحس بضعف الموقف سارع بالهروب بعيداً ممتطياً أحد البغال السريعة تاركاً المعسكر .

بما أن بعض البرتغاليين أدركوا أن هناك قلة من جنود العدو في تلك الجبال فقد أسرعوا في الهروب في أثر "البطريرك" كي ينجوا بأنفسهم .

امتطت الملكة أيضاً أحد البغال محاولة الهروب أيضاً ، وعندما أخبر "د .كريستوفاو" بكل ذلك أرسل بعض رجاله ممن يعتمد عليهم كي يلحقوا بها ويوقفوها حتى لا يضيع كل شيء .

على كل حتى "البارناقيتس" وبقية القادة الأحباش لم يتحركوا من خنادقهم لمساعدة البرتغاليين ، ولوحظ أن الكثيرين منهم قد انضموا "للبطريرك" .

في ظل هذه البلبلة نجح الأتراك في الدخول عبر بعض البوابات التى أصبحت الآن مكشوفة تماماً ، وعندما أبلغ "د .كريستوفاو" بهذا الأمر وأحس أن كل شيء آل إلى ضياع بدت رغبته في الموت في أرض المعركة أشرف له من الوقوع أسيراً في أيدي العدو ، وبالتالي هب عائداً غير عابئ بجراحه ، آخذاً سيفه بيده اليسرى ، وأشار إلى رجاله قائلاً إنني عائد إلى أرض المعركة ومن يرغب فليصحبني .

لكن كان البعض من رفاقه قد ألحوا عليه أن يتخلى عن فكرته هذه ، فأمسكوا به موضحين له أن محاولته هذه يائسة لا جدوى منها ، وأخبروه أنهم على استعداد للموت معه لكن لا فائدة ترجى ، وهم في تلك الحالة ، ومن الأفضل الآن أن ينجو بنفسه كي يعيد الكرة عليهم فيما بعد .

عموماً تمكنوا من إيقافه عنوة ، ومن ثم وضعوه على ظهر أحد الخيول بصحبة أربعة عشر جندياً من رفاقه ، وبعدما صحبوا الملكة ، اتجهوا نحو الجبال ، وقد نجحوا في الإفلات بسبب انشغال الأتراك في نهب المعسكر والحصول على الغنائم .

لكن عندما تم إبلاغ ملك "زيلع" بهروب "د .كريستوفاو" أمر بعض رجاله بملاحقته والمجيء به حياً .

كان الأتراك قد انتشروا في المعسكر ، حيث نهبوا كل شيء ، وعندما دخل البعض منهم خيمة الملكة عثروا على مجموعة من البرتغاليين

الجرحى الذين لم يتمكنوا من الهروب ، فشرعوا في ذبحهم الواحد تلو الآخر بشكل وحشي ، وعندما أحس أحد الجرحى بأن مصيره الذبح سارع بإشعال فتيل من البارود ورماه فوق مجموعة من براميل البارود في الخيمة فانفجر كل شيء في الداخل بحيث لم ينج من الموت أي فرد كان هناك .

عودة للحديث عن "د .كريستوفاو" ، فقد علم أنه عند مغادرة المعسكر كان الظلام كثيفاً بحيث إنهم ضلوا الطريق المؤدية للجبال فهاموا على وجوههم في المنطقة طوال الليل ، وعند الفجر عثروا على أحد الينابيع ، فاتجهوا نحوه كي يخلدوا للراحة ، وتطبيب جراح بعضهم بعضاً ، لكن يبدو أن الحظ العاثر ما يزال يتربص بهم وكأنه لم يقنع بما أصابهم من جراح وتعب ، فقد شاءت الأقدار أن تعثر عليهم مجموعة من الأتراك الذين برزوا فجأة تقودهم إحدى الفتيات من الخدم ، وترشدهم لمكان البرتغاليين .

هكذا تم القبض عليهم وأخذوا أسرى إلى ملك "زيلع" .

عندما مثلوا أمامه تملكه الفرح بشدة واعتبر ذلك مكملاً للنصر الذي تحقق له بفضل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعليه أمر "د .كريستوفاو" أن يقف أمامه ثم أمر بضربه على وجهه مراراً بأحذية الخدم ، ولا شك أن ذلك تصرف بربري .

بعد ذلك أمر بإحضار شموع صغيرة لوضعها كجدائل على لحية "كريستوفاو" ثم أمر بإشعالها ، وأثناء هذه التصرفات المهينة كان الملك يشاهد العرض الذي يقدمه جنوده أمامه .

كان "د .كريستوفاو" يتحمل كل ذلك بصبر شديد وروح عالية ، لأن قلبه عامر بحب الرب والتفاني في خدمته .

بعد ذلك أخذوه كي يقف أمام الملك الذي قام بنفسه بقطع عنقه لأنه كان خشي ما يمكن أن يلحقه به "د .كريستوفاوط إذا ما أبقى على حياته .

أما رفاقه فقد تم الزج بهم في زنزانات محصنة ، مات البعض منهم متأثرين بجراحهم ، ولابد أن الآخرين ماتوا في السجن لأنه لم يعد يُعرف عنهم أي شيء بعد سجنهم .

كان الأتراك قد أسفوا على موت "د .كريستوفاو" لأنهم كانوا قد رغبوا في أخذه إلى عظيم الترك نظراً للبطولات والمآثر التي اتصف بها هذا المحارب المغوار ، واعتبروا تصرف ملك "زيلع" وإقدامه على قتله تصرفاً غير مسؤول .

عودة للملكة ، فإنها بعدما غادرت المعسكر برفقة "د .كريستوفاو" ورفقة "البارناقيس" لم تضل الطريق ليلاً بالرغم من شدة الظلام ، ولقد واصلت سيرها طوال تلك الليلة مع مجموعة من البرتغاليين ، ولقد بدا أن "د .كريستوفاو" لم يكن راغباً في البقاء معها محبذاً الذهاب لبلاد "البارناقيس" ، وعندما وصلت الملكة منطقة الجبال حبذت البقاء في تلك المنطقة الحصينة لكنها كانت حزينة للغاية بسبب انقطاع أخبار "د . كريستوفاو" .

أما بالنسبة للمدعو "أفونصو كالديرا" ، والذي تخلف عن تلك المجموعات ، كما ذكرنا ، كونه كان عائداً من "سيرا دو جوديو" ، حيث

أوكلت له مهمة الإشراف على المطايا ، فيبدو أن الحظ قد حالفه ، لأنه عندما كان متجهاً إلى موقع الجيش التقى مجموعة من الجنود الهاربين من أرض المعركة ، وعندما علم بانسحاب الملكة نحو منطقة الجبال غيّر من من اتجاهه ، ومن ثم سار في أثرها للانضمام لها بمجموعة رجاله الذين يبلغ عددهم نحو الثلاثين ، وكان ذلك مصدر سعادة الملكة .

بعد أيام قليلة وردت الأخبار تفيد بموت "د .كريستوفاو" ، وكانت مصدر حزن الجميع ، أما جموع البرتغاليين الذين فروا في مجموعات صغيرة من أرض المعركة فقد تمكنوا من الوصول أخيراً للجبال ، وقد بلغ عددهم جميعاً نحو مائة وعشرين جندياً ، تفرقوا جميعاً في شتى الأنحاء ، وعرف أن "مانويل دى كونها" قد اتجه على رأس كتيبة ، قوامها أربعون جندياً إلى أرض "البارناقيس" الذين رحبوا به وأغاثوه .

من هناك شرع في إرسال جواسيسه لتقصي أخبار "د . كريستوفاو" والبحث عن الملكة التي انقطعت أخبارها عنه ، وسوف أتركهم هنا مع أحزانهم ، ولي عودة مجدداً إليهم .

وفي العام نفسه (١٥٤١م)

أرسل الريس ركن الدين ، قاضي هرمز رسالة إلـى الريس شرف ، يروي فيها ما كان يجري بين مانع بن راشد بن مغامس ، ملك "الأحساء" ، والرئيس محمد ، حاكم البحرين ، ويحكي كيف أنه عندما استولى ملك "الأحساء" على البصرة ، علم أن حاكم البحرين أمر بتدمير مائة وخمسين مركب "باراو" ، بالنار ، جاء فيها : (٤٠)

"رسالة إلى فخامتكم ، وأدعو الله أن يزيدكم رفعة ، وأن يبارك ، ويحمي حياتكم ، ويوجه أعمالكم ، ويرعى أطفالكم ، ويستجيب إلى صلواتكم .

لقد فهمت كل الذي كتبتموه لي ، ونحن جميعاً ندعو الله أن ينعم عليكم بالصحة دائماً ، وأن يجعلكم تحققون رغباتكم ، وتدعوه أن يتيح

(٤٠) رقم الوثيقة والهامش.

لنا أن نلتقي كما كنا نلتقي سابقاً ، وأن يجعلنا نحيا لنشهد هذا الحدث المفرح الذي نتوق إليه جميعاً منذ مدة طويلة .

نحن نعرف مما قلتموه في رسالتكم أن علينا أن نتوقع وصولكم مع أول أسطول يصل ، وندعو الله أن يحدث ذلك .

إنني آسف لأنني لا أعرف إذا ما كنت سأجد أي أحد يرغب في أن يستلم مني الوزارة ، وهي مكافأة على ورود البشارة بخبر سعيد ، لأنني وكمكافأة سأعطي حياتي إن لم يكن لدي أي شيء آخر أقدمه . إن عيوننا لتتوق لرؤياكم وإن قلوبنا ترغب في وجودكم بيننا .

بعد هذا كله ، أريد منك أن تعرف أن الأمور كلها جيدة في هذه المنطقة ، وأن الأنباء والأحداث في هرمز تفيد بأنه لا يوجد ما يستوجب الكتابة عنه .

بالإشارة إلى قولكم بأنه يتعين عليّ أن أخدم ملك هرمز بشكل حسن ، فإن الله يعلم كيف خدمته ونصحته باحترام كبير ، ولكن الحقيقة هي أنه لم يقبل نصحي أبداً أو نصائح أي أحد آخر ، وكان دائماً يستغل مركزه ، ولا أعتقد أنه يستطيع أن يتفق مع أي شخص .

على أي حال ، إنه كما عرفتموه دائماً وزيارتكم هي بسببه ، وندعو الله أن يجعل زيارتكم تتم بالطريقة التي وضعتموها في رسالتكم ، وأن تتلقوا أنباء عنه وعن أحواله ووضعه عندما تكون في "غوا" .

على مدى عامين ونصف ظللت أخدم ابنه الذي يشغل مكانه الآن ، ولله الحمد لم يحدث حتى الآن أي حادث مؤسف .

أما بالنسبة لطلبكم مني رعاية منزلكم والأطفال ، فقد ظللت أقوم بذلك بأفضل ما أستطيع ، وإنني أدعو الله أن تعود قريباً للعناية بهم كما فعلت أنا .

إن الريس محمد ، حاكم "البحرين" ، بصحة جيدة ، وإن الشيخ مانع بن راشد ، ملك "الأحساء" الحالي ، جاء إلى "القطيف" وقرر أن يغزو "البحرين" ، وهناك الكثير من سوء التفاهم بينهما إلى حد أن سيداً من "الأحساء" يدعى سعيد عبد الله ، تصرف كوسيط في محادثات سلام بينهما .

بعد إحلال السلام بقليل دعا ملك "الأحساء" المذكور عدداً كبيراً من الناس وانطلق إلى "القطيف" مجدداً ، إلى قلعة جديدة كان قد أمر ببنائها بعد هدم القلعة التي كانت قائمة من قبل .

قد فهم رجاله والأهالي أنه أراد شن الحرب على مسلمي "البحرين" ، وفرّ معظمهم مع نسائهم وأطفالهم ، وكان أول من هرب هم محمد بن رعال (هكذا) وصايم ابن رعال وأفراد عائلته الذين جاؤوا مع رجل آخر من البحرين ، اسمه محمد بن مُسلم ، وقد جاء أيضاً ومعه جميع أتباعه .

عندما رأى ملك "الأحساء" المذكور آنفاً هذا غادر إلى "البصرة" ولكنه عندما اقترب منها واجهه عدد كبير من السكان الذين قتلوا عدداً كبيراً من رجاله .

بالرغم من أن الملك أصيب بجرح بالغ ، إلا أنه فر على ظهر جواد ، وعاد إلى "الأحساء" ، حيث استدعى مجدداً الكثير من الرجال ، ولكنه ما كاد يفعل هذا حتى تلقى نبأ وفاة ملك البصرة ، وكان ذلك الملك

واحداً من أفراد عائلته ، ولكنه كان تحت السيطرة التركية ، وسيخلفه نجله الصغير الآن كملك .

فور سماع ملك "الأحساء" هذا الخبر انطلق مع رجاله إلى البصرة ، وفور مغادرته جمع حاكم البحرين ، الريس حمد ، الكثير من الفرس والعرب ، وتقدم نحو القطيف ، حيث أحرق مائة وخمسين مركباً بين كبير وصغير .

أما كل المراكب التي تخص ملك هرمز وقد خانته فقد انضمت إلى ملك "الأحساء" ، إلى حد أنه عندما وصل الأخير إلى البصرة ، فتح الأعيان بوابات المدينة له ، ونصبوه ملكاً على البصرة .

فور حدوث ذلك ، عرف كيف أحرق حاكم البحرين سفنه ، أمر على الفور بالاستيلاء على جميع السفن التي في "البصرة" والتي تخص تجاراً من البحرين ، وصادر كل البضائع التي كانت تحملها .

عندما رأى أعيان "البصرة" ما فعله لمسلمي البحرين وتجارها ، طردوه من البصرة ، بما أنهم لم يرغبوا في أن يحكمهم ، واختاروا واحداً من أقاربه ملكاً عليهم ، وهو الشيخ يحيى ، وقد أعاد السفن والبضائع إلى مسلمي البحرين ، وأمر الشيخ بدفع تعويضات لكل شخص تعرض لأضرار .

الشيخ يحيى رجل طيب للغاية ، ويحرص على كسب صداقة البرتغاليين ، وأما ملك "البصرة" المذكور أعلاه -الذي جرى طرده من المدينة ، فقد عاد إلى "الأحساء" ، حيث استمر في حلمه بالاستيلاء على البحرين ، وهو ما لن يكون صعباً عليه إذ إنه قوي للغاية ، ولديه الكثير من الرجال عندما يحتاج لدعوتهم .

فور معرفتي بهذه الأنباء أبلغت قائد هرمز ، "مارتيم أفونسو دو ميلو" "Martim Afonso de melo" ، والسكرتير وكبار البرتغاليين ، وأخبرتهم بالحاجة لأسطول مسلح يتجه للدفاع عن البحرين أو لبناء قلعة في ميناء القطيف ، لتوفير الحماية للبحرين .

بعد ثلاثة أيام من تزويدي إياهم بهذه المعلومات ، ردّ عليّ القائد والسكرتير بالقول : إن مولانا الملك لديه الكثير من دواعي الإنفاق في الهند وفي هرمز ، ولن يكون ممكناً إرسال أسطول قوي .

عموماً ، فقد رأيا أن حاكم البحرين سيستدعي جميع رجاله والأقارب ، وأننا سنستلم الأموال المستحقة من جميع الفرس الذين عليهم إيجارات يدفعونها في البحرين ، وسنستخدم تلك الأموال المتحصلة على مدى عام في أسطول من السفن يتجه للاستيلاء على القطيف .

لذلك الغرض أصدر القائد والسكرتير رخصة موقعاً عليها منهما بالنيابة عن ملك البرتغال ، وقررا أيضاً أنه في حال الاستيلاء على القطيف فيمكنه الاحتفاظ بها إلى الأبد دون أن يتمكن أي أحد في وقت من الأوقات من انتزاعها منه ، ووافق ملك هرمز على هذا وأصدر رخصة أخرى لذلك الغرض .

هكذا صدر الأمر ، وتمت الموافقة على أن يجمعوا كل الإيجارات من الأجانب (من الفرس) ومن أقاربهم من أجل بناء أسطول السفن لمهاجمة القطيف ، وكانت تلك هي الاتفاقية ، ولم يتقرر شيء آخر حتى الآن ، ويساعد محمد بن رعال ومحمد بن مُسلم على بناء الأسطول .

أود أن أخبركم أن الشيخ طهماس ، نجل الشيخ إسماعيل ، غادر إلى سيلان لتهدئة أشخاص لا يرغبون في الانصياع له .

أريد أن أخبركم أيضاً عن عملي والطريقة التي أؤديه من خلالها نيابة عن ملك البرتغال ، فمن واجباتي إرسال الرسل في كل سنة إلى "القاهرة" وعدن على حسابي وإلى أماكن أخرى ، حيث يمكنني أن أحصل على أنباء بشأن التركي وقادته ، وحتى الآن ليس لدي ما أقوله في هذا الصدد خلاف ما تعرفونه بالفعل وما قلته لقائد القلعة .

ربما تعتقدون أنني أتمنى كثيراً أن أخدم الرب بالطريقة الحسنة ذاتها التي خدمت من خلالها ملك البرتغال ، وإنني أعتقد أن سموكم سيعلم بهذا .

أدعو الرب أن يمنحكم عمراً مديداً ومزدهراً وهو كل الذي أرجوه لكم" .

وفي العام نفسه (١٥٤١م)

أرسل "كونت فيميوسو"(أ) "Count of Vimioso" ، رسالة إلى "كونت كاستانيرا" "Count of Castanheira" ، جاء فيها أن الأسطول التركي في البحر الأحمر : (٤١)

توفي "دوم غارسيا دي نورونها"(ب) وكان من المفترض أن يخلفه "مارتيم أفونسو"(ت) ، ولكنه كان في البرتغال ، وانتقل موضوع الخلافة

(أ) كان "دوم فرانسيسكو دو برتغال" "كونت فيميوسو" شخصاً بارزاً للغاية في عهدي "دوم مانويل" و"دوم جواو الثالث" . وقد خدم كوزير للخزانة في العهدين ، وكان "دوم مانويل" هو الذي أنعم عليه عام ١٥١٥م ، بلقب "كونت فيميوسو الأول" . وطبقاً لـ "بيدرو دو الكاسوفا كارنيرو" فإن خلافات كثيرة في الرأي حدثت بين "دوم فرانسيسكو" و"كونت كاستانيرا" وكان زميله في مجلس الملك ، على الرغم من أنهما كان في البداية صديقين حميمين .

(ب) في عام ١٥٤٠م في الهند .

(ت) كان "مارتيم دو سوزا" قد غادر في عام ١٥٣٩م .

(٤١) رقم الوثيقة والهامش.

إلى دوم "ايستيفاو دي غاما"[أ] ، وقد انتقل إليه منصب حاكم الهند ، وجرى تسليم كل ممتلكاته إلى وكالة سموه التجارية[ب] . وقد أرسل كل ممتلكاته إلى وزير الخزانة ، وطلب منه أن يصادق على كل الممتلكات وديونها ، وجرت المصادقة عليها كلها .

أوضح أن ما وصل إلى البرتغال أكثر مما اشتراه بالفعل ، فيجب اعتبارها بضائع مسروقة ويجب إنفاقها كلها لخدمة سموه ، وقد بُدئ بتنفيذ ما عرضه خلال حياة "دوم غارسيا" .

ويوشك الأسطول الآن على الإبحار إلى مضيق مكة[ت] ، ويتألف من مائة وخمسين سفينة وخمسة آلاف رجل[ث] ، والموضوع هو أن الأسطول التركي كان في طريقه إلى الهند ، ولم أكن متأكداً من هذا ، إذ إننا علمنا الآن بأخبار الأسطول التركي ، ولكننا جميعاً نريد من "نونو دا كونها"[ج] أن يتخذ إجراء إذا كان الأسطول التركي في طريقه إلى هنا .

(أ) عن موضوع هذه الخلافة ، انظر "غاسبار كوريا" ص١١٩ و ١٢٠ . وكان "استيفاو" نجل "فاسكو دا غاما" .

(ب) كتب "كوريا يقول : "كان "دوم استيفاو" ثرياً ، لقد جلب مقادير كبيرة من المال من ملقا : وكان هذا هو أفضل ما يمكن أن يحدث للهند ؛ لأنها كانت بحاجة ، وكل شيء بها لحق به الدمار . وكان الحاكم الجديد يدرك هذا جيداً ولذلك قرر أن ينفق ما كسبه وأرسل لمراقب الخزانة عشرين ألف "بارداو " .

(ت) هذا هو "فياجيم دو غوا" الشهير الذي ورد ذكره في "Roteiro" "دوم جواو دو كاسترو" . وقد أبحر الأسطول في الحادي والثلاثين من ديسمبر عام ١٥٤٠م .

(ث) كان هذا أضخم أسطول أرسله حاكم على الإطلاق إلى البحر الأحمر .

(ج) أن "نونو دا كونها" البائس لم يجد الفرصة أبداً ليفعل هذا ؛ لأنه عندما كان الأسطول على وشك الإبحار ، وصل نائب الملك "غارسيا دي نورونها" وحل محله .

من الخطابات القليلة التي وصلت ، يبدو أن الجميع هناك يوافقون ، وأن السفن ظلت تستعد منذ وقت طويل ، ونأمل أن يرضى الرب عن استيلاء الأسطول على عدن وإشعاله النيران في سفن "الغليون" التابعة للتركي .

وفي العام نفسه (١٥٤١م)

صدر تحقيق في هرمز عن سلوك "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكو" "D . Pedro de Castelo Branco" ، القائد السابق لقلعة تلك المدينة ، هرمز ، في الثالث والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٥٤١م : [٤٢]

(....)

٧- فقرة : إن كان قد ضاجع أي نساء قدمن له شكاوى أو جئن لتقديم استئناف .

٨- فقرة : إن كان قد جعل الموظفين الذين يعملون تحت خدمته يتوخون التقيد وإطاعة الأوامر المحلية في المناصب التي يتولونها والتي أقسموا على القيام بها في المحكمة العليا .

٩- فقرة : إن كان قد تلقى قروضاً من أي أشخاص قدموا طلبات

(٤٢) رقم الوثيقة والهامش.

أو كانوا سيقدمون طلبات ليقضي لهم بعض الأعمال أو غير ذلك ، أو كـان متغطرساً ووقحاً وسيئاً مع الرجال الذين قصدوه لتقديم أي مطالب ، سوى أكانوا مسيحيين أو يهود أو مسلمين أو تجاراً من أي بلد أجنبي جاءوا إلى تلك المناطق مع بضائعهم .

١٠- **فقرة** : إن كان في قلعته أي أبناء ذوات أو فرسان أو أشخاصٍ مهمين آخرين كانت لهم مشاجرات وكونوا مجموعات عدوانية وحاول أن يجعل منهم أصدقاء وأن يتصالح معهم .

١١- **فقرة** : إن كان قد أمن دفع المبالغ المستحقة عن أي شيء تم أخذه بالقوة من المسيحيين أو أي كافر دون أن يسدد قيمة ذلك .

١٢- **فقرة** : إن كان قد شارك في تجارة داخل أو خارج القلعة بممتلكات الملك أو بواسطة الكاتب التجاري وكتبة المصنع الذين سمح لهم بذلك .

١٣- **فقرة** : إن كان قد مارس التجارة في أي من السلع الممنوعة داخل أو خارج الدولة .

١٤- **فقرة** : إن كان عن طريق خطئه تسبب في هذه البلاد بأي خسائر (للخزينة) ، والقلعة أو إضرار في أي من سلطاته القضائية .

١٥- **فقرة** : إن كان قد تعامل مع ملك هرمز باحترام كما يأمر سيدنا الملك بذلك ، أو استعدى رئيس وزراء المسلمين أو أي مسلمين أشراف أو استولى على ممتلكاتهم بالقوة أو أخذها بدلاً عن أعمال طلبت منه كانت جزءاً من واجباته .

"جيرونيمو" (رودريجز ، قاضي التاج)

من ثم في الخامس سبتمبر من هذه السنة عام ١٥٤١م قام قاضي التاج المذكور وشخصي ، الكاتب ، بالتحقيق مع الأشخاص التاليين عن البنود التي ذكرت بأعلى ، "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكو" قد طلبت منه أن يشهد على قسمهم ، وكانت إفاداتهم كما يلي :

أنا ، "ديبجو مينيز" ، الكاتب ، كتبت هذا الاستجواب :

فقرة : "فيرناو ألفاريز سارناشو" ، قائد قلعة هرمز ، شهد بعد قسمه على الانجيل الذي أداه بحضور قاضي التاج المذكور ، وذلك بوضع يده اليمنى عليه ، تم استجوابه عن البنود المدرجة بأعلى والتي قرئت وأعلنت له أكثر من مرة بواسطة قاضي التاج .

عند سؤاله عن الفقرة الأولى من تلك البنود قال إنه يعرف فقط أن "دوم بيدرو" قد نفذ العدالة عندما طلب منه ذلك ، ولا يوجد أدنى سبب يجعله يمتنع أو يتأخر عن القيام بذلك .

فقرة : وعند سؤاله عن الفقرة الثانية قال الشاهد إنه علم فقط أن "دوم بيدرو" كان رجلاً محترماً وعادلاً ومحباً لإقرار العدل ، وإنه لن يتوانى أبداً في اعتقال كل من يرتكب جرماً إن رآه أو عرف أنه في قلعته .

فقرة : وعن الفقرة الثالثة أجاب الشاهد أنه علم فقط أن "دوم بيدرو" رفض العديد من الهدايا والإكراميات التي قدمت له ، لأنها لم تكن تصب في مصلحة سيدنا الملك .

سئل عن كيفية معرفته إن كان "دوم بيدرو" قد تلقى مثل تلك العروض ولم يقبلها ، فقال الشاهد أن الريس (خالص) الدين قد تقرب

من الشاهد وطلب منه أن يطلب من القائد "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكو" أن يعطيه رئاسة حكومة البحرين وأن الريس "خالص" الدين سيعطيه عشرة آلاف "باردوس" كل سنة كجزية لسيدنا الملك ، وإن كان قد منح رئاسة الوزارة فإنه سيعطي القائد المذكور مائة "ليكوس" وهي تساوي خمسة آلاف "باردوس" ، وسيقدم ثلاثمائة "باردوس "وفرساً للشاهد على مساعدته مع القائد .

كان مستعداً لإعطاء الشاهد نقوده في الحال ، لكنه لم يقبلها .

ذهب إلى "دوم بيدرو" وتلا عليه رسالة الريس (خالص) الدين ، وأجابه بأنه كان سعيداً جداً أن يقدم ما وعد القيام به لسيدنا الملك ، إلا أنه لا يريد أي شيء سوى الوعد الذي قطعه صاحب السمو ، ولأنه وجد أن الريس (خالص) الدين لم يفي بما وعد به (سيدنا؟) الملك ، ولأسباب أخرى مقبولة ، فإنهم لم يمنحوه رئاسة الحكومة .

لكن إن أراد "دوم بيدرو" قبول "الليكوس" التي عرضت عليه ، وكان مستعداً لأخذ الأموال ، لكان قد منحه منصب رئاسة الوزارة ، لأنه كان في مقدوره بما له من سلطة أن يفعل ذلك .

فقرة : استجوب عن الفقرة الرابعة فقال الشاهد (.......)

فقرة : استجوب عن الفقرة الخامسة فقال الشاهد (......)

فقرة : استجوب عن الفقرة السادسة فقال الشاهد إنه لا يعرف أي شيء ، وعند حدوث تلك الأمور تعامل معها سوياً مع قاضي التاج لكل ما بدا له صحيحاً .

فقرة : عند سؤاله عن الفقرة السابعة قال الشاهد (......)

فقرة : عند سؤاله عن الفقرة الثامنة قال الشاهد إنه في هذا الخصوص علم فقط أن "الدوم بيدرو" كان يتعامل معهم عندما يرى أن عليهم عدم القيام بما فعلوه بحسب ما تتطلبه الحالة ، لأنه حاول أن يؤمن طاعة الكاتب التجاري والموظفين الآخرين له وللأوامر الصادرة عن سيدنا الملك ، وقاموا بالتآمر ضده ، ولذلك نقل من هنا إلى الهند نتيجة للأمور التي اتهموه بها ، والتي برهن هو على عدم اقترافها .

فقرة : عند سؤاله عن البند التاسع لتلك المواد قال الشاهد ....

فقرة : عند سؤاله عن البند العاشر قال الشاهد إنه يعرف أن في هذه القلعة بعض الرجال العدائيين لآخرين ، وإن هذا كان متوقعاً أن يقود لتشكيل فصائل ومجموعات ، وقام "دوم بيدرو" بمصالحتهم ، وجعل منهم أصدقاء لبعضهم البعض .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة (؟) فقال الشاهد إن أي قوة كانت ستستخدم في المدينة ضد أي شخص أو أشخاص ، أكد أن ممتلكاته ستعاد إليه / إليهم مع تعويض مناسب يدفع لهم .

فقرة : عند سؤاله عن البند الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر قال الشاهد (.....)

فقرة : عند سؤاله عن البند الخامس عشر قال الشاهد إنه على علم فقط أن "دوم بيدرو" عامل موظفي وضباط هذه المملكة بكثير من التقدير دون أي عداء لأي منهم ، كما عامل ملك هرمز بالاحترام

الذي أمرنا سيدنا الملك التحلي به ، وحالياً أثناء سجنه تصرف أيضاً بكل تواضع وأن ملك هرمز فعل كل ما أمر به السيد الحاكم ، ولم تحدث أي ثورة أو تحريض على التمرد في البلاد .

لم يزد عن ذلك وعن علاقته لم يذكر (أي شيء) .

****

كتب هذا "ديبجو منديز" "فيرناندو ألفاريز سيرناشو" ، قاضي التاج "جيرونيمو رودريجز" .

****

فقرة : "فرانسيسكو لوبيز" ، الكاتب التجاري بـ هرمز شاهد على القسم الذي تم على الإنجيل والذي أعده وأشرف عليه المحقق المذكور .

تم استجوابه عن البنود المذكورة أعلاه والتي قرئت وأعلنت له عدة مرات من قبل قاضي التحقيق .

عند استجوابه عن البند الأول من تلك البنود قال الشاهد إنه علم أن "دوم بيدرو" قد مارس وتدبر أمر العدالة في القضايا التي عرضت عليه ، وحول البقية لقاضي تاج سيدنا الملك ، وهو رجل لا تتسبب الرشوة أو الحب أو الكراهية في دفعه للقيام بما لا يجب أن يكون ، ولم يذكر أكثر من ذلك .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية ، فقال الشاهد إنه كان يعلم أن "دوم بيدرو" قد أمر بإلقاء القبض على المجرمين بحرص واجتهاد كبير لأي من الموجودين منهم في البلاد .

تمرد في هذه السنة عشرة أو اثنا عشر من العبيد الزنوج وذهبوا إلى الجبال وسيأتون من هناك للقيام بأعمال عنف في المدينة ، وقد أمر بإلقاء القبض عليهم وإعدامهم .

عندما هرب المسلمون المسجونون لقيامهم بتمرد وثورة في "قلهات" من السجن وذهب السجان معهم ، اتخذ القائد إجراء سريعاً وبعث برئيس الميناء بعيداً عن هذه الجزيرة لأنه أساء وفرط في حراسة الميناء ، وقد حث على وجه الخصوص أولئك الذين ذهبوا من هنا مع (.....) إلى "قلهات" بالقبض على السجان والمسجونين الذين ذهبوا معهم ، ولم يذكر أي شيء آخر عن هذه الفقرة .

فقرة : استجوب بخصوص الفقرة الثالثة فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً لهذه القلعة رفض العديد من الهدايا الضخمة حتى يؤدي بعض الخدمات التي طلبت منه ، لأنها لم تكن في مصلحة سيدنا الملك .

فقرة : استجوب عن الفقرات الرابعة ، الخامسة ، السادسة والسابعة فقال الشاهد (...)

سئل عن الفقرة الثامنة فقال الشاهد إنه يعرف أن "الدوم بيدرو" عندما كان قائداً جعل الموظفين (.....) يتقيدون ويطيعون الأوامر المحلية التي تلقوها من سيدنا الملك ، وكان يعلم ذلك لأنه كان الوسيط التجاري لسيدنا الملك .

فقرة : استجوب عن الفقرة التاسعة فقال الشاهد إن "الدوم بيدرو" عندما كان قائداً أقرض في كثير من الأحيان من ماله الخاص العديد من

الرجال من هذه البلاد ، ورآه يرحب ويكرم التجار الأجانب وأشخاصاً آخرين جاؤوا إلى هذه البلاد .

فقرة : أجاب عندما استجوب عن الفقرة العاشرة أنه يعلم من خلال فترة "دوم بيدرو" وقعت القليل جداً من المشاجرات ، وإن ثار أي أحد فإن "دوم بيدرو" يقوم بتهدئته والآخرين في الحال ، ويجعل من المشاركين في ذلك الأمر أصدقاء ويعم بينهم السلام .

فقرة : استجوب عن الفقرة الحادية عشرة فقال الشاهد إن ذهب أي شخص إليه لتقديم شكوى بخصوص أي شيء أخذ منه فإنه يأمر في الحال بإعادته أو دفع ثمن في مقابل ذلك .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية عشرة فقال الشاهد إنه الوسيط التجاري لسيدنا الملك في هذه القلعة وإنه لم ير مطلقاً "دوم بيدرو" في كل فترة عهده إن قدم مالاً يخص الملك ليستخدم في التجارة ولم يسمح لموظفيه بممارسة التجارة .

فقرة : سئل من عن الفقرة الثالثة عشرة فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة فقال الشاهد إنه يعلم من خلال الفترة التي كان فيها "دوم بيدرو" قائداً أنه فعل الكثير ليطور ويزيد من مصالح سيدنا الملك ، وتسلم كل مكاتب الجمارك من ملك هرمز لمصلحة سيدنا الملك ، وفي عهده ربح مكتب الجمارك وحصل على عائدات أكثر مما كان في السنوات الماضية ، وقد شغل نفسه في ذلك بكل جداره واجتهاد .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فقال الشاهد إنه يعرف عندما كان "دوم بيدرو" قائداً كان دائماً يعامل الملك ورئيس وزراء هرمز بكل احترام كما أمر سيدنا الملك ، وأولى موظفي المملكة كل تقدير ، ويعلم أن "دوم بيدرو" أعطى ملك هرمز أغراضاً من الذهب وأشياء أخرى رآها هو بأم عينه .

أما بخصوص العلاقة فقال أنه كان صديقاً مقرباً من "دوم بيدرو" ،

قال إنه أجاب بكل صدق عن كل ما سئل عنه ، ولم يذكر بعدها أكثر من ذلك .

****

كتب هذا "ديبجو مينديز" "فرانسيسكو لوبيز" . "جيرونيمو"

****

فقرة : الريس نور الدين رئيس وزراء هرمز شهد تحت القسم الذي أداه أمام قاضي التاج وحلف على المصحف (القرآن الكريم) حسب عادة المسلمين .

سئل عن الفقرات التي وردت بأعلى والتي صرح بها له عدة مرات بواسطة "ديبجو دي ميندز" مترجم السلطة القضائية .

سئل عن البند الأول فقال الشاهد (......) .

فقرة : استجوب عن الفقرة الثانية فقال الشاهد (.....) .

فقرة : سئل عن الفقرة الثالثة فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً في هذه البلاد كانت تقدم له رشاوي لعمل

أشياء طلبت منه ، وبما أنها لم تكن في مصلحة سيدنا الملك فإنه لم يكن يقبلها .

فقرة : استجوب عن الفقرة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من تلك البنود فقال الشاهد (......)

فقرة : سئل عن البند الثامن فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً نصح وأخبر الشاهد وموظفي مكتب الجمارك أنه عليهم دائماً خدمة سيدنا الملك وتنفيذ الأوامر المحلية التي تلقوها من السيد الحاكم .

فقرة : استجوب عن البند التاسع والعاشر وقال الشاهد ....

فقرة : سئل عن البند الحادي عشر فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً لهذه القلعة سمع التماسات من شخص أو أشخاص جاءوا إليه بشكاوي عن أشياء كانت قد أخذت منهم وأمّن في الحال أن تدفع لهم قيمتها .

فقرة : سئل عن البند الثالث عشر والرابع عشر فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن البند الخامس عشر فقال الشاهد إنه عامل الملك دائماً بكل احترام وأبدى له الكثير من التقدير ، وكان في غاية الكياسة مع الشاهد ومع الأمراء الآخرين والمسلمين الاجلاء .

لم يقل أكثر من ذلك ، أما بخصوص العلاقة فلم يقل (أي شيء) .

****

كتب هذا "ديبجو منديز" "الريس نور الدين" ، رئيس وزراء المسلمين . "جيرونيمو" . "ديبجو دي يمندوزا" ، مترجم السلطة القضائية الذي شرح له كل شيء .

****

فقرة : "ادريان مونيس" ، شاهد تحت القسم أدى اليمين على الإنجيل المقدس قدمه له قاضي التاج المذكور ، تم استجوابه عن البنود المذكورة بأعلى والتي صرح له بها من قبله عدة مرات بواسطة قاضي التاج .

فقرة : سئل عن الفقرة الأولى من تلك البنود فقال الشاهد (....)

فقرة : سئل عن الفقرات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من تلك البنود إلا أن الشاهد قال (.......)

فقرة : استجوب عن الفقرة الثامنة فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" كان مجتهداً وجاداً في جعل الموظفين التابعين لسيدنا الملك يتقيدون ويطيعون الأوامر المحلية التي تلقاها من سموه .

فقرة : استجوب عن الفقرة التاسعة ، قال الشاهد (.......)

فقرة : عند سؤاله عن الفقرة العاشرة قال الشاهد بعدم حدوث أي شجار أو عراك في هذه المدينة عندما كان "دوم بيدرو" قائداً عاماً لها ، ولم يقم بمصالحة أي أشخاص متورطين وجعلهم أصدقاء لبعضهم البعض .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فقال الشاهد إنه لو سئل من

قبل أي جماعة لإعادة أي شيء أخذ من قبل فإنه يؤمن إعادته بكل نزاهة وشفافية .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة فقال الشاهد (.....)

فقرة : استجواب بخصوص الفقرة الخامسة عشرة فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً لتلك القلعة احترم دائماً وقام بخدمة ملك هرمز كما أمر سيدنا الملك بذلك ، كما عامل كبير وزراء المسلمين والموظفين الآخرين بالمملكة بكل عطف وكرم ولم يتسبب في أي عداء معهم .

لم يقل أكثر من ذلك ، أما بخصوص العلاقة فقال إنه كان صديقاً لـ "دوم بيدرو" كما يجب أن يكون عليه الرجال في هذه القلعة .

****

كتب هذا "دييغو ميندز" "ادريان مونيس" "جيرونيمو"

****

فقرة : "فرانسيسكو داالميدا" كاتب مستودع المؤن والمواد بالقلعة ، شهد بعد أن أدى القسم على الكتاب المقدس (الإنجيل) بحضور قاضي التاج .

قد استجوب عن البنود التي ذكرت أعلاه والتي صرح بها له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

فقرة : سئل عن الفقرة الأولى فقال الشاهد إن "دوم بيدرو" عندما

كان قائداً لتلك القلعة حكم وجعل العدالة تأخذ مجراها بكل شفافية لكل الأطراف عندما طلب منه ذلك ، ولم يتوان عن القيام بذلك لأي سبب من الأسباب .

فقرة : استجوب عن الفقرة الثانية وأفاد الشاهد إنه في عهد "دوم بيدرو" وعند وجود أي مجرمين أو مخطئين فإنه اتخذ إجراءات صارمة حتى يتم القبض عليهم .

أما في الفقرة الثالثة فقد قال (.....)

فقرة : عند سؤاله عن الفقرة الرابعة أفاد الشاهد أن "دوم بيدرو" كان يدفع قيمة الأشياء التي يأتي بها لمنزله بالسعر الذي تستحقه في البلاد ، وأحياناً بأكثر من قيمتها حتى لا يقول الناس إنه استغل وضعه .

فقرة : استجوب عن الفقرات الخامسة والسادسة والسابعة فقال الشاهد (.....)

فقرة : استفسر عن الفقرة الثامنة فقال الشاهد عندما كان قائداً في هذه البلاد حاول دائماً تأمين وتأكيد تقيد وطاعة الموظفين التابعين لسيدنا الملك بكل الأوامر المحلية فقال الشاهد إنه يعلم بذلك لأنه كان كاتب مستودع هذه المدينة .

فقرة : استجوب عن الفقرة التاسعة وأفاد الشاهد أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً لهذه القلعة كان دائماً يعامل الرجال المحليين برقة وبتواضع كبير دون أن يسيء أو يستعدي أياً منهم بفعل القادة والأشخاص الآخرين .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فأفاد الشاهد إنه في حالة وجود أي أشخاص في هذه المدينة يستعدون بعضهم البعض فإنه يحاول جعلهم أصدقاء ومصالحتهم مع بعضهم كما يفعل كل مرة .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فقال الشاهد إنه يعرف بأن أي شخص يتقدم من القائد لعرض التماس أو شكوى بأن شيئاً ما قد أخذ منه أو أي فعل غير صائب ارتكب ضده ، فإنه يقوم في الحال بالبت في دفع قيمة ما أخذ منه وتعويضه عنه .

فقرة : استفسر عن الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وأفاد الشاهد (.......)

فقرة : استجوب عن الفقرة الرابعة عشرة فأفاد الشاهد أنه في عهد "دوم بيدرو" كقائد للقلعة كان يضيف دائماً لخزينة سيدنا الملك ولم يفقد سموه أي شيء من خلال أي أخطاء تمت من جانبه .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فأفاد الشاهد أنه يعلم بأن "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكو" ، عندما كان قائداً ، عامل ملك هرمز دائماً بكل احترام ، كما أمر سيدنا الملك بذلك ، وأكرم ورحب بكبير وزراء المسلمين وموظفي المملكة ولم يأخذ منهم أي شيء .

لم يقل أكثر من ذلك ، وفيما يتعلق بعلاقته معه قال إنه صديق "لدوم بيدرو" مثل كل الأشخاص الآخرين في هذه القلعة ولم يزد عن ذلك .

****

"ديبجو منديز" كتب هذا ، "فرانسيسكو دالميدا" "جيرونيموس"

****

فقرة : "ديبجو رودريجز د ازيفيدو" ، الوسيط التجاري للأدوية التابع لسيدنا الملك في مدينة هرمز ، شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس ، وحلفه عليه القاضي التاج ، استجوب عن المواد المذكورة أعلاه التي قرئت وصرح له بها عدة مرات من قبل قاضي التاج .

سئل عن الفقرة الأولى فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً لهذه البلاد أقام العدل بكل أمانة للأشخاص الذين تقدموا بالتماس له .

عندما جاء قاضي التاج لهذه البلاد كان "دوم بيدرو" مسروراً جداً بذلك لأنه كان موظفاً لسيدنا الملك وسينصحه بما يجب عليه فعله فيما يتعلق بوظفيته .

فقرة : سئل عن الفقرتين الثانية والثالثة فقال الشاهد (.......)

فقرة : استجوب بخصوص الفقرات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فقال الشاهد (.....)

فقرة : استجوب بخصوص الفقرة الثامنة من تلك البنود فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة فقال الشاهد إنه لم يسمع مطلقاً إن قام "دوم بيدرو" بطلب قرض مالي من أحد عندما كان قائداً ليمارس به عملاً تجارياً أو أي شيء آخر .

على العكس من ذلك فقد سمع منه دائماً أنه جاء إلى هنا مكتفياً تماماً ولا يحتاج إلى شيء ولا أن يطلب أي مال من أحد .

كان الشاهد يعلم بذلك طيلة وجوده في المدينة قائماً على أعمال الأدوية لسموه .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فأفاد الشاهد أنه ومنذ وجود "دوم بيدرو" في هذه القلعة للمرة الثانية فإنه لم يشاهد أي نزاع أو خلافات حتى الوقت الحالي . عندما كان يقوم أحياناً بعض الرجال البارزين بصب غضبهم على بعضهم البعض ، وكان يقوم بإجراء الصلح بينهم ويجعل منهم أصدقاء .

فقرة : استجوب بخصوص الفقرات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة وأفاد الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة فأفاد الشاهد أنه وطيلة وجوده هنا شاهد ولاحظ العناية التي يوليها القائد لخزينة سيدنا الملك ، وكان يأمر بجمع المستحقات عند تحصيلها في مكتب الجمارك ، وقد سمع أن مكتب الجمارك قد حصل على الكثير من العائدات المالية ، كما علم الشاهد من الفرمان (المرسوم) الذي أرسل "لدوم بيدرو" بأن ملك هرمز قد سلم مكتب الجمارك لسيدنا الملك بناء على طلب "دوم بيدرو" .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة وأفاد الشاهد أنه يعلم أن "دوم بيدرو" كان دائماً يعامل ملك هرمز بكياسة وأدب شديدين وكرم كبير وزراء المسلمين وأمراء أجلاء آخرين .

لم يزد عن ذلك . أما بخصوص العلاقة فقال إنه كان صديقاً "الدوم بيدرو" ، ولهذا السبب تحدث بكل صدق ولم يقل سوى الحقيقة ، ولم يزد عن ذلك .

****

"ديبجو منديز" كتب هذا "ديبجو رودريز دازفيدو" "جيرونيموس" .

****

فقرة : "كوزمه الفاريز" ، "almoxarite" لسيدنا الملك في مدينة هرمز شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس بوجود قاضي التاج .

قد سئل عن الفقرات المذكورة أعلاه والتي قرئت وعرضت عليه مراراً بواسطة قاضي التاج .

فقرة : سئل عن الفقرة الأولى فأفاد الشاهد أنه من خلال هذه الفترة الثانية وأوقات أخرى كان موجوداً فيها هنا مارس وأقام العدالة للناس ، ولم يسمع قط أنه أجرى أمراً أو حكماً لم يكن عليه أداؤه .

فقرة : سئل عن البنود الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع من تلك الفقرات وأفاد الشاهد (.......)

فقرة : استجوب بخصوص البند الثامن وأفاد الشاهد أنه من خلال وجود "دوم بيدرو" كقائد لهذه القلعة جعل كل الموظفين يطيعون ويتقيدون بالأوامر المحلية التي حددت لمناصبهم .

فقرة : سئل عن البنود التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة فأفاد الشاهد بأن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً حاول جاهداً ودائماً لإضافة المزيد لخزينة سيدنا الملك ، ولم يسمع إطلاقاً أن أحداً قال إن سموه قد فقد أي شيء عن طريقه ، بل بالعكس فإن الشاهد يعلم كونه كان متواجداً في تلك الأنحاء لعشر سنوات منذ حضوره إلى هذه القلعة ، أنه لم يسمع قط إن أرسل أي قائد أموالاً لخزينة الدولة باستثناء "دوم بيدرو" ، الذي أرسل عشرة آلاف باردوس للهند هذه السنة ، ويقال إنه في الهند يقومون بتحميل سفينة شراعية جديدة في "كوتشين" لتغادر إلى البرتغال .

فقرة : استجوب بخصوص الفقرة الخامسة عشرة فقال الشاهد إنه وفي كل هذه الفترة الطويلة التي قضاها في تلك القلعة لم يشاهد قائداً قدم تقريراً بهذا القدر لملك هرمز مثلما فعل "دوم بيدرو" دائماً ، كما لم يسمع قط أنه أخذ أي شيء (....) من أي من موظفي الملك .

لم يقل أكثر من ذلك ، أما فيما يتعلق بالعلاقة فلم يقل (أي شيء) .

****

"ديبجو مينديز" ، كاتب ، قام بكتابة هذا "كوزمه الفاريز" "جيرونيمو"

****

فقرة : "فرانسيسكو دي لوسينا" ، شهد بعد أن أقسم على الإنجيل المقدس بحضور قاضي التاج .

استجوب عن البنود التي ذكرت أعلاه والتي قرئت وعرضت عليه مراراً من قبل قاضي التاج .

سئل عن الفقرة الأولى فأفاد الشاهد (.....) أنه ، أي الشاهد ، يعرف أنه رأى فقط مسلماً جاء بتصريح من سيدنا الملك يأمر فيه بأن مسكن ذلك المسلم لا يجب أن يؤخذ للسكن من قبل آخرين ، وعند إحضار المرسوم كان "دوم بيدرو" قائد البحار قد احتله ، لكنه أمر بأن يطاع مرسوم سيدنا الملك .

إنه يعلم أيضاً أن "دوم بيدرو" ليس بالرجل الذي يحيد عن العدالة وتطبيقها في كل القضايا التي ذكرت بالفقرة .

سئل عن الفقرة الثانية فأفاد الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثالثة فقال الشاهد إنه لا يعلم أن القائد قد أخذ أي شيء باستثناء بعض ....

فقرة : سئل عن الفقرات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثامنة فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" قد جعل موظفي سيدنا الملك يطيعون ويتقيدون بأوامرهم المحلية ، ولأنه أفيد بأن "فرانسيسكو دو بورتو" كاتب مساعد مأمور التنفيذ لم يقم بواجبه كما يجب ، فلقد أقاله من تلك الوظيفة .

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة فأفاد الشاهد أنه لا يعرف أي شخص قاد "دوم بيدرو" عندما كان قائداً بعمل أي مساومة معه أو تسبب في حدوث أي عداءات ، بل بالعكس أقام وساهم في تكوين صداقات بين الرجال الذي يعيشون في هذه المدينة .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فقال الشاهد إنه لا يعلم عن أي خلافات أو نزاع نشب أثناء وجود "دوم بيدرو" كقائد ، لكن وقع منذ فترة وجيزة خلاف بين "بيرناردو دراجو" (؟) و"أنطونيو دي سا" فقام بإجراء الصلح بينهما وعادا أصدقاء .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية عشرة فأجاب الشاهد أنه سمع كلاماً بأن "دوم بيدرو" قد منح الربع من أملاك معينة يملكها في "البصرة" للوسيط التجاري ، ولم يكن الشاهد يعرف إن كان هذا حقيقياً أم لا ، وقال إنه سمعها من "جوميز مونس" .

فقرة : استجوب عن الفقرة الثالثة عشرة فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : استجوب عن الفقرة الرابعة عشرة فأفاد الشاهد أنه علم فقط أن "دوم بيدرو" كان يهتم كثيراً بمكتب الجمارك وعائداته المالية ، وأنه على علم أيضاً أن "دوم بيدرو" أرسل أموالاً للهند من أجل حمولة لسفينة تجارية جديدة لسيدنا الملك لأن عائدات مكتب الجمارك المالية كانت بكمية معتبرة .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فأفاد الشاهد أنه على علم عندما كان الملك "دوم بيدرو" قائداً فقد عامل ملك هرمز باحترام شيد وكياسة كما أمر سيدنا الملك بذلك ، وبنفس القدر عامل كبير وزراء المسلمين والأمراء الأجلاء ، ولم يسمع قط أنه سبب أي مضايقات أو أخذ أي شيء منهم .

أما بخصوص العلاقة فقال إنه كان صديقاً "لدوم بيدرو" كما يجب أن يكون عليه حال الرجال بالقرية ، لم يقل أكثر من ذلك .

****

"ديبجو ميندیز" الكاتب الذي كتب هذا . "فرانسيسكو دي لوسينا" . "جيرونيموس" .

****

فقرة : "مانويل فيرنانديز" ، كاتب بالمصنع في هرمز شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس تحت مراقبة قاضي التاج .

استجوب عن الفقرات التي ذكرت بأعلى والتي قرئت وعرضت عليه مرات عديدة من قبل قاضي التاج .

سئل عن الفقرة الأولى حيث أفاد الشاهد أنه يعلم تماماً أن "دوم بيدرو" لم يفشل يوماً في إرساء العدالة لأي سبب ضمن في هذه الفقرة إن كان حالياً أو في السابق .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية فأجاب الشاهد أنه يعرف حالياً فقط عندما هرب بعض المسلمين الذين كانوا في السجن نتيجة تمردهم في "قلهات" ورافقهم السجان واتخذ "دوم بيدرو" إجراءات مشددة وكان غاضباً جداً من فرارهم .

فقرة : سئل عن البنود الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن البند الثامن فأجاب الشاهد أنه علم بأن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً ، حذر وأمر الموظفين التابعين لسيدنا الملك في هذه المدينة بأن يطيعوا ويتقيدوا بالأوامر المحلية التي تلقوها من

سيدنا الملك ، وكذلك التعليمات العامة ، وأيضاً موظفي الخزينة ، يعرف هذا الشاهد كل ذلك لأنه رأى ذلك عن طريق الأعمال التي تمت بين يديه .

فقرة : استجوب عن المادة التاسعة فقال الشاهد إنه على علم فقط أن "دوم بيدرو" قد أقرض من ماله الخاص العديد من الأشخاص ، ولم يسمع عن أي شخص استعاد هو منه أية أموال .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فأفاد الشاهد بأن القليل من النزاعات قد جرت في هذه البلاد ، وإن حدث ووجدت أي عداوات بين الأفراد كان يقوم في الحال بإجراء مصالحة بينهم وجعلهم أصدقاء .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة وأفاد الشاهد أن أي أشخاص يذهبون إليه لتقديم شكوى كان يحرص على توفير العدالة حتى يتم تعويض الطرف المتضرر ويؤدي له ما يدينون به له .

فقرة : سئل عن الفقرات الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : استجوب عن الفقرة الرابعة عشرة ، فقال الشاهد إنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما جاء إلى هنا في المرة الأولى كقائد دفع أربعة عشر أو خمسة عشر شهراً (.....) (.....) "لأنطونيو دا سيلفيرا" و"مانويل ماشادو" الوسيط التجاري ، والتي وصلت في مجملها لأحد عشر أو اثني عشر ألف "باردوس" ، كما سدد أيضاً العديد من الديون التي كانت على عاتق هذه القلعة ، والتي تصل لحوالي سبعين أو تسعين "باردوساً" ، والشاهد على علم بذلك لأنه عندما كان سابقاً كاتباً في

المصنع وعلم أن المصنع يرزح تحت كل تلك الديون وعندما جاء "دم بيدرو" تم تقريباً سداد كل تلك الديون .

فقرة : استفسر عن الفقرة الخامسة عشرة فأجاب الشاهد أنه يعلم أنه عندما كان "دوم بيدرو" قائداً كان يعامل ملك هرمز باحترام شديد وكياسة جمة ويعامل كبير وزراء المسلمين والأمراء بتقدير وعطف عظيم ، ولم يسمع قط أنه استولى على أي شيء من أحد بالقوة . أما بخصوص العلاقة فلم يدل بأي شيء .

****

"دييجو ميندیز" کتب هذا . "مانويل فيرنانديز" "جيرونيموس"

****

مادة : "لوبو ريبيلو" ، كاتب بالمصنع ، شهد بعد أدائه القسم على الانجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت بأعلى والتي صرح بها له وقرئت عدة مرات من قبل قاضي التاج .

سئل عن المادة الأولى من تلك الفقرات فأفاد الشاهد أنه يعلم فقط أن "دوم بيدرو" قد مارس وطبق العدالة بمنتهى الشفافية (....) (....) على الأطراف الذين تقدموا بالاستئناف لديه .

مادة : استجوب عن البنود الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع من تلك المواد فقال الشاهد (.....)

مادة : سئل عن المادة الثامنة فأجاب الشاهد أنه عندما كان "دوم

بيدرو" قائداً طلب وأمر الشاهد بأن يتقيد ويلتزم بأوامره المحلية وأشياء أخرى يجب ذكرها تتعلق بتلك الأوامر، وقام بنفس العمل مع الكاتب الآخر هناك خلال تلك الفترة ومع الوسيط التجاري أيضاً .

مادة : سئل عن المادة التاسعة فرد الشاهد أنه من خلال السبع سنوات ونصف السنة التي قضاها في هذه البلاد لم ير القائد بأخذ أو يقبل أي قرض من أي شخص، ولم يسمع حتى أنه قام بذلك يوماً ما .

مادة : سئل عن المادة العاشرة فأجاب الشاهد أنه كان معروفاً في البلاد في خلال الفترة التي كان "دوم بيدرو" قائداً فيها كان دائماً يعامل الرجال بطريقة ودية لا استعداء فيها ولا تعرضهم للعداوة فيما بينهم، وإن حدث مثل ذلك كان يحاول مصالحتهم وجعلهم أصدقاء لبعضهم البعض حتى لا تكون هناك أي (...) في البلاد .

مادة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فأجاب أنه رأى المسلمين والمسيحيين كلاهما يأتي عند "دوم بيدرو" عندما كان قائداً ويقدمون شكاوى بأن أموراً معينة لم يتم الدفع عنها بالقيمة المستحقة عليها، فإن كان أمراً يستطيعه القائد فإنه يأمر في الحال بسداد قيمتها الأصلية وإن لم يستطع يحيل الأمر لقاضي التاج لإجراء الإجراءات المناسبة .

مادة : سئل عن الفقرات الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة من تلك المواد فأجاب الشاهد (....)

مادة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فأجاب الشاهد أنه علم فقط أنه من خلال وجود "دوم بيدرو" كقائد كان كثير الاحترام لملك هرمز

وعامل كبير وزراء المسلمين والأمراء والشخصيات الهامة الأخرى في تلك المملكة بكثير من التقدير والمودة .

لم يسمع قط أن "دوم بيدرو" قد أخذ أي شيء عنوة أو بأي طريقة أخرى مشابهة .

لم يزد عن ذلك ، وفيما يتعلق بالعلاقة لم يقل (أي شيء)

****

كتب هذا "ديبجو ميندير" "لوبو ريبيلو" "جيرونيموس"

****

مادة : "ديبجو فييرو" ، فارس حصن سيدنا الملك وقاضي الأيتام في مدينة هرمز هذه ، شهد بعد أدائه القسم على الانجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

سئل عن المواد التي ذكرت بأعلاه والتي صرح له بها مرات عديدة من قبل قاضي التاج .

سئل عن المادة الأولى فأجاب الشاهد أنه يعمل أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً أرسى قواعد العدالة دوماً بين الأطراف في هذه البلاد .

مادة : سئل عن المواد الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من تلك المواد أعلاه فقال الشاهد (.......)

مادة : سئل عن الفقرة الثامنة وأفاد الشاهد أن "دوم بيدرو" قد لفت انتباه وأمر موظفي سيدنا الملك في هذه المدينة بالتقيد وإطاعة الأوامر المحلية السارية التي تلقوها من الملك .

مادة : سئل عن الفقرة التاسعة فأجاب الشاهد (.....)

مادة : سئل عن الفقرة العاشرة ورد الشاهد بأنه لا يتذكر مطلقاً وجود نزاعات وشجار خلال فترة توليه القيادة .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فقال الشاهد إذا ذهب أي شخص إلى "دوم بيدرو" بخصوص أي شيء سلب أو أخذ منه فإنه يأمر بسداد قيمة ثمنه ، وإن كان هناك أي شك في الأمر فإنه يحيله إلى قاضي التاج .

فقرة : سئل عن الفقرات الثانية عشرة والثالثة عشرة فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة وأفاد الشاهد أنه يعلم بأن "دوم بيدرو" عمل بكل جد واجتهاد ليزيد من دخل خزينة سيدنا الملك وإلى أعماله .

فقرة : سئل عن المادة الخامسة عشرة وأفاد الشاهد أنه يعلم من خلال وجود "دوم بيدرو" كقائد أنه كان دائماً يحترم ملك هرمز وعامل كبير وزراء المسلمين والموظفين الآخرين للمملكة بكل تقدير ومودة ، ولم يسمع عنه قط أنه أخذ أي شيء عن طريق القوة أو بأي طريقة كانت .

لم يقل أكثر من ذلك ، أما بخصوص العلاقة فلم يقل (أي شيء) .

****

"ديبجو منديز" كتب هذا "ديبجو فييرا" . "جيرونيموس"

****

فقرة : "مانويل فيرنانديز" ، أحد خدام سيدنا الملك شهد بعد أن أدى القسم على الانجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

سئل عن البنود التي ذكرت بأعلى والتي أعلنت وقرئت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

سئل عن الفقرة الأولى فأجاب الشاهد أنه لم يسمع عن أي شخص اشتكى من "دوم بيدرو" خلال قيامه بتوفير أسس العدالة عندما كان قائداً .

فقرة : وسئل عن الفقرات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من تلك البنود فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثامنة فأفاد الشاهد أن القائد لم يتحدث معه قط ، باستثناء أنه والوسيط التجاري للأدوية ذهبا إليه لمناقشة السعر الذي يجب أن يباع به الفلفل ، وفي تلك المناسبة ، وبما أن القائد كانت تهمه مصلحة سيدنا الملك ، فلقد أخبرنا أن ننتظر حتى ترتفع أسعار الفلفل ، وإن لم يحدث ذلك فعلينا ببيعها بما يعرض من سعر ، فاعتقد أن هذا أمر حكيم منه ، ويصب في مصلحة سموه .

فقرة : سئل عن الفقرتين التاسعة والعاشرة فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فقال الشاهد إنه سمع أن "دوم بيدرو" كان محباً للعدالة ولذلك سيقوم بعمل ما يطلب منه .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية عشرة فأجاب الشاهد (....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثالثة عشرة فرد الشاهد أنه كان يقال في

أول حضور له بالمدينة قد مارس التجاره مع الوسيط التجاري وكانت له معاملات أخرى وتجاره وبضائع أخرى ، لكن الشاهد لا يعلم إن كان ذلك حدث فعلاً أم لا .

حالياً سمع هذه المرة أنه قام بكل ما يفترض أن يقوم به وتوقف عن كل ما ليس عليه القيام به .

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة من تلك البنود فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن البند الخامس عشر فرد عليه الشاهد أنه سمع دائماً أنه عامل ملك هرمز بكثير من الاحترام ، ولا يعلم إن كان قد أخذ أي شيء أم لم يأخذ .

لم يقل أكثر من ذلك ، وفيما يتعلق بالعلاقة معه لم يقل (أي شيء) .

****

"ديبجو مينديز" كتب هذا "مانويل فيرنانديز" "جيرونيموس"

****

فقرة : "جاسبار جوميز" ، أحد فرسان حصن سيدنا الملك وقاضي التاج السابق في هرمز ، شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

وسئل عن بنود الأسئلة أعلاه التي أعلنت وقرئت عليه مراراً من قبل قاضي التاج .

سئل عن المادة الأولى فأجاب الشاهد أنه عمل كقاضي للتاج في

هذه المدينة من الفترة التي تخلى فيها "مانويل باشيكو" عن المنصب وحتى وصول قاضي التاج الحالي ، وفي خلال ذلك الوقت وقبل ذلك كان "دوم بيدرو" كقائد يحيل دائماً الأمور التي تتعلق بالعدالة إلى الشاهد بما أنه كان قاضياً للتاج حتى يبت في أمرها ، ويعلم أنه كان شخصاً لا يتوانى في إرساء العدالة لأي سبب ذكر في هذه الفقرة .

فقرة : سئل عن المادة الثانية من قائمة البنود فأفاد الشاهد بأن "دوم بيدرو" أمر بأن تظل البلاد دائماً تحت الحراسة ومحصنه دفاعياً ، وأمر أن يقوم الضباط المسؤولون عن القانون بإلقاء القبض على كل المجرمين ، وإبعاد كل أولئك الذين قد يمثلون خطراً على الدولة ، كما فعل مع البعض الذين أرسلهم من هنا إلى الهند لأنه كان يشك فيهم .

فقرة : سئل عن الفقرات الثالثة والرابعة فرد الشاهد (......)

فقرة : سئل عن الفقرات الخامسة والسادسة والسابعة فأفاد الشاهد (......)

فقرة : استجوب عن المادة الثامنة فأجاب الشاهد أنه كان يرى "دوم بيدرو" وهو يلفت انتباه الوسيط التجاري وموظفي سيدنا الملك دائماً إلى التقيد وإطاعة أوامرهم المحلية وأخبرهم بذلك عدة مرات عندما تنشأ أمور تتطلب التقيد بذلك .

فقرة : سئل عن المادة التاسعة من تلك البنود فقال الشاهد (......)

فقرة : سئل عن المادة العاشرة فأفاد الشاهد أنه كانت توجد بالمدينة اثنتان أو ثلاث نزاعات ومشاجرات أو أخرى كان يتم التهديد بقيامها

فكان "دوم بيدرو" يذهب في الحال إلى الموقع شخصياً ويعمل بنفسه على تهدئة تلك المنازعات .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فأفاد الشاهد أنه يعلم أن "دوم بيدرو" وخلال توليه منصب القائد كان يأتي إليه بعض الأشخاص لتقديم شكاوى له بأن بعض الأشياء أخذت منهم عنوة ، فكان يأمر في الحال بأن تدفع قيمتها ويتم التعويض عنها .

فقرة : سئل عن الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة فأجاب الشاهد أنه يعلم عند وجود "دوم بيدرو" كقائد أنه كان مهتماً وحريصاً جداً على مصالح سيدنا الملك ، وعمل بكل جد لإضافة مكتب جمارك ملك هرمز إلى خزينته ، وقام بأشياء عديدة في هذه المدينة تصب جميعها في مصلحة سموه .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فرد الشاهد أنه على علم خلال فترة تولي "دوم بيدرو" القيادة أنه كان شديد الاحترام والكياسة تجاه ملك هرمز كما عامل كبير وزراء المسلمين وموظفي المملكة الذين قدموا إليه بكثير من التقدير والأدب .

لم يزد عن ذلك ، أما بخصوص العلاقة فهو خادمه بالرغم من كونه ليس ملكاً أو أي شيء .

****

"ديبجو ميندين" ، كاتب ، كتب هذا "جاسبار جوميز" "جيرونيموس" .

****

فقرة : "جاسبار دي لابنها" مترجم ملك هرمز لسيدنا الملك ، شهد بعد أداء القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

سئل عن المواد التي ذكرت سابقاً بأعلى ، التي أعلنت وقرئت له مراراً من قبل قاضي التاج .

سئل عن المادة الأولى من تلك البنود فقال الشاهد (......)

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية فرد الشاهد أنه على علم عندما قام بعض المسلمين الذي ألقى القبض عليهم بسبب التمرد في قلهات بالفرار من هنا ويرافقهم السجان البرتغالي ، كان "دوم بيدرو" متشوقاً لإلقاء القبض عليهم ، والشاهد كونه المترجم قام بتحقيق دقيق في محاولة القبض عليهم .

فقرة : سئل عن المادة الثالثة فأجاب الشاهد أنه علم فقط عند حضور بعض السفراء إلى هنا ، على سبيل المثال ، أولئك الذين جاءوا من "شيراز" وشاه طهماسب ومسلمون آخرون من مناطق أخرى ، جاءوا له بهدايا معهم ، كما جرت العادة بذلك وتقديمها لقادة القلاع كبادرة صداقة .

يعلم الشاهد أنه في حال عدم قبول تلك الهدايا فإنها تعني بادرة عداء وغضب .

كما قال الشاهد أيضاً أنها العادة لرجال هذه المملكة الذين لهم أعمال مثل طلب مناصب ، أراضي أو سلطة ما أن يقدموا شيئاً معيناً للملك ، للقائد ، لكبير وزراء المسلمين ، أمين الصندوق الخزينة والمترجم .

الجميع يعلم بذلك وعندما كان "بيدرو فيرنانديز" موجوداً هنا لم يغير من تلك العادة واستمرت منذ ذلك الوقت كما كانت في السابق .

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة ، وأفاد الشاهد بعلمه أن القائد كان حريصاً جداً بخصوص ذلك ويدفع القيمة الحقيقية لما يشتريه ، والشاهد يعلم بذلك كونه كان المترجم وكان متواجداً دائماً في منزله .

فقرة : سئل عن المواد الخامسة والسادسة والسابعة فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثامنة فقال الشاهد عندما كان "دوم بيدرو" قائداً كان دائماً يلفت انتباه ويأمر موظفي سيدنا الملك بالتقيد وإطاعة الأوامر المحلية التي تتعلق بوظائفهم .

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة فأفاد الشاهد أنه يعلم بالخلاف الوحيد بين "دوم بيدرو" وبينه (....) وبعد ذلك تصالح معه ، لذلك أصبح صديقه وخادمه ، ولا يعلم إن كانت له خلافات مع أي شخص آخر .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فأجاب الشاهد بحدوث شجار بين رجلين بارزين هنا ، لكن قام بعد ذلك بإحضارهما وتمت المصالحة وأصبحا بعدها صديقين لبعضهما ، لأن "دوم بيدرو" تدخل في الأمر .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فأجاب الشاهد عندما كانت تستخدم أي قوة أو عنف ضد أي مسلم أو مسيحي في هذه البلاد كان "دوم بيدرو" يأمر في الحال بأن يتم تعويض ذلك الطرف المعتدي عليه .

فقرة : سئل عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأفاد الشاهد (......)

فقرة : سئل عن المادة الرابعة عشرة فقال الشاهد إن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً عمل كثيراً من أجل هذه المدينة لزيادة دخل خزينة سيدنا الملك ، وقد فعل ذلك بضم مكتب الجمارك لسموه ، بما أن الشاهد يعلم ذلك جيداً لأنه كان المترجم .

فقرة : سئل عن البند الخامس عشر فأجاب الشاهد أن "دوم بيدرو" كان يكن احتراماً شديداً لملك هرمز وأكثر بكثير من كل القادة السابقين ، كما عامل كبير وزراء المسلمين والأمراء وموظفي المملكة بكثير من التقدير ، ولم يشاهد أو يسمع أنه أخذ أي شيء منهم ، لكن الشاهد يعلم بأن بعض الناس عرضوا عليه قروضاً مالية إلا أنه لم يقبلها .

سئل عن العلاقة وذكر ماهيتها ولم يزد عن ذلك .

****

"ديبجو مينديز" كتب هذا "جاسبار دي لابينها" "جيرونيموس"

****

فقرة : الأمير زكي ، كبير قضاة المملكة وأمين صندوق مكتب الجمارك ،

شهد بعد أن أقسم على المصحف الشريف (القرآن) بإشراف قاضي التاج من خلال الملحق والتي أعلنت وقرئت عليه مراراً بواسطة مترجم .

سئل عن البند الأول فأجاب الشاهد علمه بأن "دوم بيدرو" كان رجلاً عادلاً وقد أرسى العدل عندما طلب منه ذلك .

فقرة : سئل عن المادة الثانية فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن المادة الثالثة فأجاب الشاهد أنه يعلم ومنذ حضور "دوم بيدرو" إلى هذه البلاد هذه المرة فإنه لم يأت بأي قضايا أو دعاوي من أي شخص ، أما بخصوص أمور العدالة فإن أي شخص قدم له شكوى عن برتغالي كان يبعثه إلى قاضي التاج ، وإن قدموا شكوى عن مسلم كان يبعث بهم إلى كبير وزراء المسلمين .

فقرة : سئل عن المواد الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من المواد السابقة الذكر فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثامنة فرد الشاهد بأن "دوم بيدرو" كان دائماً يقدم له ولكبير وزراء المسلمين النصائح الجيدة ، وكان يطلب منهم وينبههم إلى التقيد وإطاعة الأوامر المحلية التي تتطلبها مناصبهم ، وكان يفعل بالمثل مع الوسيط التجاري والموظفين الآخرين .

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة وأفاد الشاهد أنه لم يسمع مطلقاً أن "دوم بيدرو" قد تلقى قرضاً من أي شخص ، ولم يطلب من أحد ذلك . لم يأت رجل قط إلى هذه البلاد وكرمها وأكرم قادة التجار الأجانب الذين يأتون إليها مثلما فعل "دوم بيدرو" .

فقرة : سئل عن الفقرتين العاشرة والحادية عشرة فقال الشاهد (......)

فقرة : سئل عن الفقرات الثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة فقال الشاهد إنه ومنذ السنة التي جاء فيها "دوم بيدو" إلى هنا زاد العائد المالي لمكتب الجمارك أكثر مما حدث في السابق ، وذلك للاهتمام والعناية التي أولاها له "دوم بيدرو" ، وأيضاً بسبب العديد من الحراس الذين وضعوا للمراقبة في البحر ، حتى لا تتم سرقة أي شيء من الخارج وأن تباع كل البضائع بأسعار جيدة .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة وأجاب الشاهد أنه كان دائماً يرى "دوم بيدرو" يعامل ملك هرمز باحترام وأدب شديدين ، ويكن دائماً التقدير للشاهد وكبير وزراء المسلمين والموظفين الآخرين من المملكة ، ولم يجدوا منه أي نوايا عدوانية ولا يعرف عنه أنه أخذ أي شيء منهم ضد رغبتهم كما لم يسمع (......)

أما بخصوص العلاقة معه فلم يقل (أي شيء) .

****

كتب هذا "ديبجو مينديز" أمير (كسيكوس) "جيرنيموس" "ديبجو دي ميندوزا"

****

فقرة : "سيماو فيرنانديز" ، حامل "بكالريوس" الطب ، شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي طرحت بأعلاه في أول الملحق والتي أعلنت وقرئت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

سئل عن المادة الأولى فأجاب الشاهد أنه كان يسمع دائماً أن "دوم بيدرو" كان رجلاً لا يتوانى عن إرساء العدالة تحت أي سبب ورد في تلك الفقرة .

فقرة : سئل عن الفقرتين الثانية والثالثة فقال الشاهد (.......)

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة فقال الشاهد إنه سمع دائماً أن القائد يدفع بسخاء عن الأشياء التي يشتريها ، ولم يسمع قط أنه تعامل في المواد والمؤن في هذه البلاد .

فقرة : استجوب عن الفقرات الخامسة والسادسة والسابعة وأجاب الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثامنة فأفاد الشاهد أنه سمع أن "دوم بيدرو" قد لفت انتباه وطلب من الموظفين التقيد بالأوامر المحلية التي تلقوها من سيدنا الملك ، وقد شاهد الشاهد ذلك مرات عديدة .

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة فرد الشاهد أنه لم يسمع مطلقاً أن "دوم بيدرو" قد تلقى قرضاً في هذه البلاد ، ولم يسمع أيضاً أن أحداً ما قد وجد رفضاً أو إساءة منه وهو يبحث عن العدالة منه .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فأفاد الشاهد أن هناك بعض المشاجرات التي نشبت بين أشخاص ذوي مكانة هنا ، ويعلم أن "دوم بيدرو" قام بمصالحتهم وجعل منهم أصدقاء مع بعضهم بعضاً .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فأفاد الشاهد أن "دوم" قد أمر بدفع تعويضات لبعض الأشخاص الذين اشتكوا من أن بعض الأشياء قد أخذت منهم فطلب أن تدفع لهم قيمتها .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية عشرة فأفاد الشاهد أنه سمع من بعض رجال الدولة يقولون أن "دوم بيدرو" كان قد منع موظفين من التجارة ببضائع تخص خزينة الملك ، لذلك ظل يعاني من الإساءة لشخصه وكيل الاتهامات له .

فقرة : سئل عن الفقرة الثالثة عشرة فأجاب الشاهد (.....) .

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة فأجاب الشاهد أنه سمع عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة أولى انتباهاً وعناية كبيرة لخزينة الملك ، وعمل جاهداً لزيادة عائداتها .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فأجاب الشاهد أنه يعلم عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة فقد أبدى احتراماً كثيراً لملك هرمز وعامل كبير وزراء المسلمين والأمراء بتقدير جم .

فقال الشاهد إنه لا يعلم إن كان قد أخذ أي شيء منهم عنوة ولم يسمع أن ذلك حدث .

بخصوص علاقته معه لم يقل (أي شيء) .

****

"ديبجو ميندير" كتب هذا . "سيماو فيرنانديز" "جيرونيموس" .

****

فقرة : جورج الفاريز ، شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن البنود التي ذكرت في أعلى الملحق والتي أعلنت وقرئت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

سئل عن الفقرة الأولى فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة من تلك البنود فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الثامنة فأجاب الشاهد أنه كان يسمع دائماً عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة أنه أمر الموظفين التقيد بالأوامر المحلية التي تقتضيها مناصبهم والتي أصدرها سيدنا الملك .

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فأفاد الشاهد بمعرفته أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة ووجد هناك أي أشخاص متخاصمين أو أن هناك صراعاً بينهم فإنه يبذل كل جهده في الحال لمصالحتهم وجعلهم أصدقاء .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فرد الشاهد أنه رأى وسمع كثيراً ودائماً أن من يذهب "لدوم بيدرو" عندما كان قائداً ويقدم له شكوى بأن شيئاً قد أخذ منه بالقوة فإنه يأمر في الحال بدفع قيمته له وتعويضه .

فقرة : سئل عن الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب الشاهد (.....)

فقرة : سئل عن الفقرة الرابعة عشرة فأفاد الشاهد أنه كان يسمع دائماً أن "دوم بيدرو" عمل بكل جد لإضافة مزيد من العائدات لخزينة سيدنا الملك ، ولم يسمع قط أن سيدنا الملك قد خسر أي شيء نتيجة أخطاء منه .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فقال الشاهد إنه يعلم وخلال الفترة التي كان دوم بيدرو قائداً للقلعة فلقد كان يعامل ملك هرمز باحترام عظيم ، وكان يقدر كثيراً كبير وزراء المسلمين والأمراء ، ولم يسمع قط أو كان على علم أنه أخذ أي شيء منهم عنوة وبالقوة .

أما بخصوص علاقته به فلم يقل أي شيء .

****

"ديجو ميندير" ، كاتب ، قام بكتابة ذلك "جورج الفاريز" "جيرونيموس"

****

فقرة : "جوميز مونيس" ، خادم "دوق براجانزا" ، شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت بأعلى الملحق وقد قرئت وأعلنت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

سئل عطفاً على إفادة" فرانسيسكو دي ليزارا" (لوسينا؟) أنه كان يعلم لمن أعطى "دوم بيدرو" ربع البضائع التي كانت له بالبصرة ، فأنكر الشاهد معرفته بأن "لدوم بيدرو" أي ممتلكات في "البصرة" ولا إذا كان قد أعطى ربع تلك الممتلكات لأي شخص .

سئل إن كان قد أخبر "فرانسيسكو دي لوسينا" بذلك ، أفاد الشاهد أنه لم يقل أي شيء له في ذلك الخصوص .

لم يسأل الشاهد عن أي فقرات أخرى ، وسئل فقط عن ما ذكر أعلاه .

بخصوص علاقته "بدوم بيدرو" قال الشاهد (....)

****

كتب هذا "ديبجو مينديز" ، "جوميز مونيس" "جيرونيموس"

****

فقرة : "بالتازار دا بونتي" ، مقيم في مدينة هرمز ، شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت بأعلى الملحق والتي قرئت وأعلنت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

سئل عن الفقرة الأولى فأجاب الشاهد بأن "دوم بيرو" كان شخصاً لم يقصر أو يتوانى عن إرساء العدالة لأي من الأسباب المتضمنة في هذه الفقرة .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية فرد الشاهد أنه يعلم فقط أن "دوم بيدرو" عانى من مشاكل عظيمة عند القبض على المجرمين ، وأنفق من ماله الخاص لإلقاء القبض عليهم ومعاقبتهم طبقاً للقانون .

فقرة : سئل الشاهد عن المواد الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من تلك البنود التي ذكرت في صدر الملحق فقال (.......)

فقرة : سئل عن المادة الثامنة فأجاب الشاهد أنه يعلم عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة أصدر أوامره للموظفين للتقيد بالأوامر المحلية لهذه المدينة والتي تلقوها من سيدنا الملك .

فقرة : سئل عن المادة التاسعة فأجاب الشاهد (......)

فقرة : وسئل عن المادة العاشرة وأفاد الشاهد أنه لم يشاهد أي عصابات في هذه المدينة في عهد "دوم بيدرو" ، وإن نشأت أي شجارات أو نزاعات بين أشخاص شهورين فإنه كان يقوم في الحال بمصالحتهم وجعلهم أصدقاء مرة أخرى .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فأفاد الشاهد أنه كان دائماً يرى "دوم بيدرو" يسرع في أن يؤدي للناس التعويض عن ما أخذ منهم دون أن يدفع ثمنه .

فقرة : سئل عن الفقرة الثانية عشرة فقال الشاهد إنه لم يسمع قط ما يقال بأن "دوم بيدرو" قد مارس التجارة في ممتلكات وسلع تخص سيدنا الملك ولا حتى أنه سمح للموظفين في المصنع القيام بذلك .

فقرة : سئل عن البنود الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر فأجاب الشاهد (....)

فقرة : سئل عن البند الخامس عشر فقال الشاهد إنه على علم بأن "دوم بيدرو" كان دائماً يبدي احتراماً وسلوكاً مهذباً تجاه ملك هرمز ، وأنه عامل كبير وزراء المسلمين وموظفي المملكة بتقدير كبير ، ولم يسمع قط أنه أخذ منهم أي شيء .

أما بخصوص علاقته معه فلم يقل (أي شيء) .

****

"ديبجو ميندير" كتب هذا "بالتازار دا بونتي" "جيرونيموس"

****

فقرة : "بالتازار نونيز" ، عن كبير مراقبي المستشفى ، شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس ولم يكن تحت إشراف قاضي التاج .

فقرة : استجوب عن المواد التي في صدر الملحق فقال الشاهد إنه لم يسمع مطلقاً أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة قد فشل في إرساء العدالة لأي من الأسباب التي تضمنتها الفقرة .

على العكس ففي خلال العشرين سنة التي قضاها الشاهد في تلك القلعة لم ير قائداً أرسى أسس العدالة مثلما فعل هو .

فقرة : سئل عن المادة الثانية فنفى الشاهد أنه سمع بوجود مجرمين في هذه البلاد دون أن يكون "دوم بيدرو" قد أمر بإلقاء القبض عليهم عند معرفته بوجودهم ، وأنه ولم يكن ليسمح بانتشار وجودهم بكثرة في البلاد .

فقرة : سئل عن المواد الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فقال الشاهد (....)

سئل عن الفقرة الثامنة فأفاد الشاهد بأن "دوم بيدرو" كان دائماً يطلب من موظفي سيدنا الملك ويلفت انتباههم إلى التقيد وإطاعة أوامرهم المحلية السارية .

يؤمن الشاهد أمام الرب وأمام ضميره بأن "دوم بيدرو" أصدر أوامره لموظفي الملك بأن يتقيدوا بأوامرهم المحلية منذ أول حضور له في هذه المدينة ، واتخذ الإجراء اللازم عندما لم يتمسكوا بذلك ، وفندوا له الاتهامات التي كانت نتيجتها مغادرته إلى الهند .

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة من تلك البنود في صدر الملحق فقال الشاهد (......)

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرة العاشرة فأجاب بأنه كان على علم بمنازعات بين شخصيات مشهورة في عهد "دوم بيدرو" ومشاجرات غاضبه ، إلا أنه جعل منهم أصدقاء وتوصل معهم فيما بينهم إلى اتفاق ودي .

فقرة : سئل عن الفقرة الحادية عشرة فأفاد الشاهد أنه عندما يتقدم بعض الأشخاص بشكاوى إلى "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة بأنهم سلبوا أشياء بالقوة ، فإنه كان يسرع بإعادتها لهم أو يقوم بإحالة الأمر لقاضي التاج ليتخذ الإجراء اللازم .

فقرة : عند سؤاله عن المادة الثانية عشرة قال الشاهد إنه لم يسمع مطلقاً خلال وجود "دوم بيدرو" كقائد للقلعة أنه تاجر في بضائع تخص الملك ، ولم يكن يسمح لموظفي سيدنا الملك القيام بذلك .

فقرة : سئل عن المادتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة فقال الشاهد (.......)

فقرة : استجوب الشاهد بخصوص الفقرة الخامسة عشرة فأجاب بأنه على علم عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة فإنه كان يقدم الكثير

من الاحترام والتقدير لملك هرمز ولكبير وزراء المسلمين والأمراء ولم يسمع مطلقاً أنه أخذ منهم أي شيء ضد رغبتهم .

لم يقل أكثر من ذلك ، وفيما يتعلق بالعلاقة بينهما لم يقل (أي شيء) .

كتب هذا "ديبجو ميندين" "بالتازار نونيز" "جيرونيموس" .

فقرة : "جواو رودريجز" ، مواطن محلي مقيم في هذه المدينة شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

سئل عن المواد التي ذكرت في صدر هذا الملحق والتي قرئت وأعلنت له مراراً من قبل قاضي التاج .

فقرة : سئل عن البند الأول فأجاب الشاهد أن "دوم بيدرو" كان شخصاً حريصاً على تأمين العدل بين الجميع ، ولم يكن ليتوانى عن ذلك لأي من الأسباب التي ذكرت في الفقرة .

فقرة : سئل الشاهد عن البند الثاني فأفاد أنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة بذلك كل جهد ممكن لإلقاء القبض على المجرمين ومعاقبتهم طبقاً للقانون ، وعندما تواجد بعض الزنوج على الجزيرة الذين ثاروا ، اتخذ خطوات لإلقاء القبض عليهم وتم سجنهم وشنقوا جراء ما ارتكبوه من حرائم .

لم يعرف قط خلال عهده أن مجرماً بقي حراً طليقاً إنما ألقي القبض عليهم جميعاً إن وجدوا وتمت معاقبتهم .

فقرة : سئل عن البند الثالث ورد الشاهد أنه لم يسمع مطلقاً أو

علم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة قد أخذ أو تسلم أو منح له من أي أحد أياً كان السبب الذي قدم من أجله .

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرات الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة من تلك البنود في صدر الملحق فقال الشاهد (......)

فقرة : استجوب عن الفقرة الثامنة فقال الشاهد إنه سمع أقوالاً عندما كان في المدينة تقول إن "دوم بيدرو" بسبب تعليماته للموظفين بأن يتقيدوا ويطيعوا الأوامر المحلية التي صدرت لهم بحق مناصبهم ، كرهوا شخصه مما أدى لمغادرته من هنا إلى الهند .

فقرة : سئل عن الفقرة التاسعة من تلك المواد فقال الشاهد (.....)

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرة العاشرة فأجاب أنه لو كان في عهد "دوم بيدرو" أي تواجد لأي أشخاص بينهم خلافات أو أي نوع من الجماعات المتنازعة فإن "دوم بيدرو" كان يقوم في الحال بالنظر فيها بكل حرص وانتباه ، ويسعى لمصالحتهم حتى يصيحوا أصدقاء .

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرة الحادية عشرة فأجاب أنه في حالة تقديم شكوى من أي أحد "لدوم بيدرو" بأن أشياء أخذت منه عنوة فإنه يأمر في الحال بسداد قيمتها أو التعويض عنها .

فقرة : سئل الشاهد عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب (......)

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرة الرابعة عشرة فأفاد الشاهد أنه على

علم بأن "دوم بيدرو" عمل جاهداً لزيادة عائدات خزينة سيدنا الملك ، مثل ما طلب مكتب الجمارك وأشياء أخرى لا يذكرها .

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرة الخامسة عشرة فأفاد أنه عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة عامل ملك هرمز بكياسة شديدة ، وكان الملك دائماً صديقه المقرب ، كما احترم أيضاً كبير وزراء المسلمين والأمراء ، وأنه لم يسمع ولم يشاهد أنه أخذ أي شيء عنوة وضد رغبتهم .

أما بخصوص علاقته معه لم يقل الشاهد (أي شيء) .

****

"ديبجو ميندبز" كتب هذا "جواو رودريجز" "جيرونيموس"

****

فقرة : "الفارو رودريجز" ، كاتب العقارات والمستشفى في مدينة هرمز ، شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس تحت إشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي في صدر الملحق أعلاه والتي أعلنت وقرئت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

فقرة : سئل عن المادة الأولى فأجاب الشاهد أن "دوم بيدرو" كقائد للقلعة لم يتردد مطلقاً في إرساء العدل خلال عهده لأي من الأسباب التي ضمنت في تلك المادة .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثانية فأجاب أنه لم يسمع قط أن هناك مجرماً ظل طليقاً دون إلقاء القبض عليه عندما كان "دوم بيدرو"

قائداً للقلعة ، وإن علم بوجوده ومكانه ويتم البحث عنه بكل جهد وتتم معاقبته طبقاً للقانون .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثالثة فأفاد أنه لم ير ولم يسمع أن "دوم بيدرو" قد تسلم أي رشوة أو هدية لأي من الأسباب التي تضمنتها هذه الفقرة .

فقرة : استجوب الشاهد عن المادة الرابعة فأفاد أنه لا علم له إن كان "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة قد تاجر في المؤن وهو لم ير ولم يسمع أن أحداً قال ذلك .

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرات الخامسة والسادسة والسابعة فأفاد (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثامنة فأفاد بمعرفته أن "دوم بيدرو" قد غادر هذه المدينة بعد إلقاء القبض عليه ، لأنه جعل موظفي سيدنا الملك يتقيدون بأوامرهم المحلية السارية ، وقام بعمل كل ما من شأنه زيادة مصالح الملك وخزينته .

فقرة : سئل عن المادة التاسعة فأجاب الشاهد (. .)

فقرة : استجوب الشاهد من المادة العاشرة من هذه البنود فقال إنه إذا عرف بأنه يوجد في المدينة أشخاص أو جماعة عنيفة مجرمة للحد الذي تقع فيه المشاكل فأنه سرعان ما يأخذ الأمر بين يديه ويقيم الصلح معهم فيصبحون أصدقاء .

فقرة : استجوب الشاهد عن المادة الحادية عشرة فقال إنه إذا

اشتكى أحد عن أي شيء أخذ منه عنوة ، فإنه يهتم به ويعيد إليه حقه كاملاً .

فقرة : استجوب الشاهد حول الفقرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من هذه البنود فقال ...

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الرابعة عشرة فأجاب أنه يعلم أن "دوم بيدرو" عمل جاهداً ليزيد من دخل خزينة سيدنا الملك ، وقد قضى الشاهد في مدينة هرمز ثماني عشرة سنة ، ولم يفرق أو يرى قائداً اهتم بها القدر والعناية بخزينة سيدنا الملك كما فعل هو ، ومن أجل ذلك غادر من هنا رهن الاعتقال .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الخامسة عشرة فأفاد أنه يعلم أن "دوم بيدرو" عامل ملك هرمز بكثير من الاحترام ، وكذلك كبير وزراء المسلمين والأمراء بكثير من التقدير ، ولا يعلم أبداً أنه أخذ أي شيء منهم دون رغبتهم .

أما بخصوص علاقته معه فلم يقل (أي شيء) .

*

"ديبجو ميندير"- "الفارو رودريجز"- "جيرو ينموس" .

*

فقرة : "ديبجو دي ميدوزا" ، مترجم في السلطة القضائية ، شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس تحت إشراف قاضي التاج .

قد استجوب عن المواد التي ذكرت في صدر الملحق والتي أعلنت وقرئت له عدة مرات بواسطة قاضي التاج .

فقرة : سئل عن المادة الأولى من تلك المواد فاجاب الشاهد (. .)

فقرة : سئل عن المادة الثانية فأفاد الشاهد بعلمه أن "دوم بيدرو" قد فعل الكثير للإيقاع بالمجرمين حتى يقوم بمعاقبتهم طبقاً للقانون ، إلا أنه لم يشاهد آخرين ولم يسمع مطلقاً بوجود مجرمين بعدد كبير في تلك المناطق دون أن يتم القبض عليهم .

فقرة : سئل عن المواد الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فأفاد الشاهد (. .)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثامنة فرد بمعرفته أن "دون بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة طلب عدة مرات من موظفي سيدنا الملك أن يطيعوا الأوامر المحلية السارية .

فقرة : سئل عن المادة التاسعة فأفاد الشاهد (...)

فقرة : سئل عن المادة العاشرة فقال الشاهد إنه على علم بأن "دوم بيدرو" عندما كان قائدا للقلعة عمل جاهداً لمصالحة الأشخاص المعادين لبعضهم البعض حتى يجعل منهم أصدقاء مرة أخرى .

فقرة : سئل عن المادة الحادية عشرة فأفاد الشاهد أنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائدا للقلعة طلب من الأشخاص الذين أخذت منهم أشياء دون أن تدفع لهم قيمتها أن تسدد لهم قيمتها في الحال .

فقرة : سئل عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب الشاهد (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الرابعة عشرة فأفاد بمعرفته أن "دوم

بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة عمل جاهداً لزيادة عائدات خزينة سيدنا الملك ، وكان يرى هذا من العائدات الضخمة التي يجنيها مكتب الجمارك في عهده ، كما يعلم أيضاً أن هناك دليلاً على أن ملك هرمز منحه مكتب الجمارك لصالح سيدنا الملك .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فأجاب الشاهد بمعرفته خلال فترة تولي "دوم بيدور" كقائد للقلعة أنه عامل ملك هرمز بكثير من الاحترام والكياسة ، وكذلك كبير وزراء المسلمين والأمراء بكثير من التقدير ، ولم يسمع الشاهد مطلقاً أنه أخذ منهم أي شيء عنوة وعن طريق القوة .

لم يقل أكثر من ذلك . أما بخصوص علاقته به فلم يقل (أي شيء) .

***

"ديبجو منديز" كتب هذا . "ديبجو دي مندوسا جيرونيموس"

***

فقرة : "ميجيل روديرجز" ، من مواطني المدينة ومقيم بمدينة هرمز شهد بعد أن أقسم على الأنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت بصدر الملحق التي قرأت وأعلنت له عدة مرات بواسطة قاضي التاج .

فقرة : سئل عن المادة الأولى فأجاب أن "دوم بيدرو دي كاستيل برانكو" من نوعية الأشخاص الذين لا يترددون في إرساء العدالة وتطبيقها لأي من الأسباب التي ذكرت في الفقرة .

قال إنه لا يعرف أكثر من ذلك .

فقرة : استجوب عن المادة الثانية فقال الشاهد إنه لم يعلم بأن هناك مجرماً ترك طليقاً دون أن يلقى القبض عليه ومعاقبته طبقا للقانون وذلك عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة .

فقرة : سئل عن المادة الثالثة فأجاب الشاهد (...)

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرة الرابعة فأجاب أنه يعرف ألا أحد ذهب لتقديم شكوى بأن "دون بيدرو" قد اشترى منه أي مواد ولم يسدد قيمتها ، وأنه لم ير أو يسمع أن "دوم بيدرو" قد مارس التجارة في المؤن في هذه البلاد .

فقرة : سئل عن المواد الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة فأفاد الشاهد (...)

فقرة : سئل الشاهد عن الفقرة التاسعة فأجاب أنه لم يسمع أو يرى أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة قد أخذ (...) أو شارك في عمل مع أي شخص كان قد قدم له طلباً لأداء عمل ما .

فقرة : سئل عن الفقرة العاشرة فأفاد الشاهد حسب علمه بأن أي شخص أو أشخاص لهم نزاعات فيما بينهم أو يتسببون في قيام شجارات فإن "دوم بيدرو" وهو قائد للقلعة كان يحاول إحلال السلام بينهم ومصالحتهم حتى يصبحوا أصدقاء .

فقرة : استجوب عن الفقرة الحادية عشرة فأجاب فأجاب الشاهد

أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة كان يعوض أي أشخاص حضروا أمامه يشتكون بأن شيئاً ما قد أخذ منهم دون أن تدفع قيمته .

فقرة : سئل عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب الشاهد (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الرابعة عشرة فقال (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الخامسة عشرة فأجاب أنه يعلم أن "دون بيدرو" كان يقابل ملك هرمز باحترام شديد ، كما كان يبدي تقديراً كبيراً لرئيس وزراء المسلمين والأمراء ، كما أجاب بأنه لا يعلم مطلقاً أنه أخذ أي شيء منهم عنوة .

أما بخصوص علاقته معه فقال (...)

***

كتب هذا "ديبجو مينديز" – "ميجيل رودريجز" – "جيرونيموس"

***

فقرة : "فيسنتي باشيكو" مواطن ومقيم بمدينة هرمز ، شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت بصدر الملحق والتي قرئت وأعلنت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

فقرة : سئل عن المادة الأولى فقال الشاهد أن "دوم بيدرو" كان شخصاً لا يتردد في إرساء العدالة لأي من الأسباب التي تضمنتها المادة الأولى .

فقرة : سئل عن المادة الثانية فأجاب أنه من خلال وجود "دوم بيدرو" كقائد للقلعة لم يصل إلى علمه أي شيء بوجود مجرمين في هذه المدينة دون أن يلقى عليهم القبض ومعاقبتهم حسب القانون ، ولم يزد أكثر من ذلك .

فقرة : سئل عن المادة الثالثة فأفاد الشاهد بعدم علمه عن تلك المادة ولم يسمع أي شيء بخصوصها .

فقرة : سئل عن المادة الرابعة فأجاب الشاهد أنه لم يكن من أي شخص قدم شكوى لدوم بيدرو عندما كان قائداً للقلعة بأنه اشترى أي شيء منه دون أن يسدد قيمته الفعلية ولم يضف أكثر من ذلك .

فقرة : سئل عن المواد الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة من تلك المواد فقال الشاهد (...) عن تلك المواد .

فقرة : استفسر من الشاهد عن المادة العاشرة فأفاد حسب معرفته إذا كانت هناك أي عصابات من الرجال أو المجرمين فإن "دوم بيدرو" كان يقوم بالقبض عليهم ومحاولة مصالحتهم وإفشاء السلام بينهم طبقا للقانون .

فقرة : سئل عن المادة الحادية عشرة فأجاب أنه يعرف تماماً إذا ما قدم أي شخص شكوى لـ "دوم بيدرو" بخصوص شيء ما أخذ منه فإنه كان يقوم في الحال بالتأكد من أن قيمته قد سددت له بالكامل .

فقرة : سئل عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة قال الشاهد (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الرابعة عشرة فأفاد بأنه لم يشاهد ولم يسمع بأن "دوم بيدرو" تسبب في خسارة لخزينة سيدنا الملك ، بل يعلم أنه أضاف الكثير من العائدات للخزينة ، ولم يزد عن ذلك .

فقرة : سئل عن الفقرة الخامسة عشرة فأفاد الشاهد أن "دوم بيدرو" عامل ملك هرمز بكثير من الاحترام وكذلك كبير وزراء المسلمين والامراء بكثير من التقدير ، وقال إنه لم يسمع مطلقاً أن "دوم بيدرو" قد أخذ أي شيء منهم ضد رغبتهم .

لم يقل أكثر من ذلك ، فيما يتعلق بالعلاقة بينهما لم يقل (أي شيء) .

***

"ديبجو ميندبز" ، كاتب ، قام بكتابة هذا - "فينستي باشيك" - "جيرونيموس" .

***

فقرة : "مانويل فيرنانديز" مواطن ومقيم في مدينة هرمز ، شهد بعد أدائه القسم على الانجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت في صدر الملحق والتي قرئت وأعلنت له عدة مرات بواسطة قاضي التاج .

فقرة : سئل عن المادة الأولى فأجاب الشاهد بأن "دون بيدرو" شخص لن يتوانى عن إرساء العدالة لأي من الأسباب التي ضمنت في تلك المادة .

فقرة : سئل عن المادة الثانية فأجاب الشاهد بأنه لم ير ولم يسمع

عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة أن مجرماً في هذه المدينة تمادى في إجرامه دون أن يلقى القبض عليه ويعاقب بمقتضى القانون ، لم يزد الشاهد أكثر من ذلك .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثالثة فأفاد أنه لم يشاهد أو يسمع عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة أنه تلقى أي رشوة أو هدية أو هدايا عن أي شيء جاء ذكره في تلك الفقرة من أي شخص في أي رتبة كانت .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الرابعة فقال إنه لا يعلم ولم يسمع أن "دون بيدرو" قد اشترى يوماً أي شيء في هذه المدينة دون أن يسدد قيمته الحقيقية ، كما لم يسمع مطلقاً أنه مارس التجارة في أي مواد في هذه المدينة .

فقرة : سئل عن المواد الخامسة والسادسة والسابعة فأجاب الشاهد (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثامنة فأفاد أنه يعرف أن "دوم بيدرو" كان مجتهداً جداً في جعل موظفي سيدنا الملك يتقيدون ويطيعون أوامرهم المحلية .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة التاسعة فأجاب (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة العاشرة فأجاب أنه عندما تتواجد عصابات في المدينة في عهد "دوم بيدرو" فإنه كان يتعامل معها في سرعة شديدة ويهدئ من عنفهم ويجعل منهم أصدقاء بعد مصالحتهم مع بعضهم البعض .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الحادية عشرة فأفاد بأن "دوم بيدرو" كان رجلاً عادلاً وطلب بأن يعوض أولئك الذين تم الاعتداء عليهم بما يستحقون .

فقرة : سئل عن المواد الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب الشاهد (...)

فقرة : سئل عن المادة الرابعة عشرة فرد الشاهد أنه عندما كان "دوم بيدرو" قائداً للقلعة فانه عمل جاهداً لأن يزيد من عائدات خزينة سيدنا الملك وليس العكس .

فقرة : سئل عن المادة الخامسة عشرة فقال الشاهد إنه يعلم خلال وجود "دوم بيدرو" كقائد .

للقلعة كان يعامل ملك هرمز باحترام كبير حسب أوامر سيدنا الملك ، كما عامل كبير وزراء المسلمين والأمراء بكل تقدير ، وأن الشاهد لم يسمع مطلقاً أن "دوم بيدرو" أخذ منهم أي شيء ضد رغبتهم .

لم يقل أكثر من ذلك . أما بخصوص علاقته "بدوم بيدرو" فلم يقل (أي شي) .

*

كتب هذا "ديبجو مينديز مانويل فيرنايديز جيرونيموس"

*

فقرة : "فرانسيسكو داسيلفا" ، مواطن ومقيم في مدينة هرمز ، شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي جاءت في أعلى الملحق ، قرئت وأعلنت له عدة مرات بواسطة قاضي التاج .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الأولى فقال إن "دوم بيدرو" شخص يعمل جاهداً لتحقيق العدالة ولن يتوانى عن ذلك لأي سبب من الأسباب التي ضمنت في المادة الأولى .

فقرة : سئل عن المادة الثانية فأجاب الشاهد بمعرفته أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة عمل جاهداً لإلقاء القبض على المجرمين لمعاقبتهم طبقا للقانون وليحقق العدالة بصورة عامة ، وقال إنه لا يعرف أي شيء آخر بخصوص هذه المادة .

فقرة : سئل عن المادة الثالثة فقال الشاهد إنه لم يشاهد ولم يسمع أن "دوم بيدرو" قد تلقى أي رشاوي أو هدايا من أي شخص أو أشخاص لأي غرض ورد ذكره في المادة المذكورة .

فقرة : سئل عن المادة الرابعة فأجاب الشاهد بعدم معرفته ، وأنه لم يسمع مطلقاً أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة قد اشترى أي شيء دون أن يدفع قيمته ، كما لم يسمع قط أنه تاجر في المواد ولا في أي شيء يخصه .

فقرة : سئل عن المواد الخامسة والسادسة والسابعة فأفاد الشاهد (...)

فقرة : سئل عن المادة الثامنة فقال إن "دوم بيدرو" فعل كل ما

يمكن ليضمن أن موظفي سيدنا الملك سيطيعون الأوامر المحلية التي تتعلق بمناصبهم .

فقرة : سئل عن المادة التاسعة فقال الشاهد إنه لا علم له ولم يسمع أن "دوم بيدرو" قد فعل أياً من الأشياء التي ذكرت في تلك المادة .

فقرة : سئل عن المادة العاشرة فأجاب أنه إذا كانت قد وجدت أي عصابات أو مجرمين آخرين في هذه المدينة فإن "دوم بيدرو" كان يحاول أقصى جهده لإحلال السلام بينها ويثنيهم عن كراهية بعضها بعضاً ونبذ العداوة فيما بينهم .

فقرة : سئل عن المادة الحادية عشرة فقال الشاهد إن "دوم بيدرو" حقق العدالة لأولئك الذين قدموا له شكاوى ، وكذلك الأشخاص الذين سلبت منهم أشياء عن طريق القوة ، فأمر بأن تؤدى لهم قيمتها أو تعاد كما هي .

فقرة : سئل الشاهد عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأفاد (...)

فقرة : استجوب عن المادة الرابعة عشرة فقال الشاهد إن "دوم بيدرو" كان دائماً يولي اهتماما عظيماً وعناية لزيادة العائد المالي لخزينة سيدنا الملك ، وليس العمل على خسارتها ، وأنه لم يشاهد أي قائد لهذه القلعة عمل جاداً لزيادة عائداتها وكان الجميع مبهورين بذلك .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الخامسة عشرة فقال إن "دوم بيدرو" كان دائماً يعامل ملك هرمز وكبير وزراء المسلمين والأمراء باحترام

عظيم وأدب جم ، وأبدى لهم الكثير من التقدير ، كما لم يره يأخذ أي شيء منهم عنوة ومن دون رغبتهم .

لم يقل أكثر من ذلك ، أما بخصوص العلاقة بينهما فلم يقل أي شيء .

***

كتب هذا "ديبجو ميندیز"- "فرانسيسكو داسيلغا"- "جيرونيموس" .

***

فقرة : "أنطونيو نونيز" ، الكاتب العدل في مدينة هرمز هذه ، شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت أصدر الملحق بعد أن قرئت وأعلنت له من قبل قاضي التاج .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الأولى من تلك المواد فقال (...)

فقرة : سئل عن المادة الثانية فأفاد الشاهد بعدم معرفته بوجود أي مجرمين في المدينة ولم يتم القبض عليهم ومعاقبتهم طبقا للقانون في عهد "دوم بيدرو" عندما كان قائدا للقلعة .

فقرة : سئل عن المادة الثالثة فأجاب الشاهد بعدم معرفته ، وأنه لم يسمع مطلقاً بأن "دون بيدرو" قد أخذ أي شيء جاء ذكره في هذه المادة من أي شخص .

فقرة : سئل عن المادة الرابعة فأفاد بعدم معرفته أن "دوم بيدرو" قد اشترى شيئاً ما في هذه المدينة ولم يؤدي قيمته ، وهو لا يعلم أن كان

أصلاً قد اشترى أي شيء ، وقال بعدم علمه إن كان يتاجر في المؤن ولا الشاهد ولا عائلته قد سمعوا بمثل هذه الأشياء .

فقرة : سئل عن المواد الخامسة والسادسة والسابعة فقال (...)

فقرة : سئل عن المادة الثامنة فأجاب أن "دوم بيدرو" كان يأمر الموظفين التقيد بمهام وظائفهم ، لكن ان كانوا فعلوا ذلك أم لا فإن الشاهد لايعلم ذلك .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة التاسعة فقال (....)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة العاشرة فأفاد بأن "دوم بيدرو" حاول عن طريق العدالة مصالحة الأشخاص الذين بينهم وبين بعضهم عداوات وكراهية ، وأنه كان يفرض سلاماً فيما بينهم .

فقرة : سئل الشاهد عن المواد الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة فقال ...

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الرابعة عشرة فأجاب أن "دوم بيدرو" كان كثير الاجتهاد لإضافة المزيد من العائدات لخزينة سيدنا الملك ، وأنه لم يسمع مطلقاً انه تسبب في خسارتها أو الإضرار بدخلها .

فقرة : سئل عن المادة الخامسة عشرة فأفاد الشاهد بعدم معرفته ، ولم يسمع عن أي سلوك بقلة احترام قام به "دوم بيدرو" تجاه ملك هرمز كما أنه لا يعلم إن كان قد أخذ أي شيء منه ضد رغبته ولم يقل أكثر من ذلك . أما بخصوص علاقته به فلم يقل (أي شيء) .

***

كتب هذا "ديبجو ميندیز"- "أنطونيو نوتيز"- "جيرونيموس" .

***

فقرة : "جيرالدو رودريجز" ، شهد بعد أن أدى القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت في صدر الملحق بعد أن قرئت وأعلنت له من قبل قاضي التاج .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الأولى فأجاب أن "دوم بيدرو" شخص لا يتوانى في إرساء العدالة وتطبيقها لأي سبب من الأسباب التي تضمنت في تلك المادة الأولى .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثانية فأجاب أنه يعلم أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً .

للقلعة حاول جاهداً القبض على مرتكبي الجرائم حتى تتم معاقبتهم طبقا للقانون وأن الشاهد لا يعلم إن كان أحد ما قد غادر هذه المدينة بسبب ذلك وبموافقة "دوم بيدرو" .

فقرة : سئل عن المواد الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة فأفاد الشاهد (...)

فقرة : سئل عن المادة العاشرة فأجاب الشاهد بأنه يعرف أن "دوم بيدرو" تدخل حالاً عندما تشاجر بعض الرجال البرتغاليين في هذه المدينة ، وحاول جاهداً أن يجعل منهم أصدقاء مرة أخرى .

فقرة : سئل عن المادة الحادية عشرة فأفاد بمعرفته أن "دوم بيدرو" عندما كان قائداً للقلعة أمر بدفع قيمة كل شيء أخذ دون أن تسدد قيمته أو دفعت فيه قيمة أقل مما يستحق الأشخاص الذين أُخذ منهم .

فقرة : سئل عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب الشاهد (...)

فقرة : سئل عن المادة الرابعة عشرة فقال الشاهد إنه على علم أن "دون بيدرو" عمل جاهداً لزيادة عائدات خزينة سيدنا الملك وليس إنقاصها ، ولم يزد أكثر من ذلك .

فقرة : سئل عن المادة الخامسة عشرة فأفاد الشاهد أن "دوم بيدرو" كان شديد الاحترام لملك هرمز ، كما عامل كبير وزراء المسلمين والأمراء بكل تقدير ، لكن الشاهد لا يعلم إن كان قد أخذ منهم أي شيء ضد رغبتهم .

أما بخصوص علاقته معه فلم يقل شيء .

***

كتب هذا "ديبجو ميننديز"- "جيرالدو رودريجز"- "جيرونيموس" .

***

فقرة : "جيرالدو رودريجز" ، شهد بعد أدائه القسم على الإنجيل المقدس بإشراف قاضي التاج .

استجوب عن المواد التي ذكرت في صدر الملحق التي قرئت وأعلنت له عدة مرات من قبل قاضي التاج .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الأولى فأجاب أن "دوم بيدرو" شخص لا يتردد في إفشاء أسس العدالة لأي من الأسباب التي تضمنتها تلك المادة .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الثانية فأجاب أنه بعلمه أن "دوم بيدرو" حاول جاهداً إلقاء القبض على المجرمين ، وذلك لمعرفة الشاهد للخطوات التي اتخذها هذا القائد للقيام بذلك في بعض الحالات التي رآها يلقي فيها القبض عليهم .

فقرة : سئل الشاهد عن المواد الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة فأجاب (...) ورد بعدم علمه أن "دوم بيدرو" قد قام بأي من الأعمال التي تتعلق بتلك المواد ، سوى أنه تعامل بعدل مطلق حسب علم الشاهد لأنه كان مقيماً في القلعة في ذلك الوقت .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة التاسعة فقال (...)

فقرة : سئل عن المادة العاشرة فأجاب الشاهد أنه يعلم بوجود العديد من المشاحنات في هذه المدينة بين برتغاليين مشهورين ، إلا أن "دوم بيدرو" كان يقوم في الحال بالتدخل وجعلهم أصدقاء من جديد .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الحادية عشرة فأفاد بمعرفته حينما يتم أخذ شيء بالقوة من أي شخص فإن "دوم بيدرو" كان بحرص على أن يتم سداد قيمته لصاحبه بالكامل أو إعادة ما أخذ منه .

فقرة : سئل الشاهد عن المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة فأجاب (...)

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الرابعة عشرة فأجاب أنه على علم بأن "دوم بيدرو" قد عمل جاهداً لزيادة دخل خزينة سيدنا الملك وليس لخسارتها .

فقرة : سئل الشاهد عن المادة الخامسة عشرة فأجاب أنه يعرف أن "دوم بيدرو" كان يعامل ملك هرمز باحترام شديد ، وكان أيضاً يقدر كبير وزراء المسلمين والأمراء ، ويعلم أنه لم يأخذ منهم أي شيء ضد رغبتهم .

لم يقل أكثر من ذلك ، أما بخصوص العلاقة بينهما فلم يذكر شيء .

***

كتب هذا "ديبجو مينديز" "جوليو فيرنانديز" "جيرونيموس" .

***

عندما استمع لأولئك الشهود الثلاثين اعتبر قاضي التاج أن التحقيق قد انتهى ، وأمرني والكاتب أن نعمل نسختين ، ترسل إحداهما لسيدنا الملك والأخرى للسيد الحاكم ، كما ذكر في هذه الأوامر المحلية .

كتب هذا "ديبجو مينديز" .

طلب هنا في النهاية أن أنسخ صك الإقامة .

"جيرونيموس"

تقرير إقامة ، خاص "بدوم بيدرو كاستيلو برانكو" ، القائد السابق لقلعة هرمز .

في العام الميلادي ١٥٤١م وفي الرابع من شهر سبتمبر ، وتحت إشراف قلعة هذه المدينة من قبل "دوم بيدرو دي كاسيتلو برانكو" .

مثل المذكور أعلاه أمام المدعي "جيروتيمو رودريجز" ، قاضي التاج في مدينة هرمز نيابة عن سيدنا الملك ليفيد بأنه قد سلم القلعة إلى "فيرناو ألفاريز سيرناشا" ، أحد نبلاء حصن سيدنا الملك بمقتضى أمر كتابي تسلمه من اللورد الحاكم .

بهذا طلب سيادته أنه حالما يسلم "دوم بيدرو" ويقوم بالتخلي عن القلعة يتوجب على قاضي التاج استلام تقرير إقامته طبقاً للعادة المتبعة والأوامر المحلية الصادرة عن سيدنا الملك ، والتي أمر فيها أنه عندما يقوم قادة القلاع في تلك الإنحاء بمغادرتها فإن عليهم تقديم تقرير إقامة حتى يعرف سموه كيف تصرفون في مناصبهم تلك .

لهذا الغرض فقد كان مستعداً للبقاء هناك لأطول مدة ممكنة يرى أنها ضرورية ، وطلب أن يتم نشر إعلاناته وبياناته ، وأن يمارس واجباته العادية .

حيث إنه لم يبق في هذه القلعة سوى ثمانية أشهر من فترته للمرة الثانية التي تواجد فيها هناك ، وكان في طريقه للبرتغال ، فقد التمس (قاضي التاج) أن يضع حداً للفترة التي كان سيقضيها هناك شخصياً .

وضع قاضي التاج في ذهنه أنه قضى هناك ثمانية شهور فقط ، وتلك الفترة قصيرة بالنسبة له ليذهب إلى الهند حتى يتمكن من الإبحار إلى البرتغال هذه السنة ، وأيضاً أن "بيدرو فيرنانديز" ، قاضي التاج العام ، موجود في تلك الأنحاء وكان قد تسلم تقرير إقامته للمرة السابقة بأمر من الحاكم "نونو دا كونها" ، لكل تلك الأسباب أمر أن يبقى المذكور "دوم بيدرو" لعشرة أيام من اليوم الذي تخلى فيه عن

القلعة وحتى سفره ، وبعد تلك الأيام العشرة عليه أن يترك شخصاً ليصبح مسؤولاً عن ما تم الادعاء به ضده ، وأن يسدد ما كان يدين به لبعض الأشخاص .

كما أمر أيضاً أن تضاف نسخة من الأمر القضائي المكتوب الذي صدر عن اللورد الحاكم هنا ، والذي يأتي فيما بعد .

كتب هذا "ديبجو ميندیز" ، الكاتب .

نسخة من الأمر الكتابي للسيد الحاكم

أنا "دوم استيفاو داجاما" ، القائد العام وحاكم الهند . . إلخ .

ليعلم كل من يطلع على هذا ، أنه وبقدر أهميته "لدوم بيدرو دي كاسيتلو" في أن يذهب للبرتغال ، نظراً للفترة الطويلة التي قضاها في تلك الأنحاء ، ولوجود تأخير في وصول "مارتيم أفونسو دي ميلو" ليتولى قيادة هرمز ، والتي عين لها من قبل سيدنا الملك ، عندما شغرت بتنحي "دوم بيدرو" ، وأنه لن يكون متواجداً هناك خلال شهري أغسطس وسبتمبر ، فإنني أوافق على رغبة "دوم بيدرو" في أن يسلم القلعة إلى "فرناو دألفاريز سيرناشو" "Fernao Alvares Sernacho" أو أحد السادة من ذوي المنصب في الدولة ويذهب شريطة أن تكون البلاد في حالة سلم .

إن "دوم بيدرو" يكون ملزما بقسم الولاء الذي أداه ، وإنه حالما يقوم بتسليم القلعة يصبح ملزماً بإعداد تقرير مقر ، وبهذا فإنني آمر قاضي التاج للقلعة المذكورة في هرمز أنه حالما يسلم "دوم بيدرو" القلعة في أي وضع كانت فيه ، فإن عليه تسلم تقرير المقر منه ، على أن يكون البلاغ

قد أعلن طبقاً للأمر المحلي ويكون سارياً ومطابقاً للعدالة والتقرير تجاه الأطراف الذين يودون الاستئناف .

يمكن "لدوم بيدرو" تسليم القلعة كما ذكر أعلاه حتى وإن بقيت بعض الشهور لإكمال فترته ، إن كان يرغب في ذلك .

كما أود إبلاغ الموظفين ذوي العلاقة بأن عليهم القيام بما تضمن في هذا الأمر ، وأن عليهم طاعة والاعتراف بالشخص الذي سلمه قائدهم "دوم بيدرو" مسؤولية القلعة في حالة عدم وصول "مارتيم افونسو" كما ذكر أعلاه ، وإن عليهم إطاعة أوامره وكل طلباته كما فعلوا ذلك مع "دوم بيدرو" ، وكما يجب أن يتم تجاه القائد الذي عينه سيدنا الملك .

كتب في "غوا" في الرابع عشر من شهر أكتوبر عام ١٥٤٠م بواسطة "أندريه رودريجيز" "Andre Roderigues" .

***

في أسفل الصفحة توجد إشارة تقول "دون ايستفاو داجاما" وتوقيع ينطبق على كل مواضيع هذا الأمر الكتابي ،

في الجانب الآخر من الأمر الكتابي أمر يذكر أنه سجل من قبل "أندريه رودريجز" .

هو الأمر القضائي الذي قمت أنا الكاتب بنسخه من الأصل وتمت مراجعته مع قاضي التاج .

"دييجو منديز" كتب هذا بالاتفاق معي ، أنا قاضي التاج . "جيرنيموس" .

من ثم في نفس اليوم ذهبت أنا الكاتب ، برفقة حارس البوابة لهذه المدينة ، إلى الأماكن العامة ونشرنا البلاغ المقدم هنا بواسطة قاضي التاج .

كما تم نشره والتصريح به بالفارسة بواسطة حارس بوابة فارسي حتى يفهم المسلمون ما جاء فيه .

كل ذلك جاء برفقة آلات البوق ، وكان البيان الذي أعلن كالتالي :

كتب هذا "دييجو مينديز"

على كل شخص ، برتغالياً كان أو مسلماً ، له شكوى يريد تقديمها ضد "دوم بيدرو كاستيلو برانكو" ، القائد السابق لهذه القلعة ، عليه الحضور أمامي ، وستأخذ العدالة مجراها .

يتعلق هذا بأولئك (...) في هذه القلعة في اليوم الثاني والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٤٠م

كما ينطبق هذا أيضاً على الفترة السابقة التي خدم فيها في هذه القلعة .

"جيرنيموس" .

***

البيان المكتوب أعلاه نشر في الأحياء والأماكن العامة من قبل "جواو فيرنانديز" حارس بوابة هذه القلعة ، وأيضاً من قبل حارس البوابة الفارسي الذي نشر وأعلن عنه للمسلمين في الاماكن المذكورة ، وأيضاً مع مصاحبة آلات البوق ، بعد صلاة القداس في الرابع من شهر سبتمبر عام ١٥٤١م .

ذهبت أنا "دييجو مينديز" الكاتب مع حارسي البوابة اللذين نشرا وأعلنا عن البيان أعلاه .

أنا "دييجو مينديز" ، الكاتب في السلطة القضائية كتب هذا .

نشر أيضاً وأعلن مرتين في خلال عشرة أيام بنفس الوسيلة التي ذكرت أعلاه .

بعد هذا وفي الرابع عشر من شهر سبتمبر من هذه السنة عام ١٥٤١م ، أرسل "دوم بيدرو دي كاسيتلو برانكو" القائد السابق لهذه القلعة برسالة إلى قاضي التاج بأنه على ظهر السفينة ، ومن الضروري والمهم أن يغادر ، لإكمال تقرير المقر ، وليسدد ما قد يظل على ذمته لبعض الأشخاص الذين قد يطالبون به فقد ترك "اليكسوس كارفالهو" وكيله القانوني ، وكان حاضراً .

قال المدعو "اليكسوس كارفالهو" أنه باق في هذه المدينة هرمز حتى إن كان "دوم بيدرو" يدين لأي شخص أو أشخاص بأي شيء ، فإنه سيقوم بتسديده بما يتناسب والمتطلبات القانونية حسب تقرير المقر ليكون كل شيء وكأن "دوم بيدرو" من قام بذلك بنفسه .

لهذا الغرض التمس أن تكون كل ممتلكاته العينية والثابتة مقابل المطالب القانونية وتقرير المقر كما ذكر .

كما أمر قاضي التاج أن يكتب هذا الشرط ، ووقع عليه "اليكسوس كارفالهو" ، لأن العشرة أيام التي أمر قاضي التاج أن يبقى فيها "دوم بيدرو" شخصياً قد انتهت .

"دييجو مينديز" كتب هذا- "اليكسو كارفالهو"

***

هذا التحقيق والمواد التي بموجبها تم استجواب الشهود ووثائق الإقامة والمقر تنسخ جميعها بالضبط دون إضافة أو حذف أي شيء قد يؤدي إلى نشوء الشك .

تم فحصها مع الأصل بحضوري ووجدت جميعها صحيحة تماماً ، وقعت عليها بنفسي ، أغلقتها ووضعت عليها ختم السلاح الملكي لسيادة الملك بحضوري وعندما قدمتها كان ذلك حتى أتلقى كل الثقة والضمانة حتى تبقى وكأنها الأصل .

كتب اليوم في العشرين من شهر سبتمبر ، أنا "ديجو ميندیز" الكاتب بالسلطة القضائية كتب هذا ، في العام ١٥٤١م .

***

لن يكون هناك أي شك فيما كتب بين السطور من بين أرقام الصفحات من السادسة عشرة وحتى الثامنة عشرة حيث تذكر بين السطور (...) وفي هذه الصفحة ، لأن كل شيء تم بإخلاص شديد ، وكتبت جميعها في ثلاث وثلاثين صفحة كلها تحمل هذه العلامة الموجودة والتي عليها توقيع القاضي للتاج وإقراره وعلمه وكلها بخط يده .

***

أنا ، "دييجو ميندیز" ، كاتب السلطة القضائية في هذه المدينة وقلعة هرمز من كتب هذا .

"هيرونيموس" "Heronimos"

***

فحصت لمطابقتها من الأصل من طرفي ، في اليوم الثاني والعشرين من سبتمبر عام ١٥٤١م "هيرونيموس" .

وفي العام نفسه (١٥٤١م)

كتب "د . جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، حاكم الهند ، رسالة إلـى الملك ، بتاريخ أكتوبر عام ١٥٤١م ، وبعث بها من "غوا" "Goa" ، يشير إلـى رحلة "دوم إيستيفاو دا جاما" من "غوا" إلـى السويس لإحراق السفن التركية : (٤٣)

إن هذه الرسالة - التي ضاعت بعض صفحاتها لسوء الحظ ولكنها لا تزال طويلة - لم تنشر حتى الآن ، ويبدو أن غالبية المؤرخين لم يكونوا على علم بها ، أو أنهم لم يشيروا إليها على الأقل في أعمالهم ، ولكنها مثيرة للاهتمام إلى حد بعيد بسبب المعلومات الإضافية التي تقدمها عن الرحلة المعروفة جيداً من "غوا" إلى السويس .

يبدو أن المخطوطة المحفوظة في مجموعة "إس لورنسو" هي المسودة التحضيرية الأصلية ؛ حيث إنها كتبت على عجل ودون كتابة التاريخ في أكتوبر عند التوقيع على الرسالة ووضع التاريخ عليها ، فهل تم

(٤٣) رقم الوثيقة والهامش.

إرسالها فعلاً ؟ لا ندري ، والمعروف هو أن "دوم جواو دي كاسترو" أبحر بعد وقت قصير من كتابتها .

مولاي ،

أنا في طريقي إلى البرتغال ، وبعد وصول هذه السفينة ، التي يقال عنها هنا إنها سفينتنا ، لن يكون هناك تأخير كثير قبل وصول سفينتي[أ] إن شاء الله ، وعلى الرغم من ذلك أعتقد أن من الضروري والهام أن أكتب لسموكم عن الرحلة التي قام بها "دوم إيستيفاو" - حاكم الهند - من مضيق مكة[ب] ؛ لأن الأشياء من هذا النوع تكتب دائماً بتحامل وعداء أو تعليقات بواسطة الذين يكتبونها لمصالح وأسباب خاصة .

(أ) بعد العودة من البحر الأحمر ، كان "دوم جواو دي كاسترو" يعد العدة لعودته إلى البرتغال . ولكن الأسطول الذي كان قادماً بالحاكم الجديد ، "مارتيم أفونسو دي سوسا" ، من البرتغال تأخر في الوصول إلى "موزمبيق" ولم يتمكن من الاستمرار إلى الهند في تلك السنة .
ولذلك ، وعلى الرغم من وجود بعض سفن "القرقور" في الهند كان هناك نقص في البحارة لتزويد السفن بهم .
ولهذا السبب فإن "دوم جواو دي كاسترو" والسادة الآخرين الذين حرصوا على العودة دون انتظار أسطول "مارتيم أفونسو دي سوسا" اقترحوا الإبحار على متن السفينة "القرقور" (إس . تومي) إلى البرتغال ، وعزموا على أن يعملوا بأنفسهم مع خدمهم كطاقم على السفينة . ولذلك السبب أطلق على اسم السفينة (إس . تومي) اسم (سفينة السادة) .
ولا أعرف ما إذا كان "دوم جواو دي كاسترو" يشير إلى هذا عندما يقول (السفينة التي يقال عنها أنها سفينتنا) . وإذا كان الأمر كذلك ، فإن تأخر وصوله بعد وصول سفينة "القرقور" هذه كان قصيراً للغاية .

(ب) مضيق باب المندب . يشير إلى رحلة "دوم إيستيفاو دا جاما" من "غوا" إلى السويس لإحراق سفن القادس التركية والتي بدأت في الحادي والثلاثين من ديسمبر ١٥٤٠م وانتهت بالعودة إلى "غوا" في الحادي والعشرين من أغسطس ١٥٤١م .

لكن ، وبما أن هناك أشياء كثيرة ينبغي ذكرها عن هذه الرحلة وستكون مصدر تسلية لمن يسمعونها ، فقد نوقشت مواضيع كثيرة عن هذه المناطق ، وأرى أنها لا تقل عنها جدارة بالاعتبار والتقدير ، ولو أننا أنجزنا هذه الرحلة بنجاح لأكدت سلامة وخير هذه البلاد .

نظراً إلى أننا لم نتوصل إلى حل بشأنها فإن شؤون الهند مزعزعة وأكثر خطورة مما كانت في أي وقت آخر ، وبما أنني غير مهتم بالحكم على أمور عظيمة كهذه فسأمتنع عن تذكير سموكم بها ، وسأسرد فقط وقائع رحلتنا منذ اليوم الذي غادرنا فيه ساحل الهند إلى أن عدنا إليه ، مع سرد بعض الأشياء التي حدثت في المضيق .

إنني أكتب كل هذا بدقة ؛ لأنه ورد بشكل مطول في تعليق كتبته لكم عن الرحلة وعن جغرافيا الخليج العربي [أ] .

عند وفاة "دوم جارسيا نورونها"[ب] ، نائب الملك السابق في الهند ، خلفه "دوم إيستيفاو دا جاما"[ت] في منصب الحاكم ، كما سيعرف سموكم ، وفور توليه المنصب أعلن أنه عازم على أن يتجه في الصيف التالي إلى السويس ليحرق أسطول التركي الكبير .

(أ) هذا هو :

Roteiro de Dom Joham de Castro da Viajee que os Portuguezes fizeram Des a India ate Soez .

(ب) توفي نائب الملك "دوم جارسيا دي نورونها" في "غوا" في الثالث من إبريل ١٥٤٠م .

(ت) إن "دوم ايستيفاو دا جاما" ، نجل الأدميرال "دوم فاسكو" ، وصل مؤخراً من "ملقة" التي كان قائداً عليها . وكان اسمه ثاني اسم في قائمة الخلافة ، وكان الأول هو "مارتيم دي سوسا" الذي كان في البرتغال آنذاك .

عند نهاية الشتاء بدأ يجهز أسطوله بعناية كبيرة ويجمع الجنود المشتتين في أنحاء الهند ، وكانت هذه التحضيرات مثيرة للقلق بدرجة كبيرة للدول المجاورة ؛ لأن الملوك والسادة الذين يحكمون في هذه البلاد خافوا من استخدام كل هذا النشاط ضد ممالكهم ومقاطعاتهم ، ومع توقع ذلك الحدث الرهيب عاشوا في حالة ترقب .

ما إن انقضى الوقت وأصبحت الحقيقة معروفة ، قام الخواجا "شافار"[أ] – والذي كان تركياً بالميلاد ، وهو حالياً واحد من القادة الأساسيين في "كامباي" – بتجهيز واحدة من سفن "القادس" الخاصة به في نهر "سورات" ، وعيّن رباناً تركياً لها ، وهو ابن أخي سليمان باشا[ب] الذي كان حاكماً للقاهرة في الماضي .

كان من المقرر أن يتوجه لينذر السويس والمضيق برمته بوصولنا ونوايانا ، وعندما سمع قائدا "ديو" و"باسين" بالسفينة "القادس" هذه ، أرسلوا سفناً شراعية ومراكب قطر بسرعة بالغة لسد مصب النهر حتى لا تغادر .

فور تلقي الحاكم لهذه الأنباء اتخذ خطوات على الفور وأرسل "دوم جواو ماسكارينهاس"[ت] ، الذي يحظى بتقدير بالغ هنا ، ويعد رجلاً

(أ) المرتد المشهور في حصارات "ديو" ، الذي لا يعرف أصله الحقيقي بشكل مؤكد ، وينسب لعدة جنسيات هي الإيطالية ، والألبانية ، واليونانية . ولكن هناك اتفاقاً عاماً على أن واحداً على الأقل من أبويه كان مسيحياً .

(ب) انظر الرسالة (٣) ، الصفحة (١٦) ، الملاحظة (٢) .

(ت) البطل المستقبلي لحصار "ديو" الثاني .

واسع الدهاء في تلك الحالات ، ليبحر على متن سفينة "قادس" جيدة التسليح ويهاجم بها الميناء ....[أ] .... ويتعين على سموكم تشييد قلعة ، وهي تبعد لمسافة ثلاثة فراسخ تقريباً عن (رودا) (الروضة؟) ولا توجد ورقة عشب واحدة ولا نقطة ماء واحدة هناك[ب] .

على الجانب الحبشي من هذا المنحنى يوجد مرفأ رائع للغاية ، وقد أعددت عنه خرائط توضح وضع الأرض وشكل كل شيء مع الطرق وخطوط العرض ، ولن أقول المزيد عن مرافئ المضيق ؛ لأنني آمل في أن أقدمها كلها لكم قريباً جداً إن شاء الله .

في الثلاثين من يناير أبحرنا من المدخل إلى المضيق ، وكانت الريح شرقية وعبرنا إلى الساحل الحبشي وحال أن أصبحنا في موقع لنشاهد البر منه أبحر نحو الساحل عبر قناة جديدة لم يشاهدها أي برتغالي أبداً من قبل ، ووجدنا فيها عدداً مدهشاً من الجزر .

خلال الرحلة بعث الحاكم بشاب وهو من أقاربه[ت] ومعه مراكب شراعية قليلة إلى بلدة على الساحل لكي يجد مرشدين إلى السويس .

(أ) هناك عدة صفحات مفقودة من المخطوطة في هذا المكان ، الأمر الذي يخل بالسرد ويترك الجملة التالية غير كاملة (المترجم) .

(ب) هذه هي الجزيرة التي تحمل علامة (ج) على خارطة المدخل للمضيق في الـ"Reteiro" (صفحة ٤١) . ويمكن أن يستنتج من النص المفقود في الرسالة أن بعض الناس أرادوا بناء قلعة هناك ولكن "دوم جواو دي كاسترو" رأى أن وجود حامية هناك سيكون غير مجد .

(ت) اسم هذا الشاب غير معروف . وكتب "جاسبار كوربا" يقول : " ومن هنا (المضيق) أرسل الحاكم مركبين إلى "بيلول" لجلب مرشدين ، ولكنهم عندما وصلوا إلى المرفأ غادره الجميع وفروا ، فأشعلوا النار في المنازل التي كانت مشيدة من القش " . (ليندااس ٤ ، صفحة ١٦٩) .

لم يعرف واحد من السرية أي شيء عن البلدة أو المرفأ ، وأمضوا الليلة في البر على لسان عند مدخل البلدة ، وأحدثوا جلبة إلى حد أن الناس الذين كانوا في البر سمعوهم وهجروا المكان .

ذهبوا إلى الشاطئ في الصباح وطلبوا مرشدين ولكن الأتراك الذين كانوا في البلدة رفضوا تزويدهم بأي مرشد ، ثم انطلقوا مسرعين براً لتحذير الساحل برمته وملك مصوع ، وعادوا إلى الأسطول ، وبفضل ريح مواتية استأنفنا رحلتنا بطول الساحل .

في الحادي والثلاثين من يناير رسونا وسط "أرخبيل" من الجزر في ملاذ يدعى "زبير"(أ) يقع عند خمس عشرة درجة شمالاً وتبعد مصوع من هناك مسافة أربعة وعشرين فرسخاً تقريباً .

في الرابع من فبراير ، ونظراً إلى أن أسطول السفن ذات المجاديف كان يعاني بالفعل من نقص في المياه ، أمر الحاكم السفن ذات المجاديف بالاتجاه إلى مصوع مع شقيقه "دوم كريستوفاو"(ب) ، وعندما وصلوا إليها كان يتعين عليهم أن يدوروا حول الجزيرة إلى أن يصل .

أبحرت السفن ووصلت إلى مصوع(ت) ووجدوا المكان خالياً وأن

(أ) (في الأصل :ساربو) . انظر "Roteiro" صفحة ٤٩ من أجل الحصول على وصف هذه الجزيرة والمرفأ :(تقع الجزيرة في موقع منخفض للغاية وفيها أشجار كثيرة ولكنها أشجار قصيرة وغير مثمرة ، والأرض يكسوها العشب . وهناك آثار رجال وقطعان في كل المكان ولكن كان هناك جمل واحد يمكن رؤيته ، ولذلك سميت هذه الجزيرة جزيرة الجمل) . يقول "جاسبار كوريا" الشيء ذاته ، المجلد (٤) ، الفصل (٢١) .

(ب) "دوم كريستوفاو دا جاما" الذي توفي في الحبشة .

(ت) كتب "دوم جواو دي كاسترو" في مذكراته Roteiro :

الملك(أ) ذهب إلى البر الرئيس لبلدة تسمى أرقيق(ب) لأن الأتراك - الذين رفضوا تزويدنا بمرشدين ، كما قيل - نقلوا له أخبار قدومنا .

في السابع من فبراير أبحرت سفن "القرقور" وسفن "القادس" من جزيرة "ساربو" "Sarbo"(ت) ، وكانت الرياح شمالية شرقية ومواتية ، وفي اليوم التالي الثامن من فبراير ، رسونا قبالة جزيرة تسمي "دهلك" ، وهذه هي أكبر جزيرة في المضيق كله ، وتربي هنا جميع أنواع القطعان ولا توجد فيها أي إمدادات أخرى .

في الماضي كانت هذه الأراضي والبحار جزءاً من إمبراطورية الأتراك ، وكانت السفن الشراعية المحملة بالبضائع من الهند تأتي لتفريغ بضائعها في هذه الجزيرة ويتم توزيعها ونقلها من هنا إلى جميع أنحاء آسيا وأوروبا .

عندما وصلنا إلى هذه الجزيرة وجدناها مهجورة إذ إن أنباء قدومنا

"كانت جزيرة مصوع هذه حتى وقت قريب تحت سيادة "بريستر جون" مع بقية الساحل من رأس "جواردافوي" إلى رأس سواكن . ولكن ، وقبل سنوات قليلة ، اغتصبها ملك "دهلك" ويعيش هناك خلال معظم أيام السنة " . (Roteiro ، الصفحة ٥٩) .

(أ) طبقاً لـ "جاسبار كوريا" :

"كان مسلماً مع الجنود وأطلق على نفسه لقب ملك مصوع ، ولم ينتزعه منه جنود "بريستر جون" ؛ لأنه جرد هذا الشريط الساحلي من سكانه ويسيطر عليه المسلمون " . (ليندا س ٤ ، الفصل (٢٢)) .

(ب) أرقيق : ميناء على البحر الأحمر على البر الرئيس المقابل لجزيرة دهلك . (وعندما ذهب "دوم فرانسيسكو ألفاريس" إلى هناك قال إنها بلدة نصارى . (لكن ، وخلال عهد "دوم جواو دي كاسترو" استولى الأتراك على تلك الأنحاء .Verdadeira Informacao das Terras do Preste Joao . الفصل (١) .

(ت) وفي الرابع من فبراير عام ١٥٤١م ، وعند الشروق ، أبحرنا من مرفأ "ساربو" (حسبما جاء في Roteiro) .

وصلت إلى هناك ، ولذلك لم نجد أي شخص نستطيع أن نحصل منه على أي معلومات .

في يوم التاسع من فبراير ذهب الحاكم في مركب مع القائدين الآخرين نحو مصوع ، وفي اليوم التالي ، وفور وصوله إلى هناك ، بعث برسل ليطلب من الملك مرشدين ليرسلوه إلى سواكن ومن ثم إلى السويس ، وعرض عليه الصداقة إذا استجاب إلى طلبه .

أظهر الملك في البداية قبولاً وموافقة على كل شيء ، ولكنه راوغ من يوم إلى آخر إلى أن تم استعجاله ، فاعتذر قائلاً : إن الأتراك إذا عرفوا بأنه زودهم بمرشدين للذهاب معهم إلى السويس فسيستولون على أرضه وسيدمرونه وهو ليس قوياً بما يكفي ليدافع عن نفسه ضد قوة هائلة كقوتهم .

قد ضاعت تسعة أيام خلال هذه المفاوضات ، حيث كان الملك يوافق تارة ويرفض تارة أخرى تزويدنا بالمرشدين إلى أن أدرك الحاكم خدعته وأن كل ذلك كان ذريعة حتى تصل الأخبار إلى سواكن والسويس و"القاهرة" .

قرر الإبحار تاركاً سفن "القرقور" و"القادس" في مصوع مع "مانويل دا جاما"[أ] كقائد للأسطول ، وقد تم اختياره من بين جميع القادة والسادة

(أ) كان "مانويل دا جاما" عم الحاكم . ويقول "ديوغو دي كوتو" : " إنه كان صاحب مزاج حاد ومزعج إلى حد يصعب تحمله " .

الحقيقة أنه كان يواجه عدة صعوبات يتعين عليه التخلص منها ، وهي المرض ونقص المؤن وأعمال التمرد – وعلاوة على ذلك هناك البطريرك "دوم جواو بيرموديز الذي كان يحرض الرجال على الفرار إلى أراضي "بريستر" . (انظر كوريا ، لويندااس ٤ ، الفصلان ٦ و ٢٧) .

يقــول "ديوغو دي كوتو" :" إنه سقط مريضاً وتــوفي عندما كان الحاكم يغادر المضيق ، وأمر بدفنه في إحدى الجزر في مدخل المضيق " . (ديكاداس ٥ ، الفصل ٩) .

الآخرين لهذا المنصب الذي عمل فيه بجد لخدمة سموه ، الأمر الذي سبب وفاته ، وتم دفنه في الجزيرة عند مدخل المضيق .

مصوع مرفأ جيد : وتقع عند خمس عشرة درجة ونصف شمالاً ، وكانت تسمى سابقاً "بطليموس" الوحوش ، وبالنسبة لعلماء الجغرافيا تقع على ساحل "إثيوبيا" أسفل مصر فيما نسميها الحبشة حالياً .

في التاسع عشر من فبراير أبحرنا من ميناء "مصوع" بجميع السفن ذات المجاديف ، وخلال جزء من اليوم كانت هناك رياح شمالية شرقية خفيفة ثم هبت ريح شرقية ، وواصلنا الإبحار بطول ساحل الحبشة .

بعد أيام قليلة أمر الحاكم "دوم كريستوفاو" بالتقدم ببعض السفن[أ] لإخلاء البحر من أهالي سواكن وإبقائهم في مينائهم لحين وصوله مع بقية الأسطول ، ولكنه عندما وصل إلى هناك ، وجد المدينة خالية ، وأن الملك وجميع رجاله ذهبوا إلى البر الرئيس ؛ لأن الرسالة وصلت من مصوع قبل أيام بأننا نطلب مرشدين ليرشدونا للوصول إلى هناك .

بعد أن أرسل الحاكم شقيقه انتظر لبعض الوقت بحيث إنه عندما وصل إلى سواكن كان ذلك في أول مارس ، وفور وصوله أرسل رسلاً إلى الملك يطلب منه مرشدين لقيادته إلى القصر ومن هناك إلى السويس وطلب مبلغاً من المال أيضاً[ب] .

حيث إن المسلمين أذكاء بطبعهم ويتمتعون بدهاء شديد ، فقد

(أ) يقول "جاسبار كوريا" : إنه ذهب بعشرين سفينة شراعية (ليندااس ٤ ، الصفحة ١٧٢) .

(ب) يقول "كوريا" : "إنه بعد رفض الملك تزويد الحاكم بمرشدين ، بعث "دوم ايستيفاو" له بوصية مفادها أن عليه أن يقدم له ثمناً للبلدة وإلا أحرقها .
ورد الملك بأنه سيعطيه مالاً كثيراً " ، (ليندااس ٤ ، الصفحة ١٧٤) .

وافقوا على كل شيء عن طيب خاطر ، حتى يتمكنوا في الوقت ذاته من رسالة إلى "القاهرة" والسويس ، وكانوا يجدون في كل يوم ذريعة ما لتمديد الوقت .

قد سألوا عن العملة التي نريد أن نتلقى بها المبلغ ، وقالوا إن بعض المال لم يأت بعد من عدة منازل ، وأما بالنسبة للمرشدين فقد قال الملك إنه سيرسلهم إلى حيث أسطولنا ، وسيتم سحبهم بالقوة حتى لا يعتقد الأتراك أن الملك أعطانا إياهم برغبة منه(أ) .

قد استبقونا هناك بهذه الحيل لمدة تسعة أيام وهي مدة كافية لكي تصل جمالهم ومعها الأخبار إلى حاكم "القاهرة" عن توجهنا إلى السويس ، وعندما أدرك الحاكم الخداع أرسل رجاله إلى البر وهاجم مخيم الملك الذي وجده مهجوراً ، وربما كان ذلك بسبب نزولنا إلى البر الذي لم يتم سراً ، ولا بد أن المسلمين سمعوا به(ب) .

بينما كانت المفاوضات مستمرة بين الحاكم وملك سواكن ، شعرت بالارتياب في أن نية المسلمين هي احتجاز الحاكم بينما يرسلون تحذيرات إلى "القاهرة" ، وكنت قد أمضيت الجزء الأكبر من حياتي وسط المسلمين في الحروب الإفريقية حيث علمني الزمن والتعليم الذي تلقيته من العديد من القادة البارزين - ولا سيما "دوم دوارتي

(أ) طبقاً لـ"كوريا" كان لدى هذا الملك حرس (من أربعين تركياً ومعهم قائد وكان يدفع الجزية للسلطان الذي كان يخشاه كثيراً) .

(ب) (وعثروا على كثير من الملابس والممتلكات والأموال داخل المعسكر الذي غادره المسلمون على عجل) ، (ليندراس ٤ ، الصفحة ١٧٤) .

دي مينيسيس"(أ) ، الذي لا يمكن للمرء أن يفيه حقه من الشكر والإشادة بفضائله ونبله - ، خدع وحيل الأفارقة .

تحدثت في اليوم المحدد إلى الحاكم بحضور "دوم فرانسيسكو دي مينيسيس" و"تريستاو دي أتيد"(ب) و"دوم فرانسيسكو دي ليما" ، وقمت في البداية بتذكيره بأن أسطولنا من السفن ذات المجاديف لا يستطيع الإبحار أو التقدم ؛ لأنه محمل بكميات أكثر من اللازم من العاج وبضائع أخرى تم الاستيلاء عليها عند نهب "سواكن" ، وأن في أسطولنا بعض السفن الشراعية الثقيلة للغاية ، وكنا نفقد وقتاً طويلاً ونحن ننتظرها ، وأن كثيراً من السفن الشراعية تفتقر إلى ثلث طاقمها .

كانت رحلتنا معروفة تماماً أيضاً ، كما يرى فخامته ، وكان واضحاً أن التأخير والالتفافات كانت عوامل يمكن أن تحرمنا من النصر في السويس التي كلفت سموكم الكثير ، ويجب على فخامته ألّا ينتظر لأي فترة ، وأن يغادر "سواكن" ، وأن يأمل في أي حل وسط مع المسلمين ، إذ إن من عادة المسلمين ألّا يتعاملوا بثقة .

نظراً لعدم إمكانية الوصول إلى السويس بكل تلك السفن الشراعية قبل وصول العون إلى هناك ، حيث إن عدداً كبيراً منها يفتقر للبحارة

(أ) كان "دوم دوارتي دي مينيسيس" أول قائد عمل تحت إمرته "دوم جواو دي كاسترو" في طنجة عندما كان لا يزال صبياً .

(ب) طبقاً لـ "جاسبار كوريا" فإن "تريستاو دي أتيد" أبلغ الحاكم أنه :
"مـا دام مصممـاً على الذهاب إلى السويـس فيجب عليه ألّا يدع أي شـيء آخر يؤخره أو أن يجـازف بمواجهـة أي كارثة يمكن أن تجعـل سفره كل تلك المسافة بلا فائـدة " ، (ليندا س ٤ ، الصفحة ١٧٤) .

والبعض منها غير صالح للمضي قدماً ، فيجب عليه أن يختار ثلاثين أو خمساً وثلاثين سفينة من السفن الشراعية الخفيفة للغاية ، وأن يزودها بالرجال من تلك السفن التي ستتخلف وتعود إلى مصوع .

يجب علينا محاولة الوصول إلى السويس بتلك السفن الشراعية الخمس والثلاثين بأسرع ما يمكن وبطريقة مباشرة قدر الإمكان وإشعال النيران في سفن "القادس" التركية قبل وصول العون .

ساندني "تريستاو دي أتيد" بقوة في حديثه ، ولكن الرأي لم يقبل ، والله وحده يعلم السبب .

"سواكن" هي المدينة الأكبر والأغنى على هذا الساحل على الجانب الإثيوبي ، وتقع عند (١٩/٢٠) درجة شمالاً ، وتبعد مسافة تسعين فرسخاً عن مصوع ، واسمها القديم هو "ساكولا"[أ] وتمتد مملكة "بريستر جون" - أو ملك الحبشة - حتى هنا .

المدينة مستديرة إلى حد أنها تبدو دائرية من جميع الاتجاهات ، وهي محاطة بالمياه ولا يمكن لأي ميناء في العالم أن يزعم التفوق عليها ، ويأتي إليها كل الذهب والعاج من أرض الإثيوبيين ، وتحقق الجمارك أموالاً طائلة للتركي[ب] .

في العاشر من مارس أبحرنا من "سواكن" ، وكانت الريح تهب من

(أ) " كانت سواكن تعرف سابقاً باسم ميناء "أسبي" ، (روتيرو ، الصفحة ٩٥) .

(ب) " تتاجر هذه المدينة مع كل الهند ومع هذا الجزء من نهر الغانج وورائه ، أي "كامباي" و"تيناسيرم" و"بيفو" و"ملقة" وفي منطقة البحر الأحمر مع جدة والقاهرة والإسكندرية " . (روتيرو ، الصفحة ٩٧) .

الشمال أو من شمال الشمال الغربي وأمواج البحر عالية إلى حد أن السفن الشراعية لم تتمكن من التقدم ، الأمر الذي أعاق تقدمنا وسبب وفاة الكثير من رجال التجديف .

كان سبب ذلك جزئياً أن الكثير من السفن الشراعية كانت ثقيلة وبطيئة للغاية إلى حد لم تتمكن معه من التحرك إلى الأمام . وكان من الضروري للسفن الشراعية الأخف وزناً أن تمد كبلات لها وتسحبها باتجاه خلفي ، وبذلك تساوت السفن الأخف والأثقل وزناً .

بعد الإبحار وسط هذه العاصفة لعدة ساعات تغيرت الريح لتصبح شمالية غربية[أ] ، ولكننا عندما حاولنا استعمال الشراع والتقدم من وقت لآخر كنا نصطدم بكثير من الشعب المرجانية فور ابتعادنا من الساحل وكأن البحر كان يكثر من إنتاجها .

مع كل هذه القوى المضادة اضطررنا لدخول مرفأ جيد للغاية يسمى "دارديت"[ب] في السابع عشر من مارس ، ويبعد هذا الميناء مسافة عشرة فراسخ عن سواكن ، ويقع عند ١٩/٥٠ درجة ، ووجدنا الكثير من الآبار ذات المياه العذبة في هذا الميناء[ت] .

في التاسع عشر من مارس أبحرنا من "دارديت" بمساعدة ريح شمالية غربية ، وجدفنا بطول الساحل ، وكنا نكافح في بعض الأحيان ضد

(أ) بين الخطين مكتوب (شمال الشمال الشرقي) .

(ب) "درادِيت" ، "بورتسودان" حالياً .

(ت) طبقاً لـ"كوريا" ، آبار كثيرة إلى حد " أنهم أطلقوا عليها اسم : المورد ذو مائة بئر" . (ليندا س ٤ ، صفحة ١٧٥) .

الريح ، وكنا نتركها في بعض الأحيان تثور ، إلى أن تمكنا بعد جهد هائل من أن ندخل في الخامس والعشرين من مارس ميناء معروفاً يسمى "أريكياي"(أ) ، والذي سماه الجنود ميناء المظلومين(ب) .

يقع الميناء عند ٢٠/٣٠ درجة شمالاً ، ويبعد عن "سواكن" مسافة اثنين وعشرين فرسخاً ، وعندما وجد الحاكم نفسه في هذا الميناء أدرك أن الاستمرار بكامل الأسطول فيه ضياع للوقت ، وعقد اجتماعاً لبحث هذا الأمر وأعلن أنه يريد إرسال عشرة مراكب في المقدمة عليها كثير من المجدفين ، وسيذهب هو معهم ، وأما بقية سفن الأسطول فستعود إلى مصوع .

عارض القادة الآخرون هذا الرأي وذلك الأقرب اقتراحاً ، ووافقه عليه قليل فقط من أقاربه وأفراد أسرته ، بما أن المودة والتملق في هذه البلاد أقوى نفوذاً من المعارضة والمواجهة ، وأوضحت أمام الجميع الكثير من الأسباب التي تفسر لماذا يتعين على الحاكم ألّا يفعل هذا ، وأبلغته أن الأسطول سيكون في حالة اضطراب لأن الجنود لن يقبلوا بأي حال البقاء والتخلف عن الذهاب ، وكان من المؤكد أن يتسببوا في بعض الاضطرابات .

لم تكن هناك ميزة من ذهابه مع عشرة مراكب فقط علاوة على حاجتنا لأن نكتشف بلاداً وبحاراً غير معروفة بالنسبة لنا ، وهو ما لا

(أ) مرسى "أريكياي" .

(ب) بسبب المجادلات الطويلة التي حدثت هناك حول استمرار الحملة وغضب أولئك الذين وجدوا أنفسهم مرغمين على العودة إلى مصوع . (انظر كوريا ٤ ، الصفحة ١٧٦) .

يخدم أي غرض في الوقت الحالي ، ويجب علينا أن نجتهد في الوقت الحالي للقيام بما هو مثمر وضروري أكثر من غيره لخدمة جلالتكم .

على الرغم من أنه كان بمقدورنا الوصول إلى السويس على متن تلك السفن لم يكن بإمكاننا أن نحمل عدداً كافياً من الرجال للنزول هناك ، بما أننا عرفنا من مصادر كثيرة بوجود أربعمائة جندي دائماً في السويس لحراسة سفن "القادس" .

يجب أن نتذكر طول الفترة التي أصبح وجودنا معروفاً في أنحاء المضيق ، كما رأينا في "مصوع" و"سواكن" ، ويجب ألّا نعتقد أن حاكم "القاهرة" ليس لديه حامية قوية في السويس ما دام قد تلقى أنباء عن قدومنا منذ فترة طويلة .

على الرغم من هذه الأخطار المؤكدة يجب على الفرسان مواجهتها ما دام الأمر مغامرة ، أي أنه يتعين علينا إما إحراق سفن "القادس" خلال هجومنا ، أو أن يتم التغلب علينا ونلقى مصرعنا وسطها .

بيد أن الأمر ليس كذلك ، وبما أن الجميع عرفوا أن ظروف التأخير والطقس السيئ قد حرمتنا من إمكانية تحقيق النصر فإن ما توفر لدينا حقاً آنذاك هو أن نجد طريقة للمحافظة على أسطولنا ورجالنا ، وأن نعود أدراجنا باتجاه الهند دون أي خسائر أو أضرار أخرى .

من الجائز أن الأتراك - ولاعتقادهم بأننا عائدون ليأسنا من الوصول إلى السويس - لن يستمروا في تحصين البر أو الإبقاء على خفراء وحراس أكثر عدداً من المعتاد ، وفي حال حدوث هذا فربما يصبح ممكناً بالنسبة له أو لحاكم آخر أن يستعيد ما فقدناه نحن كلياً في الوقت الحاضر .

قوبل رأيي هذا بازدراء ، وقال آخرون ممن كان لهم رأي مخالف ، بأننا إذا لم نتمكن من إكمال هذه الرحلة فإن الله يمنع أي أحد آخر من القيام بها(أ) .

عمل الحاكم بعد ذلك على إعداد ستة عشر مركباً ، وصعد جميع وجهاء الهند ، الذين كان يوجد منهم عدد كبير ممن يتمتعون بالثراء والخدمة الطويلة ، إلى متن السفن ، وأمر كل سفن الأسطول الباقية بالعودة إلى مصوع(ب) .

غادر الحاكم الميناء مصحوباً بهذا العدد من المرافقين الذين كان عددهم قليلاً ، ولكنهم كانوا من المشاهير .

طوال الوقت الذي كنا نبحر فيه كانت هناك رياح شرقية قوية تهب لصالحنا ، الأمر الذي ساعدنا على أن نبحر بسرعة وسهولة ، وفي الثلاثين من مارس أبحرنا من ميناء مرسى "أراكيا" ، الذي يعرفه الجنود باسم (ميناء المظلومين) .

كانت الريح خفيفة وشرقية ، وأبحرنا بطول الساحل ، ثم ألقينا مراسينا بعد وقت قصير من انتصاف النهار بعد "أراكيا" بأربعة فراسخ في ميناء يسمى "صلدقة"(ت) .

(أ) انظر "كوريا" ، ٤ ، صفحة ١٧٦ .

(ب) فيما يتعلق بأولئك الذين اضطروا إلى التخلف عن الرحلة فقد احتجوا كثيراً إلى حد أن الحاكم اضطر إلى أن يخاطبهم : "بكلمات رقيقة للغاية وطلب منهم مناشداً التوقف عن اعتراضاتهم " من أجل تهدئتهم . ("كوريا" ٤ ، الصفحتان ١٧٦ - ١٧٧) .

(ت) " أربعة فراسخ بعد "أريكيا" وعلى مسافة ستة وعشرين فرسخاً من سواكن" ، ("روتيرو" ، صفحة ١٢٧) .

في اليوم التالي هبت لصالحنا ريح شرقية أيضاً واستفدنا منها أكثر مما استفدنا في اليوم السابق فأبحرنا طوال النهار ، ولكن منذ ذلك الوقت فصاعداً تحولت الرياح إلى رياح شمالية وشمالية غربية ، الأمر الذي سبب لنا متاعب كثيرة لأننا سلكنا مسالك أقصر عند التجديف .

وجدنا أنفسنا وسط الصخور والشعب المرجانية والجزر الصغيرة وعقبات أخرى لا تحصى ، فكنا نتحرك نهاراً ونحتمي متوقفين ليلاً ، ووجدنا خلجاناً كبيرة وكنا نعبرها في بعض الأحيان ونلتف على نتوءات جبال عالية .

في فجر يوم الخامس عشر من إبريل كنا على مسافة فرسخين من "قصير" ، ودخلناها ووجدناها خالية من السكان ولكنها كانت مليئة بالمؤن المتنوعة التي كنا بحاجة ماسة لها(أ) .

تقع قصير على خط عرض ست وعشرين درجة واثني عشر قدماً ، وهي ميناء مصر الذي يتم من خلاله نقل كل ما ينتج على ضفتي نهر النيل إلى جميع مدن المضيق ، ولا بد أن عدد سكانها زاد عن مائة نسمة ، والسكان العرب يعيشون على التجارة وهم عزل عن السلاح .

(أ) وجدوا هناك : "القمح والزبدة والعسل والحبوب والجوز والزبيب والتين المجفف وشرائح البصل والثوم كما في البرتغال وكميات من البسكوت الدائري الشكل وزيتاً جيداً للغاية وزيتوناً محفوظاً في الزيت يصل حجمه إلى حجم زيتون قرطبة والكبر المخلل والمشمش المجفف والزبيب والخروب والضأن والماعز والدجاج والبط والكثير من الحمام داخل أبراج الحمام " ("ليندداس" ٤ ، صفحة (١٨٦) .

وغني عن القول إن كل هذا كان مستورداً . وطبقاً لـ"جواو دي كاسترو" (روتيرو ، صفحة ١٨٦)، فإن "قصير" ذاتها "صغيرة إلى حد بعيد ، وهي من أكثر الأماكن محلاً ووحشة في العالم" .

المسافة بين قصير والنيل حوالي خمسة عشر فرسخاً ، وطبقاً لما ورد في "بطليموس" ، فإن الاسم القديم لهذا المكان هو (ميسارمو) ولكنني أعتقد أن "جوزيفوس" يسميه (الكوسيران)[أ] .

في مرفأ "قصير" أحرقنا سفينة "قرقور" حمولة أربعمائة طن مملوكة لشريف مكة وسفينتين أخريين مملوكتين للمالباريين وخمس سفن "قادس" ، والمرفأ فقير للغاية ، وفي الثامن عشر من إبريل غادرنا ميناء "قصير" ، وكانت الريح من شمال الشمال الغربي .

كان الساحل سالكاً وخالياً من الشعب المرجانية والرواسب الرملية ، وفي اليوم التالي ألقينا مراسينا قبالة جزيرة تسمى "إسفنج البحر"[ب] ، وكانت مسطحة للغاية ويصل طولها إلى حوالي فرسخين ، ولمسافة ربع فرسخ تبتعد عن البر الرئيس ، ولذلك فهي أول مكان من الشاطئ المقابل يمكن منه رؤية الساحلين ، وكان طول الفاصل بينهما من البحر حوالي ستة عشر فرسخاً .

في العشرين من إبريل أبحرنا من هذه الجزيرة ، وكنا نعتمد على المجاديف ، وخلال تقدمنا بطول الساحل أصبح البر من الجانبين أقرب إلينا ، وفي اليوم التالي ، الحادي والعشرين من إبريل ، بدأت الريح تهب من الشرق .

بعد أن نشرنا القلوع كلها أبحرنا مسرعين وسط جزر جبلية واسعة لا

(أ) طبقاً لـ"بليني" في الكتاب السادس من "التاريخ الطبيعي" و"بطليموس" في الخارطة الثالثة لإفريقيا ، "كانت بلدة الكوسير تسمى "فيلوتيراس"" (روتيرو ، صفحة ١٨٥) .

(ب) يقول "جواو دي كاسترو" في روتيرو ، صفحة (١٩٢) ، إن الاسم يعني (إسفنج البحر) .

تقطنها سوى الطيور ، وعندما ابتعدنا عنها ، توجهنا نحو الساحل الآخر ، وهو ساحل "أرابيا بترايا"(أ) وأبحرنا بطول ذلك الساحل ،

قبل ساعتين من الغروب دخلنا بلدة "الطور"(ب) التي كان فيها عدد يتراوح بين تسعين ومائة تركي يحرسون البلدة ، وقد قاوموا نزولنا على الساحل بعض الشيء ، بيد أننا نزلنا إلى الشاطئ وخربنا المكان ، وانسحب الأتراك إلى غابة صغيرة من أشجار النخيل ، حيث توجد بئر ماء على مسافة طلقة مدفع من البلدة ، وبقوا هناك هادئين .

تقع بلدة "الطور" على ساحل "أرابيا بترايا" ، بطول ساحل واسع وجميل ، وكان عدد سكانها حوالي مائتين على الأقل والناس هناك نصارى ، وهناك دير رهبان يمنحون الأسرار المقدسة ، وتنعم الكنيسة برعاية القديسة المباركة "كاثرين"(ت) ، وهذا هو المكان الوارد في الكتاب المقدس باسم "إيلات"(ث) ، وعند "بليني" و"بطليموس" جنوبي (؟) "إيلانا" .

(أ) هذا هو الاسم الذي أطلقه القدماء على المناطق الصحراوية في الشواطئ الشمالية من البحر الأحمر لتمييزها عن الأراضي الأكثر خصوبة في اليمن والتي تعرف باسم (أرابيا فيلكس) البلاد السعيدة .

(ب) في شبه جزيرة سيناء .

(ت) كان يقيم في "الطور" - أو طور ، عند مدخل خليج السويس - النصارى الأرثوذكس اليونانيون ، وكانت الكنيسة المكرسة للقديسة "كاثرين" تابعة للدير الكبير والشهير الذي يحمل الاسم ذاته ، والذي يقع بعيداً في الداخل على جبل سيناء حيث لا يزال هناك .

(ث) كان "دوم جواو دي كاسترو" على خطأ عندما أطلق على هذا المكان اسم إيلات ("إيلانا" بالنسبة للروم) ، وهي العقبة حالياً ، بالقرب من "إزيون" - جبر العتيقة عند رأس خليج العقبة ، والتي لم تكن معروفة آنذاك للبرتغاليين ، ولا توجد صلة بينها وبين "الطور" على ساحل خليج السويس ، وعندما ربط "البوكيرك" بين "إزيون" - جبر والسويس (كارتاس ١ ، صفحة ٢٢٤) كان بعيداً قليلاً عن الحقيقة .

قد بعث الملك سليمان بالأخشاب لاستخدامها في صنع السفن التي أبحرت إلى "ترشيش" و"أوفير" لجلب الذهب والفضة ليبني بها الهيكل(أ) .

الأمر الذي جعلنا نشعر بالخزي هو أننا على الرغم من امتلاكنا "أوفير" و"أرشيش" والهند برمتها على جانبي نهر الغانج ، لن نتمكن فقط من أن نورد لسموكم بعض الذهب والفضة واللآلئ الثمينة ، بل إننا لا نرسل أيضاً القليل من الفلفل والفواكه الأخرى التي تنمو في البرية ، ما لم يرسل سموكم لنا أولاً مبلغاً كبيراً من المال .

في بلدة "الطور" هذه وجدنا مستودعاً ضخماً به كميات من الذخيرة لسفن "القادس" ، ومدافع ، وبعض السفن الشراعية ، وسفينة "قادس" عائمة ، وكل هذا ، ولأنها كانت تخص المسلمين ، كانت كلها سالمةً ، وأما ممتلكات وحلي النصارى فتعرضت للسرقة أو التدمير ... وبهذه الطريقة يدين التركي لنا بالكثير ويدين النصارى بأقل القليل .

تقع "الطور" عند خط عرض ثماني وعشرين درجة و خمسة عشر قدماً شمالاً ، وفي هذا الموقع خرج اليهود من البحر عندما عبروه من اثني عشر مساراً طبقاً للتاريخ المسجل عاماً بعد عاماً لسكان هذه

(أ) "وأعد الملك سليمان بحرية من السفن في "إزيون" – جبر الواقعة قرب "إيلوث" ، على ساحل البحر الأحمر ، في بلاد "إيدوم" .... وجاؤوا إلى "أوفير" وجلبوا من هناك الذهب وأربعمائة وعشرين "طالن" للملك سليمان " . (الملوك ٢٦ و ٢٨) .

وفي الفصل التالي ، وفي المقطع ٢٢ : "إذ أن الملك كانت لديه بحرية "ترشيش" مع بحرية "حيرام" : وفي مـرة من المرات وبعد ثلاث سنوات جاءت بحرية "ترشيش" وجلبت الذهب والفضة والعاج والقرود والطواويس" ، وعرف البرتغاليون "أوفير" باسم "سوفالا" .

البلاد[أ] ، وحتى هذه البلدة ، تتقارب السواحل إلى حد أن البحر فيما بينها لا يتجاوز ثلاثة فراسخ .

في الثاني والعشرين من إبريل غادرنا "الطور" ، وكانت هناك ريح خفيفة تهب من الجنوب الشرقي ، ولم تستمر طويلاً ، وعندما أصبحت ساكنة تعرضنا لمصاعب كثيرة ، وأبحرنا لمسافة عشرة فراسخ في ذلك اليوم ، ولكننا واجهنا بعد ذلك رياحاً عكسية قوية مستمرة من اتجاه الشمال وأمواجاً عالية ، وتغير اتجاهنا من ساحل لآخر .

في الساعة الحادية عشرة من يوم السادس والعشرين من إبريل ، ألقينا مراسينا في الملجأ الذي وفره لسان من الأرض داخل البحر ينتأ من ساحل شبه جزيرة العرب ، ونزلنا إلى البر ، وتمكنا من أن نرى من لسان الأرض بلدة "الطور" من هناك ، وتمكنا من رؤية صواري السفن التي كانت في المرفأ ، ووراء هذا الموقع يوجد نبع يسميه العرب والمصريون ينبوع موسى[ب] ، ويتمتع ماؤه بسمعة واسعة وسط تجار هذه البلاد .

في الساعة العاشرة من يوم السابع والعشرين من إبريل غادرنا "لسان الأرض" هذا وتوجهنا نحو السويس ، وكانت الريح قوية من اتجاه شمال الشمال الغربي .

بعد أن غادرنا ملجأنا على البر رآنا الأعداء وأطلقوا طلقات مدافع

(أ) هكذا تم إبلاغ "دوم جواو" بواسطة" مسلم موثوق به وهو رجل واسع الاطلاع للغاية ومحقق لم أقابل مثيلاً له أبداً من قبل بين المسلمين في تلك الأنحاء" (روتيرو ، صفحة ٢٠١) .

(ب) طبقاً للتقاليد العربية التي أشار إليها "دوم جواو دي كاسترو" في الروتيرو ، صفحة (٢٠٣) ، إن هذا النبع : "وهبه الرب لليهود استجابة لدعاء موسى وأن ماءه مفيد للغاية للجميع" .

علينا ، وبدا عليها أنها كانت إشارة(أ) ... وعندما كنا على مسافة فرسخ واحد تقريباً من السويس ، أرسلني الحاكم ومعي "دوم كريستوفاو" و"تريستاو دي ألتايد" للتجسس على البر والجنود الموجودين هناك في البلدة وضواحيها .

عند اقترابنا اعتقد البعض منا أن المكان خال لأن الرجال اختبأوا ، ولكننا عندما دنونا وبدأنا نبحث عن الناس خرجوا جميعاً من مخابئهم ، وكانت هناك ثلاث سرايا كبيرة اصطف أفرادها في تشكيل مرصوص ، وقد تم تثبيت الرايات على حافة الشاطئ الذي كان يفترض أن ننزل عليه .

كان وسط سفن "القادس" كثير من الرجال من مناطق خارج البلدة ، وعلى مسافة لا تزيد عن مدى طلقة بندقية قصيرة كان هناك تشكيل من الفرسان ، حوالي ألفي فارس ، وكانت هناك راية واحدة ، وكانت أسلحة المصريين تلمع ، بحيث بدا المنظر رائعاً يستحق المشاهدة .

على مسافة بعيدة كانت هناك سرية يجلس أفرادها في وضع الراحة ، وبدا أن بها عدداً أكبر من الرجال ، وعلاوة على هذه التشكيلات ، ظهر من وراء أحد التلال عدد كبير من الأشخاص يتحركون في طوابير من صفين وثلاثة صفوف . وبدا لي أنهم وصلوا للتو بسبب وتيرة سير جيادهم المتمهلة ولعدم انتظامهم .

اقتربت قدر الإمكان من سفن "القادس" والمراكب ، وفي ذلك الوضع العصيب أحصيت سفن الأسطول التركي ووجدت أن هناك

(أ) سمعوا قبل يومين "بعض طلقات مدفعية ثقيلة" ، (روتيرو ، صفحة ٢٠٧) . انظر أيضاً ("كوريا" ، "ليندا س" ٤ ، صفحة ١٩١) .

إحدى وأربعين سفينة "قادس" ضخمة ، وكلها راسية على الشاطئ ، وأن هناك تسع سفن "قرقور" ضخمة عائمة تشبه سفننا ، "ماكينيز" واحدة ، وقد أطلقت النار علينا من حصن ضخم ، ولكن الرب نجانا من جميع قذائفهم .

كان السادة الذين على متن المركب متلهفين على رؤية الأرض والحصون والجنود وكل شيء آخر في السويس ، وكان ضرورياً بالنسبة لهم أن يطلعوا على هذه الأشياء لأنهم من نوع الأشخاص الذين يمكن أن تكون حملاتهم مفيدة للغاية وحافلة بالمعلومات الجيدة .

كان بين مرافقيّ "دوم فرانسيسكو دي ماسكارينهاس"[أ] الذي يشهد على كفاءته وشجاعته "أركيلا" ، و"أنطونيو دي سوتومايور"[ب] ، وقد ولدا وتربيا خلال الحرب في أفريقيا ، وكانا طوال الوقت الذي قضياه في الهند برفقة "مارتيم أفونسو دي سوسا" ، وشاركا معه في النصر والأمجاد في مالابار[ت] .

كان هناك أيضاً "دوم بيرناردو" ، نجل نائب الملك[ث]- الذي قرر أن يبقى في هذه البلاد ليخدم سموكم ، متحولاً من مكانته الرفيعة كابن لنائب الملك ليصبح عسكرياً غير مجرب وأعزل .

(أ) هذا الاسم خاطئ لـ "دوم فرانسيسكو دي مينيسيس" .

(ب) "فيرناو إينز دي سوتومايور" ، الذي كان "تانادار" "tanadar" "غوا" في ١٥٢٣م . وفي ١٥٣٤م غادر البرتغال ليصبح قائد "كانانور" وخدم اثنان من أبنائه في الهند وثانيهما ، وهو "ديوغو دي رينوسو" ، توفي في حصار "ديو" مع النجل الأصغر لـ "دوم جواو دي كاسترو" .

(ت) عندما كان "مارتيم أفونسو دي سوسا" قائد البحر في الهند : ١٥٣٤م - ١٥٣٨م .

(ث) نجل نائب الملك "دوم جارسيا دي نورونها" .

كان في هذه السرية أيضاً ابن "دوم ألفارو"(أ) الذي قلده الحاكم رتبة فارس في "الطور" ، وعدد كبير آخر من الأشخاص المتميزين :

"روي دي سـوسـا" "Rui de Susa" و"جـونسـالـو كويلهو" "Goncalo Quilho" ، نجل "فرانسيسكو كويلهو" "Francisco Quilho" ، قائد وعمدة طنجة ، والذي كان فارساً مقداماً ، والسيد "رويس دي فريتاس" ، وجميعهم خدم سموكم .

كان هناك أيضاً "مايسر بيرناردو"(ب) - الذي كان يخدم سموكم بسفينة "قرقور" وكثير من العسكر على نفقته الخاصة - والذي أظهر خلال الرحلة أنه فارس أكثر منه تاجر ، وكان يقود السفينة "دوارتي بيريرا"(ت) ، وهو أفضل رجل قابلته يقود السفن ذات المجاديف ، وعند

(أ) كان "دوم ألفارو" آنذاك في الخامسة عشرة من عمره ، وقيل إنه كان فخوراً للغاية لكونه نُصّب فارساً في كنيسة القديسة "كاثرين" في جبل سيناء إلى حد أنه أضاف عجلة القديسة لأسلحة الأسرة .

(ب) يقول "جاسبار كوريا" :

"إن "مايسر بيرناردو" غادر "غوا" بعد ثلاثة عشر يوماً من مغادرة الحاكم في سفينة محملة بالمؤن ، بصفته تاجراً ، ليبيعها في المضيق . وقد قدم خدمات جليلة بهذه الطريقة" (ليندااس ٤ ، ص (١٦٤) ، وقد لحق بالأسطول في مصوع "الأمر الذي أسعد الجميع" (المصدر السابق ، ص ١٧٠) . وبسبب سوء الطقس فقد رؤي وصوله كمعجزة ، وأظهر له الحاكم " تكريماً كبيراً لأنه جاء محملاً بأنواع النبيذ والزيت وجميع المؤن الجيدة والتي باعها وحقق من ورائها ربحاً جيداً " .

لابـد أن "مايسر بيرنـاردو" هذا هو "بيرناردو ناسير" والذي توجد رسالـة منه إلى "دوم جواو دي كاسترو" في توري دي تومبو (مجموعة إس . لورنسو ٤ ، مجلد ٣٩٤) .

(ت) يسمى أيضاً "أو بيريرينهو" . وهذا هو "دوارتي بيريرا" الذي اكتسب شهرة في عام ١٥٤٦م بقيادته لسفن صغيرة لنجدة "ديو" ، وهو الذي اصطحب معه إلى هناك نجل "دوم جواو دي كاسترو" ، "دوم فيرناندو" ، وهو الذي حمل إلى الحاكم أيضاً نبأ وفاته .

وصولنا هذا إلى السويس ، وطوال الرحلة ، كان أداؤه جيداً للغاية ، واستناداً إلى ما رأيته منه فإنه يستحق التكريم والمكافأة من سموكم .

عندما أنجزنا ما أمرنا الحاكم بإنجازه ، عدنا إلى حيث كان ينتظرنا في البحر على مسافة نصف فرسخ تقريباً ، وفور وصولنا واستماعه لما فعلناه ، استدعى القادة وجمعهم معاً وقدّم لهم تقريراً كاملاً ، وبعد هذا ، ونظراً إلى تأخر الوقت ، أسرعنا نحو ساحل الخليج الصغير الذي يقع إلى الغرب ، وألقينا مراسينا على مسافة فرسخ من شواطئ السويس .

السويس مدينة قديمة ، كانت تعرف في الزمان الغابر بمدينة "هيروس"[أ] حيث يوضح "بطليموس" ذلك في خرائطه ، وتقع عند رأس البحر الأحمر عند حافة وحد البر الذي يقاوم البحر ويقسمه .

على مسافة من هناك ، تمتد المدينة داخل خليج صغير يتجه شمالاً أولاً ثم غرباً ثانياً ويجري بموازاة ساحل لا يبعد سوى مسافة مدى قذيفة مدفع ، ونتيجة لذلك ، يوجد لسان رملي طويل للغاية بين الخليج الصغير وساحل البحر ترسو عنده سفن "القادس" .

عند رأس هذا اللسان الرملي ، حيث يتغير اتجاه الخليج الصغير ، يوجد حصن رائع يدافع عن المدخل المؤدي إلى الخليج الصغير ، ومكان النزول على الشاطئ ، وعلى مسافة بعد ذلك يوجد برجان عاليان رأيت أنهما لا بد أن يكونا من الآثار العتيقة لمدينة "هيروس" التي كانت هنا في السابق .

(أ) "هيريبوليس" .

بين سفن "القادس" وشاطئ البحر يمتد سور عال ويوجد خندق أسفله يحيط بالأسطول ، ولذلك فإن الموقع منيع للغاية وأقوى من كل ما رأيت ، وبما أن أي معلومات لا يمكن أن تعطي فكرة ملائمة عنه فلن أستمر في هذا السرد لسموكم ، وسأحضر لسموكم معي رسماً له وللطرق ورسومات الأرض والبحر هنا ، وكيف يبدو هذا الأسطول وكل شيء آخر يمكن أن تكون هناك رغبة في رؤيته حيث سيرى سموكم الحقيقة بوضوح .

تقع السويس عند خط ٢٩/٤٥ درجة شمالاً ، والأرض التي تمتد حولها إلى الشمال منبسطة وجرداء للغاية ، وقد أراد ملوك مصر شق قناة إلى النيل حتى تسهل الملاحة في البحر الهندي مع بحرنا المتوسط(أ) .

حتى الآن يمكن رؤية هذه القناة على الرغم من مرور وقت طويل وتعرضت خلاله للخراب ، وقد تحدثت لكثير من المسلمين الذين عبروها متجهين من "الطور" إلى "القاهرة"(ب) .

عند فجر يوم الثامن والعشرين أبحرنا من رأس البحر الأحمر وطرفه ، وكانت الرياح قوية للغاية من شمال الشمال الغربي ، وسافرنا (Por mea borea) ، وكان البحر هائجاً ، ومتقلباً إلى درجة أصبح معه

(أ) يعزو "بليني" و"سترابو" و"أرسطو" المشروع الأول الخاص بشق قناة تربط النيل والبحر الأحمر إلى "سيزوستريس" الأسطوري ... ويبدو أن قناة كهذه كانت موجودة بالفعل في عهد الفرعون "سيتي الأول" (١٨٣٠ قبل الميلاد) .

(ب) لا تزال آثار قناة "سيتي" موجودة في وادي طميلات . ومن المؤكد أن مسار تلك القناة تتبعه المهندسون الذين شقوا قناة الماء العذب التي تجري بطول قناة السويس الحالية .

مشهداً يستحق النظر إليه ، وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ألقينا مراسينا بالقرب من ساحل شبه الجزيرة العربية .

في اليوم التالي -والذي صادف يوم التاسع والعشرين من الشهر- أبحرنا عند انبلاج الفجر ، وواصلنا الإبحار بطول الساحل حتى الساعة التاسعة حيث ألقينا مراسينا قبالة "الطور" ، لأننا قررنا التزود بالمياه من هناك ، وقد كنا بحاجة ماسة للماء .

لكن وفور وصولنا ، اندفع الأتراك إلى الشاطئ لمنعنا من النزول ، وشكّلوا سرية اعتقد أنها ضمت حوالي ثلاثمائة جندي ، واتخذوا تشكيل المعركة وهم يرفعون الرايات والطبول ، وكانت أسلحتهم ودروعهم تلمع في ضوء الشمس ، وكان بين الجنود قائد يمتطي صهوة جواد تكسو سرجه زخارف .

عندما دخلنا إلى المرفأ أطلقوا قذائف المدافع علينا ، فأبحر الحاكم وتبعناه جميعاً ، وسارع الأتراك بالخروج من البلدة وركضوا بطول الشاطئ وهم يحافظون على التشكيل الحربي .

رسونا بعد ساعة في مرفأ يسمى (مورد سليمان) ، وبينما كانت سفننا راسية ظل الأتراك في أماكنهم لمراقبتنا ، وبعد أن صعدوا إلى قمة تل يطل على الشاطئ توقفوا واصطفوا في صف واحد طويل ، واعتقد أنهم شكّلوا ذلك الطابور ليظهروا لنا عددهم الكبير .

بقي الأتراك على ذلك الحال لمدة ثلاث ساعات ، ولكنهم ، وبعد أن يئسوا من نزولنا إلى البر أو تعبوا من الوقوف تحت أشعة الشمس

الحارة ، تحركوا نحو "الطور" ، وفور مغادرة الأتراك الشاطئ نزلنا إلى البر وتمكّنّا من التزّود بالماء[أ] .

عند فجر يوم الثالث من إبريل ، أبحرنا من "مورد سليمان" ، وكانت الريح شمالية غربية وقوية للغاية ، واتجهنا نحو الشاطئ الآخر ، وهو الشاطئ المصري ، وكانت الأمواج عالية وعاتية للغاية وتمكّنّا بصعوبة بالغة من الوصول إلى جزيرة تسمى "صدوان" حيث ألقينا مراسينا[ب] .

تقع هذه الجزيرة عند ٢٧ / ٤٠ درجة ، وفي هذا اليوم - وبعد أن حل الظلام - انطلق شعاع ضوء تحت القمر نحو الأفق ، وهو يسحب وراءه إشعاعاً عظيماً وجميلاً ، انحجب معه الضوء ، وقد بدا مسار الشعاع مثل ثعبان أبيض للغاية يتلوى في السماء[ت] .

في اليوم الأول من مايو أبحرنا من هذه الجزيرة ، وكانت الريح نسيماً شمالياً غربياً رقيقاً ، وتابعنا إبحارنا بطول الساحل ، وظل الطقس

(أ) يقول "جاسبار كوريا" : إنهم وجدوا أن الأتراك سدوا البئر "ولكن البحارة تمكنوا من فتحها وتنظيفها وحفروا آباراً أخرى حتى يحصلوا على أكبر كمية من المياه" . (ليندااس ٤ ، صفحة ١٩٧) .
ويقـول "ديوغـو دو كوتـو" : "إن الجنود الذين سمعـوا بأن موسى مر على ذلـك الطريق ، ملأوا القنـاني من ذلك الماء ، وعندما وصلوا إلى "غـوا" ذهبوا إلى الشارع المستقيم الذي كان يقيم فيه بعضـ التجار الذين تحولـوا للنصرانية وقالوا لهم : ها هو الماء الذي انشق لأجدادكم عند فرارهم من مصر" . (كوتو ، ديكو ٥ ، الفصل ٩) .

(ب) انظر (روتيرو ، صفحة ٢٢٤) .

(ت) انظر أيضاً (كوريا ٤ ، صفحة ١٩٧) . "عندما كنا هناك خلال الليل انطلق مذنب ساطع للغاية من الغرب إلى الشرق وهو يسحب وراءه أشعة ضوء ساطع للغاية وترك وراءه أثراً دائرياً بقي ظاهراً حتى طلوع الشمس" ، وتشبه رواية "كوريا" إلى حد كبير رواية "دوم جواو دي كاسترو" . فهل عرف الـ (روتيرو) ؟

المواتي والبحر الهادئ حتى اليوم الثالث من الشهر ، حيث وصلنا إلى "قصير" ، ولكننا لم نتوقف هناك ، وبعد انقضاء ساعة صلاة الغروب ألقينا مراسينا في مورد يبعد مسافة فرسخين عن ذلك المكان .

في الرابع من مايو غادرنا مورد الماء هذا ، وكانت الريح خفيفة وتهب من جهة الجنوب ، ولكنها تحولت لاحقاً إلى ريح شمالية ، وكان مسارنا بطول الساحل ، وكنا نسافر نهاراً ونرسو ليلاً ، وفي السادس عشر من مايو دخلنا(أ) .... كافية لإحباط الحاكم أو لجعله يسعى لدخول مرفأ ، بل رافقها وحماها بعناية إلى حد بعث شعوراً بالعار لدى جميع أولئك الذين كنا نحملهم من السفن(ب) .

واصلنا الإبحار وسط هذه الصعوبات ، ولكن وبينما كنا وسط البحر تغيرت الريح وأصبحت جنوبية غربية ، وبدأنا نلاحظ أن البحر يصبح أكثر هدوءاً بحيث إننا ومنذ ذلك الوقت فصاعداً استمتعنا برحلة طيبة ، ووصلنا في التاسع من الشهر إلى ساحل الهند ، ودخلنا ميناء جزيرة "أنجيديفا" .

بعد أن أمضينا عدة أيام هناك صعد الحاكم وأولئك الذين كانوا معه

(أ) هناك ثغرة أخرى هنا ، والصفحات التي يفترض أن تتضمن سرد العودة إلى مصوع وآخر أحداث الرحلة مفقودة ، وفي السادس عشر من مايو ، وطبقاً للروتيرو ، صفحة (٢٤٢) ، دخلوا ميناء سواكن .

(ب) بسبب وجود الثغرة في النص ، لا يعزو أحد موضوع النص ، لا يعرف أحد موضوع النص ، وفي الروتيرو ، صفحة (٢٦٧) يشير المؤلف إلى السفينة "الغليون" التي توقفت لتنتظر "سفينة بعيدة آنذاك" . وعلى الصفحات التالية ، يقول : إن سفينة "دوم غارسيا دي كاسترو" "الغليون" شوهدت وهي تقترب منا ، وربما كان هو الذي لم يرغب في "أن يحبط الحاكم ويذهب للبحث عن مرفأ" .

منا إلى مراكب شراعية وقوارب ، واتجهوا إلى "غوا" ، ودخلوا المدينة من حاجز "غوا" القديمة .

أدعو الله أن يطيل عمر سموكم لسنوات كثيرة .

كتبت في "غوا" بتاريخ(أ) أكتوبر عام ١٥٤١م .

(أ) ترك اليوم دون تحديد ... وبدا على الوثيقة أنها مسودة رسالة مجهزة سلفاً لنسخة ستتم كتابتها لاحقاً ومؤرخة وموقع عليها .

وفي العام نفسه (١٥٤١م)

بعث "مانويل كوتينهو" "Manuel Coutinho" رسالة إلى الملك ، في السادس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٤١م ، جاء فيها أن الأتراك في عدن ويجب طردهم : (٤٤)

مولاي ،

كتبت إلى سموكم في العام الماضي ، وفي هذه الرسائل أعطيت سموكم تقريراً عن بعض شؤون هذه البلاد التي كانت ملائمة لخدمة سموكم ، وما يتعين القيام به ومدى الأذى الذي يصدر عن وكر اللصوص هذا الذي أقامه (التركي) الـ "Rumes" في عدن ، ومدى ضرورة طردهم من هناك لما يحققه ذلك من خدمة للرب ولسموكم .

كتبت أيضاً لسموكم بأننا يجب أن نحصل على معونة جيدة للغاية في الـ "Heryfy" من البلاد ؛ لأنني لاحظت فيه دائماً ، من رسائله

(٤٤) رقم الوثيقة والهامش.

وخطاباته في المناسبات الكثيرة التي زرت خلالها المضيق ، الإدارة الطيبة والرغبات في إقامة صداقة مع سموكم ، وهو سيد البلاد ويمكن أن تأتي إمداداتنا الغذائية إلى المدينة إذا رغب في ذلك ، وإلا فيمكن أن تأتي طريق البحر .

بسبب رغباته تلك ، فإنه لا يوافق أبداً على الصداقة مع التركي إلى أن يرى أن الحاكم "دوم ايستيفاو" ذهب إلى المضيق دون أن ينجز أي شيء في هذا الأمر ، ويقول المسلمون إنه اضطر ليكون صديقاً لهم وذلك حتى لا يكتسحوا (Seria) .

خلال السنة الماضية غادرت سفينتان شراعيتان عدن بالفعل ورغبتهما (؟) اليوم أنهما في ثورة[أ] ، ومن هناك ذهبتا إلى ساحل "ماليندي" حيث تعرضتا لأضرار كبيرة لأنهما وفي كل الأماكن الإسلامية التي يوجد بها برتغاليون ، سلمتا إليهم مع بضائعهم فقتلوهم .

بقيت "ماليندي" وحدها على ولائها ورفضت من أنه في الوقت الذي يجب عليه أن يصل فيه "جون دو سيبولفيدا" "John de Sipulveda" فطاردهم بطريقة اضطروا معها إلى أن يغادروا الساحل .

بينما يحدث هذا الضرر وكل الأضرار الأخرى ، والتي تُعزى لبقاء التركي في عدن ، التي حدثت حيث يمكن إثبات ذلك ، فإنني أذكر سموكم بها في هذه الرسالة ، ولأنني سأكون من الأوائل الذين يخاطرون بحياتهم هناك كواحد أعلن استعداده المشاركة في مثل هذه القضايا .

(أ) هكذا ورد النص الإنجليزي ، وواضح عدم الترابط المنطقي .

توجه الحاكم "دوم إيستيفاو" في العام السابق ، وهو العام الحادي والأربعون ، إلى المضيق مخالفاً بذلك آراء جميع نبلاء الهند ، أو الجزء الأكبر منهم ، واصطحب معه صفوة الجيش الذي يحتفظ به سموكم في هذه البلاد ، وكان مما يسعد مولانا عدم القيام بتلك الرحلة بسبب تكاليفها الباهظة وكانت فائدتها محدودة للغاية .

نظراً إلى أنه غادر ذلك المكان مع حوالي ألف وخمسمائة رجل ، وأنفق أكثر من مائة ألف "بارداو" وكان من بين خسائر الأسطول فقدان سفينة "غليون" صغيرة وسفينة "غاليوت" وثماني سفن شراعية سريعة وقاطورات ، وندعو الرب ألّا تقع خسائر أخرى .

في هذه الرحلة لم أر أي شيء يثير اهتمام سموكم سوى اكتشاف قنوات جديدة في المضيق ، وعدد سفن أسطول التركي وهي (وأعني ما شاهدته ولم يكن ذلك جيداً للغاية) سبع وأربعون سفينة "قادس" و"غاليوت" وسفينتان كبيرتان يمكن أن تصل حمولتهما بناء على حجمهما الهائل إلى أربعمائة طن لكل واحدة منهما وربما تقل أو تزيد قليلاً ، وخمس سفن "غليون" صغيرة وأربع كرافيل .

عموماً ، فإن الميناء الذي توجد فيه تلك الأساطيل به أمواج متكسرة ، ولكنني لن أكتب عن هذا الميناء بسبب ما قيل لي من أن رسماً تخطيطياً له سيرسل لسموكم ، ولحراسة هذا الأسطول هناك ، كانت توجد قوة ضخمة من المشاة والخيالة وكثير من الحصون المزودة بكثير من المدافع ، وكانت "القاهرة" قريبة للغاية منهم إلى حد أن كل الرجال الذين يرغبون في حضورهم يمكن أن يصلوا إليهم خلال ثلاثة أيام .

قد وصلت من جميع الموانئ التي استولى عليها الحاكم ، رسائل عن الأسطول الذي كان قادماً دون أن يبدو مطلقاً أنه يتعين علينا أن نصل إلى السويس إلى أن تصل إليهم رسالة من مكان يدعى "قصير" ، وهي محطة لكل إمدادات الطعام التي تستخدمها المضيق لأنها تأتي من مقاطعة تُسمى "ريفا" "Rifa" يقال إنها خصبة ومثمرة للغاية وتتوفر فيها كل أنواع المؤن .

تقع هذه المحافظة على طول نهر النيل وتستغرق الرحلة من هذه المحطة إلى هناك يومين ، ومن "ريفا" إلى "القاهرة" يقال إنها تستغرق خمسة أيام في النيل الأدنى ، وبينما يعتبر هذا كثير للغاية إلى وسط المضيق من المتوقع أن يذهب الحاكم سوى للسويس ، فإن قوة من الرجال حلت هناك يقدر عددهم بأكثر من خمسة عشر ألف رجل .

يفعل الحاكم كل هذا بإرادته ، وهو عنيد إلى درجة بعيدة ، ويمقت النبلاء بشدة إلى حد أن العلاقة بينه وبينهم سيئة ، وهو لا يقدم أي عطايا إلا لأقاربه وللذين يحظون بعلاقة ود معه ، وقد عين أقاربه وخدمه للقيام بمهام ورحلات ، ووصل عددهم إلى أكثر من أربعين دون أن يبدي أي اعتبار للنبلاء .

أما أولئك الذين في الخدمة والذين حصلوا على بعض الحق في الفرار ، فإنهم يغادرون في هذه السنة إلا إذا ألغى الحاكم الرخص ؛ وإنني أكتب لسموكم لأن قلبي يتألم لرؤية عدد كبير كهذا من الرجال الذين خدموا لسنوات خدمة جيدة يموتون جوعاً ، وكثيرين آخرين

يتعرضون للطرد في "كورومأندل" ، وأماكن أخرى بحثاً عن العيش ، وآخرين لاجئين ، دون إعطائهم تصاريح مرور .

من بين أولئك ، هناك المدعو "جونسالو فاز كوتينهو" الذي يقال إنه جرى طرده إلى "بيغو" مع وحدة من مائتي رجل ، وإن يكن مستحقاً لتأديب قاسٍ قانوناً ، إلا أن ضرراً ما كان سيحدث لو أنه حصل على تصريح مرور ، وحتى لا يرون ذلك ، فقد أرسلوه إلى المملكة وخرج منها ليحصل على تبرئة من مراقب الخزانة .

في تاريخ هذه الرسالة لديه تصريح بأن يفعل هذا ، في عداء مع المحاكم و"دوم بيدرو دو كاستيلو برانكو" يذهب في سفينة يجري بناؤها في "باكيم" ويقال إنه يحصل على أكثر من مائة ألف "كروزادو" أخذ معظمها مراقب الخزانة من سموكم ليعطيها إياه لأنه وبسبب قلقه بشأن هرمز ، فقد أعطاه سفينتين ليذهب إلى هناك ، ساحباً من سموكم كل المستحقات عن الخيول والبضائع الأخرى التي تأتي إلى هذه المدينة لزيادة جنود "دوم بيدرو" كما قلت .

في هاتين السفينتين اللتين أعطاهما إياه قالوا إنه حقق أموالاً أكثر مما في القلعة ذاتها التي تؤول لسموكم ؛ لأنهم سحبوها لإعطائهما إياه ، وأقول إن محافظ الخزانة فعل هذا لأنها كانت رهن طلبه وحاجته ، وهي أشياء لا يجوز القيام بها شرعاً ؛ لأن الأفضل بالنسبة لهذا المدينة أن تؤوي خيول كثيرة وأن تحقق دار الجمارك هذه دخلاً أكثر مما حققته ، ومبلغاً طائلاً لصاحب كرم العنب ، والعمال ليجمعوا كل غلة العنب ولُقاطة الثمار لأنفسهم .

أترك كل شيء آخر للوقت الذي يعطيني سموكم فيه التصريح ، وما أفعله بهذا أفعله بحزن عظيم ورثاء لرؤية هذا العمل ، وتعرض سموكم للنهب دون أن أتمكن من منع حدوثه .

أدعو الرب أن يزيد منزلتكم الملكية رفعة لأيام طويلة قادمة .

من مدينة "غوا" هذه ،

في السادس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٤١م .

"مانويل كوتينهو"

فوق التوقيع : لأجل الملك ، سيدنا .

وفي العام نفسه (١٥٤١م)

بعث ملك هرمز رسالة إلـى ملك البرتغال ، بتاريخ عام ١٥٤١م ، يمتدح فيها "مارتيم أفونسو دي ميلو" كقائد لهرمز : (٤٥)

إلى الملك "دوم جواو" ، السامي عالي المقام والملك العادل ، أشرف وأفضل الملوك ... المسيح ، الذي أثنى عليه كل رجال العلم ، سيد الحقيقة ، الذي نسأل الرب أن يطيل عمره وملكه إلى يوم القيامة ، الذي لاحد لحبي وصداقتي له ، والذي أخدمه بكل إخلاصي ، وأصلي وأدعو الرب أن يزيد من ملكه .

أفيدك بعد كل هذا أنه خلال الفترة التي كان يعمل فيها هنا العظيم والجليل والحائز على ثقة الجميع "مارتيم أفونسو دي ميلو" كان دائماً يتصرف بعدالة ومصداقية ، وهذا ما جعله مشهوراً في هذه البلاد وبين الناس والتجار ، وكل سكان هرمز كانوا راضين عنه وقانعين بوجوده بينهم .

---

(٤٥) رقم الوثيقة والهامش.

عندما وصل أكثر الناس احتراماً وثقة ، "دوم بيدرو" كقائد لـ هرمز ، سلمه "مارتيم أفونسو" مدينة هرمز وبها العدد الكبير من المستوطنين وكل ما تحتاجه من مواد ومؤن ، ومن ثم غادر إلى "غوا" .

ارتكب أخطاءً في القيام بخدماته ولم يحاول استشارة أحد ، تلك هي الحقيقة ، أفيدك بها حتى تقوم بالرد على رسائلي ، وحتى أتعرف عن كيفية استمراري في خدمتك .

اسأل الرب أن يزيد من عمرك ، ويمد في ملكك محاطاً بالأمن والسلام .

وفي العام نفسه (١٥٤١م)

صدر بيان عن الحملة البرتغالية إلـى البحر الأحمر ، بتاريخ عام ١٥٤١م : [٤٦]

بيان عن الحملة البرتغالية في عام ١٥٤١م إلـى البحر الأحمر :

بالإضافة للبيان المفصل "لدوم ايستيفاو دا جاما" عن رحلته البحرية الشهيرة إلى البحر الأحمر وهي الحملة الأولى التي غطت كل طول البحر العربي المغلق والتي قدمها "كوريا" و"كوتو" وآخرون ، هناك روايتان مثيرتان للاهتمام من قبل "دوم جواو دي كاسترو" :

إحداها الرواية المعروفة جيداً "Roteiro de Goa a Soez" (الرحلة من "غوا" إلى السويس) .

الأخرى الأقل شهرة عبارة عن مسودة لرسالة إلى الملك ، وللأسف

(٤٦) رقم الوثيقة والهامش.

ليست مكتملة وهي موجودة في أرشيف[أ] "the Torre do tombo" التي طبعت ونشرت في العام ١٩٥٥م بواسطة[ب]

الـ "Roteiro" نشرت في العام ١٨٣٣م في دراسة بحثية رئيسية علمية عن الملاحة والجغرافيا . الرسالة التي من الممكن ألا تكون قد أرسلت مؤرخة في "غوا" بتاريخ أكتوبر عام ١٥٤١م ، بعد شهرين من العودة ، وهي في إحدى عشرة صفحة فيها يكتب "جواو" تقريراً شاملاً يروي أحداث الرحلة البحرية بالرغم من وجود عدد غير معروف من الصفحات المفقودة تفصل أحداث الرواية في موقعين .

نجد في الأرشيف[ت] : بياناً كاملاً كتب بيد شاهد أول آخر في الحملة المشهورة ، هذه هي الرسالة الرائعة بواسطة "دوم مانويل دي ليما" في أربع عشرة صفحة بخط جميل ومرتب مؤرخة في الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٥٤١م في "غوا" ، هذه الرسالة التي لا يعرف عنها الكثير ، وقليلاً ما نقل عنها ، قد استخدمت إلى حد ما بواسطة "جراسيا باريتو" التي نشرت الجزء المتعلق بالأحباش وعن سوء الحظ لأولئك الذين تخلوا عن الأسطول البرتغالي في مصوع في حوالي صفحة ونصف من النسخة الأصلية في[ث] : أعتقد أن بقية الرسالة عبارة عن وثيقة مثيرة للاهتمام لدرجة كبيرة للعديد من وجهات النظر والتي لم تنشر بعد .

(أ) Coleccao de S . Lourenco, vol . IV, fos . 363 to 374 .

(ب) Agencia Geral do Ultramar in Cartos de D . Joao de Castro, p .59 .

(ت) Corpo Cronologico, Parte1, Maco, 71, Doc .14 .

(ث) Documentos Habessinicos . Vol VIII P . 182 .

إن قيمتها واضحة من التوقيع الذي عليها بما أن الرسالة موقعة من قبل رجل ذكر كثيراً في وثائق تاريخ الهند ، حيث أصّل جزءاً من كل الملاحم الرئيسة التي حدثت في الشرق من العام ١٥٣١م فصاعداً .

تعرض معلومة محددة التفاصيل المتعلقة بالسيرة الذاتية الشخصية "دوم مانويل دي ليما" :

كان الابن الثاني "لديبجو لويز دي ليما" ، عضو مجالس الشورى للملك "مانويل وجواو" الثالث . "لورد كاسترو أيري" "Lord Castro Aire" وعمـــدة "جـويماريـاس" وزوجته "دوم إيزابيل دي كاسترو بيريرا" "Dona Esabel de Castro Perriera" .

من المحتمل أن يكون قد ولد في بداية القرن السادس عشر وبناء على ما ذكره "جيتانو دي سوزا" فإن والده رشحه في منصب قانوني كنسي مع جماعة رجال الكنيسة بكاتدرائية "جوماراس" الذي أصبح شاغراً في عام ١٥٢٣م ، وهو الترشيح الذي لم يكن مقبولاً من قبل أسقف "فونشال" "دوم ديبجو بنهيرو" الذي كان في ذلك الوقت رئيساً "لدير جوماراس" وفضل عليه طامحاً آخر للمجد .

قد تسبب هذا في اضطراب وصخب شديدين في الإقليم ، فعائلة "ليماس" ذات قرابة لمعظم العائلات النبيلة في "انتر دورو بينهو" وحتى في "Golicia" ، وحملت كل القبيلة السلاح لتدعم طموحات ابن العم ، وقد تطلب الأمر كل الحيل والكياسة والسلطة التي استخدمها كبير أساقفة "براجا" حتى يهدئ من غضب الأطراف ويتجنب سفك الدماء ، وأيضاً بتدخل من "كوندي دي كاستانهرا" القوي وهو قريب لكلا

الطرفين حتى يحصل على عفو الملك لهؤلاء النبلاء الذين تنقصهم الحكمة .

لم يكن في حقيقة الأمر أي سبب لهذا الاضطراب الكبير لأن "دوم مانويل دي ليما" ترك العمل في المجمع الكنسي واتخذ عملاً في مجال العسكرية[أ] .

لذلك نجده في الهند مرافقاً للحاكم "نونو دا كو نها" ، ظل يعمل في تلك المناطق لثماني سنوات ، هذا ما كتبه "دوم مانويل" للملك في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٥٣٩م[ب] ، وبما أن اسمه كان مذكوراً بين أسماء الفرسان الذين رافقوا الحاكم في يناير عام ١٥٣٠م إلى "ديو" ، يبدو من المحتمل أنه جاء إلى الهند في سبتمبر أو أكتوبر من تلك السنة في الأسطول الذي غادر "لشبونه" دون قائد .

في السنوات التالية نجد أن "دوم مانويل دي ليما" في كل أسطول وكل حملة نظمت في الهند "في سفن الغليون" كما قال "في أمكان خطيرة جداً وغير مريحة في المضيق وفي كل أجزاء الهند .

بين عامي ١٥٣١م و١٥٤٥م ، عندما عاد أخيراً إلى البرتغال ، عمل تحت أربعة حكام ومعهم جميعاً ، باستثناء الأول "نونو دا كونها" فقد كان على خلاف معه .

"كان سيئ المزاج لدرجة كبيرة وشخصاً شكوكاً" حسبما قال

(أ) A .C . de Sousa : Historia Genealogica da Casa Real Porluguesa Vol .XII . Parte 1 pp 61/62

(ب) Corp . Corn ., Part 1 . Maco 24, doc . 35 .

"ديبجو دو كوتو" ، وهذا ليس أمراً صعباً تصديقه ، في الرسائل العديدة الحالية لم يتوان عن إصدار اتهامات شديدة ضد الحكام الذين تعاقبوا بعده ، تحدث عن "دوم جارسيا دي نورونها" الذي خلف "نونو دا كونها" في العام ١٥٣٨م ، كتب يقول :

أؤكد لسموك أنه ومنذ اليوم الأول من وصوله إلى الهند وحتى الوقت الحاضر فإن نائب الملك قد ارتكب اخطاءً فاحشة في كل موضوع هنا" .

أشار "دوم مانويل" إلى الملك بأشياء معينة ونتيجة لذلك ... "فهو غير راض عني" ، وهذا هو الأكثر احتمالاً .

معلوم أن "دوم جارسيا دي نورونها" كان رجلاً كبيراً في السن وسيداً شرساً ، ولا يحتمل أن ينتقده أحد ، لكن "دوم مانويل" لم يحسن سلوكياته مع من تعاقبوا بعده ، "دوم ايستيفاو دا جاما" ، لما سيعلمه القارئ من الرسالة التي نشرت أدناه : "دوم ايستيفاو يكرهني بشدة ويسبني ويتعرض لي بالإساءة كل يوم" كما كتب ، فقط : "بسبب الاشياء التي اتحدث عنها بكل صدق وتتعلق بخدمة سموك (رسالة بتاريخ الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٥٣٩م .

لا يوجد أي تعليق من "دوم مانويل" على "مارتيم أفونسو دي سوزا" ، وهو الذي أعفى "دوم ايستيفاو" من الخدمة في عام ١٥٤٢م ، وكان عليه احتماله لفترة قصيرة فقط .

هناك بعض الفقرات المجهولة أرسلت من الهند وتشير إلى ذلك الحاكم والذي تقول عنه أن : "مارتيم افونسو" قد عامل "دوم مانويل"

بطريقة سيئة لأنه لم يكن من مجموعته (شلته) ، لم يسرد الكاتب أي تفاصيل لأنه قد قدم لسموك بياناً طويلاً عنه .

في الحقيقة إننا عرفنا عن طريق "جاسبار كوريا" و"دييجو دي كوتو" أن "دوم مانويل" والحاكم كانا على خلاف شديد حتى أن "دوم مانويل" فضل ترك رئاسة مدينة "ديو" قبل أن يكمل فترة رئاسته التي تبلغ ثلاث سنوات في المنصب على أن يبقى تحت قيادة وأمرة "مارتيم أفونسو" ، ويقال إنه غادر إلى البرتغال مع إصرار شديد ونية في تحدي "مارتيم أفونسو" حالما يعود من الهند ،

بناءً على ما قاله "ديبجو دو كوتو" كان الأمر وباختصار تجنب أي مواجهة ، لذلك أرسل الملك "دوم مانويل" مرة أخرى إلى الهند في العام ١٥٤٦م حتى لا يصطدم بالحاكم العائد ، والذي كان من المفروض أن يعود إلى "لشبونه" في يوليو عن طريق البحر .

بالقدر الذي كان فيه "دوم مانويل" عصبي المزاج وحاد اللسان إلا أنه كان رجلاً باسلاً وفارساً لا يجاري ، وله خدمة طويلة تشفع له ، مدركاً وعالماً بحسناته وصفاته الرائعة منحه الملك في العام ١٥٤٠م رئاسة "باسين" ، معتبراً أنه الأفضل . عندما شغر المنصب بعد "دوم فرانسيسكو دي مينسيس" .

كما رأينا فإنه ظل في المنصب من العام ١٥٤٣م إلى ١٥٤٤م قبل العودة إلى البرتغال ، لكنه عندما أبحر للهند مرة أخرى في العام ١٥٤٦م كان قد ترشح لرئاسة هرمز خلفاً "لدوم مانويل دا سيلفيرا" .

حمل معه إلى الهند رسالة من كاهنه المحترم للحاكم ، "دوم جواو

دي كاسترو" الذي كانت له صلة قرابة معه من ناحية والدته ، "إيزابيل دي كاسترو بيريرا" ، ولأنه عملي وإيجابي فإن الرجل المسن كان يأمل أن يكون مفيداً جداً في الخدمة والعمل الجيد وفوق كل ذلك يعود من الهند أكثر ثراءً ، طالما ، كما يعترف هو في سخرية وصراحة ، أن المال أكثر أهمية واستحقاقاً من الخدمة أو النبل ، تقول الرسالة مايلي :

سيدي

يؤسفني رحيل "دوم مانويل" ، لكن لم يكن هناك بد من ذلك بما أنها مشيئة الرب القدير ، لكن الرب يفعل كل ما هو طيب ، فقد غادر في أحسن حال كما سيطلعك على ذلك بنفسه .

لقد منحه الرب هذا الفضل وحتى يكتمل كل ذلك فيجب أن يجدك حتى يتمكن من العمل من أجل الرب ، وهو ما نرغب فيه نحن الاثنان .

أقبل يديك آملاً أن تمنحه الكثير من الإحسان والتشريف الذي يستحقه وحتى يصل إلى قلعة هرمز ، فسيسعدك أن تكرمه وتمن عليه بإحسانك وتستخدمه في الأعمال التي يستطيع أن يجني منها الأموال .

عندما وصل "دوم مانويل" أخبره بصلة القرابة وهو بالإضافة لذلك خادمك . بعد إحضار الأموال مرة أخرى وكان أفضل شيء قام به ليشرف ويساعد به أهله .

ليس لي شيء أفضل من محبة ابني وعليك أن تغفر لي حديثي الكثير عنه لأنني أعلم إنك ستُسر جداً لتبدي له بعض أفضالك ، كما أنني أيضاً أود أن أكون مفيداً له .

سيقدم لك أيضاً الأخبار . الإحسان الذي ألتمسه هو أن يعود ثرياً جداً لأن الشخص الذي معه المال يستحق أكثر من الخدمة والنبالة ، وأذكرك بكل هذا حتى لا يتم خداعك .

أسأل الله أن يمد في عمرك ، أقبل يديك . .

"الميريم" "Almereim" الواحد والعشرون من شهر مارس "دييجو لوبيز دي ليما"[(أ)]

بعد الانتصار على "ديو" رغب "دوم جواو" أن يكلف ويوكل الرئاسة في إعادة بناء القلعة إلى "دوم مانويل" : "لأنه كان شخصاً وفارساً وأكثر قدرة على حراستها والدفاع عنها" ، لكن عند هذه النقطة فإن رئاسة هرمز والتي رشح لها "دوم مانويل" يبدو أنها أصبحت شاغرة ، وقد تولى السلطة هناك في مايو عام ١٥٤٧م .

إدار مسؤوليات منصبه بطريقة جيدة ونالت رضاه الكامل عنها .

في هرمز "أنا بحالة جيدة لأقوم بواجباتي" ، كما كتب بذلك لابن الحاكم "دوم ألفارو دي كاسترو" ، أشتكي فقط من الحرارة التي لا تحتمل المياه" تجدها وكأنها قد وضعت في سخان ، وأؤكد لك أن أي قائد يتحصل على أي مبالغ من الأشرفي من هرمز فمؤكد أنه بذل في سبيلها العرق والجهد للحصول عليها!" إلا أنه هو شخصياً لا يكسب

(أ) "دييجو لوبيز دي ليما" كان لا يزال حياً في العام ١٥٤٩م ، جاء ذلك في رسالة كتبت في ١٢ ديسمبر من تلك السنة يقول فيها ابنه للسكرتير : "ليس عندي الكثير لأكتبه ، لا أستطيع سوى كتابة سطور قليلة إلى أبي" انظر :

(Corp . Corn . Parte1, fo .83 .doc .53)

أي شيء : "المال يطير من يدي وتبحث عني المشاكل !" (رسالة بتاريخ الثاني والعشرين يوليو عام ١٥٤٧م .

يبدو في الحقيقة أن "دوم مانويل" قام بعمل جيد في هرمز في إعادة بناء أسوار القلعة بكثير من الجهد ، وله علاقة طيبة مع السلطات المحلية ، حتى أن "مير عبيركو" (Mirabereul) زعيم مسلم كتب عنه قائلاً . "محترم جداً ، ونحن محظوظون إذا أمرته سموك أن يبقى لفترة أطول في قلعتك هذه" (رسالة بتاريخ الثالث من شهر ديسمبر عام ١٥٤٨م .

عودة "دوم مانويل" إلى وطنه بعد خمس سنوات من الغياب قد سببت له بالتأكيد احباطاً مريعاً ، لأنه عند نزوله من السفينة وجد نفسه يؤخذ إلى السجن في الحال .

في رسالة أخرى لوزير الخارجية بتاريخ الواحد والعشرين من شهر أغسطس عام ١٥٥١م احتج فيها لأجل براءته ، مدعياً "من سجني أؤكد لك أنني من داخلي أشعر بعدم الذنب وتلك الاتهامات التي سمعتها اعتبرها خدمات هامة ، والأسوأ فيها هو أنني لم أغلق مضيق "البصرة" بما فيه الكفاية" ، وواصل في الرسالة وهو ينفي وينكر أن المضيق لم يكن مسدوداً بطريقة جيدة كما يقال .

كان هذا بالتأكيد نتيجة لمكيدة وإشاعة كاذبة ، مثلما حدث لكثيرين آخرين ، وعلينا أن نفترض أن "دوم مانويل دي ليما" حاول أن يخلص نفسه .

عاش لسبع عشرة سنة أخرى في البرتغال دون العودة إلى الهند ، كما هو معلوم ، ولعل ذلك كان خلال هذ الوقت أن تزوج "دونا ماريا دي

ميندوزا" ابنة "مانويل كورتي" ريل ، الذي نقلت إليه رئاسة "تيرسيرا" ، ولم يرزق منها بأي أطفال . كان له ثلاثة من الأطفال غير شرعيين : "دوم جواو" ، "دونا ايزابيل" و"دونا ماريا دي ليما" ، وقد توفيت الفتيات وهن راهبات وعمل الابن في الهند .

توفي "دوم مانويل دي ليما" في العام ١٥٦٨م ، ودفن في كنيسة في دير القديس "فرانسيسكو" في "لشبونه" على يمين مذبح الكنيسة .

العديد من رسائله موجودة في أرشيف "Torre do Tombo" ، في مجموعة(أ) والرسائل من "باسين" إلى "دوم جواو دي كاسترو" ، كلها في غاية التشويق ، لكن الأهم والأكثر قيمة منها هي التي نشرت حالياً .

السبب في التقاضي عنها قد يكون بسبب عدم وجود ملخص كاف منها والذي يقرأ بعضاً منها .

"رسالة من "دوم مانويل دي ليما" للملك تتعلق بحكم "دوم ايستيفاو دا جاما" ، وزارة الخارجية في الهند وما يحدث هناك ، حتى أن الملك أمر بما يجب أن يتم تجاهههم ، كتبت في "غوا" في التاسع عشر من شهر ديسمبر عام ١٥٤١م" .

لم تذكر كلمة عن البيان المفصل الذي قدمه للرحلة البحرية إلى البحر الأحمر ، هذه الرسالة ليست فقط تثني على المعلومات التي قدمها "دوم جواو دي كاسترو" ، ويؤكد فيها على ما جاء في الوثائق التاريخية لكنه يضيف مظاهر وصوراً عن الحملة الرائعة والتي لا توجد

(أ) S .Lourenco, Corpo Cronologica .

في أي مكان آخر ، فمثلاً وصف الجولات التي قامت بها المراكب من باب المندب ، مدخل البحر الأحمر وحتى تحطم سفينة "دوم مانويل" على الساحل الصخري الهندي بالقرب من نهر "راجابور" ، لم يذكر في الحلقة والنص أياً من "جاسبار كوريا" أو "ديبجو دو كوتو" أو "فاريا دي سوزا" ، ولم تكن توجد في الـ (Roteiro) وصف الرحلة الذي يذكر فيه سير وتحركات السفن الشراعية التي كان يبحر في إحدها "دوم جواو دي كاسترو" .

لم تكن في رسالة "دوم مانويل دي ليما" أي مظاهر أدبية لكنه مقروء ولا بأس بعدم الحاجة لأي تفاصيل تصويرية ، يثيرنا في اللحظة التي وصلت فيها السفن إلى السويس "قذيفة مدفع انطلقت من مؤخرة سفن الأتراك وبدأنا في اصطفاف الستة عشر مركباً في تشكيلات ، اقتربت كل السفن من بعضها بعضاً وعلى نفس المستوى دون أن تتجاوز إحداها الأخريات ، كل واحدة مسلحة والكل في موقعه والقاذفات بأيدينا ، واختفى كل الخوف عندما فكر كل واحد منا بأننا على وشك أن نضع أقدامنا على اليابسة . ." .

اليأس الذي حدث بعد تلك الإثارة عندما وجدوا أنفسهم مجبرين على العودة في نفس الطريق الذي جاءوا منه دون أن يحققوا أي شيء (وغمرنا جميعاً الحزن ولم يتكلم أحد مع آخر ولفنا الصمت . .) وقد أشار مباشرة إلى أن الحاكم "دوم إيستيفاو" هو المسؤول عن تلك المصيبة .

في حقيقة الأمر ليس هو الوحيد الذي اعتبر أن الحملة كانت فاشلة ..

"في هذه الرحلة" .. يعلق "مانويل كوتينهو" : (في رسالة بتاريخ العشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٤١م .

"لم أجد أي شيء ذا فائدة لسموك إن اكتشفت بعض الأراضي اليابسة في المضيق وقمت بعد سفن الأسطول التركي" ، وهو يتهم الحاكم بأنه كان رجلاً كثير العناد .

من رسالة "دوم جواو دي كاسترو" والتي هي أكثر واقعية تظل هي الدليل أنه هو أيضاً حكم بأن الرحلة كانت تدار بطريقة سيئة وأننا ...

"لم نحقق أي شيء ، وأن أمور الهند أكثر اضطراباً وغير مستقرة من أي وقت مضى ..." .

لم يقم بانتقاد أي شخص ... "لأن القرارات في أمور مماثلة كتلك لا دخل لي فيها ...؟

لم يخف فيما بعد من أن يذكر نصيحته للحاكم ضد استمرار الرحلة عندما علم الأعداء بها ، لكنه منع نفسه من ملاحظة "أن فكرتي لم توضع في الاعتبار ..." متجنباً تعليقاً آخر ، كان كل هذا بعيداً جداً عن القدح والذم في "دوم مانويل دي ليما" .

كان واضحاً أن "دوم ايستيفاو" قد أخذ تدخل "دوم جواو" بطريقة سيئة جداً طالما أنه بالرغم من ثنائه عليه بطريقة رائعة في رسالة مؤرخة قبل شهرين من مغادرته للهند ، وكتب بعد عودتهم :

"كان "دوم جواو دي كاسترو" عدائياً جداً ، ومن المؤكد أنني لم أكن أؤمن أو أهتم لذلك ، لأنني لم أشاهد رجلاً من أمثاله ولا حتى

شخصاً قادراً على التسبب في الأذى بين أشخاص شباب أغبياء ، فليساعدني الرب ، ولا أجرأ على أخبار سموك عن كيف سيكون خطيراً أينما قمت بإرساله لخدمتك!" وهو يسلم باستحقاق وحيد لمؤلف الـ (Roteiro) .. "أعلم أنه رائع جداً عندما يقف في الحيد البحرية وهو يرسم!" (رسالة من "دوم ايستيفاو دا جاما" يطلع فيها الملك على الأشخاص الذين قاموا بخدمته بطريقة ممتازة في الهند ، الخامس والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٩١م .

الوثائق في مجملها تعطي انطباعاً أن كل أولئك السادة الشجعان عادوا من رحلة بحرية جريئة وشديدة المخاطر عبر البحر الأحمر وهم أكثر عصبية وأشد ضعفاً ووهناً وكانوا كثيري الشكوى وهي مسألة إنسانية بحتة تتعلق ، لعلها ، بسبب مناخ المنطقة وعدم الراحة الذي عانوا منه خلال السفر ، وبلا شك أن "دوم جواو دي كاسترو" هو الذي أظهر الكثير من رباطة الجأش .

الأمر المهم هو أن الملك اعتاد طويلاً على النقد الساخر والعنيف الذي واظب ضباط الهند على كتابته عن بعضهم البعض ، وقد عرف ماهية المخصصات التي عليه القيام بها .

ما يلي عبارة عن رسالة "دوم مانويل دي ليما" :

رسالة من "دوم مانويل دي ليما" إلى الملك "جواو الثالث"

سيدي

أرى من الضروري أنني وكل أولئك الذين يقومون بخدمة سموك هنا ، عليهم الكتابة وإطلاعك على الوضع في هذه البلاد .

إذا كنت من جانبي لم أقم بذلك سأكون كمن قصر في خدمة سموك ، وسأعتقد أنني لست بالخادم المخلص في حالة عدم ذكري لذلك أن طالت المدة أكثر مما هي عليه ، وإن كان ذلك أقل ما أرغب فيه ، فإن ذلك بسبب عدم احتمال أن كلماتي ستتمكن من وصف ذلك لسموك بطريقة تبدو مناسبة لشخصك ،

لكن وحتى بهذا الافتراض البسيط ، فإنني لن أخفق في إعطاء سموك تقريراً عن بعض الأمور لهذا البلد والحالة التي أوصله لها "دوم ايستيفاو دا جاما"(أ) .

عليه فسأقدم بياناً عن الرحلة التي قمنا بها إلى السويس ، والتي كانت مضللة ، كما أخبرت سموك في السنة الماضية ، والذي يتعلق حسب اعتقادي عن نفسي ومشاركتي فيها .

قدمت خدمة جيدة هنا تنم عن ولائي وإخلاصي لسموك في تلك المناطق ، لأنني أتنبأ بأشياء هي مخالفة لمصالح سموك قبل أن تحدث ، وكنت أول شخص يعارض الحاكم في منزله بخصوص هذه الرحلة التي كان سيقوم بها إلى المضيق(ب) .

(أ) خلف "دوم ايستيفاو دا جاما" كحاكم للهند نائب الملك "دوم جارسيا دي نورونها" ، الذي توفي في ٣ إبريل عام ١٥٤٠م . ويقول "جاسبار كوريا" أنه كان . . "حكيماً وداهية وكريماً جداً ، محباً للعدالة وخدمة الملك" (Lendas do India, Vol IV, p .122) كما سنرى فإن "دوم مانويل دي ليما" لم يكن له أي رأي يستحسن فيه الحاكم الجديد .

(ب) أعتقد أن "دوم جواو دي كاسترو" أن هذه الرحلة "أكثر أهمية من أي رحلة أخرى" .
(رسالة إلى Intante D .Luis في ٣٠ أكتوبر عام ١٥٤٠م) بعد عودته أكد هذه الإفادة وكتب : "أن سلامــة وتقدم هــذه البلاد يعتمد على الرحلة التي نقوم بها . إن حققنا هذه الرحلة بنجاح

ذكرت ذلك لسبب الاضطرابات التي بدأت بالحدوث في مدينة "غوا" هذه ، لأن أول شيء قام به كان إعلانه عن ذهابه إلى السويس ، الأمر الذي كان يجب أن يتم في سرية شديدة[أ] ، بعث "بمانويل دا جاما" إلى "كورومانديل" لإيجاد رجال يذهبون إلى المضيق لإحراق السفن الشراعية ، وعندما أصبح حاكماً من قبل تسعة شهور لمغادرته ، أرسل بسفينة إلى هرمز لإخطار القائد[ب] والملك ورئيس الوزراء بأنه أصبح حاكماً ، وكتب علناً إلى هرمز يقول أنه سيذهب إلى المضيق وإلى السويس ، وطلب مؤناً حتى يتمكن من أخذها من هناك .

تستغرق أربعين يوماً رحلة الذهاب من هرمز إلى "القاهرة" عبر

فمـن المؤكـد أنها ستؤمن أمن وخير هذه الأرض ولأننا لم نحسم ذلك فإن شؤون الهند ستظل مضطربة وخطيرة أكثر مما تظن" . (رسالة من "غوا" في اكتوبر عام ١٥٤١م) ـ
(Col .de S .Lourenco IV, fo : 363) .

نشرت في (Cartas de D .Joao de Castro, p .59) .
وطبقـاً "لديبجو دي كوتـو" (Decado 5a, p .59) و"جارسيا دي سا" و"روي فاز بيريرا" و"ديبجو ألفاريـز تيليس" فإنهم صوتـوا ضد الحملة . كتب "مانويل كوتينهـو" في ٢٠ نوفمبر عام ١٥٤١م مبينـاً أن . . "الحاكـم "دوم ايستيفاو" ذهب إلى المضيق في هـذه السنة الماضية عام ١٥٤١م ضد رأي كل السادة والنبلاء في الهند ، أو معظمهم (Carp . Cron .Parte1, Maco 71, Doc .17) . لم يذكـر اسم "مانويـل كوتنهو" من قبل المؤرخين من بين السادة الذين اشتركوا في الحملة . في الرسالة المذكورة وفي بعض نصوصها يتحدث كشاهد عيان للأسطول التركي :
"الذي أصفه كما رأيته ويواصل معدداً للسفن التي شاهدها والعديد من الجنود المشاه والفرسان الذيـن على ظهور الجياد الذين يحرسونها ." لكنه لا يصف الميناء "لأنني أخبرت أن صورة منها قد أرسلت . ." (من المحتمل من قبل "دوم جواو دي كاسترو") .

(أ) يقول "ديبجو دي كوتو" . . "بناءً على حاجة (دوم ايستيفاو) للحرص والتحوط في تلك الأمور ، لأنه بعد توليه منصب الحاكم مباشرة قام بالإعلان عن هذه الرحلة البحرية ، ولم يكن لذلك أي تأثير كبير . (Couto, Decado 5a, p .487) .

(ب) كان قائد هرمز هو "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكو" .

البصرة ، وهرمز قلعة حيث يتواجد فيها دائماً الكثير من الأتراك والأقوام والبيض وجنسيات أخرى عديدة ، والعرب ، البعض منهم لهم منازلهم وأسر في "القاهرة" .

عند سماع مثل هذه الأخبار الهامة فيمكن نقلها إلى لورد "القاهرة" والأمل في تلقي جوائز واستحقاقات كبيرة .

لم يكن هذا كافياً لأنه لم يكن يملك الحصافة والذكاء الذي يجعله يعترض سبيل سفينة شراعية كانت في سورات وكانت تخص أحد الأتراك ويدعى خواجا جعفر(أ) . كانت تلك المدينة وعائداتها المالية من ممتلكاته منحت له من قبل ملك "كامباي" ، لأنه كان أحد الضباط المسؤولين والقادة في مملكة كامباي .

بعث الحاكم بسفينة شراعية من ثلاثة أو أربعة من المراكب للتمويه جاءت من "باسين" تحت قيادة "دوم جواو ماسكارنهاس"(ب) حالما رأى خواجا جعفر أن هذه السفينة ومراكب التمويه عند حاجز "باسين" "Bassin" أمر بأن تطوى أشرعة الصواري ، وبدا أنه لا ينوي إرسال السفينة إلى المضيق .

عندما سمع الحاكم بذلك طلب من "دوم جواو ماسكارينهاس"

(أ) كان هذا هو الرجل المشهور خواجا جعفر الذي حرص ملك كامباي ضد البرتغاليين في "ديو" .

(ب) حالما تسلم الحاكم هذه المعلومات اتخذ موقفاً مستعجلاً وطلب من دوم جواو ماسكارينهاس المحترم جداً هنا ويعتبر رجلاً داهية وواسع الحيلة هنا في مثل هذه الحالات ، أن يأخذ سفينة معدة بالسلاح ويأخذ له موقعاً عند الحاجز الإفادة التي ذكرها دوم جواو اعيقت لسوء الحظ هنا لأن ملفاً أو أكثر من الوثيقة قد فقد وغير متوفر ، ورسالة دوم مانويل دي ليما تملأ هذا الفراغ .

ومراكب التمويه المغادرة ، وحالما رأى خواجا جعفر أنهم قد ذهبوا وأن الطقس بدا مناسباً أمر سفينته بأن تبحر وبدأ الاستعداد لذلك وكرسها بالعديد من الرجال الأتراك ومعهم بنادقهم ووضع عليها ابن أخ لسليمان باشا قائد الأسطول الذي هاجم "ديو" .

بمغادرتها في هذا الوقت المبكر فإن سفينة الأتراك هذه متقدمة عنا بزمن يقدر بشهرين .

الآن سأقدم لسموك بياناً مفصلاً منذ مغادرتي لهذه المدينة وحتى وصولي إلى السويس :

غادر الحاكم "دوم ايستيفاو دا جاما" مدينة "غوا" هذه في أول يناير مع سبعين من مراكب التمويه وثماني سفن شراعية وعلى ظهرها ألفان وثلاثمائة رجل من الجند الممتازين ، وعند دخولنا عرض البحر واجهتنا رياح عاتية وأمواج عالية وجعلت الرحلة تبدو شاقة تماماً .

وصلنا إلى "سوقطرى" في ثالث عشر يناير لنتزود بالمياه ، وكان علينا القيام بذلك بأقصى سرعة .

ظل الحاكم هنا لمدة أسبوع .

غادرنا "سوقطرى" ووصلنا إلى باب المندب ، مدخل المضيق في السابع والعشرين من شهر يناير[أ] حيث ألقى الحاكم بالمرساة لثلاثة أيام في الوقت الذي لم يكن عليه البقاء أكثر من نصف ساعة ،

(أ) ذكرت تاريخ الوصول إلى باب المندب على أنه يوم ٢٩ يناير والمغادرة في ٣٠ يناير ، بعد ساعتين من منتصف الليل .

وأرسل من هنا بعض مراكب التمويه إلى مدينة صغيرة[أ] ليرى إن كان يستطيع الحصول على ربابنة مسلمين .

رست المراكب على أرض مياهها ضحلة واستطاع سكان المدينة الصغيرة رؤيتهم وهجروا المدينة ولم يتمكنوا من فعل أي شيء[ب] .

من هنا انتشرت الأنباء في الحال عبر البر بأن الحاكم وأسطوله قد دخلوا إلى المضيق .

غادرنا باب المندب إلى مصوع في الثلاثين من الشهر ، ومررنا في مرمى "بصر دلخ" ومن هناك ذهبنا إلى مصوع ، حيث كان معلوماً لديهم أن الحاكم قد دخل إلى المضيق[ت] .

إذا كان الحاكم عند دخوله للمضيق مباشرة قد طلب أن تحاط جزيرة مصوع هذه ببعض القوارب الخفيفة لكان استطاع الاستيلاء عليها بكل ما فيها ومن ثروتها والجنود وبعض الأتراك الذين يعيشون هناك ، ولكان قد أخذ الملك سجيناً[ث] .

عبر ملك "مصوع" بكل رجاله إلى البر الرئيس إلى مكان يسمى "أركيك" . أرسل إليه الحاكم يطلب منه ربابنة ليأخذوه إلى السويس ،

(أ) أثناء الطريق بعث الحاكم أحد أقربائه الشبان مع بعض المراكب للذهاب إلى مدينة على الساحل لإحضار ربابنة لقيادتهم إلى السويس .

(ب) لكن لم يعلم أحد ضمن المجموعة عن المدينة أو الميناء ، وقد قضوا الليل على الأرض في مدخل المدينة ، وقاموا ببعض التحركات حتى شعر بهم السكان الذين غادروها في الحال .

(ت) إذاً غادروا في سرعة شديدة نحو البر الرئيس لتحذير كل الساحل وملك مصوع .

(ث) مسلم ثري نصب نفسه ملكاً على مصوع وحكم العديد من المسلمين عند طرف البحر ، وكان يدفع جزية إلى "برستر جون .

لكن الملك وعده ببعض الكلمات ولم يقدم له أي شيء ، وظل هناك لعشرة أيام الأمر الذي أدهشنا جميعاً ، قمنا بالشكوى إلا أنه لم يكن هناك طائل لشكوانا ، ولذلك كان عند الملك الوقت الكافي ليرسل تحذيرات على طول الساحل بأن الحاكم قد دخل المضيق بالعديد من السفن الشراعية والمراكب الصغيرة في أسطول ضخم .

ترك السفن الشراعية في "مصوع" مع "مانويل دا جاما"(أ) كقائد للأسطول والجنود الذين تركهم هنا ، ونزل الحاكم على المراكب ، ومعه ألف ومائتان من الرجال لعدم وجود أماكن في المراكب لأكثر من ذلك ، وترك الرجال الباقين مع "مانويل دا جاما" ،

سأطلع سموك الآن كيف غادر الحاكم مصوع إلى سواكن التي هي في الطريق إلى السويس :

أبحرنا عبر العديد من المناطق الضحلة التي لم أر شيئاً مشابهاً لها(ب) .

عند اقترابنا من "سواكن" ، وقد بدت لنا من بعيد ، أرسل الحاكم بعض القوارب للإحاطة بالجزيرة ، لكن عندما وصلوها وجدوها مهجورة ولا أحد بها ، فلقد عبر الملك والسكان إلى البر الرئيس للداخل(ت) ، لو كان الحاكم قد أرسل القوارب بسرعة لكان قد استولى على الجزيرة

(أ) "مانويل جا جاما" كان عم الحاكم . عمل في الشرق لسنوات عديدة ، لأنه كان في العام ١٥٣٠م العمدة في ذلك الوقت والوكيل التجاري في سيلان .

(ب) "أراضي سواكن الضحلة" كتب "دوم جواو دي كاسترو" أنها كثيرة جداً ومعقدة ولا توجد معلومات كافية أو رسومات وخرائط ليس فقط للمرور عبرها ولكن حتى لمعرفتها .

(ت) لأن الرسالة قد وصلت من مصوع في وقت مبكر وقبل عدة أيام حتى أننا كنا نبحث عن ربابنة لأخذنا إلى هناك .

وكل شيء عليها ، وقد كانت أغنى موقع على المضيق ، ولكنا ملأنا مراكبنا بالذهب والفضة وقتلنا الأتراك الخمسين الذين كانوا عليها ، وأيضاً قطعنا رؤوس كل سكان الجزيرة وألقينا القبض على أكثر الملوك احتراماً وهيبة ، الشيء الذي كان سيتحدث عنه الكل على طول المضيق خاصة أن هذا المكان كان يخص الأتراك ويحصلون منه على سبعين ألف (Venezianos) .

نهبنا وأحرقنا المدينة .

نصب ملك سواكن معسكره على مرمى البصر عند البر الرئيس .

قررنا ، الحاكم ونحن الذين معه ، أن نهاجم هذا الملك ومعسكره ، لذلك عبرنا إلى البر الرئيس بالمراكب ورسونا قبل فجر أحد الأيام .

الأرض منبسطة ، وعند بزوغ النهار كنا قريبين منهم ، قاموا بالهرب والفرار في الحال ، إلا أن القليل منهم قتل ، لأن الحاكم طلب منا ومن الرجال الانسحاب ، ما كانوا تمكنوا من الفرار منا إن كنا قد تبعناهم لأنهم كانوا على عربات جر أو على ظهور الجمال ومعهم كل ممتلكاتهم وبضائعهم وزوجاتهم وأطفالهم .

عندما انسحبنا وعدنا إلى المدينة "سواكن" علمنا في اليوم التالي أن البدو وهم القوم الذين يعيشون في التلال قد جاءوا لمحاربة ملك "سواكن" ، وقد هزموه وسرقوا الكثير من الذهب والفضة ، لكنهم لم يتسببوا بأي أذى لهم سوى سرقتهم جميعاً ، من المؤكد أن هذه الكمية الضخمة من الذهب كانت ستكون أفضل للبرتغاليين الذين يخدمون سموك في تلك الأنحاء .

ظل الحاكم هنا في "سواكن" لثلاثة عشر يوماً ، التي كانت تمثل خسارة كبيرة للكل وكانت ضد رغبة كل منا وكل من كان هنا في ذلك الوقت .

أعاق ملك البلاد الآن تقدمه ، بأن بعث له واعداً إياه بألف "كروزادوس" إن امتنع عن تدمير وإحراق المنازل التي في المدينة ، ثم بعث إليه أيضاً برسالة يقول إنه سيمده بربابنة يأخذونه إلى السويس ، إلا أنه في نهاية الأمر لم يقدم أي شيء[أ] . كان يستخدم هذه الخطة حتى يتمكن من إرسال رسالة على طول المضيق ، وقد فعل ذلك فعلاً ، وبعث بالأتراك على ظهر الخيل والجمال لتحذير سكان المضيق كما بعث برسالة أيضاً إلى السويس ، إذاً كانت هذه استراتيجية الحاكم في الحرب هنا والتي أدهشتنا جميعاً[ب] .

في العاشر من مارس غادر الحاكم "سواكن" عبر المياه الضحلة التي جاء عبرها والتي لا يمكن وصف شكلها ، الآن نحن متجهون نحو البحر والمياه المفتوحة عائدين باتجاه البر ، متخذين طريقنا بصعوبة بالغة لأن الرياح كانت تهب دائماً عكس اتجاهنا ونحن نتقدم مستخدمين المجاديف[ت] .

الرياح السائدة في هذا المضيق تهب من ناحية شمال الشمال

(أ) كان يجد في كل يوم ذريعة لتطويل الوقت .

(ب) يوضح "دوم جواو دي كاسترو" أن له تجربة معتبرة في حيل وخدع الأفارقة .. وقد تحدث إلى الحاكم في حضور "دوم فرانسيسكو دي مينسيس" و"تريستاو دي أثيدي" و"دوم فرانسيسكو دي ليما" الذي كان يدعمه بشده ، حاثاً إياه بضرورة الاستمرار في الرحلة دون المزيد من التأخير "لكن نصيحتي رفضت ، لماذا؟ العلم عند الله" لم يذكر "دوم مانويل دي ليما" ، لكنه بالتأكيد لم يكن ليظل صامتاً!

(ت) الجهد والتعب طبقاً لما قاله "دوم جواو دي كاسترو" "تسبب في وفاة العديد من الرجال الذين يقومون بالتجديف" .

الغربي أو شمال الشمال الشرقي وكانت الرياح والبحر ضدنا بصورة دائمة ، بما أن المراكب كانت تحرك بالمجاديف فقد عبرنا مستخدمين قوانا ضد الرياح والبحر حتى وصلنا إلى مدخل حيث وجدنا مكاناً جيداً للمياه(أ) وهو أكثر مكان نحتاجه للمياه على هذا الجانب الحبشي من المضيق ، الأماكن الأخرى كلها ذات مياه مالحة ومرة .

غادر الحاكم ذلك المكان مع قليل من الرياح التي في صالحنا وأكملنا طريقنا مستخدمين المجاديف ، وكان ذلك عملاً شاقاً حتى أن بعض المجدفين أصيبوا بالمرض وتوفي البعض ، عند هذه النقطة اتخذ الحاكم ملجأ في خليج لا بأس به وكان مقبولاً لكن لا يوجد به موقع للمياه ، كان اسم الخليج الذي أعطى له هو "خليج المخطئين"(ب) بسبب التقسيم الذي تم هنا ، قام الحاكم بإرسال كل المراكب الصغيرة وعليها الرجال إلى مصوع حيث ظلت السفن الشراعية الكبيرة باقية هناك .

قرر الحاكم الرسو والبقاء هنا في ست عشرة من السفن الصغيرة والمراكب الخفيفة ، وأؤكد لسموك أن كل فرد اعتقد أن مشروعه هذا كان فكرة سيئة(ت) لكنه لن يفعل أي شيء طالما أن حضورنا كان معروفاً في كل المضيق ، وأننا فقط سنعيق ما يمكن أن يقوم به أي من حكامك الآخرين .

كما كان فإننا نجعل المضيق قوياً حتى لا تحدث فيه أي مشاكل

(أ) وجدا عدداً كبيراً من الآبار ذات مياه عذبة . هذا هو مكان للمياه به ألف بئر .

(ب) طبقاً "لدوم جواو دي كاسترو" فإن هذا خليج "اريكا" ، والآن يعرف "بمرسى اريكاي" ، والذي يسميه البحارة ميناء المخطئين .

(ت) اعترض على هذا الطلب معظم الضباط .

أخرى . إن كان قد عاد من هنا مع كل أسطوله لكان سموك قد تأكد أننا فعلنا شيئاً ما ذا أهمية ، وأعتقد أننا قد تعلمنا الكثير من المضيق ، وقد يعتقد الأتراك بأنه ليس في مقدورنا أن نستمر أبعد من ذلك لكثرة الأراضي ذات المياه الضحلة والجروف الصخرية لذلك سيشعروا بالمزيد من الأمان أكثر من أي وقت آخر(أ) .

مائتان وخمسون منا كان عليهم الذهاب في تلك الستة عشر قارباً ومركباً . كل السادة والضباط الذين مع الحاكم في الهند من الممثلين لقوتها الرئيسة(ب) ، اشتريت في هذا الخليج مركباً من أحد مراكب "فرانسيسكو دي ميلو"(ت) حتى أتمكن من خدمة سموك أكثر . إنه أفضل شيء في كل الهند ومن السهل التجديف عليه عن أي قارب آخر . أعطيته كل الأموال التي طلبها دون أي مساومة . حملت في هذا المركب ثلاثة وعشرين شخصاً بما فيهم "جواو دي ميندوزا"(ث) ، "دوم

(أ) تلك هي باقتضاب الأسباب التي قدمها "دوم جواو دي كاستر" للحاكم لكن . . "فكرتي هذه قوبلت باحتقار والبعض ممن يحملون رايا مخالفاً قالوا إن لم نتمكن من إكمال هذه الرحلة فإن الرب سيمنع كل شخص آخر من القيام بها" . وجهة نظر قدمت بمنتهى الفخر والاستعلاء وسادت على كل وجهة نظر عقلانية أخرى .

(ب) "قليلو العدد لكن عظماء في الوجاهة والتوعية المتميزة" . يقول "مانويل كوتينهو" في الرسالة الوارد نصها بأعلى أن "دوم ايستيفاو" أخذ في رحلته البحرية "كل الزهرات من الرجال الذين لسموك في هذه البلاد" . ويقول "جاسبار كوريا" أيضاً . . "كل ورد الهند" .

(ت) "ذهب "فرانسيسكو دي ميلو" على ظهر مركب اشتراه من ماله الخاص" . يكتب ذلك "دوم ايستيفاو دا جاما" . . "وعندما انتقلت إلى السفينة الشراعية باعها إلى "دوم مانويل دي ليما" دون أن يعلم أي شخص لماذا فعل ذلك . ." (رسالة من "دوم ايستيفاو" يطلع فيها الملك عن أولئك الذين خدموه باستحقاق وشفافية في الهند .

(ث) كتب "جواو دي ميندوزا" للحاكم في رسالة بتاريخ ٦ نوفمبر عام ١٥٤٠م أنه بالرغم من أن عليه

جواو لوبو"(أ) و"أنطونيو دي سا"(ب) الذين خدموا سموك في السفن الشراعية والتجارية التي كانوا دائماً ينفقون عليها أموالاً طائلة ، وأيضاً "ميجيل دا كونها"(ت) "وافسونسو فورتادو"(ث)

"بلشوير دي سوزا"(ج) ، "دوم بايو"(ح) ، "جواو فالكاو"(خ) ، "ماتيوس

الذهاب إلى البرتغال في تلك السنة .. لأن والده توفي وكان أشقاؤه دون حماية وأن حظوظه قد ضاعت" . . فإن رغبته الوحيدة كانت في مرافقة الحملة ... ويبدو أنه ظل في الهند منذ العام ١٥٣٠م ، وأنه عمل كقائد "لفيلا دوس روميز" قبل الحصار الأول "لديو" .

(أ) يوجد دليل على وجود "دوم جواو دي لوبو" في الهند من عام ١٥٣١م فقد رافق "نونو دا كونها" إلى "ديو" . وعمل مؤخراً مع "دوم جواو دي كاسترو" الذي يمدحه كثيراً في تقريره بتاريخ ديسمبر عام ١٥٤٦م ، وطلب من الملك منحه ستة أخرى من الرئاسة على "غوا" وهو الطلب الذي يبدو أنه قد استجيب له وتم منحه السنة .

٩ فبراير عام ١٥٤٨م أن الملك "مع اعتبار خدماته في الهند" . . قد منحه رئاسة "غوا" لثلاث سنوات .

(ب) ابن أخ "الجارسيا دي سا" . يذكر "جاسبار كوريا" اثنين باسمين متشابهين هما "أنطونيو دي سا" وكليهما أبناء أخ "الجارسيا" ، أحدهما لقب بـ "التركي" . . يوجد سابقاً شخصٌ يدعى "أنطونيو دي سا" في الهند في عهد "دوم فرانسيسكو دي ألميدا ، لكن هذا الشخص من المحتمل أن يكون مجرد حامل للاسم . الاسم أيضاً موجود في قائمة الذين توفوا بسبب المرض .

(ت) كان "ميجيل دا كونها" إبناً "لجواو برانداو" .

هنـاك رسالة كتبهـا بنفسه للملك في ٢٨ ديسمـبر عام ١٥٤١م تعدد بعضـ الصعوبات التي واجههـا في رحلتـه ، وكان عليه أن يميز نفسه في "ديو" مـع "دوم جواو دي كاسترو" الذي كتب عنه .." في ٢٦ فبراير عام ١٥٤٨م .

(ث) يذكر "جاسبار كوريا" "افونسو فيرتادو" كقائد لقافلة في عهد "مارتيم أفونسو ي سوزا" .

(ج) هذا هو "بلشوير دي سوزا شيكورو" المعروف جداً وشقيق "هنريك دي سوزا" قائد البحار في هرمز في عهد "نونو دا كونها" ، وقد ذكر كثيراً من قبل المؤرخين .

(ح) "دوم بياو دي نورونها" ، الذي قد عوقب لعله ظلماً بجريمة الجبن لمغادرته وتركه لعدن في العام ١٥٤٨م .

(خ) "جواو فالكاو" توفي في "ديو" في العام ١٥٤٦م . . "كان رجلاً شجاعاً" يضيف "ديبجو كوتو" أنه كان قد واجه تحدياً في هذه المناسبة من قبل "دوم جواو مانويل" ، الذي توفي في نفس الهجوم .

دي بريتو"(أ) ، "دوم جارسيا دي لورونها"(ب) ، "فيرناو دوريا دا زيفيدو"(ت) و"دوم فيليبي"(ث) وآخرون في المركب هم خدام عند سموك ، كنا في حاجة إلى الكثير من البراعة والفكر والحذق حتى نتمكن من تسوية أوضاعنا لأن المركب كان من النوع الخفيف والصغير .

غادر الحاكم مكانه كما ذكرت لسموك ، ومع رياح كانت مناسبة ومعتدلة ليومين ، لكن من بعد ذلك كانت ضدنا تماماً ، ولذلك كان علينا المواصلة عن طريق التجديف ، وأن نبحث عن ملجأ قبل ساعة من الغروب(ج) لأن المياه كانت ضحلة .

بهذه الطريقة رافقنا الحاكم إلى مكان يسمى الكسير(ح) .

عندما رأى الحاكم ذلك المكان الذي يعرف بـ "القصير" وكان قد حول اتجاهه في ذلك الوقت جعل المراكب تقترب من بعضها البعض وبدأنا بالتجديف في اتجاه المدينة .

(أ) ذكر اسم "ماتيوس دي بريتو" في كل المعلومات التي جاءت عن هذه الحملة دون ذكر أي معلومات اضافية . لعله هو نفس الشخص "ماتيوس دي بريتو" الذي وجده "ليونيل دي سوزا" سجيناً في كانتون (رسالة من "ليونيل دي سوزا" إلى ابن الملك "دوم لويس" بتاريخ ١٥ يناير عام ١٥٥٦م) .

(ب) "دوم جارسيا دي لورونها" : لم ننجح في تحديد شخصية هذا السيد . يذكر "دوم ايستيفاو لويس دي لورونها" . علمنا من "دوم جواو دي كاسترو" أن "دوم بيرنالدو دي نورونها" ابن نائب الملك "دوم جارسيا" ذهب مع تلك الحملة . هناك ارتباك كثير بين الاسمين "لورونها" و"نورونها" .

(ت) هناك "فيرناو كوريا" الذي حارب في "كلكتا" في عهد "دوم هنريك دي مينسيس" وآخر (أهو نفسه؟) كان قد أصيب بجراح في الحصار الأول "لديو" . لم يعثر أبداً على كوريا دي أزيفيدو" .

(ث) لم يتم تحديد هوية "دوم فيليبي" هذا .

(ج) السفر نهاراً والبحث عن ميناء ليلاً .

(ح) أو القصير .

تأخرنا لوقت طويل في هذا لأننا كنا في انتظار مركب تأخر خلفنا ولم يكن من السهل التجديف عليه ، لذلك عندما وصلنا المدينة وجدناها مهجورة وقد فر الناس منها إلى أعالي التلال .

هنا في "قصير" أحرقنا سفينة شراعية(أ) حمولتها أكثر من أربعمائة طن كانت مصنوعة مثل سفننا ، كما أحرقنا أيضاً أربعة عشر أو خمسة عشر "gelvas" و"Maruases" .

قد يعتقد سموك أننا وجدنا الكثير من الطعام لأننا عانينا كثيراً لعدم وجود أي شيء في القوارب لنتزود به ، لذلك ملأناها بكل أنواع المؤن التي نحتاجها ولأن المدينة وكل المنازل كانت مملوءة بأشياء(ب) من المناطق المجاورة ومن كل المضيق ، بل والسفن التجارية التي أحرقناها هنا لم تكن تحمل سوى الطعام .

تأتي المؤن إلى هذا المكان من نهر النيل من ست أو سبع محافظات هناك تسمى "حريفه" (Harifa) التي ليس لها ملك يحكمها . من هذه المدينة وحتى النيل حوالي ثمانية فراسخ(ت) ، ومن حديثنا مع المسلمين وجدنا أن تلك المنطقة هي مصر .

لا توجد مياه صالحة للشرب هنا وكلها مالحة ومرة والقليل الذي وجدناه في المنازل كان يأتي من البر الداخلي على العربات المجرورة/ (الكارو) .

(أ) سفينة تجارية ضخمة حمولتها أربعمائة طن تخص شريف مكة .

(ب) خالية من السكان لكنها مليئة بالزاد والمؤن من كل الأنواع التي كنا في أمس الحاجة لها .

(ت) يقول "دوم جواو دي كاسترو" خمسة عشر فرسخاً .

أحرقنا كل السفن التي وجدناها في الميناء وفي المدينة ، وقد كانت ممتلئة بالزاد والمؤن . قبل هذا كان يعتقد أن معظم المضيق كان يتغذى على الطعام الذي يأتي من الهند ، ولذلك حتى الآن يحمل الجميع هذه الفكرة الخطأ .

وصل الحاكم إلى قصير في الخامس عشر من شهر إبريل(أ) وظل هنا ثلاثة أيام . وعندما غادر اتجه نحو بعض الجزر الصحراوية حيث احتمى هناك(ب) ، وهنا قابلنا أربعة من الـ "gelvas" واستولينا عليها ، وجدنا فيها القليل من المياه لكنها كانت مرة ، وهرب الرجال نحو اليابسة ومعهم الأموال التي يحملونها .

عند هذه البقعة بدأ المضيق يصبح ضيقاً والحيد الصخري والمياه الضحلة ليس لها مثيل في أي مكان(ت) . غادر الحاكم "دوم ايستيفاو" هذا المكان ، وذهبنا في اتجاه جزيرتين كبيرتين ، وعبرنا من هناك إلى ساحل الجزيرة العربية حيث يوجد رأس من اليابسة يسميه المسلمون "رأس محمد" .(ث) في هذا الموقع تصبح السواحل قريبة من بعضها البعض ، أكثر من تلك التي في الحبشة والجزيرة العربية ، قبل تلك المياه الضحلة أعدت الطبيعة بعض القنوات التي دخلنا عبرها ووجدنا

(أ) في ١٨ إبريل .

(ب) "بور سفاجا" (على جزيرة "سوفانج" البحر اسفنجة البحر "سوفاج" .

(ت) يصفها "دوم جواو دي كاسترو" بطريقة مختلفة . بعد مغادرة "سوفاج" يقول هو كان الساحل نظيفاً وخالياً من أكوام الرمال والحيد الصخري ، "كان البحر صافياً وخالياً من المناطق الضحلة ، الحيد الصخري وأي عوائق أخرى .

(ث) "دوم جواو دي كاسترو" لم يذكر هذا الاسم .

فيها مداخل رائعة جداً ، وكان البحر هادئاً حتى أنه كان بلا حراك ، فقدنا تقريباً كل مراسينا والحجارة الثقيلة التي نلقيها تحت المياه ، ولم يكن هناك أي وسيلة لنرسو بواسطتها بسلام سوى عن طريق ربط الحبال على الصخور .

غادر الحاكم بعد ذلك الرسو مع رياح أمامية مثل التي أخبرت سموك عنها ، وهبت بطريقة مستمرة ، مما جعلنا نواصل الرحلة معظم الطريق عبر استخدام المجاديف ، جعلنا البحارة يخدمون بشدة مما جعلنا نتقدم لمسافة طويلة كل يوم حتى وصلنا إلى مكان يسمى "الطور" ، وهي مدينة كبيرة تقع بطول الشاطئ ، وكانت الكثير من الأعلام والحريرية قد وضعت على سطوح كل المنازل . كانت المدينة تبدو مرعبة من الخارج ، وصل الحاكم إلى هناك بعد الظهر . بعد ساعتين أو ثلاث ساعات بعد منتصف النهار(أ) ورسونا في وسط المدينة .

أطلق الأتراك نيرانهم في اتجاهنا وغادرنا سفننا حاملين بنادقنا ، إلا أنهم لم يتجرؤوا بانتظارنا بل فروا عبر الحقول المنبسطة . . ونحن في أثرهم ، لم يكونوا يريدون قتالنا بل ذهبوا مخترقين بساتين أشجار النخيل(ب) في اتجاه أعلى التل الموجود في تلك الحقول . في مدينة "الطور" هذه قتل حوالي خمسة عشر أو عشرين تركياً وفضل الآخرون إنقاذ حياتهم بالفرار .

(أ) ساعتان قبل الغروب .

(ب) انسحبوا إلى غابة صغيرة لأشجار النخيل وظلوا هادئين حتى أن "دوم جواو" ذهب لعدها اثنتا عشرة شجرة متقاربة من بعضها وقريبة جداً من البحر .

عدنا إلى مدينة "الطور" وأخذنا الكثير من الأقمشة الممتازة التي وجدناها هناك(أ) . توجد كنيسة مكرسة للقديسة كاثرين ، أكثر مكان مقدس رأيته في حياتي ، حيث يوجد الكثير من بقايا الآثار ومذبح بطاولة عريضة واثنتين صغيرتين ، كل الثلاثة قطع عليها صورة سيدتنا الأكثر تقديساً ، وجدنا في هذا المنزل بعض الرهبان الأغريق ، فيما أخذ الأتراك الرهبان الآخرين معهم عندما غادروا المدينة .

اعتقدنا ، الحاكم ونحن الذين معه ، أن هذا المنزل الخاص بالقديسة كاثرين والموجود هنا ومن أجل المسيحيين ، فليس علينا إحراق المدينة ، ولا أن نسبب أي هدم أو إضرار للمنزل ، وهنا ارتكب الحاكم خطأ وذلك لوجود مستودع كبير حيث وجدت فيه العديد من أعمدة الصواري والأقمشة والحبال الخاصة بالسفن الشراعية والمراسي ، وذخيرة كلها من أجل السفن الشراعية الكبيرة(ب) .

لم يكن عليه إحراقها مهما كانت الظروف ، وأنا أعتقد وبمنتهى الأمانة انه كان سيؤدي خدمة عظيمة لسموك . هنا في ميناء "الطور" بعض المراكب الشراعية الصغيرة والسفن الكبيرة والتي لم تحرق لأنها موجودة في ميناء القديسة كاثرين ، وهذا ما أخبرنا المسيحيون أن عليهم قول هذا للأتراك . كان هناك مائة وخمسين من الجنود الأتراك بخلاف سكان تلك البلاد ،

(أ) لم يتردد رجالنا من سرقة ما استطاعوا بالرغم من أن الحاكم قد منع ذلك بشدة .

(ب) يعلق "دوم جواو" على ذلك بقليل من السخرية "كل هذا ، لأنها تخص المسلمين فقد كانت آمنة ، لكن الممتلكات والزينة والحلي الخاصة بالمسيحيين كانت إما سرقت أو دمرت ولذلك يدين لنا الأتراك بالكثير وللمسيح بالقليل" .

ونحن الذين وجدناهم هنا ، أخبرونا أن المسافة من هنا وحتى جبل سيناء حيث ترقد رفاة القديسة كاثرين(أ) كانت مسيرة يوم ، أكثر قليلاً من خمسة فراسخ(ب) ، جبل سيناء هذا هو أعلاها جميعاً .

غادر الحاكم مدينة "الطور" إلى السويس في الثاني والعشرين من شهر إبريل ، ومررنا بالعديد من الخلجان الصغيرة والتي كانت دلالة على أن نهاية المضيق قد أصبحت قريبة ، اتجه الحاكم نحو الرأس الذي في طريقنا حيث رسونا ، ومن هنا أمكننا أن نشاهد أشكال السفن التي ترسو في السويس(ت) .

بناءً على محادثة مع المسلمين ومعلومات أخرى حصلنا عليها فإن هذا الموقع يقع بالقرب من آبار/ نبع/ موسى حيث ضرب الصخر بعصاه ونبعت منه المياه إلى يومنا هذا ، والتي أعطاها موسى لليهود ليشربوا منها(ث) ، لم نر ذلك الينبوع إطلاقاً لأننا لم نكن نعلم ذلك إلا عندما كنا عائدين من السويس . كانت في الجوار عندما عبرت اثنتا

(أ) أخبرنا الرهبان أن هذه الرفاة المباركة والمقدسة قد أخذت قبل أربعة شهور في أبهة عظيمة على مركبة مطلية بالذهب إلى مدينة القاهرة..... أعلن "جاسبار كوريا" أن تلك كانت كذبة كما أن "دوم جواو دي كاسترو" ، لا يثق في تلك الرواية لأنه يضيف : "لعل أولئك الرهبان كانوا يخترعون هذه المعلومة خوفاً من أن نذهب ونأخذ تلك الرفاة المقدسة" .

(ب) "كتب دوم جواو دي كاسترو" .. "ثلاثة أيام قصيرة" .. رحلة داخل الأراضي اليابسة لعلها تصل إلى ثمانية عشر فرسخاً .

(ت) عند الساعة الحادية عشر في يوم ٢٦ إبريل رسونا على ملجأ عند الرأس . . وذهبنا إلى الشاطئ ومن عند الرأس استطعنا أن نرى مدينة السويس ونقطة بداية البحر الأحمر الذي ذكر في الكتابات القديمة وأيضاً صواري السفن التي كانت في الميناء .

(ث) آبار موسى : تلك المياه ذات السمعة الذائعة بين التجار في هذه البلاد (المرجع نفسه) .

عشرة قبيلة إسرائيلية في الجانب الحبشي عبر وسط هذا البحر ، حيث فُتح اثنا عشر معبراً لهم وعبروا وهم حفاة[أ] .

قبل أن نصل إلى هذا المرسى سمعنا صوت ثلاث قذائف أطلقت من مدفع ثقيل واعتقدنا أنها كانت إشارة لاستدعاء الرجال[ب] .

عند حلول الظلام أرسل الحاكم مركباً من هنا[ت] ليحاول إن كان يستطيع القبض على "Almadia" مع بعض الرجال السود ليقدموا لنا معلومات عن ما كانت تقوم به السفن الشراعية وأي الرجال عليها ، لكن عاد المركب دون أن يشاهد أي شيء أو يأتي بأي معلومات للحاكم[ث] .

عندما عاد القارب قام الحاكم ونحن معه بمغادرة الرأس ، من هناك وحتى الموقع الذي رست فيه السفن عند الشاطئ كانت المسافة بالتقريب أربعة فراسخ ، قطعنا المسافة بواسطة التجديف من حوالي الساعة السابعة أو الثامنة صباحاً[ج] ، ووصلنا إلى السفن عند الساعة الثالثة بعد الظهر ، كانت مؤخرة السفن على مرمى قذيفة مدفع من الستة عشر مركباً وقارباً التي كنا فيها .

(أ) أطلع "دوم جواو دي كاسترو" على قصة عبور الاسرائيليين للبحر الأحمر .. "بواسطة مسلم جليل ، متعلم وحكيم .." الذي أراه المكان الذي جرت فيه الحادثة .

(ب) ثم أطلقوا عيارين ناريين والتي بدت وكأنها إشارة .

(ت) أرسل الحاكم على القارب رجلين كانا سريعين وقويين ويستطيعان السباحة إذا دعا الأمر ، وهما "أنطونيو ميندس دي فاسكونسيلس" و"أنطونيو بيريرا" وأيضاً "جواو جو سارت تيسا"و... وبحار يدعى "فيرناو دياز سيزار" ومسلم حر من أفريقيا ، خادم "لدوم جارسيا دي كاسترو" ، وذلك ليتعرفوا على كل شيء يقال في البر . ." .

(ث) لم يسمع الذين كانوا على القارب أي أصوات على الأرض ولا نباح الكلاب أو صياح للديكة .

(ج) العاشرة صباحاً طبقاً لحديث "دوم جواو دي كاسترو" .

أثناء تقدمنا شاهدنا رجالاً يتابعوننا بنفس الخطى على اليابسة بطول الشاطئ ، وهناك حوالي ثلاثين منهم على ظهور الخيل يشيرون مهددين بأيديهم ، وعلى البر الداخلي فرقة من الجنود في وضع القتال بالقرب من بعض أشجار النخيل ، ومجموعة كبيرة من الفرسان يحملون ثلاثة أعلام . الجنود المشاه يقتربون في صف وكأنهم وصلوا الآن ، كما يوجد جنود آخرون بين السفن ، والذين لم نستطع رؤيتهم من عند رأس المضيق .

حيث تذهب السفن الشراعية يوجد حصن عال انطلقت منه عدة طلقات ، إلا أنها لم تكن في اتجاهنا ، لكنها كانت من ذلك الاتجاه فقط ، حيث لا يوجد مكان آخر ، وعليه اعتقدنا أن كل المدفعية كانت موضوعة عند مدخل المضيق .

يوجد حيد صخري يمتد من مدخل المضيق ، وثماني سفن شراعية ضخمة حمولة كل منها حوالي ثلاثمائة أو أربعمائة طن راسية هناك واثنتان من السفن التجارية تقفان عبر مدخل المضيق .

هنا ، كما أفدت سموك وجدنا أنفسنا على مرمى قذيفة مدفع من مؤخرة السفن الشراعية ، كنا نجدف المراكب والقوارب في تشكيل . . كل بجانب الآخرى وفي مستوى واحد ، دون أن يتخطى إحداها الأخرى . كان الكل مسلحاً حاملين صناديق البارود والطلقات في أيدينا ، وزال كل الخوف عندما توقع الرجال وجود الطعام على الأرض ، أجزم لسموك ألا أحد في مركبي أحس بالخوف ولا حتى في المراكب الأخرى ، إننا

والحق يقال رجال ، لا أظن أن هناك رجالاً كالبرتغاليين وأولئك الذين في الهند لأنهم اعتادوا كثيراً على القتال والمعارك .

في هذه اللحظة كانت القذيفة بعيدة عن السفن . أصدر الحاكم أوامره بإيقاف التجديف وتوقفنا في مكاننا ، مجاديفنا في الماء دون أي حركة ، وأرسل من هنا "دوم جواو دي كاسترو"(أ) ، وهو سيد محترم ذو حماسه وشجاعه ، خدم سموك هنا بكل إخلاص وتفان ، وأيضاً "تريستاو دي اتيدا" و"دوم كريستيفاو" ، وأمرهم بالذهاب والتحقق من السفن والجنود .

ذهبوا قريباً جداً من اليابسة وعادوا ليخبروا الحاكم أنهم رأوا الكثير من الجنود وأن هناك المزيد منهم حسب ما يشاهد من هنا(ب) وضعنا جواسيسنا في وسط وبين السفن .

قرر الحاكم عدم الذهاب إلى الشاطئ ، وقام البحارة بالتجديف مبتعدين ونحن معه بطول الشاطئ ، وانسحبنا مبتعدين قليلاً من السفن وباتجاه الجانب الحبشي حيث قضينا الليل راسين هناك .

أجزم لك بأننا جميعاً شعرنا بكآبه وغم شديدين ونحن نرى السفن راسية هناك دون أن نتمكن من إطلاق النار عليها ، ليس فقط النبلاء

(أ) عندما صرنا على بعد فرسخ من السويس بعثني الحاكم ومعي "دوم كريستيفاو" و"تريستاو دي اتيدا" لنتجسس ونتعرف على اليابسة .

(ب) ثلاث فرق عسكرية في تشكيل متقارب مثبته أعلامها عند حافة الشاطئ حيث كنا سنهبط على اليابسة . كان هناك أيضاً تشكيل من الفرسان يبلغ حوالي ألفين من الخيالة .. وبعيداً عنهم مجموعة أخرى الكثير من الجنود والعديد من الحصون العالية بها الكثير من المدافع ... (رسالة من "مانويل كوتنهو") .

والشخصيات العظيمة هي التي كانت في تلك المراكب ، لكن حتى الطائس والمغفل لكان أحس بالسعادة الكبيرة إن كان قد ذهب إليها ومات وهو يقاتل ضدها .

أما بالنسبة لي فلم أشعر في حياتي بمثل هذه الكآبة والحزن منذ قدومي إلى الهند وأنا أرى تلك السفن ضخمة وثمانية أخرى كبيرة[أ] .

لو لم يرتكب الحاكم تلك الأخطاء في هذه الرحلة والتي تسبب بواسطتها في تقديم أسوأ خدمة لسموك ، ورأيي أن الحاكم لو كان أحضر كل أسطوله من الهند وكل قواته وكنا أتينا من ناحية الساحل العربي وهو الطريق الذي عبر به "Eunuch"[ب] إلى الهند .

مع أسطول بهذا الحجم وتلك السفن الضخمة فإنني أجزم لسموك أننا كنا حولنا تلك السفن الضخمة إلى رماد ، لأن مؤخرتها كانت على رمية قذيفة من مدافعنا ومن الشاطئ ، ولكان عوناً لنا أن نستغل ذلك الوضع ، لكن ما قام به الحاكم "دوم ايستيفاو" كان معيقاً لما يمكن أن يقوم به الحكام الآخرون .

رست السفن على الشاطئ كما أفدت سموك من قبل . عند الدخول لهذا المضيق يوجد رأس ضيق جداً بين المضيق والبحر يشبه اللسان . كانت السفن راسية على الشاطئ بطريقة منظمة وقريبة من بعضها البعض مع مؤخراتها بالقرب من خط المياه .

(أ) قمت بعد الأسطول التركي ووجدت أن هناك إحدى وأربعين سفينة ضخمة ، كلها راسية على الشاطئ وهناك تسع سفن تجارية كبيرة مثل التي معنا وأيضاً "maquinez" .

(ب) سليمان باشا ، الجنرال التركي المشهور الذي قاد الهجوم الفاشل على "ديو" .

هذه الترتيبات حيث ترسو السفن الشراعية كانت لتكون أكثر مناسبة وملائمة أن كان الحاكم قد قاد هجوماً مفاجئاً عليها ، أو إن كانت معه قوة كافية لكانت كلها اشتعلت فيها النيران .

كان حول تلك السفن نوعاً ما خندق[أ] يشبه الخندق المائي يحبط بها جميعاً ، بخلاف ذلك فإن السفن لم تكن محمية إطلاقاً ، وقيل إنها بهذا الوضع كل السنة ، لأن الأمطار لا تهطل هنا أبداً في هذا الجزء من المضيق .

اتجه الحاكم بعيداً عن هذا المكان وكلنا معه يغلب علينا الحزن والغم ، حتى أننا لم نتحدث مع بعضنا البعض ورجعنا من الطريق الذي جئنا منه .

أبحر الحاكم من هنا مع رياح مناسبة كانت دائماً من خلفنا ، قرر أن يأخذ مياهاً من "الطور" ، وعندما اقتربنا من هناك هبت علينا ريح قليلة . دخل "دوم جواو دي كاسترو" إلى خليج "الطور" حيث رسا هناك ، لكن الأتراك وضعوا بعض المدافع على الشاطئ وأطلقوا عليه قذائفهم[ب] ، وواصل الحاكم تقدمه ونحن معه ، لم يفضل الدخول إلى الخليج لكنه استمر مسافة فرسخ نحو الميناء حيث ألقينا مراسينا[ت] .

يوجد الآن الكثير من الأتراك والسكان المحليين ، أكثر مما كانوا في

(أ) بين المراكب وشاطئ البحر يوجد جدار عال مع خندق تحتها يحيط بالأسطول .

(ب) عندما دخلنا إلى الميناء أطلقوا قذيفة من مدفع باتجاهنا ، قام الحاكم بالإبحار وتبعناه جميعاً .

(ت) رسونا في ميناء يسمى آبار سليمان . وجدنا كمية هائلة من المياه في تلك الآبار بالرغم من انها كانت مالحة قليلاً .

"الطور" ، وعندما شاهدوا أننا مستمرين في التقدم جاؤوا راكضين في تشكيل على طول الشاطئ ، ومتسببين في ضوضاء شديدة وحركة بسبب أسلحتهم ، حتى وصلوا إلى المرسى حيث كنا .

تشكلوا عند الرأس . كل الرجال معاً وثلاثة أعلام ، ومن هناك أرسل رجال لإطلاق النار نحونا ببنادقهم من بعض التلال المنخفضة التي خلفنا ، لأن مراكبنا كانت قريبة من اليابسة ، استمر ذلك قرابة الثلاث أو أربع ساعات ، ومن ثم عادوا إلى "الطور" .

حالما غادروا ذهب الحاكم إلى الشاطئ وبقينا هناك لوقت طويل بالفعل .[أ]

من هناك استمر الحاكم في العودة على نفس الطريق الذي جاء منه ، ومع رياح طيبة ، كنا نتقدم نحو قصير حيث وجدنا عشرة أو خمسة عشر من الـ "jelvas" والـ "maruazes" والتي كانت غاطسة في المياه الضحلة ، قمنا بتدمير أكبر جزء منها ، الأشخاص الذين كانوا على ظهر تلك القوارب وبقية أهل البلاد صعدوا كلهم إلى التلال ، وجدنا المدينة وقد نهبت واحترقت كما تركناها .

بالرغم من أخذنا مؤناً أكثر والتي كنا فعلاً في حاجة لها إلا أن الحاكم لم يبق هنا ولم يلق بمراسيه . غادر الحاكم مع ريح موانيه ، وأبحرنا عبر المياه الضحلة والخلجان الصغيرة حيث وجدنا مكاناً للرسو ، كان علينا أن نقوم بذلك قبل ساعة من الغروب ، وذلك لكثرة أماكن

(أ) "وتزودنا بالمياه" .

المياه الضحلة ، اتجهنا نحو خليج (بئر الكهف) ونحن في حاجة ماسة للمياه ، وقد أراحنا اعتقادنا بأننا جد قريبين من مكان به المياه العذبة والأفضل في المضيق .

اتجهنا من هناك نحو المكان الذي به المياه العذبة[أ] حيث ملأنا السفن بالمياه وغادرنا بعد ذلك مباشرة[ب] واتجهنا نحو "سواكن"[ت] والتي وجدناها وقد هجرها أهلها والمدينة احترقت بكاملها ونهبت كما كانت عندما غادرناها .

مدينة "سواكن" هذه والمدخل إليها يمكن تقويته ويصعب اختراقه ، وأنا على يقين بأن الأتراك سيأمرون بتقويته ، لأنها تدر عليهم سبعين ألف (venezianos) ، وللملك التركي وكلاء وأتراك يجمعون تلك العائدات المالية .

المنطقة غنية جداً والكثير من البضائع تأتي إلى هنا وسفن من كل الأنحاء ، والميناء غير عادي ولا مثيل له . تصل السفن وتمد عوارض للمنازل ويتم التفريغ من البضائع[ث] ، ويتم نفس العمل عندما تغادر ، وبخلاف ذلك فإن الميناء أيضاً رائع جداً لدرجة أن السفن عندما تدخل إليها لا تؤثر عليها أي رياح .

(أ) يقول "دوم جواو" أنها على بعد فرسخين من قصير .

(ب) في ٤ مايو .

(ت) في ١٦ مايو دخلنا .. هنا ينتهي ما جاء في رسالة "دوم جواو دي كاسترو" ، لا توجد أوراق أخرى تستمر في سرد الرواية ، سوى سطور قليل تصف نهاية الرحلة . وقد علمنا من أن الميناء الذي دخلوه في ١٦ مايو كان ميناء سواكن .

(ث) كتب "دوم جواو دي كاسترو" عن سواكن أن سرعة وتسهيل تفريغ البضائع وتحميلها على السفن أيضاً كان شيئاً لا يصدق ولم أر مثيلاً له ، مما يسعد له البحارة والتجار على حد سواء .

قضى الحاكم عصر ذلك اليوم والمساء هنا ، وغادر في الصباح .

أراد الله أن تتم خدمة سموك بطريقة أفضل وسنقوم نحن بما قام به البرتغاليون دائماً ، وسنقوم بالاستيلاء على هذه عندما نذهب إلى السويس .

غادر الحاكم "سواكن" واتجهنا نحو "مصوع"(أ) ، حيث وجدنا أخباراً سيئة : الكثير من الرجال توفوا نتيجة المشقة والجوع وأن كل الرجال في مصوع قد تمردوا(ب) .

في إحدى الليالي قام مائة منهم تقريباً بعد أن تجمعوا وركضوا عبر الشوارع يصحيون بأن أي شخص يريد الذهاب لملك الحبشة المسيحي فلينضم إلينا ، ويقال أن مائة أو مائة وخمسين قد انضموا إليهم وذهبوا جميعاً إلى دغل من أغصان الشجر حيث كان يوجد صليب ، تلوا القداس وأعلنوا أمام الصليب بأنهم ليسوا متمردين وإنما هم ذاهبون لتقديم العون لملك الحبشة المسيحي الذي فقد ملكه ، وقد أثيروا كثيراً من قبل "مانويل دا جاما" الذي شنق منهم خمسة رجال(ت) وقال يجب شنقهم جميعاً ، وكانوا ذاهبين حتى يتفادوا الإصابة بالأمراض المنتشرة في مصوع ومن الجوع ، بسبب كل ذلك كانوا ذاهبين لمساعدة هذا الملك المسيحي لأن المسلمين الكفرة قد استولوا على مملكته ،

(أ) في الثاني والعشرين من شهر مايو .

(ب) اطلع على "جاسبار كوريا" للمزيد من التفاصيل عن هذه الحلقة الباعثة على الأسى عندما لقي مائة من سيئ الحظ ، وقد تم تشجيعهم بوعود من "البطريرك دوم جواو بيرمودوس" ، لقوا حتفهم .

(ت) رسالة "دوم مانويل" تؤكد إفادة "كوريا" .

أخذوا إذن المغادرة من أمام الصليب ، وهم يقولون بصوت عال إنهم ذاهبون للقتال من أجل دينهم .

ذهبوا من هناك إلى حيث ترسو كل المراكب الصغيرة ، لم يجرأ "مانويل دا جاما" على الذهاب إلى الشاطئ ، لكنه ظل في البحر على قوارب مليئة بالجنود المسلحين وكان العسكر ، حوالي المائتين أو أكثر ، كلهم مزودين بالبنادق والسيوف والرماح .

عندما ذهبوا للمراكب وجدوها جميعاً مجردة من المجاديف والدفات ، وجدوا مركباً صغيراً وسحبوه للمياه وصعدوا عليه ، وبما أنه كان صغيراً فلم يتسع سوى لستة وتسعين منهم ، عبروا نحو البر الرئيس دون أي مخاطر ، وعاد "مانويل دا جاما" إلى السفن الكبيرة(أ) .

قضى البرتغاليون الستة والتسعون كل الليل وهم يبحرون ومعهم حبشي أخذوه معهم ليرشدهم إلى الطريق ، ظلوا مسافرين طيلة الليل ، وعند بزوغ الشمس وجدوا أنفسهم قريبين من معسكر ملك "مصوع" وقائد "زيلع" الذي كان برفقته(ب) . عندما رأى ملك مصوع البرتغاليين عند رأس التل ، ذهب نحوهم وبدأ القتال ، قتل البرتغاليون سبعة أو ثمانية من المسلمين ، وجرح أربعة أو خمسة من البرتغاليين بما فيهم أحد الرجال من نسب نبيل والذي اتخذوه كقائد لهم(ت) .

(أ) أن "مانويل دا جاما" أمر بإطلاق نيران البنادق عليهم ، لكن بما أن رجاله كانوا متعاطفين مع المتمردين فإنهم "اطلقوا النيران دون رغبتهم وأخطأت جميعها .

(ب) تحالف ملك مصوع مع ملك "زيلع" الذي كان في حالة حرب مع الـ "Prester" كما يقول كوريا ، وكانوا مستعدين لقتل الناس الذين يريدون الذهاب إلى الـ "Prester" .

(ت) بناءً على "كوريا" فإن اسمه كان "أنطونيو دي سوزا" .

عندما رأى الملك أنه لا يستطيع أن يتغلب عليهم عن طريق القتال رأى أن يستخدم الحيلة والخداع حيث هم معتادون على ذلك الأسلوب ، فبعث برسالة للبرتغاليين يقول إنه يرغب في صداقتهم وأن يصبحوا حلفاء ، وكضمانة أرسل لهم بعض (Contas) مما عنده ، ووافقوا على ميثاق وعهد بينهم ، وعليه نزل البرتغاليون من أعلى التلة نحو الأراضي المنبسطة بالقرب من ملك مصوع ، ولأن الأرض كانت حارة وكانوا يسيرون طوال الليل دون مياه فلم تنقض ساعة إلا وسقط أحد الرجال على الأرض ميتاً .

كانوا جميعاً في حالة سيئة نتيجة الحرارة وفقدان المياه ، لذلك أرسلوا يطلبون من ملك "مصوع" مدهم بالمياه ، فرأى هو أن هذه هي الطريقة التي يمكن أن يخدعهم عن طريقها فأمر بالعديد من قرب المياه أن تملأ وأرسلها مع جنوده إلى البرتغاليين .

لما كان العطش قد بلغ بهم مبلغاً كبيراً فعند رؤيتهم لقرب المياه رموا أسلحتهم وركضوا طلباً للمياه قام المسلمون بجمع كل أسلحتهم وأخذوها معهم وقاموا بمهاجمة البرتغاليين ، وقيدوهم وأخذوهم إلى ملك "مصوع" .

أمر الملك قائد "زيلع" والأتراك الموجودين بقطع رؤوس كل البرتغاليين ، ستة وتسعون جندياً برتغالياً من عائلات نبيلة ونسب طيب قطعت رؤوسهم هناك ، ويلامون هم أنفسهم كثيراً على موتهم ، لكن أعتقد أن الحاكم هو من يستحق اللوم الأكثر لأنه تركهم دون عون ، وقد أخذ كل ضباطهم وقادتهم إلى السويس ، لو كان الضباط

قد ظلوا في السويس ، كل مع رجاله فإنني أؤكد لسموك أن الكثير من الضرر والخراب لكان قد حدث . الرجال الآخرون الذين تركوا في "مصوع" أيضاً ذاقوا المرارة لأن الوقت الذي قطعه الحاكم في العودة لـ "مصوع" قد انقضى دون أن يعود ، وقال جميع العسكر والبحارة أنهم لن ينتظروا أكثر من أسبوع ومن ثم سيتمردون ويقتلون "مانويل دا جاما" الذي كان يقودهم .

أؤكد لسموك أن الكل كان سيضيع لو كان أولئك الرجال قد تمردوا لأن الأسطول كان يمكن أن يضيع ، وأن أسطولاً بلا رجال جيدين فهو كالمفقود .

الحاكم هو الذي يلام على كل ذلك ، لأنني أقسم لسموك بأنني ملزم بقول الحقيقة لك بأن كل هذه الأعمال التي قام بها لم تكن مرتبة أو فيها أي شيء من النظام وهو ليس الشخص المناسب لهذا المنصب كحاكم للهند .(أ)

(أ) لم يكن "دوم مانويل" هو الشخص الوحيد الذي أطلق حكماً قاسياً على "دوم ايستياو" .
ويكتب "مانويل كوتنهو" في النص التالي من الرسالة ويقول : "الحاكم يقوم بكل شيء بناءً على رأيه فقط وهو عنيد جداً ويستفز السادة والنبلاء الذين معنا حتى ساءت علاقتهم به .."
استمر في الحديث وأضاف : "لا يبدي أي استحسان عن أي شخص سوى أقربائه والذين يقفون إلى جانبه" .. لعل هذا هو السبب في كراهيته .
يقول عنه المؤرخون : "دوم ايستيفاو" لا يمثل رجلاً سيئاً لتلك الدرجة الشديدة ..
يقـول عنه الأسقف العام م"يجيل فاز" : عندما كان "دوم ايستيفاو" حاكماً أبدى حماساً ورغبة شديدة لخدمة سموك . . ولم يأخذ أي شيء من أي شخص ولم يعش أحد نظيفاً أكثر منه .
واصـل في القول بـأن حماسه الزائد للخزينـة الملكية هو الذي جعل منـه شخصاً غير محبوب (رسالة من ميجيل فاز بتاريخ ٧ أغسطس عام ١٥٤٣م نشرت بواسطة "أ . دا سيلفا ريجو" في :
(Documentacao para a Historia das Missoes do Padroado Portugues do Oriente vol . II, P .387) .

كل القوم الذين تركوا في "مصوع" عانوا كثيراً من الجوع والعطش وأصابتهم أمراضاً مميته ولم يمر يوم دون أن يتوفى أربعة أو خمسة منهم(أ) .

أؤكد لسموك أن أي من ضباطك الذين ذهبوا إلى السويس مع الحاكم طلب أن يقدم الطعام لأولئك الذين جاؤوا بهم من الهند بالرغم من أن الكثيرين منهم فقراء وبالكاد يعيلون أهلهم . إن لم يكن ذلك قد تم فتأكد سموك أن الكثير كان سيضيع .

هناك أمر واحد أود إطلاعك عليه وهو أن من بين كل الرجال الذين أحضرتهم معي من الهند توفي فقط رجل واحد ، وكان في حقيقة الأمر طاعناً في السن وكان مريضاً عندما غادرنا الهند .

عندما وصلنا إلى "مصوع" ورأى العسكر الضباط ، فرحوا جداً وكأنهم كانوا في جهنم وغادروها للجنة .

هنا في "مصوع" أرسل ملك الحبشة يطلب من الحاكم بعض الرجال لمساعدته قائلاً إن مملكته تخص سموك ، وطالما أن هذا حدث فقد خسر كل شيء ، وتم الاستيلاء على كل مناجم الذهب ، لكن كل ذلك لم يكن ليقاربه بشاعة أن المسلمين ألقوا القبض على قومه ، الأحباش والمسيحيين .

ألتمس من الحاكم بشرف وعطف الرب أن يساعده ، لأن الكثير من قومه في المدن التي فقدها قد أجبروا على أن يصبحوا مسلمين(ب) .

بعث له الحاكم بأربعمائة من الجنود لكن ما اعتقدنا أنه كان خطأ

(أ) يقول "جاسبار كوريا" بأن الرجال كانوا . . "في حالة يأس لأن الحاكم تركهم بلا دفاعات في الوقت الذي كان عليه حمايتهم وإراحتهم وإنقاذهم من حالة الفقر والجوع التي يعانون منها . ساهم المناخ غير صحي في إرهاقهم .

(ب) كتب العديد من الرسائل المليئة بالتقوى ، كلها بيده ، وأن سيدنا عيسى قد صلب .

كبيراً هو إرسال "دوم كريستوفاو" كقائد لأولئك الرجال في حملة من هذا النوع ، وحتى تذهب لتنتصر وتستعيد مملكة مفقودة(أ) ويتطلب الأمر رجلاً أكبر سناً وأكثر خبرة .

الأخطاء التي ارتكبها الحاكم "دوم ايستيفاو دا جاما" من خلال هذه الرحلة لا يمكن حصرها أو عدها ولا يمكن وصفها جميعاً في الكثير من الصفحات ، قد يعتقد سموك أن أي شخص جاء مع الحكام إلى المضيق جاء ليؤدي عملاً ليحتفي به فيما بعد ، لكنه جاء للمضيق ليشكك في الحماسة والشجاعة التي تمتع بها حكام سموك بطريقة زائفة ، وهم أكثر الحكام مهابة من أي قائد آخر في الأمة المسيحية ، في الهند ، حيث لنا اعتبار عال وتقدير كبير .

الآن هناك سبب جيد لعدم احترامنا بل التصغير من شأننا .

ذهب إلى المضيق حيث أخبرني بأن أكثر الأعمال تأثيراً ووقعاً في العالم ستتم وكانت السفن الشراعية في مكان كان من السهولة إحراقها ، لكن الآن أعتقد أنه من الصعوبة بمكان إحراقها . أما بالنسبة للخدمات الخاصة بسموك والتي ذهب من أجلها إلى المضيق فإنه قد جعل من الأماكن الضعيفة أكثر قوة(ب) .

(أ) كتب "ديبجو دو كوتو" .. "الحاكم ، ودون أن يهتم لرأي أي أحد ، اختار شقيقه "دوم كريستيفاو" ، والذي يعتبره الجميع شخصاً سيئاً ، ليس لأنه لا يملك كل الصفات المطلوبة في الضابط الجيد بل لأنه كان صغير السن وطبقاً "لجاسبار كوريا" فقد أكد "دوم ايستيفاو" بكل نبل .. "كان عليه أن يبعث "بدوم كريستوفاو" شقيقه وليس أي شخص آخر ، لأنه كان يرغب في أن يضحي به لسيدنا الملك في هذه الخدمة وليس المخاطرة بابن أي شخص آخر" . بسبب أنه "كان مشكوكاً في أن يتفادى أحد الموت" . وهو تشاؤم برره الكثيرون وقد حدث فعلاً .

(ب) الكثيرون كانوا مع هذا الرأي . في "Areka" قام "دوم جواو دي كاسترو" بنصيحة "دوم

إن ما قام به في حقيقة الأمر في رحلته البحرية هذه إلى المضيق ستجعل الأسطول التركي يعود للهند أسرع مما كان يعتقد .

مما هو معلوم هنا في الهند فإنه يقال إن السبب الرئيس لطلب الأتراك ببناء هذه السفن الشراعية كان على أساس الأعداد الكبيرة من الحجاج والمتدينين والمسلمين والنبلاء الذين يذهبون إلى مكة لتقديم الولاء الديني ، وأيضاً سكان المضيق ، ويقال إنهم اشتكوا للأتراك في أوقات سابقة وقالوا إنهم لا يستطيعون ممارسة شعائرهم الدينية أو الذهاب إلى مكة لتقديم الصدقات والإيفاء بنذرهم وأداء الحج لأن المسيحيين يلقون القبض عليهم في البحر حتى داخل المضيق ويقتلونهم ويسرقون ما معهم ، وأقل ما يقومون به هو استعبادهم .

سترى سموك المزيد من الشكاوى من الأتراك والتي يحملها الحاكم من خلال رحلته الطويلة وهو يعبر بالقرب من بيت مكة وحتى آخر المضيق ووصولنا إلى اليابسة ، كل تلك الشكاوى مؤكدة عن الأتراك مما يجعل الأتراك يبنون أسطولاً ضخماً ويوجهوا الكثير من التفكير باتجاه الهند .

ايستيفاو" : بما أن الجميع على علم بأن التأخير والطقس السيئ قد حرمانا من إمكانية الانتصار فإن ما علينا القيام به الآن هو أن نحاول جاهدين المحافظة على أسطولنا ورجالنا وأن نعود أدراجنا إلى الهند دون أن نتعرض لأي أضرار أو خسائر أخرى" .

بهذه الطريقة سيعتقد الأتراك أن البرتغاليين واجهوا صعوبات في الملاحة والإبحار بين تلك المياه الضحلة التي بالبحر الأحمر ، ولذلك لن يكلفوا أنفسهم مشقة حصار المضيق . .

"إذا حدث هذا فإن فرصة أخرى قد تسنح له أو أي حاكم آخر ليستعيد ما خسرناه حالياً تماماً" .

"نسألك اللهم ألا تتم مثل هذه الرحلة أبداً ، طالما أنها تكلف الكثير وتحقق القليل . . " يقول متعجباً "مانويل كوتنهو" ذلك . . (كما ورد في الرسالةالمذكورة) .

كم هو مقدار ما يدين به حكام الهند لسموك ، من يقدم لهم تلك السلطات والأمر والنهي في الهند ومتى ينهلون من تلك الغنائم والثروات وكيف يسددون لسموك هنا عن كل تلك الأشياء وهم يمارسون سوءاً في خدمتك بهذا القدر!؟

كم كان جيداً إن كانوا قد خدموا الرب وسموك بطريقة سليمه كخدام أوفياء!؟

أرجو ألا يعتقد سموك أنني أكتب لك أموراً غير ذات أهمية ، وأنا لا أجرؤ وأتجاسر للقيام بذلك لأن "دوم ايستيفاو" يكرهني كثيراً ويسيء إلي ويأذيني كل يوم .

لا أدري كيف أكتب لك عن شخص يمقتني كثيراً لأن ذلك سيحسب ضدي عند سموك ولن تعيرني أي اهتمام وتستصغرني ، لكن إن أراد سموك أن يعرف إن كانت تلك الأشياء التي أكتبها تحدث هنا فلن يتوانى أي سيد محترم ونبيل يغادر هذا المكان ليؤكد تلك الأمور لسموك بتفاصيل أكثر ، إنها مشيئة الرب أن أتلقى الإساءة للأمور التي أقولها بكل صدق في مصلحة سموك ولصالح هذه البلاد .

السبب الرئيس لمعاناتي اليومية هو كوني أول شخص يتحدث ضد هذه الحملة إلى المضيق ، الأمر الذي بدا لي إنقاصاً كبيراً في خدمتي لسموك ، ومن هنا نشأت الكراهية التي يكنها لي .

أؤكد لسموك أنني دفعت جيداً مقابل ذلك في المضيق ، لأنه عندما رآني هناك وتذكر ما قلته له تضاعفت كراهيته لي . السادة الأجلاء الذي في طريقهم إلى البرتغال هم شهود على كل ذلك ، سيكون

فضلاً عظيماً لي إذا استمع سموك لتلك الأمور من كبير موظفي الخزينة(أ) ، الذي في طريقه إلى البرتغال هذه السنة ، وأيضاً "دوم جواو دي كاسترو"(ب) ، لأنهما الشخصان اللذان خدماك هنا بطريقة رائعة ، وأعتقد أنه ولمصلحتك أن تعرف تلك الأشياء .

لم يكن كافياً للحاكم "دوم ايستيفاو" القيام بتلك الأشياء التي سردتها لك ، لكنه غادر "مصوع" حيث كنا نقضي الشتاء دون أن يأخذ بنصيحة أو استشارة أي شخص وضد رغبات الربابنة المسلمين الذين معه ، وذلك وسط أسوأ فترة من الشتاء . غادر في عاشر يوليو(ت) بالرغم من أن الربابنة المسلمين قالوا إنه يمكن لنا أن نجد رياحاً مواتية وطيبة حتى باب المندب فقط ، ولم يحدث أن أبحر أي شخص حتى من المسلمين في مثل هذا الوقت كان وقت شتاء .

في "مصوع" وقبل أن نغادر أرسل الحاكم مرتين رسالة لكل الضباط عن طريق محاسب الأسطول ، لأننا كنا على وشك مغادرة السفن وذلك لعدم جود أي أعمال هناك ولا أي مكان نذهب لنقاتل فيه ، وكنا متعبين من الأعمال التي قمنا بها في المضيق ، بأنه علينا أن نغادر على المراكب ، إن لم نغادر عليها شخصياً فإنها لن تذهب إلى الهند

(أ) كان هذا "فيرناو رودريجز دي كاستيلو برانكو" الذي كان على علاقة سيئة مع "دوم ايستيفاو" .

(ب) عاد على ظهر السفينة الشراعية "ساو تومي" "سفينة أولاد الذوات" . كان هذا اسمها لأن معظم طاقمها من النبلاء .

(ت) في ١٠ يوليو عام ١٥٤١م ، بعد شروق الشمس .
يقــول "كوتــو" إن "دوم ايستيفاو" أبحر دون أن ينتظر لهبوب ريــاح مواتية آملاً في الوصول إلى "غوا" قبل السفن التجارية من البرتغال .

لأن المراكب كانت بحالة سيئة ومعظم البحارة قد توفوا ، وإن لم نبحر عليها فإن اللسكر والبحارة سيذهبون إلى الشاطئ .

كان يخشى أن يتمرد أولئك الذين عليها ، إن لم نذهب نحن على تلك المراكب فمن الضروري إحراق بعضها هنا في مصوع وإعادة صيانة البقية ، وسيسمع الأتراك عن هذا الأمر وسيقولوا إنه قد انهزم .

عندما سمعت تلك الأشياء وأن الحاكم قد أمر بإخطار كل شخص بذلك ، ولأن الأمر كان يخص مصالح سموك ، قمت أنا بالصعود على المركب الذي جئت عليه من الهند ، وأخذت معي مركباً آخر كنت قد اشتريته ، وهو المركب الذي ذهبت فيه إلى السويس ، وأمرتهم بتجهيزه جيداً وملأتها بالرجال ، اعتقد الضباط الآخرون أن تلك كانت خدمة جليلة لسموك أن يذهبوا في أمان ليقوموا بخدمتك في الهند ، وأبحر الكثيرون عليها(أ) .

غادر الحاكم مصوع في عاشر يوليو ووصل مع كل أسطوله إلى مدخل المضيق في الثامن عشر من نفس الشهر ، لا أدري لماذا كان غير راغب في أخذ ملجأ له في بعض المراسي التي بالمدخل ، لكنه قرر المغامرة بالتواجد خارجاً ، وحالما عبر للداخل فاجأتنا رياح عاصفة وقوية وشتويه ، وأمطار مصاحبة حتى أن المراكب لاقت صعوبات كثيرة .

(أ) ظل "ميجيل دا كونها" مع المراكب ، كما ذكر في الرسالة التي كتبها للملك في ٢٨ ديسمبر عام ١٥٤١م "أنا ، يا سيدي ، ذهبت إلى أحد المراكب التي تجدف بالمجاديف . . وقمت بخدمتك كما يجب ، بالرغم من أن هذا الخليج الذي أبحرت فيه كان صغيراً . قباطنة السفن الآخرون ظلوا على ظهر السفن" .

أبحرنا على طول الساحل ووصلنا إلى مدخل مناسب ودخلناه بصعوبة ، رسا الحاكم مع السفن الكبيرة في الخارج على البحر بعيداً إلى حد ما ، كان الوقت حوالي الساعة بعد منتصف النهار عندما وصل إلى هناك ، لكن وقبل الغروب قام بالإبحار مع كل السفن وترك المراكب في مدخل الرأس دون رحمة وغادر إلى الهند ، قد يكون ذهب إلى بندر "برم"[أ] أو "كشن" كما فعلت إحدى السفن التجارية التي كانت برفقته ، بعث بها الحاكم إلى "كشن" ومعها أوامر يقول فيها لنا أنه في طريقه إلى الهند .

وصل إلى ساحل الهند في طقس قاس وهائج حتى أنه لم يتمكن من الوصول إلى "غوا" وذهب رأساً نحو "انجيديفا" ، حيث ألقى مراسيه هناك في ثامن أغسطس . توفي ثمانمائة برتغالي في المضيق جراء الأمراض أو بحد السيف[ب] .

سأطلع سموك مرة أخرى بأن الحاكم ترك أكثر من ستين مركباً في هذا الرأس على مسافة فرسخ خارج المدخل المؤدي إلى المضيق ... كانت مبعثرة لأن البحر كان هائجاً والرياح غاية في الشدة . كان بعضها يقف على الساحل على طول الخلجان والأخرى تحاول الإبحار بقدر

(أ) بندر "برم" ، تقع على الساحل العربي في خليج عدن ، ١٥ ١٤ْ شمال ، ٥٩ ٤٨ْ شرقاً .
(Visconde de logao, Glossario da Antiga Historiografia Ultramarina Portuguesa, 1 . p . 122) .

(ب) يقدر "مانويل كوتنهو" الخسائر بحوالي ألف وخمسمائة رجل وهو بالتأكيد رقم مبالغ فيه . مــن المؤكد على أية حال أن الوفيات في الأساطيــل التي ذهبت إلى البحر الأحمر كانت عالية وكثيرة العدد .

المستطاع . كان هذا أكبر أسطول غير منظم ومبعثر على سطح البحر ، إنه شيء لم أشاهد مثله منذ أن كنت في تلك الأنحاء .

كان أمراً سيئاً ألا يكون هناك أي قائد ، لكن الكثير من تلك المراكب كانت في حالة مزرية ، لم يكن بها ملاح أو أي شخص له دراية بقيادة المراكب ، وفي بعضها كان هناك بعض الخلاسيين يقومون بدور الربابنة وبعض مسؤولي التجديف أحياناً ، وفي بعضها الآخر يقوم بحارة بدون قائد المجدفين ، وعندما رأيت ذلك تأكدت أن تلك كانت أسوأ ظروف وجدت نفسي فيها منذ أن التحقت بخدمة سموك .

كان هناك الكثير من الرجال المرضى في تلك المراكب ، ولا يوجد ما يؤكل في أي منها ، ولا حتى بحارة يقومون بالعمل عليها ، كان الفان من البحارة المواطنين قد توفوا في المضيق ، لم تكن معنا مراسي لأننا فقدناها في المضيق ، وكان الفصل شتاءً ، لقد رعانا الرب وحمتنا فضائل سموك لأننا بقينا أحياء ولم تتحطم مراكبنا .

المراكب التي معنا صنعت لتبحر على الأنهار أو البحار الهادئة وليس في البحار العميقة عند فصل الشتاء ، خاصة في المضيق حيث الأمواج العالية المخيفة ، هناك بعض السادة والنبلاء على ظهر تلك المراكب الذين حزنوا كثيراً لعدم مقدرتهم على خدمة سموك ، واهتموا كثيراً بتلك المراكب ، وكان كل فرد يريد أن يقوم بدوره كاملاً .

غادرنا هذا الرأس عند مدخل المضيق في طريقنا إلى "كشن" لأننا اعتقدنا جميعاً اننا سنجد الحاكم هناك ، وأنه من غير الممكن أن يترك ستين أو أكثر من المراكب دون قائد ويذهب إلى الهند .

نحن مبحرون في ذلك الاتجاه وصلنا إلى خليج به ميناء جيد ومرسى يسمى "بندر برم" ، عند وصولنا إلى هناك كنا في حالة سيئة ومخاطر كبيرة من عدم المياه العذبة ، يسكن على ذلك الخليج قوم من العرب والفرتك (Fartakis) وواجهنا بعض المشاكل من البحارة والخدم اللسكر ؛ لأنهم كانوا مرضى ويكادون يموتون من الجوع وقد تسللوا خفية وتركوا المركب في البر الداخلي ، وأرسلت لهم طالباً منهم عدم عصيان الأوامر ولأحذرهم مما قد يصيبهم وأن البعض قد يموت ، وعندما شاهدوني استجابوا لما قلت لهم .

في أحد الأيام غادر حوالي العشرين من البحارة سراً وذهبوا إلى قرية صغيرة لسرقة البلح والأغنام ، هاجمهم سكان القرية وقتلوا سبعة منهم ، وعندما ذهبنا لإحضارهم وجدنا أولئك القتلى ، لا يمكن لومهم على وفاتهم ، لكن يجب أن يلام الحاكم على ما اعتقد .

غادرنا خليج "برم" هذا وذهبنا إلى "كشن" بصعوبة بالغة حيث وجدنا السفينة التي بعث بها الحاكم إلى هناك لتخبرنا أنه في طريقه إلى الهند . عندما أدركنا هذه الحقيقة اندهشنا كثيراً ، لأن ذلك لم يكن أمراً يقوم به حاكم!! . .

كان البحارة في عوز شديد هنا ، لأن المدينة غالية جداً ، وحتى مياه الشرب تكلف كثيراً ، وعلى أساس احتياجاتهم وأن كل الناس الذين من المضيق فقراء جداً ولا قدرة لهم بالتواجد هنا ، غادرنا بعد فترة قصيرة ، كان ذلك ضد رغبتي لأنني قد عبرت هذا المحيط تقريباً في

نفس الوقت من السنة في سفينة تجارية مع "ديبجو دا سيلفيرا"[(أ)] وحتى رسونا عند حاجز "ديو" ذهبت بست مضخات تعمل فقط .

غادرنا "كشن" مع كل تلك المراكب الصغيرة والسفينة التجارية الضخمة التي بعث بها الحاكم في رفقتنا لأنه كان بها ربان ولم يكن بالمراكب أي أحد ليقودها .

غادرنا في الثاني عشر من أغسطس ، وحالما كنا في عرض البحر تحول الطقس إلى هائج وعاصف وحاول كل شخص قيادة المركب الذي فيه بأفضل ما يمكن ، ظلت السفينة الكبيرة في الخلف لأن أقل سرعة تبحر بها المراكب تكون أسرع من السفينة .

أؤكد لسموك أنه في تلك الأحوال كان مثيراً للشفقة أمر تلك المراكب ، وذلك بسبب البحر الهائج والأمواج العالية القوية ، وقد كانت رحمة عظيمة من ربنا أن أنقذ حياتنا .

لم يكن في مراكبي أي ربان سوى شخصي ، مررت في الخليج ببعض المراكب الأخرى وفي الليل أشعلت مصابيح لأدلهم على الطريق ، لكن بصعوبة شديدة ، وقد عبرنا الخليج في خوف شديد ، والذي استغرق منا عدة أيام .

عند اقترابنا من ساحل الهند هبت عاصفة قوية كانت المراكب التي أقودها بلا ربابنة يقودونها والذين عليها يعرفون القليل عن الملاحة أدت

(أ) كان "ديبجو دا سيلفيرا" "القائد في عهد "نونو دا كونها" .

لعل "دوم مانويل دي ليما" يشير هنا إلى الرحلة البحرية التي كانت في عام ١٥٣٣م . عندما واجه الأسطول الذي كان في طريقه لساحل "ديو" عاصفة هوجاء بعثرت كل سفنه .

إلى انفصال المراكب عن بعضها وأصبحت لوحدي ، كان مركبي يبحر مستعـيناً بالشمس والاتجاه التقديري ، ونحن نتجه إلـى "دابهول" ، وعند الفجر في عشرين أغسطس كنت عند حاجز الميناء ، لكن بدا الحاجز أكثر تهديداً والبحر في ذلك الهيجان والعنف حتى أنني لم أتجرأ بالدخول .

كنت خائفاً من تأثير القمر والهلال الجديد الذي كان في واحد وعشرين من الشهر ، ولذلك هرعت نحو الساحل مع رياح قليلة . ،

في الثالث والعشرين من الشهر وصلنا إلى نهر يسمى (راجابور)[أ] حيث ذهبت لأجد ملجأ من الهلال الجديد ،

بسبب تلك الرياح القليلة الهادئة ألقيت المرساة لوجود أراض ومياه ضحلة عند مصب النهر ، هناك قمر جديد وبحر شتوي هائج وتحولت الرياح ناحية الجنوب ومن ثم ضدي ، كنت في وضع شديد الصعوبة ورسوت لمدة طويلة في البحر وعندما تهب الرياح تحول البحر إلى أصعب ما يمكن ، وبدأت التحرك بدون أشرعة بالرغم من إلقائي للمرساة قبل قليل ، أمرت بأن تلقى مرساة أخرى ، كبيرة جداً كنت أحملها معي ويمكنها تثبيت سفينة ضخمة ، لكن كل ذلك لم يكن له أي فائدة ، واستمرت الرياح تحملنا معها كالسهم .

كنا في ذلك الوقت قريبين من الساحل لأنه كان يمتد في اتجاه

(أ) بعد ٢٣ فرسخاً من "غوا" يوجد نهر يسمى "سيتابور" ، كان شاهقاً لأن به أفضل وأجمل خليج صغير بطول هذا الساحل يعرف "فيسكونت دي لاغوا" هذا النهر بأسم "راجابور" المدون في الخرائط الحديثة ، والذي يصب في البحر على درجة ٣٧ ١٦ْ شمال و٢٢ ٧٣ْ شرقاً .

الشمال والجنوب ، وكانت الرياح يعكس ذلك ، فلم أتمكن من رفع الأشرعة في أي من الاتجاهين ، ثم اكتشفت أننا فقدنا وضللنا الطريق .

طلبت رفع الشعار الأمامي لأرى إن كان ممكناً إيقاف السفينة على خليج صغير كان في مرمى البصر حتى تتوفر لنا فرصة جيدة لإنقاذ أنفسنا ، طلبت رفع الشراع لكن انكسر الـ (tagas) ووقع الشراع والعارضة في البحر ، وحملتنا الرياح والأمواج نحو الصخور التي في الحيد ، واصطدم المركب في الحال بالصخر .

كانت الأمواج عالية ومخيفة والصخور ضخمة ، وتبعثر المركب وتحطم لآلاف القطع التي حملها البحر ، أنقذنا الرب بمعجزة كبيرة ، وتلك هي رحمته التي منحني إياها ، ولم أفقد أياً من البرتغاليين الذين معي .

كنا كلنا سالمين ولم يعرف أي منا كيف حدث ذلك سوى أننا وجدنا أنفسنا على قمة الحيد الصخري حيث رمانا البحر ، كان معنا تمثال لسيدتنا العذراء جئت به معي من "الطور" ، رأيناه بعد أن كنا كلنا سالمين بين صخرتين ، أظهرت لنا السيدة رحمة كبيرة بإنقاذها لنا ، وقد أصابتنا الجروح والكدمات بسبب الصخور ، لكن أفرحنا أن السيدة أنقذتنا جميعاً نحن المسيحيين .

غرق خمسة من البحارة وعبد أسود ، كانت هناك "غاليوت" (سفينة) محطمة على الخليج والتي كان ربانها "لويس فرير"[أ] ، وكان معه شقيقه "جاسبار دي سوزا" .

(أ) بتاريخ عام ١٥٦٤م نقلت رئاسة "شول" إلى "لويس فرير" ، أحد نبلاء الملك . . اعتباراً لخدماته ، وللأعمال التي تمت في الهند من قبل "جواو فرير" ، "ميجيل فرير" ، "جاسبار دي سوزا" كلهم الخمسة أبناء "جوميز فرير" .

كانت السفينة قد فقدت مع كل الناس الذين كانوا على ظهرها .

عند المخرج كانت سفينة أخرى أيضاً قد فقدت وكانت تحمل رئيس الأسطول وكمية ضخمة من الذخائر والفلفل .

كانت السفينة تبحر عند الشاطئ بمحاذاة "سوقطرى" ، ووصلت إلى رأس "غرادافوي" حيث اصطدمت بالساحل وتوفي الجميع(أ) ،

يجب أن أطلع سموك أن هذا اليوم هو التاسع عشر من شهر نوفمبر ولم تصل أي سفينة تجارية من البرتغال(ب) ، لعل هذا بسبب ذنوبنا نحن الذين نقيم في هذه البلاد ، لكنني على يقين بأن تلك السفن ستقضي الشتاء في "موزمبيق" ، وسيأتي الحاكم على ظهرها ؛ لأنني على يقين من ذلك فإنني لن أقول أكثر من هذا .

بما أن سموك قد اهتم كثيراً بهذه البلاد وكل أولئك الذين يعملون

ولعل "لويس فرير" المذكور في الـ "Registo" أحد أبناء الرجل الذي يحمل نفس الاسم ، والذي يصفه "دوم مانويل دي ليما" بأنه فقد في البحر في العام ١٥٤١م مع شقيقه "جاسبار دي سوزا" . "ديبجو دو كوتو" يصف هذا التحطم :" في اليوم الأول كانت سفينة (غاليوت) "جاسبار دي سوزا" غير قادرة على مقاومة البحر لأنها كانت قديمة وألواحها مفتوحة وقد أحاطتها الأمواج ، وقد غرق ومعه شقيقه ونبلاء وسادة آخرون كانوا على متنها ." .

(أ) "ميجيل دا كونها" في النص من الرسالة يشير أيضاً إلى . . "في سفينة كان يبحر عليها رئيس الأسطول لهذه البلاد مع أشياء ضرورية للرحلة ، خرجت عن مسارها واصطدمت برأس "غرادافوي" وتحطمت وفقد كل من كان عليها ." .
كان قائد الأسطول هو "أفونسو فاز" والسفينة الصغيرة التي كان يبحر عليها تخص "أنطونيو كوريا" أحد الرجال المتزوجين من مدينة "غوا" .

(ب) "مارتيم افونسو دي سوزا" كان قادماً كحاكم ، غادر البرتغال في العام ١٥٤٢م ومعه خمس سفن تجارية .. وقد واجه طقساً لم يتمكن معه من الوصول إلى "موزامبيق" حتى شهر أكتوبر ، عندما لم يتمكن من العبور إلى الهند .

فيها فإن عليك الاهتمام بها الآن لأن لها احتياجات كثيرة ، كل هذه البلاد والناس عامة أشد فقراً مما رأيت وعرفت منذ وجودي في الهند و"كوروманديل" .

طبقاً للوثائق فإن حوالي ألف ومائتين من الرجال بلا عمل هنا ، وكل شيء يذهب ويضيع .

الجميع تقريباً مندهشون من الحاكم "دوم ايستيفاو دا جاما" ، فمنذ أن أصبح حاكماً لم يصرف لي أي أموال من راتبي ، ولا أي أجر كموظف ولا أي منحه قدمت لي باسمك .

يسلم قيادة أساطيل ، سموك ، لأشخاص ربما سموك لا يعرف حتى عن آبائهم ، ولا حتى عن أسمائهم ، ولذلك لن أكتب لك من هم ولا حتى عن أسمائهم .

أرى في هذه البلاد الكثير من السادة ذوي الاستحقاق الذين هم يؤدون خدمة لسموك ، والذين يمكن لك أن تثق في توليهم لقلاعك وحصونك ، لكن الحاكم لا يعين أياً منهم في تلك المناصب الهامة لخدمة سموك ، بل يمنحها لأشخاص لا يعرف سموك أياً منهم .

لقد منحتني سموك فضلاً عظيماً على "باسين" ، لكن الحاكم ترك شخصاً يدعى "أنطونيو دي ليموس" هناك[أ] ، وكل الوقت الذي كنا

(أ) كان عليه تركه هناك لأنه لا "دوم فرانسيسكو دي مينسيس" ، الذي كان التالي في خلافته ، ولا "دوم مانويل دي ليما" ، الذي كان سيخلفه عندما يصبح المنصب شاغراً ، أراد البقاء في "باسين" عندما كان الأسطول في طريقه إلى البحر الأحمر ، وهو الأمر الذي يمكن معرفته من "نسخة من مذكرة من "دوم..... دي ليما" إلى "اللورد" الحاكم ، وكان رد سعادته في ٣٠ أكتوبر عام ١٥٤٠م" .

فيه عند المضيق كانت هذه القلعة في اضطراب وعدم نظام شديدين ، بالرغم من أن القلعة كانت من أكثر الأماكن امتلاءً بالمؤن في كل الهند حيث سعر العبوة الواحدة من الأرز يساوي "بردواسا" واحداً ، إلا أنه كان في كل ذلك الوقت يستحق سعر عشرة "بارداوسات" ، وأنا على يقين بأن سموك قد فقد الكثير من العائد المالي في "باسين" ، لعل ذلك بسبب الاضطرابات هناك .

هذه ليست أخطاء "أنطونيو دي ليموس" الذي تركه الحاكم هنا كقائد ، وقد يتذكر سموك بأنني كتبت لك في السنة الماضية وتنبأت بأن كل ذلك سيحدث ، وعلى سموك ألا ينسى لأنني أدركت كل هذا ، وطلبت من الحاكم العام الماضي أن يتركني أذهب لأخدم سموك في تلك القلعة ، ومن أجل هذا حاولت أن أستلف خمسة آلاف "كروزادوس" لأنفقها على أشياء من الضرورة بمكان لتلك الخدمة .

كتبت كل هذا لسموك في العام الماضي ، وعن تلك الأشياء والكثير غيرها ذات الأهمية القصوى .

قلت كل ذلك للحاكم في حضور "فرانسيسكو دي سوزا تافاريز"(أ)

وطبقاً لهذا أرسل الحاكم ، ولفترة مؤقته ، القائد "أنطونيو دي ليما" ، شقيق "فيرناو دوميز دي ليموس" ، الذي كان في ذلك الوقت أكبر نبيل في الهند : "كان في عهد أنطونيو دي البوكيرك" كما يذكر ذلك "دوم ايستيفاو" : "وبدأ في ذلك الوقت كقبطان للسفن" (معلومة للملك تتعلق بأشخاص كانوا يخدمونه في تلك البلاد ، ورد ذكرها) .

في الحقيقة فإننا نجد اسم "أنطونيو دي ليموس" في وثائق تتعلق بالهند منذ العام ١٥١١م .

(أ) وصل "فرانسيسكو دي سوزا" إلى البرتغال في اغسطس عام ١٥٤٠م كقائد لأربع سفن تجارية . كان ابن أخ "كريستيفاو دي سوزا" ، وكان حالياً في الهند في عهد "لوبي فاز دي سامبايو" وقد منح على التوالي بالرئاسات التالية : "مالاكا" (Ibid, no . 221 1526) "كانانور" مرة أخرى في العام ١٥٣٠م .

الموجود حالياً في البرتغال والسكرتير[أ] "وجواو دي سيبولفيدا" "Joao de Sipulveda"[ب] ، و"روي فاز بيريرا"[ت] ، "لويس كوتنهو"[ث] و"دييجو دا سيلفا" "Diego da Silva"[ج] ، كلهم كانوا حاضرين عندما تحدثت معه عن تلك الأشياء .

بالقرب من هذا المكان مدينة صغيرة تسمى "سورات" تحت قيادة تركي يسمى خواجا (جعفر) شافار ، قام ببناء قلعة هنا عند مدخل لنهر يقال إنها كانت قوية جداً ، ولا أدري إن كان حكام سموك يستطيعون الاستيلاء عليها الآن ، إن لها تحصينات ضخمة على شكل حصون عالية ، ويقال إن إحداها أكبر من حصن "ساو تومي" الموجود في قلعة "ديو" .

للقلعة خندق يحيط بها مملوء بالماء يأتي من النهر الذي يستمر حتى الجانب الآخر وكلها كاملة تماماً .

لهذه القلعة العديد من المدافع الرائعة في الحصن ويوجد بها مسبك للمعادن التي تنتج السلاح كل يوم .

(أ) "جواو دا كوستا" .

(ب) في العام ١٥٣٨م منح "جواو دي سيبولفيدا" رئاسة "سوفالا" .

(ت) "روي فاز بيريرا" ، ابن "جواو رودريجز مارامالك" ، كان في الهند منذ عهد "لوبي فاز سامبايو" . كان في العام ١٥٤٣م قائداً في "مالقا" .

(ث) في العام ١٥٣٨م أرسل "لويس كوتنهو" من قبل نائب الملك "دوم جارسيا دي نورونها" إلى خليج "كامباي" كقائد لست سفن تبحر بالمجاديف .

(ج) عمل "دييجو دا سيلفا" في الهند تحت "دوم هنريك دي مينسيس" . ومنح في العام ١٥٣٢م وظيفة وكيل تجاري وعمدة لمدينة "كويلن" .
بناءً على ما ذكره "جاسبار كوريا" فقد كان قائداً في "كويلن" في الفترة عام ١٥٣٨م و ١٥٤٠م .

يوجد في هذه القلعة ستمائة من الأتراك ومائتان من الأحباش والعرب ، وكلهم كانوا من حاملي البنادق .

شيد خواجا شافار (جعفر) هذه القلعة متوقعاً أن تحمي الأسطول التركي[أ] .

لو أراد الحاكم مهاجمة هذه القلعة عندما ذهب إلى المضيق لكان قد استولى عليها ، لأنها لم تكن قد اكتملت وكان أحد الحصون متهدماً ، ولم تتم صيانته بعد ، وكان أحد الأسوار لم يكتمل بناؤه .

أخبر خواجا جعفر ، شافار أحد البرتغاليين بذلك ، وهو الذي ذهب إلى "سورات" قبل عدة أيام ، لكن لن يتمكن الحكام الآن من الاستيلاء على تلك القلعة .

بعث الحاكم بسفير إلى "كامباي" بخصوص أمور تخص "ديو" و"باسين"[ب] وطلب أشياء محددة ، وإن لم تتم الاستجابة لها فسيشن حرباً عليها .

بينما كان ينتظر رد هذه الرسالة ، ساورته فجأة فكرة أخرى ، إذ تحرك في خمسة أو ستة قوارب مع بعض أقاربه وأشخاص آخرين ولم

(أ) (تاريخ الحصار الثاني "لديو") كتب "ليوناردو نونيز" مؤكداً أن خواجا جعفر شافار قد حصل على "مجموعات كبيرة من الجنود الأجانب ، من أتراك ومسيحيين ومن أمم أجنبية ورتزقة ..." كما أيضاً "طلب صناعة كمية كبيرة من البارود للقذائف والطلقات بقدر ما يمكن صناعته في سبع سنوات لأن تلك كانت المدة التي استغرقها ذلك فعلاً . ومن الواضح أنه في الوقت الذي كان يكتب فيه "دوم مانويل" هذا (عام١٥٤١م) كانت الاستعدادات تسير منذ زمن .

(ب) يبدو أنه قد أرسل في طلب كل العائدات المالية "لباسين "و"ديو" . وأثناء انتظاره للرد ذهب إلى "كوتشين" ليبعث بالسفن التجارية التي كانت ستذهب للبرتغال ، وعاد إلى "غوا" بعد تاريخ رسالة "دوم مانويل دي ليما" .

يصحب معه بعض الضباط الكبار الذين كانوا في المدينة ، عرضت أن أرافقه لكنه قال إن ذلك ليس ضرورياً .

لا يهم فسأذهب مباشرة إلى "كوتشين" على نفقتي وسأدفع للبحارة .

كنا جميعاً مندهشين أن يعبر الحاكم إلى "مالابار" بهذا الشكل .

أقبل يدي سموك الكريمتين ، نسأل الله أن يطيل في عمرك ودولتك .

من "غوا" ، اليوم التاسع عشر من شهر نوفمبر عام ١٥٤١م .

معنونة لسيدنا الملك .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

في شهر فبراير من عام ١٥٢٩م ، تم القبض على ريس شرف بأمر من ملك البرتغال ، جرت عملية إلقاء القبض عليه كما جاء في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، في الفصلين الثاني بعد المائة والثالث بعد المائة .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

بعــث ملك هرمز في عام ١٥٢٩م ، رسالة إلى الملك "جواو الثالث" "D . Joao III" ، بتاريـخ شهر مايو ، عام ١٥٢٩م ، بشأن هرمز .

(صفحة رقم ٢٢)

الوثيقة رقم : ٣

بعث ملك هرمز خطاباً إلى الملك "جواو الثالث" "D Joao III" ، هرمز ، شهر مايو ١٥٢٩م ، بشأن المؤامرة على قتل الريس شرف ويبرئ نفسه منها .

(صفحة رقم ٣١)

الوثيقة رقم : ٤

تمّ القبض على ريس شرف في هرمز ، عام ١٥٢٩م ، ووصف أحداث هرمز ، كما جاءت في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" .

(صفحة رقم ٣٦)

الوثيقة رقم : ٥

إتمام الهدنة في قلعة هرمز ، وندم ريس بدر الدين على ما قام به بالرّغــم من تواجده داخل قلعة هرمز ، وتفاصيل الهدنة كما جاء وصفها في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" عام ١٥٢٩م .

(صفحة رقم ٤٥)

الوثيقة رقم : ٦

أرسل "كريستوفاو دي ميندوزا" "Cristovao de Mendonca" رسالة من هرمز إلى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، في الثالث عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥٢٩م ، تتعلق بقلعة هرمز ، وسجن "دييجو

دي ميلو" "Diogo de Mello" لرفضه دفع الغرامة التي فرضت عليه بحكم صادر من ملك هرمز . **(صفحة رقم ٥٦)**

الوثيقة رقم : ٧

خطاب مرسل من "أنطونيو جالفاو" "Antonio Galvao" إلى الملكة "كاتارينا" "Queen Catarina" في العام ١٥٢٩م ، بشأن البحر الأحمر .

(صفحة رقم ٦٥)

الوثيقة رقم : ٨

بعث حاكم هرمز رسالة إلى الملك البرتغالي ، عام ١٥٢٩م ، يستنجد به من موظفي الملك ، قائلاً "إننا سندمّر بالكامل" . **(صفحة رقم ٧٣)**

الوثيقة رقم :٩

بعث "جاسبار دو كاسال" "Gaspar do Casal" رسالة إلى الملك ، بتاريخ عام ١٥٢٩م ، بشأن شؤون هرمز . **(صفحة رقم ٧٧)**

الوثيقة رقم : ١٠

أرسل "كريستوفاو دي ميندوزا" "Cristovao de Mendonca" ، رسالة من هرمز في الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٢٩م ، إلى الملك "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" ، يطلعه فيها على أحداث جرت في هرمز ، وخلافات معينة وحالة القلعة . **(صفحة رقم ٨١)**

الوثيقة رقم : ١١

خطاب أرسله قس هرمز "أنطونيو لوبيز" "Antonio Lopes" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر نوفمبر ، عام ١٥٢٩م .

(صفحة رقم ٩١)

الوثيقة رقم : ١٢

علم بتاريخ شهر يناير من العام ١٥٣٠م أن القائد التركي ريس سليمان قد تمّ قتله ، وأن مصطفى وخواجا صوفر من القادة الأتراك ، لم يجرُؤا على العودة إلى "جدة" أو السويس ، بسبب تورطهما في خيانات مع الأتراك وبالتالي قررا أن يقوما باحتلال عدن وتنصيب مصطفى ملكاً عليها ، ويكون منصبه ومقره هناك ، جاءت تلك الأحداث في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، من الفصل الرابع عشر إلى الفصل السادس عشر .

(صفحة رقم ٩٧)

الوثيقة رقم : ١٣

بعث ملك هـرمز رسالة إلى "دوم جواو الثالث" "D . Joao III" مـلك البرتغـال للإفادة أنّه بـواسطـة "مانويل دي ماسيدو" "Manuel de Macedo" ، فـإنّ مـلك هرمـز قـد أرسـل بعـض الأغراض ، وهـي مائـة حبة لؤلؤ للملكة ، وسيف للملك ، ويطلب منه أن يرعاه دائمـاً ويشفق عليه ويتعطف بخصوص الأمور التي وقعت في هرمز .

(صفحة رقم ١٠٦)

الوثيقة رقم : ١٤

بعث "كريستوفاو دي ميندونزا" "Cristovao de Mendonca" رسالة إلى دوق "براجانزا" "Braganca" ، من هرمز في الثلاثين من شهر سبتمبر ، عام ١٥٣٠م ، وفيها يصف أن البحرين غير صحية ، وأن شاه إسماعيل الصفوي في قرب مع الخراسانيين . **(صفحة رقم ١٠٩)**

الوثيقة رقم : ١٥

شروط الاستسلام التي تمّت بين "هيتور دا سيلفيرا" " Heitor de Silveira " وملك "عدن" عام ١٥٣٠م ، وجاء فيها أن ملك "عدن" قد سلم نفسه للبرتغاليين . **(صفحة رقم ١١٧)**

الوثيقة رقم : ١٦

قيام ملك "ريشاهر" ضد ملك هرمز ، بتاريخ عام ١٥٣٠م ، وتبادل أسرى "خورفكان" . **(صفحة رقم ١١٩)**

الوثيقة رقم : ١٧

بدأت أحداث تلك السنة ، برسائل مرسلة من "بيدرو كارولدو" "Pedro Caroldo" للملك "دوم جواو الثاني" "Dom João II" ، كتبت في "فنيزيا" "Venezia" بتاريخ الرابع والعشرين من شهر نوفمبر ، عام ١٥٣١م ، جاء فيها استعداد الأتراك في بناء السفن في السويس و"الإسكندرية" . **(صفحة رقم ١٢٣)**

الوثيقة رقم : ١٨

بعث راشد بن أحمد المسقطي حاكم هرمز رسالة إلى "دوم جواو الثالث" "Dom João III" ، يطلب إعمار "قلهات" . **(صفحة رقم ١٣١)**

الوثيقة رقم : ١٩

بعث "مير شرف" نائب حاكم هرمز رسالة إلى "دوم جواو الثالث" "Dom João III" ، وجاء فيها أن والده أخذ سجيناً إلى البرتغال .

(صفحة رقم ١٣٤)

الوثيقة رقم : ٢٠

في بداية شهر فبراير عام ١٥٣٢م ، كان الأسطول البرتغالي بقيادة "أنطونيو دا سالدانها" متوجهاً للهند ، بعد وصول "أنطونيو دا سالدانها" إلى "غوا" ، أبحر "أنطونيو دا سيلفيرا" متوجهاً إلى هرمز ، استجابة لأوامر الحاكم للهند الذي أرسله لكي يتولى منصب قائد قلعة هرمز .

عندما وصل قائد القلعة في هرمز استلم شكوى من ملك هرمز ضد أخيه الذي حاول اغتياله ، وأن الأتراك لهم قاعدة عسكرية في "بيسين" "Bassein" تحت إدارة ملك "كامباي" في غجرات ، جاءت تفاصيل الحادثة في كتاب: تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، من الفصل الثامن والأربعين إلى الفصل الحادي والخمسين . **(صفحة رقم ١٣٧)**

الوثيقة رقم : ٢١

بعث الملك "د . جواو الثالث" "D . Joao III" من "لشبونه" في يوم الرابع من شهر مارس ، عام **١٥٣٣**م ، رسالة إلى "د . هنريك دي منسيس" "D . Henrique de Meneses" ، بشأن العبيد الذين يتحولون إلى المسيحية .

(صفحة رقم ١٤٣)

الوثيقة رقم : ٢٢

بعث محمود شاه أحد أعيان هرمز رسالة إلى الملك ، بتاريخ عام **١٥٣٣**م ، يؤكد التهمة على ريس شرف بالكتابة لريس سليمان ، قائد الأسطول التركي .

(صفحة رقم ١٤٦)

الوثيقة رقم : ٢٣

بعث كمال بن حسين أحد أعيان هرمز رسالة إلى الملك "دوم مانويل" "Dom Manuel" ، بتاريخ عام **١٥٣٣**م ، يؤكد التهمة على ريس شرف .

(صفحة رقم ١٥٠)

الوثيقة رقم : ٢٤

كشفت الرسالة التي قيل إنها من ريس شرف ، قاضي هرمز ، وهي أنه بعث رسالة إلى ريس سليمان الرومي ، القائد التركي ، بتاريخ **١٥٣٣**م .

(صفحة رقم ١٥٣)

الوثيقة رقم : ٢٥

منذ بداية ذلك العام ، وملك هرمز يطلب مراراً من البرتغاليين ، أن يقوموا باحتلال "خورفكان" وإرجاعها تحت حكم هرمز ، حتى إذا ما حدث أسر البرتغاليين ، وتأتي التفاصيل من كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" .

(صفحة رقم ١٥٥)

الوثيقة رقم : ٢٦

حدثت الهزيمة الكبرى للسلطان التركي ، جاء ذلك في رسالة مرسلة من "القسطنطينية" إلى الأب المقدس "البابا بول الثالث" "Pope Paul III" ، تتعلق بالهزيمة الكبرى التي حلَّت بالسلطان التركي على يد ملك بلاد فارس في مدينة "تبريز" ، والتي يتم فيها رواية كل شيء بالتفصيل ، "القسطنطينية" ، في يوم العشرين من شهر مارس عام ١٥٣٥م .

(صفحة رقم ١٦٥)

الوثيقة رقم : ٢٧

بعث ملك البرتغال رسالة إلى "البابا" "the Pope" ، "لشبونه" ، في يوم الثاني والعشرين من شهر يوليو عام ١٥٣٥م ، وفيها وصف للسلطان التركي وهو بين الغانيات والجنود البؤساء والجرحى .

(صفحة رقم ١٧١)

الوثيقة رقم : ٢٨

بعـــث "لويـــس سارمينتو" "Luis Sarmiento" ، السفير الإسباني فـــي البرتغـــال "لشبونـــه" ، رسالـــة إلـــى الملك في الثامن عشر من يوليو ١٥٣٦م ، جاء فيهـــا الحديث عن الأسرى البرتغاليين في "القسطنطينية" .

(صفحة رقم ١٨١)

الوثيقة رقم : ٢٩

في ذلك العام (١٥٣٧م) عند لقاء ملك "كامباي" المسلم بالبرتغاليين وجرت الأحداث أن تدخلت القوات التركية المقيمة في مملكة "كامباي" في غجرات ، وحدث القتال بين البرتغاليين والأتراك وقد تم القضاء على سفن الأتراك ، جاء ذلك في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" .

(صفحة رقم ١٨٥)

الوثيقة رقم : ٣٠

في ذلك العام (١٥٣٨م) ، وفي بداية شهر فبراير ، تقدمت قوة تركية إلى سواحل الهند ، لتبدأ معارك ضد البرتغاليين جاء ذلك في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" .

(صفحة رقم ١٩٣)

الوثيقة رقم : ٣١

ورد في العام (١٥٣٨م) ، وصف صراع الأتراك مع البرتغاليين ، كما جاء في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "ديوغو دو كوتو" "Diogo do Couto " .

(صفحة رقم ٢٣٤)

الوثيقة رقم : ٣٢

أرسل "دوارتي غالفاو" "Duarte Galvao" إلى الملكة رسالة جاء فيها تحذير من زوال البحر ومدى أهميته للهند وما يزال الأتراك لم يصلوا إلى البصرة .

(صفحة رقم ٢٥٣)

الوثيقة رقم : ٣٣

بدأت أحداث تلك السنة ، برسالة من "أنطونيو كارفيلهو" "António Carvalho" من جزر "كاناكاني" "Canacani" ، في الثالث عشر من شهر مارس عام ١٥٤٠م ، إلى نائب الملك في الهند ، عن الوضع في "عدن" .

(صفحة رقم ٢٦٣)

الوثيقة رقم : ٣٤

صدر مرسوم ملكي بتعيين "لويس فالكاو" "Luis Falcao" قائداً على هرمز ، من "لشبونه" في الثامن عشر من مارس ١٥٤٠م ، وتعيين "لويس فالكاو" له أهمية ، حيث إن شقيقه "غونسالو فالكاو" قد

قتل من قبل الأتراك وسيقوم "لويس فالكاو" بمنع وصول الأتراك إلى البصرة .

(صفحة رقم ٢٧١)

الوثيقة رقم : ٣٥

بعث ملك "قشن" "Qis`n" في الثالث من سبتمبر عام ١٥٤٠م ، رسالة إلى نائب الملك في الهند ، يبلغه فيها أن التقارير صحيحة بشأن الأسطول التركي ، وأن ثلاثة آلاف قد أبحروا إلى "جدة" وينوون من هناك التوجه إلى "زبيد" و"عدن" للاستيلاء على مدينة تعز التابعة للشريف ، ويطلب منه أيضاً أن يرسل إليه ضماناً حتى لا يلحق البرتغاليون ضرراً به .

(صفحة رقم ٢٧٤)

الوثيقة رقم : ٣٦

بعث "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martim Afonso de Melo" رسالة إلى الملك ، يشكره فيها على العطف الذي أبداه له ، ويقدم له تقريراً عن العمل في القلعة حسب طلبه ، حررت في هرمز في الخامس والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٥٤٠م .

(صفحة رقم ٢٧٧)

الوثيقة رقم : ٣٧

وثيقة متعلقة بملك هرمز ، بشأن محاولةٍ قام بها ملك هرمز ليقتل القائد "مارتيم أفونسو دي ميلو" "Martin Afonso de Melo" بخنجر ،

لأنه طلب منه الإفراج عن القاضي الريس نور الدين ، "غوا" "Goa" ، في السادس من نوفمبر عام ١٥٤٠م . **(صفحة رقم ٢٨٣)**

الوثيقة رقم : ٣٨

بعث "ديوغو لوبيز دي سوزا" "Diogo Lopes de Sousa" رسالة إلى "د . إيستيفاو دا جاما" "D . Estevao da Gama" ، الحاكم في الهند ، من "ديو" "Diu" في الثامن والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٥٤٠م ، يخبره عن النشاط التركي في البحر الأحمر . **(صفحة رقم ٢٨٩)**

الوثيقة رقم : ٣٩

صدر تقرير عن الأسطول الضخم الذي أبحر به الحاكم لمضيق البحر الأحمر حين غادر الهند في بداية شهر يناير عام ١٥٤١م بعد أن عهد بالمسؤولية إلى "فيرناو رويس دي كاستيلو برانكو" "Fernao Ruis de Castelo Branco" المسؤول الأول عن الخزينة ، والأحداث التي واجهها حتى وصوله إلى مصوع . **(صفحة رقم ٢٩١)**

الوثيقة رقم : ٤٠

أرسل الريس ركن الدين ، قاضي هرمز رسالة إلى الريس شرف ، يروي فيها ما كان يجري بين مانع بن راشد بن مغامس ، ملك "الأحساء" ، والرئيس محمد ، حاكم البحرين ، ويحكي كيف أنه عندما استولى

ملك "الأحساء" على البصرة ، علم أن حاكم البحرين أمر بتدمير مائة وخمسين مركب "باراو" ، بالنار .
(صفحة رقم ٣٧٩)

الوثيقة رقم : ٤١

أرسل "كونت فيميوسو" "Count of Vimioso" ، رسالة إلى "كونت كاستانيرا" "Count of Castanheira" ، جاء فيها أن الأسطول التركي في البحر الأحمر .
(صفحة رقم ٣٨٥)

الوثيقة رقم : ٤٢

تحـقيق فـي هرمـز عن سلـوك "دوم بيدرو دي كاستيلو برانكـو" "D . Pedro de Castelo Branco" ، القائد السابق لقلعة تلك المدينة ، هرمز ، في الثالث والعشرين سبتمبر عام ١٥٤١م . **(صفحة رقم ٣٨٨)**

الوثيقة رقم : ٤٣

كتب "د . جواو دي كاسترو" "D . Joao de Castro" ، حاكم الهند ، رسالة إلى الملك ، بتاريخ أكتوبر عام ١٥٤١م ، وبعث بها من "غوا" "Goa" ، يشير إلى رحلة "دوم إيستيفاو دا جاما" من "غوا" إلى السويس لإحراق السفن التركية .
(صفحة رقم ٤٥٩)

الوثيقة رقم : ٤٤

بعث "مانويل كوتينهو" "Manuel Coutinho" رسالة إلى الملك ، في

السادس والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٥٤١م ، جاء فيها أن الأتراك في "عدن" ويجب طردهم .

(صفحة رقم ٤٨٩)

الوثيقة رقم : ٤٥

بعث ملك هرمز رسالة إلى ملك البرتغال ، بتاريخ عام ١٥٤١م ، يمتدح فيها "مارتيم أفونسو دي ميلو" كقائد لهرمز .

(صفحة رقم ٤٩٥)

الوثيقة رقم : ٤٦

صدر بيان عن الحملة البرتغالية إلى البحر الأحمر ، بتاريخ عام ١٥٤١م .

(صفحة رقم ٤٩٧)

هوامش المجلد السادس

1- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, 1554, vol. 2, Book 7, Chapters: 102-103.

2- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Gavetas V, pp. 76-77,

- TT, *Gavetas*: As Gavetas da Torre do Tombo. 9 volumes. Lisboa, Centro de Estudos Históricos Ultramarinos. I (Gav. I-II), 1960; II (Gav. III-XII), 1962; III (Gav. XIII-XIV), 1963; IV (Gav. XV, macos 1-15), 1964; V (Gav. XV, macos 16-24), 1965; VI (Gav. XVI-XVII, macos 1-3), 1967; VII (Gav. XVII, macos 3-9), 1968; VIII (Gav. XVIII, macos 1-6), 1970; IX (Gav. XVIII, maços 7-13), 1971, Gavetas XV, Maco 17, Document No. 7,

- TT, Gavetas XV, Maco 17, Document No. 23.

3- TT, Gavetas V, pp. 78-79,

- TT, Gavetas XV, Maco 17, Document No. 7.

4- Da Asia, Diogo do Couto, Lisboa, 1736, Decada IV, Livro VI, Chapter 3.

5- Da Asia, Diogo do Couto, Lisboa, 1736, Decada IV, Livro VI, Chapter 4.

6- TT, Gavetas X, pp. 251-254.

7- TT, Gavetas XVIII, Maco II, Document No. 46,

- TT, Gavetas VIII, p. 259.

8- TT, Cartas dos Viso-reis, No. 188.

9- TT, Cartas dos Viso-reis, No. 127.

10- TT, Gavetas X, pp. 254-258,

- TT, Gavetas XX, Maco 2, Document No. 27.

11- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630.I/3/143, 1529-1549, Part 1st Maco 44 Document No. 5.

12- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, vol. 2, Book 8, Chapters: 14-16.

13- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/143, 1529-1549, Part 1st Maco 44 Document No. 61.

14- TT, Arquivo Portugues Oriental. Nova Goa, Imprensa Nacional. 1861 (fasc. 3. , p.II); 1865 (fasc. 5. P. I); 1876 (fasc. 6. , suplementos), (Arquivo 1), Fasc 6, Supp 3, Document No. 564,

- Arquivo de Goa (AG), Livros das Moncoes No. 14, f 333.

15- TT, CC, Parte I, Maco 45, Document No. 127,

- TT, Documentacao para a Historia das Missoes do Padroado portugues do Oriente. Coligida e anotada por Antonio da

Silva Rego. Lisboa, Agencia-Geral das Colonias, vol. II, p. 192,

- TT, CC, Parte II, Maco 133, Document No. 127.

16- TT, Gavetas XX, Maco 2, Document No. 27.

17- TT, Gavetas Antiges 1514-1711, I/3/146,1531-1711,

- TT, Gavetas XX, Maco 7, Document No. 7.

18- TT, Documentos arabicos para a historia portuguesa. Copiados dos originais da Torre dom permissao de Sua Majestade e vertidos em portugues por ordem da Academia Real das Ciencias de Lisboa por frei Joao de Sousa. Lisboa, na Oficina da Academia Real das Ciencias, 1790, vol. I, pp. 179-180.

19- TT, Documentos vol. I, p. 189.

20- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, vol. 2, Book 8, Chapters: 48-51.

21- AG, Livrinho do rigestro de provisos, f 42r –v,

- AG, Leis a favor da cristiandade, f 15r-16v,

- TT, Documentacao, vol. II, pp. 238-239, VII, pp. 207-211.

22- Portuguese In India, Letters of the Viceroys 1507-1806, I/3/147,

- TT, Maco document No. 86.

23- TT, Letters of the Viceroys 1507-1806, I/3/147,

- TT, Maco document No. 161.

24- TT, Letters of the Viceroys 1507-1806, I/3/147,

- TT, Maco Document No. 166.

25- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, vol. 2, Book 8, Chapters: 74-76.

26- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), Fondo General, Series of Manuscripts (FG), 7638, ff 85v-88r.

27- BNL, FG, 7638 ff 88v-92v.

28- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Arquivo de Simancas, Secretarias do Estado, Legajo 371 f 62.

29- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, vol. 2, Book 8, Chapter 164.

30- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, vol. 2, Book 8, Chapters: 182-193.

31- Da Asia, Diogo do Couto, Decada V, Livro III, Chapters: 5-6,

- Da Asia, Diogo do Couto, Coimbra, 1937 edition, pp. 208-219.

32- TT, Gavetas Antiges 1514-1711. I/3/146, 1531-1711,

- Gavetas XVIII, Maco 2, Document No. 46.

33- TT, CC, Parte I, Maco 67, Document No. 47.

34- ANTT, Chancelar Dom Joao III, Liv 40 fo 51v.

35- TT, CC, Parte I, Maco 68, Document No. 36.

36- TT, CC, Parte I, Maco 68, Document No. 41.

37- TT, CC, Parte I, Maco 68, Document No. 72.

38- TT, Cartas dos Viso-Reis No. 87.

39- Da Asia, Diogo do Couto, Decada V, Livro VII, Chapters 2,3,4,5,6,7,

- Diogo do Couto, Da Asia, Coimbra, 1937 edition, pp. 440-468.

40- TT, Gavetas XV, Maco 11, Document No. 2.

41- ANTT, Colleccao de Sao Lourenco, vol. I, pp. 152-159, [ff 320-326v].

42- TT, Corpus Chron , Parte II, Maco 236, Document No. 70.

43- ANTT, Elaine Sanceau, Cartas de D. Joao de. Castro, Lisboa, Letter No. VI, pp. 59-83.

44- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630. I/3/143, 1529-1549, Part 1st Maco 71, Document No. 17.

45- TT, Cartas dos Viso-Reis No. 74.

46- ANTT, Elaine Sanceau, Uma narrativa Expedicao Portuguesa de 1541 ao Mar Roxo, Studia Revista No. 9.

ISBN 978-9948-721-94-9
www.alqasimipublications.com